ديوان أبي الطيب المتنبي

بشرح أبي البقاء العكبري

المسمى بالتبيان في شرح الديوان

ضبطه وصححه ووضع فهارسه

مصطفى السقا
المدرس بكلية الآداب
بالجامعة المصرية

ابراهيم الأبياري
المحرر بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية

عبد الحفيظ شلبي
المحرر بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية

الجزء الثالث

جميع الحقوق محفوظة

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م / ٦٣٦

مكتبة لسان العرب
مع تحيات أ. علاء الدين شوقي

حرف اللام

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية

رُوَيْدَكَ أَيُّها المَلِكُ الجَلِيلُ ... تَأَيَّ وَعُدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ (١)

وَجُودُكَ بِالمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً ... فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ (٢)

---

١ — الغريب — رويدك : تمهل . وجليل : فعيل من الجلالة . وتأىّ : ترفق وامكث ، وهى رواية ابن جنى ؛ وروى غيره «تأن» بالنون ، ورواية ابن جنى بها قرأت الديوان ، ومعناه : تحبس. قال الكميت :

قِفْ بِالدِّيَارِ وُقُوفَ زَائِرْ ... وَتَأَيَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرْ

المعنى — يقول : ترفق أيها الملك فى رحيلك ، وتمهل فى مسيرك ، واجعل ذلك مما يعتدّ به من نوالك وهباتك المشتملين بنعمتك . وهذه القصيدة من الوافر ، والقافية من المتواتر .

٢ — الإعراب — نصب «وجودك» بإضمار فعل ، كأنه قال : أولنا جودك ، ولو فعلته قليلا ، فنصب قليلا على الحال ؛ أو يكون التقدير : ولو جدت جودا قليلا ، وأقام الصفة مقام الموصوف ، والأشبه أن يكون « قليلا » صفة لمصدر محذوف .

المعنى — يقول : جد جودك بالمقام ، ولو فعلته قليلا ، وليس فيما تعطيه قليل ، لأن ما كان من جهتك فهو كثير ، وهو منقول من قول أشجع :

وُقُوفًا بِالْمَطِيِّ وَلَوْ قَلِيلاً ... وَهَلْ فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ

وكقول ابن الطثرية :

وَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُها ... إِلَيْكِ وَكَلاَّ ليس مِنْكِ قَلِيلُ

وكقول اسحاق الموصلى :

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي ... وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ القَلِيلُ

وكقول إسحاق أيضا :

وَحَسْبِي قَلِيلٌ مِنْ جَزِيلِ عَطَائِهِ ... وَهَلْ مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ قَلِيلُ

وكقول الآخر :

وَإِنَّ قَلِيلاً مِنْكِ لَوْ تَبْذُلِينَهُ ... شِفاءٌ ، وَقُلْ لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ

أَتَخفِرُ كُلَّ مَنْ رَمَتِ اللَّيالِي وَتُنْشِرُ كُلَّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ![1]

وَنَدْعُوكَ الْحُسامَ وَهَلْ حُسامٌ يَعِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ![2]

وَما لِلسَّيْفِ إِلَّا الْقَطْعَ فِعْلٌ وَأَنْتَ الْقاطِعُ الْبَرُّ الْوَصُولُ![3]

---

١ — **الإعراب** — هـذا استفهام تعجب . وقوله « تنشر » ، يقال : نشر الله الموتى فنشروا وأنشرهم . وفى الـكتاب العزيز : « وانظر إلى العظام كيف ننشرها » من أنشره الله فى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو ، وفى قراءة أهل الـكوفة وابن عامر بالزاى المعجمة ، وهو من النشز ، وهو الارتفاع .

الغريب — خفرت الرجل خفرا وخفارة : أجرته ومنعت عنه . يقال : خفرته أخفره خفرا : إذا كنت له خفيرا مجيرا ، وخفرته تخفيرا . وأنشد الأصمعى للهذلى :

وَلٰـكِنَّنِى جَمْرُ الْغَضَى مِنْ وَرَائِهِ يُخَفِّرُنِى سَيْفِى إِذَا لَمْ أُخَفَّرِ

وأخفرت الرجل : إذا غدرت به ونقضت عهده ، ويقال (أيضا) أخفرته : إذا بعثت معه خفيرا ، والاسم : الخفرة (بالضم) ، وهى الذمة . والخمول : السقوط . والخامل : الساقط الذى لا نباهة له ، وقد خمل يخمل خمولا .

المعنى — يقول : أنت تجير من رمته الليالى بصروفها ، وقصدته بخطوبها ، وتحيى كلّ من سقط ذكره ، ودفنه خموله ، فتجير ذلك بحمايتك ، وتحييه بكرامتك ، فتضمه إلى إحسانك ، وتعمه بإنعامك . قال ابن وكيع : وهذا البيت منقول من قول ابن الرومى :

نَشَرْتُكَ مِنْ دَفْنِ الْخُمُولِ بِقُدْرَةٍ لِمَا هُوَ أَدْهَى لَوْ عَلِمْتَ وَأَنْكَرُ

٢ — **الغريب** — الحسام : السيف القاطع .

المعنى يقول : ندعوك سيفا ، والسيف يعدم الحياة . وأنت تعيدها ، وهو يتلفها ، وأنت تهبها ، فكيف نسميك سيفا وفعلك ضدّ فعله ، وقدرك فوق قدره !

والمعنى : أن من قتله الفقر وأذله الزمان ، حتى أماته موت الفقر ، تعيشه بجودك .

٣ — **الإعراب** — نصب « القطع » لأنه استثناء مقدم ومثله قول الـكميت :

وَمَالِىَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِـيعَةٌ وَمَالِىَ إِلَّا مَذْهَبَ الْعَدْلِ مَذْهَبُ

المعنى — يقول : ليس للسيف فعل إلا القطع ، وأنت فيك الوصل والقطع ، تقطع الأعداء ، وتصل الأولياء .

والمعنى : أنك تصل مؤمليك ، وتقطع أعاديك ، وتبرّ قصادك ، وتحوط رعيتك ، فتشركه فى أرفع أحواله ، وهو القطع ، وتنفرد دونه بأرفع أحوالك ، وأجلّ أوصافك .

وَأَنْتَ الْفارِسُ الْقَوَّالُ صَبْرًا ... وَقَدْ فَنِيَ التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ (١)

يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ ... وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ (٢)

فَلَوْ قَدَرَ السِّنانُ عَلَى لِسانٍ ... لَقالَ لَكَ السِّنانُ كَما أَقُولُ (٣)

وَلَوْ جازَ الْخُلُودُ خَلَدْتَ فَرْدًا ... وَلٰكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيا خَلِيلُ (٤)

---

١ — الإعراب — صبرا: مصدر ، أي اصبر صبرا .

المعنى — يقول : أنت الفارس الثابت النفس ، الرابط الجأش ، الداعى الى الصبر إذا طاشت العقول ، وخرست الألسن ، فلم تقدر الأبطال على الكلام ، ولا الخيل على الصهيل .

والمعنى : أنك تصبر الأبطال فى الحرب ، تقول : اصبروا على عضّ الحرب .

٢ — الغريب — الحيد : الرجوع . والقصد : الاستقامة . يريد : أن الرمح مستقيم غير معوج.

المعنى — يرجع عنك الرمح مع استقامته ، و إذا طعن به غيرك لم يرجع عنه ، ويقصر عنك فلا ينالك مع طوله ، وذلك لشجاعتك وشرفك ، كأنّ الجماد يعرفك ، فلا يقدم عليك .

والمعنى : أن الأبطال تتحاماه فى الحروب ، فلا تتعاطى مطاعنته ، ولا تمثّل مقاومته .

والمعنى : أن الرمح إذا قصد إليك خذلته يد الطاعن حتى يرجع عنك ، و إذا طال خذله الطاعن و إقدامه ، حتى يقصر عنك .

٣ — المعنى — يقول : لو أن للسنان لسانا ناطقا ، لقال : أنا أحيد عنك ، وأقصر مع طولى عن طعنك . وهو من قول الآخر :

إِنَّ السِّنانَ وَصَدْرَ السَّيْفِ لَوْ نَطَقا ... لَخَبَّرا عَنْكَ يَوْمَ الرَّوْعِ بِالعَجَبِ

وقال الحصنى :

يُثْنِي عَلَيْكَ إِذَا النُّفُوسُ تَطايَرَتْ ... حَدُّ الْمُهَنَّدِ وَالسِّنانُ اللَّهْذَمُ

وهذا مجاز ، أى لو كان متكلما لقال . وأصله قول عنترة :

لَوْ كانَ يَعْلَمُ مَا الْمُحاوَرَةُ اشْتَكَى ... وَلَكانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلامَ مُكَلِّمِي

٤ — المعنى — يريد : أن الدنيا جرت عادتها بإفناء أهلها ، فلا يخلد فيها أحد ، ولو أنها خلدت أحداء لتزينها به ، وما جمعه الله فيه من الفضائل ، لكنت ذلك الخالد وحدك ، لعلوّ قدرك ، وجلالة أمرك ، ولكن الدنيا ليس لها خليل توافيه ، ولا أحد تتقيه وتصافيه ، لأن طبعها الغدر . وهو منقول من قول عدى بن زيد :

فَلَوْ كانَ حَيٌّ فى الْحَياةِ مُخَلَّدًا ... خَلُدْتَ لٰكِنْ لَيْسَ حَيٌّ بِخالِدِ =

وقال يرثى والدة سيف الدولة

وقد توفيت بميا فارقين ، وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة ، وأنشده إياها فى جمادى الآخرة من السنة .

وهذه القصيدة من الضرب الوافر ، والقافية من المتواتر .

نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ وَالعَوالِى ... وَتَقْتُلُنا المَنُونُ بِلا قِتالِ (١)

وَنَرْتَبِطُ السَّوابِقَ مُقْرَباتٍ ... وَما يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيالِى (٢)

وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيا قَدِيمًا ... وَلٰكِنْ لا سَبِيلَ إِلَى الْوِصالِ (٣)

= ومثله لمحمد بن يزيد المهلبى :

لَوْ خَلَّدَ اللهُ مَخْلُوقًا لِنَجْدَتِهِ ... لَكانَ رَبُّكَ فى الدُّنْيا مُخَلِّدَهُ

١ — الغريب — المشرفية : السيوف . والعوالى : الرماح . والمنون : الدهر ، يذكر ويؤنث ، وقيل المنون : الموت ، فمن أراد به الدهر ذكره ، ومن أراد المنية أنثه .

المعنى — يقول : نحن نعدّ السيوف والرماح ، أى صوارم السيوف ، وعوالى الرماح ، لمنازلة الأعداء ، ومدافعة الأقران ، والموت يخترم نفوسا دون قتال أو نزال ، لا يمكننا حذارها ، ولا يتهيأ لنا دفاعها . قال ابن وكيع : عجزه ، ينظر إلى قول أبى زرعة :

وَمَنْ لا سِلاحَ لَهُ يَتَّقِى ... وَإِنْ هُوَ قاتَلَ لَمْ يَغْلِبِ

٢ — الغريب — السوابق : جمع سابق وسابقة . والمقربات من الخيل : هى الكرام التى ترتبط ، لكرامتها على أصحابها أو لفرط الحاجة إليها . والخبب : عدو لا يستفرغ الجهد .

المعنى — يقول : ونرتبط الخيول الكريمة العتاق ، ومع هذا لا تنجينا ولا تعصمنا من طلب الدهر لنا ، وخبب لياليه فى آثارنا . قال ابن وكيع : هو من قول عبد الله بن طاهر :

كَأَنَّنا فى حُرُوبٍ مِنْ حَوادِثِهِ ... فَنَحْنُ مِنْ بَيْنِ مَجْرُوحٍ وَمَطْعُونِ

٣ — الإعراب — من : استفهام . وروى : «وصال» بالتنكير .

المعنى — يريد : أن النفوس مجبولة على حبّ الدنيا مع التيقن بسرعة زوالها ، والتحقق من امتناع وصالها ، وأن سرورها يعقبه الحزن ، وحياتها يعقبها الموت .

والمعنى : يريد : من ذا الذى لم يعشق الدنيا فى قديم الدهر؟ فكلّ أحد يهواها ، ولكن لا سبيل إلى وصالها ، أى إلى دوام وصالها ، وكثير من عشاقها واصلها وواصلته ، ولكن لا سبيل إلى دوام الوصال . ومن روى إلى «وصال» ، وهو الخوارزمى ، أراد إلى مواصلة .

نَصِيبُكَ فِى حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ ... نَصِيبُكَ فِى مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ (١)

رَمَانِى ٱلدَّهْرُ بِٱلْأَرْزَاءِ حَتَّى ... فُؤَادِى فِى غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ (٢)

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِى سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ ٱلنِّصَالُ عَلَى ٱلنِّصَالِ (٣)

---

١ — المعنى — يقول : نصيب الإنسان من وصال حبيبه فى حياته ، كنصيبه من وصال خياله فى منامه، باتفاق الأمرين فى سرعة انقطاعهما ، واشتباههما فى عجلة زوالهما ، فإن الحالين كلاهما بعدم ، فما ظنك بحق يشبه الباطل ، و يقظة يشاكلها النوم ، فجعل العمر كالمنام، والموت كالانتباه. وأحسن ما قيل فى هذا المعنى قول التهامى :

فَٱلْعَيْشُ نَوْمٌ وَٱلْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ ... وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيَالٌ سَارِى

وقال الطائى :

ثُمَّ ٱنْقَضَتْ تِلْكَ ٱلسُّنُونَ وَأَهْلُهَا ... فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

وقد أكثر الشعراء فى هذا المعنى ، فمنه ما كان عمر بن الخطاب يتمثل به :

نُسَرُّ بِمَا يَفْنَى ، وَنَفْرَحُ بِٱلْمُنَى ... كَمَا سُرَّ بِٱللَّذَّاتِ فِى ٱلنَّوْمِ حَالِمُ

وقال الآخر :

وَإِذَا وَدِدْتَ أَبَا كُبَيْشَةَ لَمْ يَكُنْ ... إِلَّا كَلَمْحَةِ حَالِمٍ بِخَيَالِ

وقال أبو العتاهية :

فَكَمْ بَادَ مِنْ مَعْشَرٍ أَصْبَحُوا ... كَأَنَّهُمُ حُلُمٌ أَوْ خَيَالُ

وقال ابن طباطبا :

فَنِلْتُ يَقْظَانَ مِنْ ضِيَافَتِهِ ... مَا نِلْتُهُ نَائِمًا مِنَ ٱلطَّيْفِ

٢ — الغريب — الأرزاء : جمع رزء ، وهى المصيبات . والغشاء : مايغطى الشىء و يشمله .

المعنى — يقول : كثرت مصائب الدهر عندى لتواليها علىّ ، وقد أصابت قلبي فجائعها ، حتى صار كأنه فى غشاء من سهام الدهر .

والمعنى : أن الدهر قصده بفجائعه، ورماه بمصائبه ، واعتمد فؤاده بسهامه ، وأثبت فيه نصاله.

قال الشريف هبة الله بن الشجرى العلوى فى أماليه : هذا البيت من أحسن ماقيل . وهو من نوادر أبى الطيب وحكمه .

٣ — الغريب — النصال : جمع نصل ، وهو الحديدة التى فى السهم .

المعنى — يقول : قد صرت إذا رمانى الدهر بخطب من خطو به ، وصرف من صروفه ، لم =

وهانَ فما أُبالى بالرّزايا ... لِأَنِّى ما انْتَفَعْتُ بأنْ أُبالى(١)
وهــــذا أوّلُ النّاعِينَ طرًّا ... لِأَوّلِ مَيْتَةٍ فى ذا الجَلَالِ(٢)

= يصل قلبى ، لأنها لم تجد موضعا للإصابة ، وكنى بنصال السهم عن اشتداد الخطوب ، وأن بعضها يكسر بعضا فى فؤاده ، لتزاحمها فيه ، وتكاثرها عليه .

والمعنى : أن المصائب توالت علىّ فهانت عندى ، والإنسان إذا كثر عليه الشىء اعتاده .

وقال ابن وكيع : لايصحّ معنى هذا البيت إلا أن يكون يرمى من جنبيه ، فيبلغ نصل الجانب الأيمن نصل الجانب الأيسر ، وأما أن يكون الرمى من ناحية واحدة ، فلا يصحّ ذلك ، ولو قال كما قال عمر بن المبارك لصحّ :

لَمْ يَنْتَظِرْنَ فَتَسْتَبِيكَ قُلُوبُ ... حَتَّى رَمَيْنَ فَرَشْقُهُنَّ مُصِيبُ
نُجْلٌ يُتَبِّعْنَ السِّهامَ بِمِثْلِها ... فَلَهُنَّ مِنْ تَحْتِ النُّدُوبِ نُدُوبُ

فهذا كلام يصحّ مثله ، لأن الندوب القديمة يتبعن ندوبا حديثة . ومثله لأخى ذى الرمّة :

وَلَمْ يُنْسِنِى أَوْفَى الْمَصَائِبِ بَعْدَهُ ... وَلٰـكِنْ نِكَاءُ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

١ — الإعراب — قوله «هان» أضمر الفاعل لدلالة الكلام عليه . والتقدير : وهان رمى الدهر ، لدلالة قوله : رمانى الدهر .

المعنى — يقول : لا أحفل بمصائب الدهر ، لأنه لاينفع الحذر ولا المبالاة ، وهـذا من قول خداش بن زهير :

وَبَعْدَ عُيَيْنَةَ الْخَـــيْرِ بْنِ حِصْنٍ ... وَقَدْ بَالَيْتُ حَـــتَّى مَا أُبَالِي

وهو من أبيات الحماسة :

وَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي عَلَى الْبَيْنِ تَنْطَوِى ... وَعَيْنِى عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ
وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أُبَالِي مِنَ النَّوَى ... وَإِنْ بَانَ جِيرَانٌ عَلَىَّ كِرَامُ

وكقول الخزرى :

صَبَرْتُ وَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ سَجِيَّةٍ ... وَهَلْ جَزَعٌ أَجْدَى عَلَىَّ فَأَجْزَعُ ؟!

٢ — الإعراب — نصب «طرا» على الحال ، ويجوز على المصدر ، وقيل لبعض الفصحاء كيف أصبحت ؟ فقال : أحمد الله إليك وإلى طرة خلقه وروى ابن جنى : ميتة (بفتح الميم) . أراد : ميتة ، نخفف . ومنـه قوله تعالى : «الأرض الميتة» ، وقد شدّدها نافع ، وخففها الباقون ، وقد شدّد الباب كله نافع وحمزة وعلىّ وحفص ، إلا أن نافعا انفرد بثلاث مواضع ، قوله «أومن كان ميتا فأحييناه» فى الأنعام ، «والأرض الميتة» فى يس . وفى الحجرات : «يأكل لحم أخيه ميتا» فشدّد الثلاثة =

كَأَنَّ المَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ   وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبالِ (١)

= الغريب — الناعون : جمع ناع ، وأصله : رفع الصوت و إظهاره بالمصيبة ؛ يقال : نعاه نعيا ونعيانا (بالضم) . والنعى : (على فعيل) الناعى الذى يأتى بخبر الموت .

قال الأصمعى : أصله أن العرب كانت إذا مات منها ميت له شرف ركب فارس فرسا ، وجعل يسير فى الناس ، و يقول : نعاء فلانا ، أى انعه، وأظهر خبر وفاته ، وهى مبنية على الكسر ، مثل دراك ، بمعنى أدرك ، ونزال ، بمعنى أنزل . وفى الحديث : « يانعاء » . وأنشد سيبويه :

نَعاءِ جُذَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلاَ قَتْلٍ   وَلٰكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ

المعنى — يقول : هذا الناعى أوّل من نعى امرأة ميتة فى شرفها ، ومفقودة فى مثل منزلها . يريد : لم يمت قبلها أجلّ منها .

قال ابن فورجة : الرواية الصحيحة «ميتة» بكسر الميم، لأن الميتة (بفتح الميم) كثر استعمالها فى الجيفة ، كقوله تعالى : «حرّمت عليكم الميتة» ولا يخاطب أبو الطيب سيف الدولة بمثل هذا فى أمّه ، و إنما يريد الحالة التى ماتت عليها .

وقال الواحدى : لاوجه لما قال ، لأن أبا الطيب أراد أوّل الأموات ، ولم يرد أوّل الأحوال .

١ — الغريب — خطر الشىء ببالى، يخطر (بالضم)، وخطر الرجل يخطر (بالكسر). وما أحسن قول الحريرى :

فَكَمْ أَخْطِرُ فى بَالٍ   وَلاَ أَخْطُرُ فى بَالٍ !

والبال : الذهن ، وقيل : القلب .

المعنى — يقول : لقد عظمت مصيبتها ، و إنها أنست المصائب ، و بعثت من الحزن ما أفقد جميل الصبر ، وأوجب شديد الجزع ، حتى كأنّ الموت قبلها لم يفجع بنفس ، ولا خطر ببال .

قال ابن وكيع : هو من قول البحترى :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ   إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ

ومن قول محمد بن وهيب :

نُرَاعُ لِذِكْرِ المَوْتِ ساعَةَ ذِكْرِهِ   وَنَعْتَرِضُ الدُّنْيا فَنَلْهُو وَنَلْعَبُ

يَقِينٌ كَأَنَّ الشَّكَّ أَغْلَبُ أَمْرِهِ   عَلَيْهِ وَعِرْفَانٌ إِلَى الْجَهْلِ يُنْسَبُ

والمعنى بينهما بعيد ، وأما بيت محمد بن وهيب الأوّل ، فهو من قول زين العابدين على بن الحسين:

نُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ وَاجَهَتْنا   وَنَلْهُو حِينَ تَغْدُو رَائِحاتِ

كَرَوْعَةِ ثَلَّةٍ لِمُغَارِ ذِئْبٍ   فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعاتِ

صَـــلاةُ اُللهِ خالِقِنا حَنُوطٌ ... عَلَى الْوَجْهِ الْمُـكَفَّنِ بِالْجَمالِ (١)

عَلَى المَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْناً ... وَقَبْلَ اللَّحْدِ فى كَرَمِ الْخِلالِ (٢)

فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ شَخْصاً ... جَدِيدًا ذِكْرُناهُ وَهُوَ بالى (٣)

---

١ — **الغريب** — الحنوط : طيب يستعمل فى غسل الميت . والصلاة : الترحم والدعاء .

المعنى — يقول : رحمة الله ومغفرته ورضوانه على الوجه الجميل ، وجعل الجمال كفنا لوجهها، فكأنه يقول : رحم الله وجهها الجميل .

وقال ابن الإفايلى : رحمة الله ورضوانه حنوط هذه المرأة ، التى غيبها الجمال كما غيبها الكفن ، وسترها كما سترها القبر ، فكانت مستورة عن أعين الناس .

وقال ابن وكيع : وصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار . وهو مأخوذ من قول النميرى :

تَحِيَّاتٌ وَمَغْفِـــــرَةٌ وَرَوْحٌ ... عَلَى تِلْكَ المَحَـــلَّةِ وَالْحُلُولِ

٢ — **الغريب** — اللحد : ما كان فى جنب القبر . والشق : فى وسطه ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « اللحد لنا والشقّ لغيرنا » . يقال : اللحد واللحد (بضمّ اللام وفتحها) ، ولحدت القبر لحدا، وألحدت له، فهو ملحد ، وأصله: العدول عن الشيء ، ولحد وألحد فى دين الله : حاد عنه . وقرأ حمزة فى الأعراف والنحل والسجدة « يلحدون » بفتح الياء ، من لحد، ووافقه علىّ فى النحل. وقرأ الباقون « يلحدون » ، من ألحد . والصون : الستر . والخلال : الخصال ؛ واحدها : خلة .

المعنى — يقول : صلاة الله على المدفون قبل موته بالصون ، وقبل أن يدفن فى التراب بالعفة والستر ، وكان مدفونا فى كرم خصاله الجميلة .

والمعنى : أنها كانت مستورة قبل أن يسترها التراب ، وكان كرم خصالها يمنعها مما يقبح ذكره قبل أن تحمل إلى اللحد ، فكانت دفينة فى ستر الصيانة قبل ستر التراب .

٣ — **الإعراب** — ذكرناه : مرفوع «بجديد» ، رفع السبب ، ووضع الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل ، جائز فى الاختيار . ومثله قوله تعالى : « أنلزمكموها» . وأنشد سيبويه :

فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِى تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ ... لِضَغْمِهِماها يَقْرَعُ الْعَظْمَ نابُها

المعنى — يقول : إنّ شخصها فى الأرض بال ، وذكرنا إياه جديد غير بال .

والمعنى : أنه يبلى فى القبر ، وذكره جديد باق على الأيام . ومثله للخزيمى :

وَإِنْ تَكُ لِلْبِلَى أَمْسَيْتَ رَهْناً ... فَقَدْ أَبْقَيْتَ مَجْداً غَـيْرَ بالِي

وَمَا أَحَـــدٌ يُخَلَّدُ فِى الْبَرَايَا ... بَلِ الدُّنْيَا تَئُولُ إِلَى زَوَالِ
أَطَابَ النَّفْسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوْتًا ... تَمَنَّتْهُ البَوَاقِى وَالْخَـــوَالِى(١)
وَزُلْتِ وَلَمْ تَرَىْ يَوْمًا كَرِيهًا ... يُسَرُّ الرُّوحُ فِيـــهِ بِالزَّوَالِ(٢)
رِوَاقُ العِزِّ حَوْلَكِ مُسْبَطِرٌّ ... وَمُلْكُ عَلِىٍّ ابْنِكِ فِى كَمَالِ(٣)
سَقَى مَثْوَاكِ غَادٍ فِى الغَوَادِى ... نَظِيرُ نَوَالِ كَفِّكِ فِى النَّوَالِ(٤)
لِسَاحِيهِ عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفْشٌ ... كَأَيْدِى الْخَيْلِ أَبْصَرَتِ المَخَالِى(٥)

ـــ المعنى ـــ يقول: إنك قد مت فى العز والعفاف ، فموتك يتمناه من بقى من النساء ، ومن ضى منهنّ ، فهذا الذى يسلينا عنك ، لأنك حزت خير الدنيا والآخرة .

ـــ المعنى ـــ يقول : إنك متّ ولم ترى يوما تكرهينه فى حياتك ، وعوفيت من خطوب دهر، فلم تلقى ماينغص عيشك ، حتى تفرح الروح بفراق البدن فى مثل تلك الكراهة. وقد نقل ن قول محمود بن الحسين :

وَهَوَّنَ مِنْ وَجْدِى وَلَيْسَ بِهَيِّنٍ ... سَلَامَتُهَا بِالْمَوْتِ مِنْ جَرْعَةِ الثُّكْلِ

٣ ـــ الغريب ـــ المسبطرّ : الممتدّ . ويجمع «رواق» : على أروقة .

المعنى ـــ يقول : متّ ، ورواق العز ممتدّ عليك وعلى ابنك كامل الملك .

والمعنى : أنك لما متّ كنت فى عزّ ممدود ، وسلطان كامل .

قال الصاحب : ذكره «الاسبطرار» فى مرثية النساء من الخذلان البين .

قال ابن فورجة : ولاخذلان فيما صحّ واستعمل كثيرا . ومثله قول عمرو بن معدى كرب :

* جَدَاوِلُ زَرْعٍ خُلِّيَتْ وَاسْبَطَرَّتْ *

وقال أبو الفضل العروضى : سمعت أبا بكر الشعرانى خادم المتنبى يقول : قدم علينا المتنبى ، وقرأنا عليه شعره ، فأنكر هذه اللفظة، وقال : مستظلّ : قال العروضى : وإنما غيره الصاحب ، وعابه عليه .

٤ ـــ الغريب ـــ مثواك، يريد : حفرتك . والغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ صباحا . والغادى : السحاب ، يغدو بمطره . والنوال : العطاء .

المعنى ـــ يدعو لها بسقيا تشبه عطاءها ، من سحاب يشبه نوالها .

والمعنى : أن عطاءها كثير، فهو غاية مايبلغه المتمنى .

٥ ـــ الغريب ـــ الساحى: القاشر. ومنه سميت «المسحاة» . والحفش : شدّة الوقع . وحفشت السماء حفشا ، إذا جاءت بالمطر . وحفشت الأودية : سالت. والأجداث : القبور ؛ واحدها ؛ =

أُسائِلُ عَنْكَ بَعْدَكَ كُلَّ مَجْدٍ ... وَما عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكَ خالِي (١)

يَمُرُّ بِقَبْرِكَ الْعافِي فَيَبْكِي ... وَيَشْغَلُهُ الْبُكاءُ عَنِ السُّؤالِ (٢)

= جدث . والخالى : جمع مخلاة ، وهو وعاء يجعل فيه التبن والشعير للدابة .

المعنى — يدعو لقبرها بالسقيا ، ويصف السحاب بشدة المطر ، وقع على الأرض كوقع أيدى الخيل إذا أبصرت العليق فى المخالى ، فإنها تحفر بقوائمها لشدة ماندق الأرض حرصا على الأكل .

قال أبو الفتح : الغرض من الدعاء للقبور بالغيث ، الإنبات ، وما يدعو الناس إلى الحلول والإقامة ، وهذا مذهب العرب ، ألا ترى إلى قول النابغة :

وَلاَ زَالَ قَبْرٌ بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ ... عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمِيِّ سَحٌّ وَوَابِلُ

فَيُنْبِتُ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مُنَوِّرًا ... سَأُتْبِعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلُ

وكلما اشتد المطر كان أجم لنباته وأسرع ، وقد عاب عليه قوله « كأيدى الخيل أبصرت المخالى » وقالوا : هو من الكلام البارد ، ودعاؤه بالسقيا قد أكثرت الشعراء فيه . قال ابن المعتز :

يَا غَيْثُ سَقِّ مُحَمَّدًا ... جُودًا عَلَيْهِ كَمَا فَعَلْ

وقال الحصنى :

سَقَى جَدَثًا بِعَرْصَةِ سُرَّ مَرَّا ... سَحَابٌ مَاؤُهُ سَحٌّ سَكُوبُ

رَضِينَا أَنْ يَصُوبَ لَهُ سَحَابٌ ... كَمَا كَانَتْ أَنَامِلُهُ تَصُوبُ

وقال الآخر :

سَقَى جَدَثًا ثَوَيْتُ بِهِ مُلِثٌّ ... كَبَعْضِ نَدَاكَ مُنْسَرِحٌ هَطُولُ

١ — الإعراب — الوجه أن يقول : خاليا ، بنصبه على الحال ، كما تقول : عهدى بك شجاعا ، وشربى السويق ملتوتا ، ولكنه أسكنه على قول من قال : رأيت قاضى .

المعنى — يقول : لم أر مجدا خاليا منك أيام حياتك ، فأما بعد موتك أسائل عنك كل مجد ، وجعل المجد كأنه ربعها يسأله عنها . يقول : أنا أطلب أخبارك من كل مجد ، لأنك كنت ملازمة له . وقال قوم فى إعراب قوله « خال » هو نعت لمجد ، فيكون المعنى : ليس لى عهد بمجد خال منك ، وعلى هذا ليس فيه ضرورة .

٢ — الغريب — العافى : السائل . والبكا : يمد ويقصر .

المعنى — يقول : إذا مر السائل بقبرهذه الميتة يذكر ما كان يشمله منها أذهله البكاء والحزن عن الطلب ، وشغله البكاء عن السؤال . وقد نقله من قول البحترى :

فَلَمْ يَدْرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُجِيبُنَا ... وَلاَ نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الْبُكَا كَيْفَ نَسْأَلُ

وَما أَهْـــدَاكِ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ ... لَوْ أَنَّكِ تَقْدِرِينَ عَلَى فَعَالِ[١]
بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوْتِ؟ فَإِنَّ قَلْبِي ... وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكِ غَيْرُ سالى[٢]
نَزَلْتِ عَلَى الْكَرَاهَةِ فى مَكانٍ ... بَعُدْتِ عَنِ النُّعامَى وَالشَّمَالِ[٣]
تُحَجَّبُ عَنْكِ رَائِحَةُ الْخُزَامَى ... وَتُمْنَعُ مِنْكِ أَنْدَاءُ الطِّلَالِ[٤]
بِدَارٍ كُلُّ ساكِنِها غَرِيبٌ ... طَوِيلُ الهَجْرِ مُنْبَتُّ الحِبالِ[٥]

---

١ — الغريب — الجدوى : العطاء والإفضال .

المعنى — يقول : لولا أن الموت حال بينها و بين العطاء لـكانت تعطى السائل قبل السؤال ، كعادتها فى الحياة . يريد : وما أعلمك وأعرفك بالإفضال عليه .

٢ — المعنى — قال الواحدى : يقسم عليها بحياتها و يقول: هل سلوت عن النوال وحبه ، فإن قلبي ، و إن بعدت عن أرضك غير سال عن نوالك .

وقال أبو الفتح وجماعة : هذا مما وضعه فى غير موضعه ، ولا يجوز أن يرثى بمثل هذا .

والمعنى: هل سلوت عن الحياة، فإنى غير سال عن الحزن عليك، أذكرك و إن كنت بعيدا عن أرضك ، وأندبك و إن كنت منتزحا عن موضعك .

٣ — الغريب — النعامى: الجنوب ، وهى الريح القبلية. والشمال : الريح التى تهبّ من ناحية القطب.

المعنى — يقول : نزلت على كراهتنا بنزولك فى مكان لايصيبك فيــه طيب الرياح ، بعدت فيه أو به ، فحذف للعلم به ، كقوله تعالى : «واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس» ، أى فيه .

٤ — الغريب — الخزامى : نبت طيب الريح. والطلال : جمع طلّ ، وهو المطر الصغار . والأنداء: جمع ندى .

المعنى — يقول : قد حجب عنك طيب الريح والرائحة ، وندى الأمطار ، لأن القبور لا يصــل الذى ذكر إليــه ، فذكر أن الرياح مع شـدّة هبوبها قصرت أن تدركك مع سرعة مسـيرها ، فدلّ على أنها فى بطن الأرض ، وأشار بأحســن إشارة إلى اللحد ، ثم أكد ذلك بأن قال : تحجب عنك ريح الرياض العبقة و يمنع منك أنداء طلالها الوافقة ، وأشار «بالخزامى والأنداء» الى الرياض .

٥ — الغريب — المنبتّ : المنقطع .

المعنى — يقول : كلّ ساكن بهــذه الدار ، وهى المقبرة ، غريب بعيد عن أهله وعشيرته ، وطال هجرهم إياه ، وانقطع وصاله عنهم . وهو من قول أبى عطاء :

فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ ... بَلَى ، كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ

=

حَصانٌ مِثْــلُ ماءِ المُزْنِ فيهِ   كَتُومُ السِّرِّ صادِقَةُ المَقالِ(١)
يُعَــلِّلُها نِطاسِيُّ الشَّكايا   وَواحِــدُها نِطاسِيُّ المَعالِى(٢)
إِذَا وَصَــفُوا لَهُ دَاءً بِثَغْرٍ   سَقاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوالِ(٣)
وَلَيْسَتْ كالإِناثِ وَلا اللَّواتِى   تُعَدُّ لَها القُبُورُ مِنَ الحِجالِ(٤)

= ومثله لإبراهيم بن المهدى :

تَبَدَّلَ دَارًا غَيْرَ دَارِى وَجِيرَةً   سِوَاىَ، وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنُوبُ
أَقَامَ بِها مُسْتَوْطِناً غَيْرَ أَنَّهُ   عَلَى طُولِ أَيَّامِ المُقَامِ غَرِيب

١ — الإعراب — حصان : خبر ابتداء محذوف .
الغريب — الحصان : العفيفة المالكة لنفسها .
المعنى — يقول : هى امرأة عفيفة ، مثل ماء المزن فى النقاء والطهارة ، كاتمة السرّ ، صادقة فى القول .
٢ — الغريب — النطاسى : الحاذق فى الأمور . والشكايا ، واحدها : شكوى .
المعنى — يريد «بواحدها» : ابنها ، الذى هو واحد الناس وفردهم ، يمرضها ويزيل علتها طبيب الأمراض . يعنى : فى مرضها، وابنها طبيب المعالى. يريد : أنه العالم بأدواء المعالى ، فيزيلها عنها ، حتى تصحّ معاليه ، فلا يكون فيها نقص .
والمعنى : يريد : أن هذه لشرفها فى قومها قد ولدت طبيب المعالى ، وواحد الفضائل .
٣ — الغريب — الثغر : ثغر العدوّ ، وهو الموضع الذى بقرب العدوّ . والأسل : الرماح .
المعنى — يقول : إذا ذكروا له علة بثغر ، شفت من دائها أسنته ، وأمنت مخافتها سيوفه ، ولكن الموت لايدفع بقدره ، ولا يعتصم منه بمنعه . وهو مأخوذ من قول الأخيلية :

إِذَا هَبَطَ الحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً   تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِها فَشَــفاها
شَفَاها مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ الَّذِى بِها   غُلَامٌ إِذَا هَزَّ القَنَاةَ سَقاها

وقال أبو تمام :

وَقَدْ نُــكِسَ الثَّغْرُ فَابْعَثْ لَهُ   صُدُورَ القَنَا فى ابْتِغَاءِ الدَّواء

٤ — المعنى — يقول : إنها كانت مستورة قبل ستر القبر ، وليست من اللواتى يعدّ لها القبر سترا ، فانها كانت محجوبة ، والحجال : هو مايستر النساء ، وهو الخدر ، وهو جمع حجلة ، وهو بيت صغير فى جوف البيت .

وَلا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تِجَارٌ ... يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النِّعَالِ(١)

مَشَى الْأُمَرَاءِ حَوْلَيْهَا حُفَاةً ... كَأَنَّ الْمَرْوَ مِنْ زِفِّ الرِّئَالِ(٢)

وَأَبْرَزَتِ الْخُدُورُ مُخَبَّآتٍ ... يَضَعْنَ النِّقْسَ أَمْكِنَةَ الْغَوَالِي(٣)

أَتَتْهُنَّ الْمُصِيبَةُ غَافِلاتٍ ... فَدَمْعُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ(٤)

---

١ — المعنى — يقول : هـذه المرأة ليست من السـوقة ، تتبع جنازتها باعة وتجار ، ينفضون نعالهم من التراب إذا رجعوا ، وإنما كانت ملكة جليلة القدر ، والجنازة بالفتح والكسر واحد . وقيل بالفتح : النعش إذا كان الميت فيه ، وبالكسر : النعش .

٢ — الغريب — قوله «حوليها» : يعنى حولها . تقول : حولك وحوليك ، وحواليك وحوالك بمعنى واحد . والمرو : حجارة بيض براقة ، يكون فيها النار . والزف : صغار الريش . والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام .

المعنى — يقول : لشرفها وشرف ولدها ، مشى الأمراء حول جنازتها حفاة يطئون الحجارة ، فكأنها عنـدهم لشدّة الحزن ريش النعام ، فلم يحسوا بخشونة الأرض تحت أقدامهم ، لما فى نفوسهم من الحزن . قال ابن وكيع هو من قول ابن الرومى :

لَوْ أَفْرَشُوهَا الْجَنْدَلَ الْمُضَرَّسَا ... تَحْتَ الْجُنُوبِ حَسِبَتْهُ السُّنْدُسَا

٣ — النقس : المداد ، وهو السواد . والغوالى : جمع غالية . وهو نوع من الطيب . وأصل النقس : المداد : قال بعض العرب فى وصف كاتب :

قِرْطَاسُهُ مِنَ الْبَيَاضِ شَمْسُ ... وَنِقْسُهُ لَيْلٌ عَلَيْهِ يَرْسُو

المعنى — يقول : جوارى هذه المفقودة خرجن من الخدور ، وكنّ مخبآت لا تراهنّ الشمس ، فأبرزت لأجل موتها ، وجعلن السواد على وجوههنّ مكان الطيب . وهو منقول من قول ابن المعتصم :

قَدْ كَانَتِ الْأَبْكَارُ بِيضاً فَاغْتَدَتْ ... سُودًا لِفَقْدِكَ أَوْجُهُ الْأَبْكَارِ

وَهَتَكْنَ أَسْتَارَ الْحَيَاءِ وَطَالَمَا ... سُتِرَتْ مَحَاسِنُهُنَّ بِالْأَسْتَارِ

وَظَهَرْنَ لِلْأَبْصَارِ بَعْدَ تَسَتُّرٍ ... بِالْحُجْبِ دُونَ لَوَاحِظِ الْأَبْصَارِ

وقد أحسن القائل فى المعنى :

قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الْوُجُوهَ تَسَتُّرًا ... فَالْآنَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَّارِ

٤ — المعنى — يقول : أتتهنّ المصيبة على غفلة ، فبيناهنّ يبكين دلالا بكين حزنا ، فاختلط

وَلَوْ كَانَ النِّساءُ كَمَنْ فَقَدْنا　　لَفُضِّلَتِ النِّساءُ عَلَى الرِّجالِ (١)
وَما التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ　　وَلا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلالِ (٢)
وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنا مَنْ وَجَدْنا　　قُبَيْلَ الْفَقْدِ مَفْقُودَ الْمِثالِ (٣)
يُدَفِّنُ بَعْضُنا بَعْضًا وَتَمْشِي　　أَواخِرُنا عَلَى هامِ الْأَوالِي (٤)

= الدمعان ، فهنّ يبدين الدلال مع الحزن ، والذلة مع الحسن . وهذا من أبدع المعانى ، ولو لم يكن له فى ديوانه إلا هذا لكفاه .

١ — **المعنى** — يقول : لو أن نساء العالم كهذه المفقودة فى الكمال والعفاف ، لفضلن على الرجال . قال ابن وكيع ينظر إلى قول على بن الجهم :

إِذَا مَا عُدَّ مِثْلُكُمْ رِجالاً　　فَمَا فَضْلُ الرِّجالِ عَلَى النِّساءِ

٢ — **الإعراب** — من روى «عيب وفخر» بالرفع ، جعل «ما» تميمية ، ومن نصبهما جعلها حجازية وهى بمعنى ليس ، وجاء القرآن بالحجازية فى قوله : « ماهذا بشرا » . وفى قوله «ماهنّ أمّهاتهم» فى قراءة الجماعة . وقرأ الأعمش عن عاصم بالرفع .

المعنى — يقول : ربّ تأنيث يقصر التذكير عنه ، ولا يبلغ مبالغه ، ولا ينال موضعه ، ثم بين ذلك بأن الشمس مؤنثة ، والفضل لها ، والقمر مذكر ، وليس يعدل بها . احتجّ لتفضيل المرأة على الرجل بحجة ، لم يسبق إليها ، لأنه أراد أنّ الشمس مؤنثة ، وهى النور الذى يزعم بعض الناس أنها تنير فى السماء كما تنير فى الأرض ، ووصف الهلال بالتذكير ، وهو كثير التنقل ، ويصيبه المحاق ، فجعل ذلك كالنقص فيه . ومثله للآخر :

وَالشَّمْسُ لَيْسَ بِضائِرٍ تَأْنِيثُها　　وَتَزِيدُ بِالنُّورِ الْمُنِيرِ عَلَى الْقَمَرْ

٣ — **المعنى** — يقول أعظم المفقودين فجعة ، وأجلهم مصيبة ، من فقد مثاله قبل فقده ، وعدم نظيره قبل موته ، والمفقودة كذلك ، لأنها لم يماثلها أحد فى فضائلها مدّة حياتها ، فعظمت الفجيعة بها عند موتها ، فإن من وجد له نظير يتسلى عنه .

٤ — **الغريب** — يريد : الأوائل ، ولكنه قلب ، وهو كثير فى أشعارهم أنشد سيبويه :

تَكادُ أَوالِيها تَفَرَّى جُلُودُها　　وَيَكْتَحِلُ التَّالِي بِمُورٍ وَحاصِبِ

المعنى — ندفن الأموات ، ونمشى على رءوسهم بعد موتهم .

والمعنى أن الإنسان مطبوع على السلوة ، مجبول على الإعراض عن الرزية ، والحىّ يدفن الميت ، والآخر يطأ قبر الأوّل ، فلا ينفكّ من فقد ودفن ، ولا يعتبر بمن يدفن ، بل يمشى على قبورهم ، وهو من قول قس بن ساعدة : =

وَكَمْ عَــيْنٍ مُقَبَّلَةِ النَّوَاحِي ... كَحِــيلٍ بِالْجَنَادِلِ وَالرِّمَالِ(١)
وَمُغْضٍ كَانَ لا يُغْضِي لِخَطْبٍ ... وَبَالٍ كَانَ يُفَـكِّرُ فِي الْهُزَالِ(٢)
أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ اسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ ... وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَـبْرِكَ لِلْجِبَالِ(٣)
فَأَنْتَ تُعَـلِّمُ النَّاسَ التَّعَزِّي ... وَخَوْضَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السِّجَالِ(٤)

= وَيَخْلُفُ قَوْمٌ خِــلافًا لِقَوْمٍ ... وَيَنْطِقُ لِلأَوَّلِ الْأَوَّلُ

والأصل فيه قول النابغة :

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنَّ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا ... هٰذَا عَلَيْهَا ، وَهٰذَا تَحْتَهَا بَالِي !

١ — الغريب — الجنادل : جمع جندلة ، وهي الحجارة . والرمال : جمع رمل .

المعنى — يقول : كم عين كانت لعزّتها وشرفها تقبل نواحيها ، فصارت تحت الأرض مكحولة بالحجارة والرمل .

٢ — الغريب — المغضى : الصابر عن قدرة . والخطب : الأمر العظيم . وأصل الإغضاء : إطباق الجفون بعضها على بعض .

المعنى — يقول : كم من إنسان قد أغضى للموت ، وكان لايغضى للخطوب الشديدة ، وكم من بال لو رأى فى جسمه هزالا ، كان يشتغل به ، ويفكر فى أمره .

والمعنى : كم من إنسان كان يحذر الضير ويتوقعه، نزل به الموت، وأبلاه قبل ما كان يحذره . وهو ينظر إلى قول البحترى يرثى غلاما له :

وَأَصْــفَحُ لِلْبِلَى عَنْ ضَوْءِ وَجْهٍ ... غَنِيتُ يَرُوعُنِي فِيهِ الشُّحُوبُ

٣ — الغريب — استنجد : من النجدة ، وهي الإعانة ، أى استعن .

المعنى — يقول : ياسيف الدولة استعن بالصبر ، فأنت أهله ، وأثبت من الجبال ، فلايوجد مثلك فى رزانتك وركانتك للجبال .

٤ — الغريب — السجال : الحرب التى يتداول فيها الغلبة ، وذلك أدعى إلى شدّتها ، وهى أن تكون مرّة على هؤلاء ، ومرّة على هؤلاء ، ومنه قول أبى سفيان لهرقل ، حين سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أنتم فى حربه ؟ فقال : الحرب بيننا سجال .

المعنى — يقول : أنت أهل العزاء ، لأنّ العزاء منك يتعلم ، والجدير بالصبر ، لأن الصبر إليك ينسب ، وبك يقتدى فى الإقدام على الموت ، والنفاذ فى غمرات الموت ، والاستقلال بشدائدها . ومثله لديك الجنّ :

نَحْنُ نُعَزِّيكَ وَمِنْكَ الْهُدَى ... مُسْتَخْرَجٌ وَالنُّورُ مُسْــتَقْبَلُ

وَحالاتُ الزَّمانِ عَلَيْكَ شَتَّى ... وَحالُكَ واحِدٌ فى كُلِّ حالِ (١)
فَلا غِيضَتْ بِحارُكَ يا جَمُومًا ... عَلَى عَلَلِ الغَرائِبِ وَالدِّخالِ (٢)
رَأَيْتُكَ فى الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا ... كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فى مُحالِ (٣)
فَإِنْ تَفُقِ الْأَنامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ... فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزالِ (٤)

---

١ — المعنى — يقول : تتلوّن حالات الزمان عليك فى السرّاء والضرّاء ، والشدّة والرخاء ، وحالك واحدة لاتختلف فى كرم نفسك ، ونفاذ عزمك ، وما يتكفل الله به من جميل العاقبة لك ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

لَا أُمْسِكُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أُتْلِفُهُ ... وَلَا يُغَيِّرُنِى حَالٌ إِلَى حَالِ

٢ — الغريب — غيضت : نقصت . ومنه : «وغيض الماء» . تقول : غاض الماء وغضته . والجوم : الكثير . تقول : بئرجوم : إذا كان كثير الماء . وفرس جوم : كثير الجرى . والعلل : هوالشرب الثانى بعدالنهل ، والدخال أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا، ليزداد شربا . والغرائب : جمع غريبة ، وهى التى ترد على الحوض ، وليست لأهل الحوض .

المعنى — ضرب هذا مثلا ، وهو دعاء له بدوام عطائه . يريد : لا أعدم الله العفاة جزيل عطائك ، وتتابع إحسانك ، لأنك بحر يتدفق مع كثرة الواردين له ، ويزيد مع ترادف الشارعين فيه ، وينال منه الغريب القاصد ، كما ينال القريب القاطن .

قال الواحدى : روى الأستاذ أبو بكر : الفرائت والدجال . وقال : هو جمع فرات . يريد : أنهار الفرات المتشعبة منه . والدجال : جمع دجلة ، ويريد بعللها : مايصيبها من النقصان ، وهذا تصحيف ، والصحيح الرواية الأولى .

٣ — المعنى — يقول : بيان فضلك على الملوك ، كبيان فضل الاستقامة على المحال .

والمعنى : أنت تفضلهم ، كفضل المستقيم على المعوج .

٤ — المعنى — يقول : إن فضلت الناس وأنت من جملتهم ، فقد يفضل بعض الشىء الكلّ جملة كالمسك ، وهو بعض دم الغزال ، يفضله فضلا كثيرا .

والمعنى : إن فاق الأنام وهو منهم ، وفضلهم مع مشاركته فى الجنس لهم ، فالمسك من دم الغزلان فى أصله ، وسائر دم الحيوان يقصر عنه ، وربّ واحد قد بذ أمّة ، وبعض قد فات جملة .

قال الواحدى : قال أبوالحسن محمد بن أحمد الشاعر : كان سيف الدولة يسرّ بمن يحفظ شعر أبى الطيب ، فأنشدته يوما :

* رَأَيْتُكَ فى الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا *

فقلت، وكان أبو الطيب حاضرا: هذا البيت والذى يتلوه لم يسبق إليه ، فقال سيف الدولة : كذا

وقال يمدحه

ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود من الأسر

وهى من المتقارب ، والقافية من المتدارك

إلامَ طَماعِيَــةُ العاذِلِ   وَلا رَأْىَ فى الحُبِّ للعاقِلِ(١)

= حدثنى الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت . فأعجب المتنبي واهتز ، فأردت أن أحركه ، فقلت إلا أن فيه عيبا فى الصنعة ، فالتفت المتنبي التفات حنق ، وقال : ماهو ؟ قلت : قولك مستقيم فى محال ، والمحال ليس من ضد الاستقامة ، بل ضدها الاعوجاج ، فقال الأمير : هب القصيدة جيمية ، فكيف تعمل فى تغيير قافية البيت الثانى ؟ فقلت مجلا كرد الطرف :

* فَإِنَّ الْبَيْضَ بَعْضُ دَمِ الدَّجاجِ *

فضحك ، ثم ضرب بيده الأرض ، وقال حسن ، مع هذه السرعة ، إلا أنه يصلح أن يباع فى سوق الطير ، لا أن يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن .

١ — الإعراب — «إلى» : من حروف الجر ، دخلت على ما الاستفهامية ، فبنيت بناء كلمة واحدة ، وسقطت الألف من ما استخفافا واعتدادا بإلى الموصولة بها ، وكذلك يفعلون فى بم وفيم وعم ، ولا يفعلون ذلك بما الخبرية . ومن العرب من يقف على مثل هذا بالهاء ، فيقولون : إلامه وعمه ، وفيمه ، ولمه . وقد قرأ البزى عن ابن كثير فى هذا كله بالهاء فى الوقف ، وإنما دعاهم إلى حذف الألف من هذا كثرة الاستعمال .

الغريب — «طماعية» : مصدر بمعنى الطمع ، كالكراهية والعلانية .

المعنى — يقول : إلى متى يطمع العاذل فى استماعى كلامه ، والحب يقع اضطرارا لا اختيارا ، والعاقل لا يقع فى شرك الحب باختياره ؟ فلا معنى للوم فيه ، لأن المحب مغلوب على أمره ، فلا فائدة فى لومه . وقد نقله من قول السلامى :

وَمَا مِنْ فَتًى فى النَّاسِ يُحْمَدُ عَقْلُهُ   فَيُوجَدُ إلاَّ وَهُوَ فى الحُبِّ أَحْمَقُ

وهذا البيت ظاهره أن معنى عجزه غير متعلق بمعنى صدره ، وأين قوله فى ظاهره ، ولا رأى فى الحب ، من قوله : إلام طماعية ، وفى تعلقه به وجوه ، أحدها : يريد إلام يطمع عاذلى فى إصغائى إلى قوله ، والعاقل إذا أحب لم يبق له مع الحب رأى يصغى به إلى قول ناصح ، فعذله غير مجد نفعا . والثانى : أن العاقل لا يرتئى فى الحب ، فيقع اختيارا ، وإنما يقع فيه اضطرارا ، فلا معنى لعذله ، والثالث : أن العاقل ليس من رأيه أن يورط نفسه فى الحب ، وإنما ذلك فى فعل الجاهل ، وعذل الجاهل أضيع من سراج فى الشمس ، وكيف يطمع فى نزوعه .

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيانُكُمْ وَيَأْبَى الطِّباعُ عَلَى النَّاقِلِ [١]

وَإِنِّى لَأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ نُحُولِى وَكُلَّ امْرِئٍ ناحِلِ [٢]

وَلَوْ زُلْتُمْ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ بَكَيْتُ عَلَى حُبِّيَ الزَّائِلِ [٣]

---

١ — الغريب — الطباع والطبيعة : بمعنى واحد ، وهى الخليقة .

المعنى — يقول : العاذل يريد من قلبي أن يسلاكم ، وقد جرى حبكم فيه مجرى الطبيعة ، وحلّ فيه محلّ الخليقة ، والطبيعة لاتنقاد لناقلها ، ولا تتأتى لمخالفها . وهذا كقول العباس بن الأحنف :

لاَ تَحْسِبَنِّيَ عَنْكُمْ مُقْصِرًا إِنِّى عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعْ

وأصله من قول حاتم :

وَلاَ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ إِلاَّ طَبَائِعاً فَكَيْفَ بِتَرْكِى يَاابْنَ أُمِّ الطَّبَائِعا

قال ابن القطاع : قد أفسد هذا البيت سائر الرواة فرووه ، وتأبى بالتاء ، وهو غلط لايجوز . قال قال لى شيخى : أخبرنى أبو على بن رشدين قال : لما قرأت هذا البيت قرأته بالتاء ، فقال لم أقل هكذا إلا أنّ الطبع والطباع والطبيعة واحد ، والطبع مصدر لايثنى ولايجمع ، والطبيعة مؤنثة ، وجمعها : طبائع ، والطباع واحد مذكر . وجمعه طبع ، ككتاب وكتب ، وليس الطباع جمعا لطبع . وهذا البيت من كلام الحكيم .

قال الحكيم : نقل الطباع من ردىء الأطماع ، شديد الامتناع .

٢ — المعنى — يقول : إنه يعشق نحول جسمه ، ويأنس باتصال سقمه ، ويعشق كلّ ناحل لمشابهته إياه فى حاله .

والمعنى أعشق نحولى ، لأن عشقكم أدّى إليه . قال أبو الفتح : وفيه معنى قول أبى الشيص :

أَجِدُ الْمَلاَمَةَ فى هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّمُ

وهو معنى قول الآخر :

أُحِبُّ لِحُبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى أُحِبُّ لِأَجْلِهَا سُودَ الْكِلاَبِ

٣ — المعنى — يقول : أحبكم وأحبّ حبكم ، حتى لو ذهب الحبّ عنى ، لبكيت على فراقكم ، فلو فارقتمونى ، ولم أبك على فراقكم سلوا عنكم ، بكيت على مافات وزال من حبى لكم اغتباطا بذلك فيكم ، واستعذابا لما ألقاه بكم . وقوله « ولو زلتم » وتعقيبه فى آخر البيت بالزائل ، من أبواب البديع فى الشعر ، يعرف بالتصدير .

أَيُنْكِرُ خَدِّى دُمُوعِى وَقَدْ   جَرَتْ مِنْهُ فى مَسْلَكٍ سابِلِ (١)
أَأَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ   وأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلِ (٢)
وَهَبْتُ السُّلُوَّ لِمَنْ لا مَنِى   وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ فى شاغِلِ (٣)
كَأَنَّ الْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتِى   ثِيابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثاكِلِ (٤)
وَلَوْ كُنْتُ فى أَسْرِ غَيْرِ الْهَوَى   ضَمِنْتُ ضَمانَ أَبِى وَائِلِ (٥)
فَدَى نَفْسَهُ بِضَمانِ النُّضار   وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنا الذَّابِلِ (٦)

---

١ — الغريب — المسلك السابل : الطريق الجادّة .

المعنى — يقول : أينكر خدّى ما أسيل عليه من الدمع ، وهو يسكن من ذلك إلى حال قد عرفها ، وعادة قد ألفها ، ويجرى منه فى طريق مسلوك ، وسبيل معمور ؟ لا ينكر خدّى دموعى .

٢ — المعنى — يقول : ليس دمعى بأوّل دمع جرى على فقد الأحبة ، وليس حزنى بأوّل حزن على مفارق ، بل هذا الذى لا أعرف غيره ، ولا أودّ فقده .

٣ — المعنى — يقول : السلو حظّ اللائم لاحظى ، وعندى من الشوق شغل شاغل ، يشغلنى عن استماع اللوم ، لأنى قد وهبت اللائم السلو ، الذى يدعونى إليه ، والخلو الذى يحضنى عليه ، وبتّ من الشوق فيما يشغلنى عن لومه ، ويزهدنى فى عذله .

٤ الغريب — الثاكل : المرأة التى تفقد ولدها ، يقال : ثكلى وثاكل وثكول .

المعنى — يقول : الجفون على مقلتى ، شبه قلة التقاء جفونه على مقلته ، واشتغاله بما يذريه من عبرته ، بثياب مشقوقة ، على ثاكل موجعة ، ووالهة مفجعة ، وشبه مقلتيه فى حزنهما بتلك الثاكل فى وجدها ، وتبعيد السهر لما بين جفونها ، بتشقيق الثاكل الثياب حدادا ، وهذا مما شبه فيه شيئان بشيئين ، وهو من أرفع وجوه البديع ، وقد أخذه الوزير أبو محمد المهلبى ، فقال :

تَصَارَمَتِ الأَجْفانُ لَمَّا صَرَمْتَنِى   فَما تَلْتَقِى إِلاَّ عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِى

٥ — الغريب — أبو وائل : هو تغلب بن داود ، وهو ابن عمّ سيف الدولة .

المعنى — أنه خرج إلى وصف أبى وائل بأحسن خروج ، فقال : لو كنت أسيرا فى غير الحبّ ، ومغلوبا فى غير سبيل العشق ، لاحتلت بحيلة أبى وائل ، وضمنت مالا كما ضمن مالا ، حتى أنفك من الأسر .

٦ — الغريب — النضار : الذهب . والقنا الذابل : الرقاق .

المعنى — يقول : ضمن لهم الذهب ، ثم أعطاهم الرماح ، يشير إلى جيش سيف الدولة ، فإنه أتاهم سرّا ، فقتل الخارجى ، واستنقذه بغير مال .

وَمَنَاهُمُ الْخَيْلَ مَجْنُوبَةً ... فَجِئْنَ بِكُلِّ فَتًى باسِلِ[1]

كَأَنَّ خَلاصَ أَبِى وَائِلٍ ... مُعاوَدَةُ الْقَمَرِ الآفِلِ[2]

دَعا فَسَمِعْتَ وَكَمْ ساكِتٍ ... عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كالقائِلِ[3]

فَلَبَّيْتَهُ بِكَ فى جَحْفَلٍ ... لَهُ ضامِنٍ وَبِهِ كافِلِ[4]

خَرَجْنَ مِنَ النَّقْعِ فى عارِضٍ ... وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فى وَابِلِ[5]

فَلَمَّا نَشِفْنَ لَقِينَ السِّياطَ ... بِمِثْلِ صَفا الْبَلَدِ الماحِلِ[6]

---

١ — الغريب — الباسل : الشجاع القوى . والخيل المجنوبة : التى ليس عليها فرسان ، وإنما تجنب للحاجة إليها ، فلا تركب إلا فى وقت الحرب لكرمها .

المعنى — يقول : أعطاهم ماتمنوا وطلبوا ، ووعدهم أن يقود لهم الخيل فى فدائه ، فجاءت الخيل بالفرسان الشجعان لمحاربة الخارجى .

٢ — المعنى — يقول : كنا بعد أسره فى ظلمة ، فلما عاد إلينا كان كمعاودة القمر بعد أفوله ، ووائل مشتق من وأل : إذا نجا ، ووائل منون ، فلايظنّ أن البيت مصرع .

٣ — المعنى — يقول : أنه لما دعاك إلى استنقاذه أجبته ، ولو سكت لم تقعد عنه ، فكم ساكت وهو بعيد عنك لست تقعد عنه ، حتى كأنه قائل لك يسألك حاجته .

والمعنى : أنه دعاك على بعدمحله ، فأجبته على انتزاح مستقرّه ، وربّ ساكت لبعده عنك كالمخاطب لك ، لما يوجبه كرمك ، من اهتمامك بشأنه ، واعتنائك بأمره .

٤ — الغريب — الجحفل : الجيش . ورجل جحفل ، أى عظيم القدر . والجحفلة : لذوات الحوافر ، كالشفة للانسان .

المعنى — يقول : فلبيته إذ دعاك بنفسك ، فى جيش عظيم ، ضمنوا له استنقاذه ، وتكفلوا له ردّه إلى مكانه ، ضامن بفكّ أسره ، كافل بتعجيل نصره .

٥ — الغريب — النقع : الغبار . والعارض : السحاب . والوابل : المطر الكثير .

المعنى — يريد : أن خيل سيف الدولة خرجت من الغبار ، فيما يشبه السحاب ، ومن العرق الذى أوجبه الركض ، فيما يشبه المطر الشديد ، وهذا من بديع الكلام .

٦ — الغريب — الصفا : الصخر . والسياط : جمع سوط . والماحل : الذى لم يمطر .

المعنى — يقول : لما نشفت الخيل من العرق ، لقيت السياط من جلودها ، بمثل الحجر الأملس الذى يكون فى البلد الممحل ، وهو أبلغ فى يبسه . وهذا من بديع الكلام ، يسمى التتميم .

شَفَنَّ لِخَمْسٍ إِلَى مَنْ طَلَبْـــنَ قَبْلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلِ (١)

فَدَانَتْ مَرَافِقُهُنَّ الْبَرَى عَلَى ثِقَةٍ بِالدَّمِ الغَاسِلِ (٢)

وَمَا بَيْنَ كَاذَتَي الْمُسْتَغِيرِ كَمَا بَيْنَ كَاذَتَي البَائِلِ (٣)

---

١ — الغريب — الشفون : النظر ، شفنته أشفنه شفونا : إذا نظرت إليه بمؤخر عينك ، فأنا شافن وشفون . قال القطامىّ :

يُسَارِقْنَ الْكَلَامَ إِلَيَّ لَمَّا حَسِسْنَ حِذَارَ مُرْتَقِبٍ شَفُونِ

المعنى — يريد : أنهم لم ينزلوا عن ظهورها خمس ليال ، حتى بلغوا أبا وائل . يقول : نظرت الخيل إلى أبى وائل المطلوب ، قبل النظر إلى نازل عن ظهورها ، هذا قول أبى الفتح . قال : سألته عن معناه ، فقال لى هذا .

والمعنى : أن فرسان هذه الخيل لم يفتروا فى الركض ، حتى أوقعوا بالقوم الذين أسروا أباوائل .

٢ — الغريب — البرى : التراب . قال مدرك بن حصين :

* بِفِيكَ مِنْ سارٍ إِلَى الْقَوْمِ الْبَرَى *

والبرية منه ، لأنهم من التراب ، فهو على هذا غير مهموز . تقول : براه الله يبروه بروا ، أى خلقه . وقيل : البرية الخلق وأصله الهمز ، والجمع : البرايا والبريات . وقرأ «البريئة» بالهمزة نافع وابن ذكوان .

المعنى — يقول : دانت «فاعلت» من الدنو ، أى أن قوائمها ساخت فى التراب إلى مرافقها ، ثقة بأن الدم الذى يجريه ركابها ، سيغسلها ويزيل عنها التراب .

وقال الخطيب : مددن أيديهنّ فى الجرى ، حتى دانت التراب ، وأذعن أن الدم سيغسله عنهنّ .

٣ — الغريب — الكاذة : لحم مؤخر الفخذ . والبائل : الذى يتفحج ليبول . والمستغير : الذى يطلب الغارة .

المعنى — يقول : إن هذه الخيل لشدّة العدو تتفحج لكرمها ونشاطها ، فلم تحتكّ كاذتاها ، ولا تدانت عراقيبها ، وهذا يحدث على الخيل الكرام ، عند الركض الشديد ، بل كان مابين كاذتى المغير منها ، كالذى يكون بين كاذتى البائل ، لم تستحل عن خلقها ، ولا اضطربت فى شىء من أمرها .

قال الواحدى : يريد أنه يعرق فى عدوه حتى يسيل العرق بين رجليه . قال : وذكر فى معنى هذا البيت أن المنهزم يبول فرقا ، وهذا لا يصحّ ، لأن المستغير لا يكون منهزما .

فَلُقِّينَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ ... وَمَصْبُوحَةٍ لَبَنَ الشَّائِلِ (١)
وَجَيْشَ إِمامٍ عَلَى نَاقَةٍ ... صَحِيحِ الْإِمامَةِ فِى الْباطِلِ (٢)
فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَّامَهُ ... نَوافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعاسِلِ (٣)

١ — الغريب — الردينية : الرماح ، نسبت إلى ردينة ، امرأة كانت تقوّم الرماح . والمصبوحة : الفرس التى تسقى اللبن صباحا ، لكرامتها على أهلها . والشائل : الناقة التى ابتدأ حملها ، فخفّ لبنها. قال أبو الفتح : سألته عن هذا ، فقلت له : الشائل لالبن لها ، وإنما التى لها بقية من لبن ، يقال لها الشائلة بالهاء ، فقال : أردت الهاء وحذفتها ، كقول كثير بن عبد الرحمن :

لَعَمْرِى لَئِنْ أُمُّ الْحَكِيمِ تَرَحَّلَتْ ... وَأَخْلَتْ لِخَيْماتِ الْعُذَيْبِ ظِلالَها

أراد العذيبة ، فحذف الهاء ، وكقول أبى طالب :

وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ كَأَنَّهُمْ ... لِمُفْضَى سُيُولٍ مِنْ إِسافٍ وَنائِلِ

أراد نائلة ، وهما صنمان ، فحذف الهاء .

المعنى — يقول : إن خيل سيف الدولة بعد جهدها فى الطلب ، وعرقها فى الركض ، لقيت مع الخارجى أشدّ مايلقاه الأعراب ، الذين يطعنون بالرماح ، وتعدو بهم كرائم الخيل ، التى تسقى اللبن عند قلته ، والحاجة إليه ، وذلك أن النوق إذا شالت قلّ لبنها ، واحتيج إليه ، فهم يؤثرون به الخيل لكرمها .

وقال ابن القطاع : حذف الهاء لإقامة الوزن ، والشائلة التى مرّ عليها من وقت نتاجها سبعة أشهر، فخفّ لبنها ، وجمعها : شول . والشائل : بلاهاء التى تشول بذنبها ، ولالبن لها ، وجمعها: شول.

٢ — الغريب — الإمام : هو الخارجى .

المعنى — يقول : ولقيت هذه الخيل جيش إمام إمامته باطلة .

قال أبو الفتح : قد صحّ أن إمامته باطلة لاشك فيها .

قال الواحدى : بل معناه أن إمامته صحيحة فى الباطل . يريد: أن أصحابه سلموا له الإمامة، فهو إمام المبطلين ، وردّ على أبى الفتح قوله : قال الخطيب يقول : إنه ركب جملا ، وأشار إلى أصحابه ، يحثهم على القتال ، وأعرض عن ركوب الخيل لتيقنه أن أصحابه يهلكون دونه ، وأن الغلبة له .

٣ — الغريب — «ينحزن» ينفعلن ، من الانحياز ، ينضمّ بعضها إلى بعض . والعاسل : الذى يجمع العسل من بيوت النحل .

المعنى — يقول : أقبلت خيل الخارجى ، تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة ، نفور النحل عن العاسل .

فَلَمَّا بَدَوْتَ لِأَصْحابِهِ ... رَأَتْ أُسْدُها آكِلَ الآكِلِ[1]
بِضَرْبٍ يَعُمُّهُمُ جائِرٍ ... لَهُ فِيهِمُ قِسْمَةُ العادِلِ[2]
وَطَعْنٍ يُجَمِّعُ شُـذَّانَهُمْ ... كَما اُجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الحافِلِ[3]
إِذا ما نَظَرْتَ إِلَى فارِسٍ ... تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ[4]
فَظَلَّ يُخَضِّبُ مِنْها اللِّحَى ... فَتًى لا يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ[5]

---

١ — المعنى — يقول : لما ظهرت لأصحاب الخارجى ، رأت أسدها ، جمع أسد ، وهم شجعانها ، يجوز أن تكون الهاء فى أسدها للأصحاب ، ويجوز أن تكون للخيل .

والمعنى : رأت أسد أصحابه أسدا تأكلها وتفنيها ، كما كانت هى تأكل غيرها . والمعنى : كنت أشجع منهم .

٢ — المعنى — قال أبوالفتح : هذا الضرب وان كان لإفراطه جورا ، فهو فى الحقيقة عدل ، أن قتل مثلهم عدل وقربة إلى الله تعالى . وفى معناه لحبيب :

أَنْ لَسْتَ نِعْمَ الجارُ لِلسُّنَنِ الْأُلَى ... إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ بِئْسَ الجارُ

يريد للكفار . وقال العروضى : المعنى إن جار فى الضرب فقد عمّ بالقتل ، فعدله أنه لم ينفلت منه أحد إلا أصابه من ذلك الضرب ، وإن أفرط فيه حتى يصوّر جائرا ، فله فيهم قسمة العادل فى القسم ، لأنه قطع ماأصاب ، فجعله نصفين ، فصار الضرب كأنه يقسم بالسوية والإنصاف .

والمعنى : أنك بدوت لهم بضرب عمّ جماعتهم ، وشمل جملتهم ، أبلغ فيهم إبلاغ الجائر ، وأفرط إفراط المسرف ، وسوى بينهم تسوية العادل ، وقد طابق بين العدل والجور .

٣ — الغريب — الشذان : المتفرّقون . والحافل : التى حفل ضرعها ، وامتلأ لبنا .

المعنى — يقول : وبدوت لهم بطعن لايتخلص منه شاذ ، ولا نافر ، بل يجتمعون فيه اجتماع اللبن الكثير فى الضرع .

والمعنى : جمع متفرّقهم بشدّته ، وحصرهم بمخافته ، كجمع الضرع درّته .

٤ — المعنى — يقول : إذا نظرت إلى فارس من الأعداء ، لم يقدر أن يذهب عنك ، بل يضعف خوفا منك وهيبة ، ولا يقدر أن يذهب ذهاب الراجل .

وقال الخطيب : إذا نظرت إلى الفارس ، وهو أقدر على الفرار من الراجل تحير ، فلم يقدر أن يذهب ذهاب الواحد من الرجالة .

٥ — الغريب — اللحى : جمع لحية . والناصل : الذى قد ذهب خضابه ، وهو فاعل بمعنى مفعول كقولهم : ناقة ضارب ، للتى ضربها الفحل ، وكقوله تعالى : « عيشة راضية » ، أى مرضية . =

وَلاَ يَسْتَغِيثُ إِلَى ناصِرٍ وَلا يَتَضَعْضَعُ مِنْ خاذِلِ (١)

وَلا يَزَعُ الطِّرْفَ عَنْ مُقْدَمٍ وَلا يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هائِلِ (٢)

إِذَا طَلَبَ التَّبْلَ لَمْ يَشْأَهُ وَإِنْ كَانَ دَيْنا عَلَى ماطِلِ (٣)

خُذُوا ما أَتاكُمْ بِهِ وَاعْذِرُوا فَإِنَّ الْغَنِيمَةَ فِى الْعاجِلِ (٤)

المعنى — يريد : أن سيف الدولة خضب لحاهم بدمائهم ، غير أنه لايعيد الخضاب على من نصل خضابه .

وقال أبو الفتح : الناصل المضروب بالنصل . يريد : إذا ضرب إنسانا بسيفه ، لم يبق فيه مايحتاج إلى اعادة الضربة ، أى أن هذا الفتى لايقصد بخضابه التزيين ، وإنما يقصد به الإهلاك ، فليس يحفل اذا أهلك النفس بما أخطأ فى خضابه من الشعر . وهو من قول طرفة :

حُسامٌ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِراً لَهُ كَفَى الْعَوْدَ مِنْهُ الْبَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ

١ — المعنى — يقول : هو مستغن بقوّته عمن ينصره ، فلايستغيث إلى ناصر ، ولايستكين من خذل خاذل ، لأنه وحده يغنى عن جيش بشجاعته .

٢ — الغريب — الوزع : الكف . والطرف : الفرس الكريم . والهائل : الأمر العظيم .

المعنى — يقول : لا يكفّ فرسه عن مقدم أو إقدام . يعنى : أنه لايخاف شيئا لجراءته وإقدامه ، ولا يهوله شيء فيردّ طرفه عنه ، وقد جانس بين الطرف والطرف :

٣ — الغريب — التبل : الثأر والترة . ولم يشأه : لم يفته . والماطل : الذى يمطل بالدين ، ولم يسهل عليه أن يؤدّيه .

المعنى — يقول : إذا طلب ثأرا لم يفته ، وان كان ممتنعا أمره متعذرا موضعه . وقوله: «وان كان دينا» ضرب به مثلا .

والمعنى : أنه يدرك الثأر وإن بعد العهد .

٤ — الغريب — أتاكم ، بمعنى جاءكم ، وهو مقصور . والممدود بمعنى أعطاكم ، وقرأ أبو عمرو «ولاتفرحوا بما آتاكم» بالقصر ، لأنه أراد جاءكم .

المعنى — أنه يريد الاستهزاء بهم ، والتوبيخ لهم .

والمعنى : خذوا ماجاءكم به من ضمان أبى وائل ، فالغنيمة فيما عجل لكم . وما تأخر لعله لايصل اليكم .

والمعنى : يريد ماجاءكم به من هذه الوقعة .

وَإِنْ كانَ أَعْجَبَكُمْ عامُكُمْ ... فَعُودُوا إِلَى حِمْصَ مِنْ قابِلِ (١)
فَإِنَّ الْحُسامَ الْخَضِيبَ الَّذِى ... قُتِلْتُمْ بِهِ فِى يَدِ الْقاتِلِ (٢)
يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِى رُمْتُمُ ... فَلَمْ تُدْرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ (٣)
أَمامَ الْكَتِيبَةِ تُزْهَى بِهِ ... مَكانَ السِّنانِ مِنَ العامِلِ (٤)
وَإِنِّى لَأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ ... قِتالاً بِكُمٍّ عَلَى بازِلِ (٥)
أَقالَ لَهُ اللّٰهُ لا تَلْقَهُمْ ... بِماضٍ عَلَى فَرَسٍ حائِلِ (٦)

١ — الغريب — حمص : بلدة صغيرة بالشام ، على ثلاث مراحل من دمشق .

المعنى — يقول : ان كنتم قد استقللتم ماجاءكم به ، فى هذا العام من القتل والأسر والسبى ، فعودوا الى حمص من العام القابل ، فإنه يعود لكم بمثل هذه الوقعة .

٢ — المعنى — يقول : ان أعجبكم مافعل بكم فعودوا ، فإن الحسام الذى خضبه من دمائكم ، فى يد من قتلكم ، وهو فى يد من قتل جماعتكم ، وأذلّ عزكم ، وأذهب نخوتكم.

٣ — المعنى — يقول : هو جواد يجود على السائل بمثل ضمان أبى وائل الذى لم تدركوه .

والمعنى : أنه يجود على سائله ، بمثل الذى رمتموه من الضمان فأعجزكم ، ويسمح لقاصده بمثل الذى حاولتموه فأهلككم ، ولو سألتموه لعمكم فضله ، ولو قصدتموه لشملكم عفوه .

٤ — الغريب — الكتيبة : الجماعة من الخيل . والعامل : صدر الرمح . والزهو: الكبر والفخر.

المعنى — يقول : هو قدام جيشه الذى يفتخرون به بمكان السنان من الرمح . يريد : أنه يتقدمهم كما يتقدم السنان الرمح . والأمام : هو قدّام الشىء ، والوراء من الأضداد ، يكون بمعنى خلف ، و بمعنى قدّام . قال الله تعالى : «وكان وراءهم ملك» . يعنى قدّامهم .

٥ — الغريب — البازل من الإبل : الذى قد ظهر نابه ، وجمل بازل ، وناقة بازل ، بلفظ واحد ، وهو الذى فطر نابه فى السنة التاسعة ، و بزل يبزل بزولا ، ور بما بزل فى السنة الثامنة ، والجمع : بزل و بزل و بوازل .

المعنى — يقول : أعجب من هذا الخارجى ، الذى ركب جملا ، و يشير بكمه يأمل الظفر . والظفر لايأتى بتحريك الكم وركوب الجمل .

٦ — الغريب — الفرس الحائل : التى لم تحمل . والجمع : حول ، و إذا حالت الفرس أو الناقة ، فهو أشدّ لها . والماضى : السيف .

المعنى — يقول : هل أوحى الله إليه أن لاتلق جيش سيف الدولة بسيف على فرس قوىّ . يريد : الله أمره أن لايأخذ للحرب آلتها ، و يتأهب فيها بأهبتها ، وأن لايلقى الحرب بسيف

إذَا ما ضَرَبْتَ بِهِ هامَةً ... بَرَاها وَغَنَّاكَ فِى الْكاهِلِ (١)
وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِى هِمَّةٍ ... دَعَتْــهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ (٢)
يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ ساقِهِ ... وَيَغْمُرُهُ المَوْجُ فِى السَّاحِلِ (٣)

ماض ، على فرس كريم حائل . قيـل : إن الخارجى كان يقول : لا آتى إلا بما يأمرنى الله به ، فكان يدّعى النبوّة .

١ — الغريب — غناك : أى سمعت صوت رنته . والكاهل : أعلى مجتمع الكتفين .

الإعراب — إذا ماضربت صفة ، لقوله « بماض » .

المعنى — يقول : هذا السيف إذا ضربت به رأس أحد برى رأسه ، ووصل إلى عظم الكاهل فجعل ذلك الصوت كالغناء . وهو من قول النمر بن تولب :

تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْــهُ إنْ ضَرَبْتَ بِهِ ... بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ وَالْهادِى

ومثله لأبى نواس :

إذَا قَامَ غَنَّتْهُ عَلَى السَّاقِ حِلْيَةٌ ... لَهَا خَطْوَةٌ وَسْطَ الْفِنَاءِ قَصِيرُ

وقد نظر إلى قول مزرّد :

مِنَ الْمُلْسِ هِنْدِىٌّ مَتَى يَعْلُ حَدُّهُ ... ذُرَى الْبَيْضِ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ الْكَوَاهِلُ

٢ — المعنى — يقول : ليس الخارجى بأوّل من دعتـه همته إلى ما لاينال . يريد أنه طمع فى الإمارة والولاية .

والمعنى : ليس هو بأوّل من همّ بما يمتنع عليه ، ورام ما لايجد سبيلا إليه .

٣ — الغريب — اللجّ : العميق من البحر . والموج : جمع موجة . والساحل : جانب البحر .

المعنى — يقول : إن هـذا الخارجى فيما يتعاطاه من مقاومة جيش سيف الدولة ، وعجزه عن أقلها ، وما رامه من التعرّض لشدّة عزائمه وهلاكه بأيسرها ، كمن يريد أن يخوض لجة البحر ، ويضعف عن الوقوف فى شطه ، ويريد اقتحام معظمه ، والموج يغمره فى ساحله .

والمعنى : أنه يتعرّض للصعب الكبير ، وهو يعجز عن السهل الحقير .

قال أبو الفتح يشمر للج . يريد : تمويهه على الأعراب ، واستغواءه إياهم ، وادّعاءه فيهم النبوّة . قال : ويعنى بالموج عسكر سيف الدولة .

قال ابن فورجة : أىّ تمويه فى أن يشمر هذا الرجل عن ساقه لخوض اللجة ؟ والذى أراد أبو الطيب أنه يدبر فى ملاقاة معظم العسكر ، والتوغل فيه ، حتى يصل إلى سيف الدولة ، ويأخذ الأهبة لذلك ، فهو كالمشمر عن ساقه لخوض ماء ، وقد غمره الموج فى ساحله . يريد : أنه قد غرق فى أطراف عسكره ، وغلب بأوائله ، فذهب تدبيره باطلا .

أَمَا لِلْخِلافَةِ مِنْ مُشْفِقٍ عَلَى سَيْفِ دَوْلَتِها الْفاصِلِ (١)
يَقُدُّ عِداها بِلا ضارِبٍ وَيَسْرِى إِلَيْهِمْ بِلا حامِلِ (٢)
تَرَكْتَ جَماجِمَهُمْ فى النَّقا وَما يَتَخَلَّصْنَ لِلنَّاخِلِ (٣)
فَأَنْبَتَّ مِنْهُمْ رَبِيعَ السِّباعِ فَأَثْنَتْ بِإِحْسانِكَ الشَّامِلِ (٤)

قال الواحدى : ولقول ابن جنى وجه حسن لم يقف عليه ابن فورجة . يقول : إن الخارجى كان قد طمع فى بيضة الاسلام حيث ادّعى النبوّة ، فجعل اللج لها مثلا ، وجعل سيف الدولة وهو قطعة من عساكرنا ، وواحد من أصحابنا كالساحل وقد غرق ، وهو فى الساحل ، فكيف يصل إلى اللجة .

١ — الغريب — الفاصل: القاطع . ويروى «الفاضل» بالضاد والفاء، وهو من صفة سيف الدولة.

المعنى — يقول : أما للخلافة من يشفق على سيفها أو يمنعه من الحروب فى القتال شفقة عليه من أن تصيبه آفة فتبقى الخلافة ولا سيف لها ، وهذا سيفها الذى بان فضله ، وارتضى سعيه .

٢ — المعنى — يقول : ليس هو سيفا فى الحقيقة ، فيحتاج إلى ضارب وحامل ، وإنما هو سيف الدولة المحامى عنها ، فهو يقطع الأعداء من غير أن يضرب به ، ويسرى إليهن بلا حامل .

المعنى — : إذا افتقر السيف إلى من يضرب به كان منفردا بفعله ، وإذا التجأ الى من يحمله كان مكتفيا بنفسه .

٣ — الغريب - النقا : الكثيب من الرمل . والجاجم : جمع جمجمة . والناخل : فاعل ، من نخل ينخل .

المعنى — يقول : تركت جاجم أصحاب الخارجى ، وقد فارقت أجسامها فى الرمل ، لما أوقعت بها من الضرب ، حتى اختلطت بالرمل فلم يتخلص لناخلها .

والمعنى : دست رءوسهم بحوافر الخيل ، حتى لو نخل الرمل الذى قتلتهم به ، لم يحصل من رءوسهم شىء .

٤ — المعنى — يقول : لو قدرت السباع على النطق ، لأثنت بما شملها من إحسانك بكثرة القتلى ، فكأنك بما أوليتها من لحوم القتلى أنبت لها ربيعا ، وهذا ترشيح للاستعارة بأن السباع لا تأكل الحشيش ، ولما استعار الربيع استعار النبت له .

والمعنى : أنبت من أجسادهم ربيع السباع ، فأخصبت فى لحومها إخصاب السائمة فى ربيعها ، فأثنت بما عمها من فضلك ، وشملها من إحسانك . وهذا البيت من أحسن الكلام ، وهو مبنىّ على الاستعارة ؛ ومثله قوله:

وَكانَ بِها مِثْلُ الجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى عَلَيْها تَمائِمُ

وَعُدْتَ إِلَى حَلَبٍ ظَافِراً كَعَوْدِ الْحُلِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ (١)

وَمِثْلُ الَّذِي دُسْتَهُ حَافِياً يُؤَثِّرُ فِي قَدَمِ النَّاعِلِ (٢)

وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهُ شِيَةُ الْأَبْلَقِ الْجَائِلِ (٣)

وَيَوْمٍ شَرَابُ بَنِيهِ الرَّدَى بَغِيضِ الْحُضُورِ إِلَى الْوَاغِلِ (٤)

---

١ — الغريب — حلب : مدينة بالشام معروفة ، كانت من ولاية سيف الدولة . والحلى : فيه ثلاث لغات ، بضمّ الحاء وكسر اللام وتشديد الياء ، وبها قرأ أكثر السبعة ، وبكسر الحاء واللام والتشديد ، وبها قرأ حمزة والكسائى ، وبفتح الحاء وسكون اللام ، وبها قرأ يعقوب والحسن . والعاطل : الذى لاحلى عليه .

المعنى — يقول : عدت الى حلب مستقرّك ظافرا ، فحليت بعد العطل بعودتك ، وأنست بعد الوحشة بأوبتك . والمعنى : أن زينة حلب بك .

٢ — الغريب — الناعل : ذو النعلين ، كما أن الدارع ذو الدرع . وفى المثل : أطرّى فإنك ناعلة ، أى خذى أطرار الطريق وخشونته ، فإنك ذات نعلين .

المعنى — يقول : ما فعلته وأنت غير متأهب له ، يعجز عنه متأهب .

والمعنى : أن هذا الأمر العظيم الذى أدركته غير حافل به ، يعجز عنه غيرك اذا اجتهد فيه غاية الاجتهاد ، وكنى بالحافى عن المسترسل ، وبالناعل عن المجتهد المتأهب للأمور .

٣ — الغريب — الشية : العلامة ، تكون من غير اللون ، وهو خلط لون بلون . والأبلق من كلّ لون : الذى فيه سواد وبياض . والجائل : الذى يجول بين الصفين .

المعنى — يقول : كم لك من خبر شائع فى الناس بفتوحك وظفرك ، فهو مشتهر اشتهار الأبلق الذى يجول فى الخيل ، فلا يخفى مكانه .

والمعنى : كم لك من خبر شائع ذكره ، ومن فعل جليل قدره ، وقد أشهره كرمك ، كما أشهر الأبلق الجائل شيته وتبين علامته ، وضرب هذا مثلا .

٤ — الغريب — الردى : الموت . والواغل : الداخل على القوم فى شرابهم من غير أن يدعى . والوارش : الذى يدخل على القوم فى طعامهم . قال امرؤ القيس :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْماً مِنَ اللّٰهِ وَلَا وَاغِلِ

وقال أبو عمرو : الوغل : الشراب الذى يشربه الواغل . وأنشد قول عمرو بن قميئة :

إِنْ أَكُ مِسْكِيرًا فَلَا أَشْرَبُ الْـوَغْلَ وَلَا يَسْلَمُ مِنِّى الْبَعِيرْ

المعنى — يقول : وكم لك من يوم أقمت فيه سوق الحرب ، وتنازع بنوه شراب الردى ،

تَفُكُّ الْعُناةَ وَتُغْنِي الْعُفَاةَ ... وَتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ الجَاهِلِ[1]
فَهَنَّأَكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ ... وَأَرْضاهُ سَعْيُكَ فى الآجِلِ[2]
فَذِى الدَّارُ أَخْوَنُ مِنْ مُومِسٍ ... وَأَخْدَعُ مِنْ كِفَّةِ الحابِلِ[3]

= وتعاطوا كؤوس الموت، فأبغض حضوره الواغل فيه، وتكرّه شدّته الصالى به. وهذا من باب الاستعارة.

١ — الغريب — العناة: جمع عان، وهم الأسرى. والعفاة: جمع عاف، وهم السؤال. والعناة: يريد بهم الأسرى، ومنه الحديث «استوصوا بالنساء خيرا، فإنهنّ عوان عندكم» لأن المرأة أسيرة فى يد الرجل، ويقال للخمر عانية، لأنها كالأسير فى الدنّ إذا خففت الياء، فإذا شدّدتها نسبتها إلى عانة: بلدة على الفرات، بالقرب من رحبة مالك بن طوق.

المعنى — أنت عاداتك هذه الأشياء: تفكّ الأسرى من أسرهم، وتغنى السائلين عن مسئلة غيرك، وتعفو عن كلّ مذنب.

والمعنى: تفكّ الأسرى ببأسك، وتغنى السؤال بكرمك، وتغفر للجاهلين بحلمك.

٢ — الإعراب — معطيكه: الكاف والهاء فى موضع خفض بالإضافة، وهما مفعولان فى المعنى، وتقديره: معطيك إياه.

الغريب — الآجل: وقت له أجل محدود. والآجل فى غير هذا من قولهم: أجل الشرّ: إذا جرّه وجناه. قال خوات بن جبير:

وَأَهْلِ خِباء صَالِحٍ كُنْتُ بَيْنَهُمْ ... قَدِ احْتَرَبُوا فى عَاجِلٍ أَنا آجِلُهْ[1]

يريد: جانيه، وبعده قال:

فَأَقْبَلْتُ فى السَّاعِينَ أَسْأَلُ عَنْهُمُ ... سُؤَالَكَ بِالشَّىْءِ الَّذِى أَنْتَ جَاهِلُهْ

ومعناه: أنه مرّ بصبية يتضاربون، فاستغاثه بعضهم على بعض، فضرب صبيا منهم فمات، ثم جاء إلى أهل المقتول يسألهم عن الخبر، كأنه جاهل به.

المعنى — يدعوله بأن يهنئه الله بالنصر الذى أعطاه، وأن يرضى سعيه فى الآخرة، فعمه فى هذا الدعاء بخير الدارين، وهذا من أحسن الدعاء.

والمعنى: فهنأك الله ما منحك من نصره، وزادك فيما آتاك من فضله، ووصل ماوهب لك من ذلك فى العاجل، بما يرضيه من سعيك فى الآجل.

٣ — الغريب — المومس والمومسة: المرأة الفاجرة. والحابل: الصائد ذو الحبالة، وهى الشرك: والكفة بالكسر: كلّ مستدير، وبالضمّ: كلّ مستطيل، وبالفتح: المرّة =

(١) رواه فى لسان العرب منسوبا بالتوبة بين مضرس العبسى هكذا:
وأقبلت أسعى أسأل القوم مالهم ... سؤالك بالشىء الذى أنت جاهله

تفانَى الرِّجالُ عَلَى حُبِّها وَما يَحْصُلُونَ عَلَى طائِلِ (١)

وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه فقال أبو الطيب:

أَعْلَى المَمالِكِ ما يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كالقُبَلِ (٢)

= الواحدة من نفقته . وقولهم : لقيته كفة كفة ، بفتح الكاف ، أى استقبلته مواجهة ، وهما اسمان جعلا واحدا ، و بنيا على الفتح ، مثل خمسة عشر .

قال الأزهرى : و يقال فى كفة الميزان بالفتح ، وجمعهما : كفف .

المعنى — يقول : هـذه الدنيا ، وهى المشار إليها بالدار ، فاجرة خوّانة لأصحابها ، هى كلّ يوم عند واحد ، وهى أخدع من حبالة الصائد .

والمعنى : أنها أخون من الفاجرة ، التى تخالف من وثق بها ، وأخدع من الحبالة التى تصرع من اطمأنّ إليها .

١ — الغريب — الطائل : ما كان له قدر ، وهو اسم فاعل ، من طال الشىء : إذا علاه . ومنه الطول ، بفتح الطاء .

المعنى — يقول : الرجال قد تفانوا على حبها ، ولم يحصلوا من أمرها على طائل ، لأنها تأخذ ماتعطيه ، وتهدم ماتبنيه ، وتمرّ بعد حلاوتها ، وتعوج بعد استقامتها ، فمن عرفها رفضها ، ومن قدرها هجرها .

قال ابن الشجرى الشريف هبة الله الحسنى : ما عمل فى ذمّ الدنيا مثل هـذين البيتين ، وصدق فى قوله . و بلغنى أن رسول الإفرنج دخل على الملك الناصر ، صلاح الدين يوسف بن أيوب فذكر هذين البيتين ، فقال : وحق دينى ما فى الإنجيل موعظة أبلغ من هذه الوعظة .

٢ — هذه القصيدة من البسيط ، والقافية من المتراكب .

الغريب — الممالك : جمع مملكة ، وهى سلطان الملك فى رعيته . والأسل : الرماح . والقبل : جمع قبلة .

المعنى — يقول : أعلى الممالك ماجاء قسرا وغلبة بالطعن ، لا ماجاء عفوا .

والمعنى : أعلى الممالك رتبة ، وأظهرها رفعة ، ما بنى على الحرب ، ودفع عنه بالطعن والضرب ، وأشار بالأسل إلى هذه العبارة ، وما يكون الطعن عند مالكه ، والقتال عند محبه ، إلا كالقبل المستعذبة ، واللذات المغتنمة ، وعجز البيت من قول الطائى :

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمُ لاَ يَيْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا =

وما تَقَرُّ سُيُوفٌ فى مَمالِكِها … حَتَّى تَقَلْقَلَ دَهْرًا قَبْلُ فى القُلَلِ (١)
مِثْلُ الأَمِـيرِ بَغَى أَمْرًا فَقَرَّبَهُ … طُولُ الرِّماحِ وَأَيْدِى الخَيْلِ وَالإِبِلِ (٢)
وَعَزْمَـةٌ بَعَثَتْها هِمَّةٌ زُحَلٌ … مِنْ تَحْتِها بِمَكانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلِ (٣)
عَلَى الفُرَاتِ أَعاصِيرٌ وَفى حَلَبٍ … تَوَحُّشٌ لِمُلَقَّى النَّصْرِ مُقْتَبَلِ (٤)

= ومعنى بيت أبى الطيب : أنهم يستعذبون ويستلذون الطعن ، استلذاذ القبل ،وكان الوجه أن يقول عند محبيه ، لأن الطعن مصدرطعن ، إلا أنه جعله جمع طعنة .

وكان سبب قول أبى الطيب هذه القصيدة ، أن أحمد هذا قصد الموصل لقتال الحسن بن عبد الله بن حمدان ، أخى سيف الدولة ، فسار أخوه إليه إلى الموصل لنصره ، فلما أحسّ الديلمى بإقبال سيف الدولة ، صالح أخاه الحسن ، على أن يبعث إلى السلطان من خراج الموصل ما جرت به عادته ، فأجابه إلى ذلك ، ورحل عن الموصل من غير قتال ، ورجع إلى بغداد ، فقال أبو الطيب هذه القصيدة ، وأنشدها فى ذى القعدة ، من سنة سبع وثلاثين وثلثمائة .

١ — الإعراب — نصب «دهرا» على الظرف ، ورفع «قبل» لأنه مبنى، لما قطع عن الإضافة بناه على الضمّ .

الغريب — التقلقل : ضدّ السكون ، وهو الحركة العنيفة . والقلل : جمع قلة ، وهى أعلى الرأس ، مأخوذ من قلة الجبل .

المعنى — يقول : السيوف لاتقرّ فى الممالك حتى تتحرّك زمانا فى رءوس الأعداء .

والمعنى : إنما تسكن سيوف فى دولتها ، وتسكن فى مملكتها ، حتى تسكون حركتها فى ضرب رؤوس المخالفين ، وتشتهر آثارها فى قمع المعترضين ، فحينئذ تنوب رهبتها عن استعمالها ، وتغنى هيبتها عن استعمالها ، وأشار بذلك إلى انصراف الديلمى عن الموصل بغير حرب، هيبة لسيف الدولة، وفيه نظر إلى قول حبيب :

سَأُجْهِدُ عَزْمِى وَالْمَطايا فَإِنَّنِى … أَرَى الْعَفْوَ لَا يُمْتاحُ إِلَّا مِنَ الجَهْدِ

٢ — المعنى — يقول : مثل سيف الدولة إذا طلب أمرا تقرّبه الرماح والمطايا .

والمعنى يقول : إن الأمير لما قصد الموصل لدفع الديلمى عنه ، قرب ذلك له طول رماحه فى وقيعته ، وإسراع خيله وإبله إلى عادته . وتلخيصه: إذا أراد أمرا لم يعسر عليه .

٣ — الغريب — زحل : من الكواكب السبعة ، ويقال هو فى السماء السابعة .

المعنى — يقول : وقربها عزمة نافذة ، بعثتها منه همة عالية ، يتواضع زحل عنها كتواضع الأرض من علوّ زحل .

٤ — الإعراب — لملقى ، اللام : لام الأجل ، أى لأجل خروجه عن حلب . =

تَتْلُو أَسِنَّتَهُ الْكُتْبَ الَّتِي نَفَذَتْ ... وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالاً مِنَ الرُّسُلِ (١)

يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلاَ يَلْقَى سِوَى جَزَرٍ ... وَما أَعَدُّوا فَلاَ يَلْقَى سِوَى نَفَلِ (٢)

صانَ الْخَلِيفَةُ بِالأَبْطَالِ مُهْجَتَهُ ... صِيانَةَ الذَّكَرِ الْهِنْدِيِّ بِالْخِلَلِ (٣)

= الغريب — الأعاصير : جمع إعصار ، وهى الريح تلتفّ بالغبار وتعلو مستطيلة . وفى المثل :

* إِنْ كُنْتَ رِيحاً فَقَدْ لاَقَيْتَ إِعْصَارًا *

والمقتبل : الذى تناهى شبابه ، وليس عليه للكبر أثر ، وقال الواحدى : المقتبل : الذى تقبله العيون .

وحلب : مدينة معروفة . والفرات : نهر كبير معروف .

المعنى — يقول : إن على الفرات غبرات تثيرها كتائب سيف الدولة ، وفى حلب دار مستقرّه وحشة لك قد عوّده الله الظفر على أعدائه ، ولقاه النصر فى مقاصده ، مقتبلا فى شبيبته ، متناهيا فى قوّته .

وقال الواحدى : على الفرات رياح فيها غبار ، لمكان جيش أخيك ناصر الدولة ، وفى حلب وحشة ، لأنك بعدت عنها ، ويريد بملقى النصر : سيف الدولة ، لأنه يلقى النصر من حيث قصد .

١ — المعنى — أنه ينذر أعداءه بكتبه أوّلا ، فان لم يطيعوه قصدهم بجيشه ، فجعل خيله بدلا من رسله ، يريد أن كتبه ليست لاستصلاح ولا إعتاب ، إنما هى للإعلام بأنه متوجه إليهم .

والمعنى أنه لا يحبّ الظفر اغتيالا لشجاعته وقوّته ، فأسنته أبدا تالية لكتبه . وهو من قول مسلم :

مَنْ كَانَ يَخْتِلُ قِرْنًا عِنْدَ مَوْقِفِهِ ... فَإِنَّ قِرْنَ عَلِيٍّ غَيْرُ مُخْتَتَلِ

ومن قول البحترى :

* وَحَتَّى أُكْتَفَى بِالرُّسْلِ دُونَ الْكَتَائِبِ *

٢ — الغريب — الجزر : الشاة التى أعدّت للذبح ، وأجزرت القوم : إذا أعطيتهم شاة يذبحونها : نعجة أو كبشا أو عنزا ، ولا يكون إلا من الغنم ، ولا يقال : أجزرتهم ناقة ، لأنها قد تصلح لغير الذبح . وجزر السباع : اللحم الذى تأكله ، ويقال : تركوهم جزرا بالتحريك : إذا قتلوهم .

المعنى — يريد : أنه يلقى الملوك إذا خالفته ، فلا يلقى إلا جزر سيوفه ؛ وما أعدّوه من سلاحهم وآلاتهم ، فلا يلقى إلا غنائم جيوشه ، لما عوّده الله من الظفر ، والظهور عليهم ، وإيقاعه بهم .

٣ — الإعراب — الضمير فى «مهجته» لسيف الدولة ، لأن الضمير إذا عاد على الخليفة كان إزراء بالممدوح ، لأنه من جملته .

الغريب — الهندى : السيف الكريم ، منسوب إلى الحديد الهندى . والخلل : أغشية الأغماد . واحدها : خلة ، وهى جلود أغشية الأغماد .

=

الفاعِلُ الْفِعْلَ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ وَالْقائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكْ وَلَمْ يُقَلِ (١)

وَالباعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غالَتْ عَجاجَتُهُ ضَوْءَ النَّهارِ فَصارَ الظُّهْرُ كَالطَّفَلِ (٢)

= المعنى — يقول : لما علم الخليفة أنه سيفه الذى يسطو به صانه ، وحفظه بالأبطال الذين أثبتهم فى رسمه، والحماة الذين اختارهم لحفظه،كما يصان السيف الكريم بالأغماد ، التى يتخلل فيها، والجفون التى يحفظ بها ، وأشار بهذا إلى أن الخليفة شرّفه بتلقيبه بسيف الدولة .

١ — الإعراب — من روى «الفعل» بالنصب أراد يفعل الفعل ، ويقول القول ، لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل ، ومن روى بالجرّ جعله مضافا ، كقوله تعالى : «والمقيمى الصلاة» .

المعنى — قال أبوالفتح : يفعل الأفعال بديعة غريبة ، ماعرفها قبله أحد ، فيفعلها ويتركها على علم ، ويقول من القول مالم يعلمه غيره .

وقال الخطيب أفعال سيف الدولة يتركها الناس لصعوبتها عليهم ، وينطق بالحكمة التى لايصل إليها سواه . وقوله «لم يترك» ، أى لم يترك القائلون طلبه ، ولما لم يصلوا إليه كان كأنه لم يقل .

وقال ابن الإفليلى : يفعل الفعل الذى قصر عنه الفاعلون لشدّته ، وعظم شأنه فى حقيقته ، ويقول القول الذى عجز عنه القائلون قبله ، فلم يقدروا على مثله ، ولا قصدوا إلى تركه .

وقال الواحدى : قال أبو الفتح : كلّ أحد يطلب معاليك إلا أنه لايدركها ، وليس هذا من معنى البيت فى شىء ، ولكن المعنى : هو يفعل مالم يفعله أحد ، لصعوبته على من طلبه ، فهو أتى به بكرا ، ويكون أبا عذرة ذلك الفعل . وكذا قال ابن فورجة : يفعل أفعالا مبتكرة تجتنب لشدّتها ، ويقول أقوالا لم تعرف فلم تقل ، وإذا كانت لم تعرف لم تترك ، لأنه إنما يترك مايعرف موضعه . قال : ولم يصب فى تفسير المصراع الثانى . والمعنى أنه يقول ما لم يقله أحد فى بلاغته وجزالته ، ولم يترك أيضا ، لأن كلّ بليغ يريد أن يأتى بمثله .

وقال ابن القطاع : يريد أنهم طلبوا أفعاله فلم يدركوها ، وطلبوا أقواله فلم يقدروا عليها ، فكأنهم لم يفعلوا ، ولم يقولوا حين قصروا عنها .

والمعنى : أنه يفعل الفعل الذى قصر عنه الفاعلون ، ويقول القول الذى قصر عنه القائلون. قال : فمن لم يفهم معناه قال : قد ناقض بقوله ، لم يترك ولم يقل ، وليس كذلك .

٢ — الغريب — غاله يغوله : إذا انتقصه ، وأصله الإهلاك . ومنه : الغول . والطفل : وقت غروب الشمس . والظهر : وقت الظهيرة ، وهو عند قيام الشمس للزوال .

المعنى — هو الذى يبعث الجيش الشديد بأسه ، الكثير عدده ، الذى تذهب عجاجته بضوء الشمس ، وتطمس إشراقها حتى تصير فى وقت الظهيرة ، على مثل حالها عند الغروب ، وهذا إشارة إلى كثرة جيشه .

أَلْجَوُّ أَضْيَقُ ما لاَقاهُ ساطِعُها ... وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ المُقَلِ (١)

يَنالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهْىَ ناظِرَةٌ ... فَما تُقابِلُهُ إِلاَّ عَلَى وَجَلِ (٢)

قَدْ عَرَّضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلاَتِ بِهِ ... وَظاهَرَ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالغِيَلِ (٣)

وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالأَسْرارِ فانْكَشَفَتْ ... لَهُ ضَمائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالجَبَلِ (٤)

هُوَ الشُّجَاعُ يَعُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبُنٍ ... وَهْوَ الجَوَادُ يَعُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بَخَلِ (٥)

---

١ — الغريب — الجوّ : الفضاء . والمقل : جمع مقلة .

المعنى — يقول : مابعد من الهواء أضيق بساطع هذا الغبار مماقرب ، لأنه فيه تجتمع جملته ، وتتراقى كثرته ، وماقرب فإنما يرده الشيء بعد الشيء ، فينجلى منه ولا يجتمع ، وعين الشمس أحير العيون بقربها من مستقرّه ، ودنوّها من مجتمعه .

والمعنى : الجوّ على سعة أرجائه أضيق شيء لقيه ساطع هذه العجاجة .

٢ — المعنى — يقول : إن سيف الدولة ينال أبعد من الشمس ، وهى ترى ذلك ، فما تقابله إلا على خوف من أن ينالها لو قصدها ، لأنه يرى أنه منصور مظفر يدرك مايقصده .

وقال ابن الإفليلى : يريد أن هذا العجاج بتتابعه واتصاله وترادفه ، يعلو على الشمس ، مع ارتفاع موضعها ، وهى ناظرة إليه ، غير مساوية فى العلوّ له ، فتقابله وجلة من ذهابه بنورها ، وتلاحظه مشفقة من استيلائه على ضوئها ، وهذا كله يشير إلى عظم الجيش وكثرته .

٣ — الغريب — ظاهر الحزم : جعل بعضه فوق بعض ، كما يظاهر الرجل بين درعين ، وأصله المعاونة . ومنه قوله تعالى «فإن تظاهرا عليه» . والغيل : جمع غيلة ، وهى قتل الخديعة . ومنه : قتل فلان فلانا غيلة ، أى اغتيالا ، وأصل الغيل : الهلاك .

المعنى — يقول : قد عرض السيف دون ماينزل به ، وجرّده فيما يحدث عليه ، واستعان بالحزم فى دفع الهلاك عن نفسه ، وأقامه حاجزا بينهما .

والمعنى : أنه تحصن بحزمه كما يتحصن بالدرع ، وجعل حزمه كالدرع الواقية له ، وقد لبس الحزم فوق الدرع ، فجعله بين النفس والهلاك .

٤ — المعنى — يريد : أنه وكل صادق ظنه بما يطويه الناس ، من أهل السهل والجبل دونه ، فعلم ما أسرّوه ، وانكشف له ماأضمروه ، وكذلك الألمعى ، وهو الحاذق بالأمور ، يصيب بظنه ، حتى كأنه مبصر لما غاب عنه ، ويعلم بتقديره ، حتى كأنه شاهد لما بعد منه .

٥ — الإعراب — البخل والبخل : لغتان فصيحتان . قرأ حمزة والكسائى بفتح الباء والخاء ، وقرأ الباقون بضمّ الباء وسكون الخاء .

يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ ... وَقَدْ أَغَذَّ إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَفِلِ (١)

وَلاَ يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُغْيَتَهُ ... وَلاَ تُحَصِّنُ دِرْعٌ مُهْجَةَ الْبَطَلِ (٢)

= المعنى — قال أبو الفتح : يتجنب البخل ، كما يتجنب الشجاع الجبن ، و يتجنب الجبن ، كما يتجنب الكريم البخل ، قد جمع الشجاعة والكرم .

وقال أبو الفضل : ليس كما ذهب إليه ، ولكنه يقول : الشجاع يعدّ البخل جبنا ، لأن البخل معناه خوف الفقر ، والخوف جبن ، والشجاع لايجبن ، والجواد يعدّ الجبن بخلا ، لأن معنى الجبن وحقيقته البخل بالروح ، والجواد لايبخل ، فإذا هو شجاع غير بخيل ، وجواد غير جبان. قال : وقد أخذه من قول أبي تمام :

فَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فِى نَدًى ... وَوَغًى وَمُبْدِىَ غَارَةٍ وَمُعِيدَا

يَقْرِى مُرَجِّيَهُ حُشَاشَةَ مَالِهِ ... وَشَبَا الْأَسِنَّةِ ثُغْرَةً وَوَرِيدَا

أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً ... تُدْمِى وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودَا

وهذا الذى ذكره أبو الفضل من قول حبيب، فلقد بين حبيب وفسر، وأجمل أبو الطيب واختصر.

وقال ابن الإفليلي : يريد أنه الشجاع المتناهي الشجاعة ، فالبخل عنده باب من الجبن ، لأن من سمح بنفسه لم يبخل بكرام ماله ، وهو الجواد المتناهي الجود ، والجود بالنفس غاية الجود ، ومن جاد بنفسه لم يجبن عن عدوّه ، ومن كان كذلك فالجبن عنده باب من البخل ، فدلّ على أن الشجاعة والجود من طريق واحد . وهذا منقول من قول الآخر :

إِلَى جَوَادٍ يَعُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بَخَلٍ ... وَبَاسِلٍ بُخْلُهُ يَعْتَدُّهُ جُبْنَا

يَلْقَى الْعُفَاةَ بِمَا يَرْجُونَ مِنْ أَمَلٍ ... قَبْلَ السُّؤَالِ وَلاَ يَبْغِى بِهِ ثَمَنَا

وقد بين مسلم أن الشجاعة جود بالنفس فى قوله :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْبَخِيلُ بِهَا ... وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

١ — الغريب — يعود ، أى يرجع . والإغذاذ : الإسراع فى السير . والمغاذ من الإبل : العيوف يعاف الماء .

المعنى — يقول ، هو يفتح الفتوح العظيمة ، فلا يفخر بها ، و يسرع إليها ولا يحتفل لها ، استقلالا لعظم مايفعله ، وارتفاعا عن نهب من يقصده .

وقال أبو الفتح : فإن قيل كيف يكون مغذا غير محتفل ، فالمعنى أنه غير محتفل عند نفسه ، و إن كان محتفلا عند غيره ، لأن كبير الأشياء عند غيره صغير عنده ، وكذا نقله الواحدى حرفا حرفا.

٢ — المعنى — يريد: أن سيف الدولة قد قرنه الله بالنصر ، وأمدّه من عونه بما لايمنعه =

إِذَا خَلَعْتُ عَلَى عِرْضٍ لَهُ حُلَلاً وَجَدْتُهَا مِنْهُ فِى أَبْهَى مِنَ الْحُلَلِ (١)
بِذِى الْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ كَمَا تُضِرُّ رِيَاحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ (٢)
لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَالِئَهَا وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خِيْرَةُ الدُّوَلِ (٣)
فَمَا تُكَشِّفُكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مَلَلٍ مِنَ الْحُرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلِ (٤)

= الدهر معه من بغيته ، ولا يجير عليه من اعتقد له معصيته ، ولا يحصن الدرع منه مهجة من خالفه ولا يعصمه من الهلاك إذا أراده .

١ — الغريب — الحلل : جمع حلة . وقال أبو عبيد : الحلل برود اليمن . والحلة : إزار ورداء ، أولا يسمى حلة حتى يكون ثوبين .

المعنى — يقول : إذا خلعت عليه حلة من شعرى ، وألبسته ثوبا من مدحى ، وجدت تلك الحلة قد تزينت بفضله ، وذاك المدح متشرفا بقدره ، فهو يرفع الشعر فوق رفعته له ، ويزين المدح أكثر من تزينه به .

والمعنى : أن عرضه أحسن من الحلل ، وأن المدح يتزين به . وهو منقول من قول الطائى :

وَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيمًا لِشِعْرِى وَلٰكِنِّى مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا

وروى ابن جنى فى بعض رواياته : جعلت بدلا من خلعت . وفيه نظر إلى قول الحكيم : إذا تجرّدت اللطائف من الشكوك ، كست الصورة رونقا . والرونق : الحسن .

٢ — الغريب — الغبىّ : الجاهل ، غبى يغبى غبا وغباوة . والجعل : دويبة معروفة ، تأوى فى النجاسات .

المعنى — يقول : إذا أنشد شعرى بعد على فهم الجاهل ، وأثر ذلك فى نفسه ، وانكشف له قدر تقصيره ، واستضرّ بحسن قولى ، وبديع شعرى ، كما يستضرّ الجعل برياح الورد التى تؤذيه وتقتله ، لمضادّته لها .

والمعنى : إنما يعرف شعرى وجودته وجوهره ، من هو صحيح الفكر ، وإن كان ضدّ ذلك نال منه ، كما ينال الجعل من الورد ، وإن كان مستلذا فى الحقيقة ، فشبه شعره بالورد ، وحاسده بالجعل ، وهذا من قول الحكيم : الألفاظ المنطقية مضرّة بذوى الجهل ، لنبوّ إحساسهم عنها .

٣ — الغريب — تقول : زيد خير الرجال ، وهند خيرة النساء . قال الله تعالى «فيهنّ خيرات» ، قيل : هو جمع خير ، وقيل : بل هو جمع خيرة . والدول : جمع دولة .

المعنى — يقول : لقد رأت كلّ عين من جمالك مابهرها ، ومن جلالك ماملأها ، وجربت خيرة الدول ، أى أفضل الدول منك أفضل السيوف .

٤ — المعنى — يقول : لاتملّ من حرب ، ولا تزل فى رأى . يقول : ماتكشف الأعداء منك بطول ممارستها ، مللا فى حربها ، ولا أبدت الآراء منك زللا ، مع تراجعها .

وَكَمْ رِجَالٍ بِلاَ أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ ... تَرَكْتَ جَمْعَهُمُ أَرْضاً بِلاَ رَجُلِ (١)

مَا زَالَ طِرْفُكَ يَجْرِى فى دِمَائِهِمُ ... حَتَّى مَشَى بِكَ مَشْىَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ (٢)

يَامَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاظِرَيْنِ لَهُ ... فِيما يَرَاهُ وَحُكْمُ القَلْبِ فى الجَذَلِ (٣)

---

١ — المعنى — يقول : كم رجال بلا أرض ، لكثرتهم وازدحامهم عليها ، فقد ضاقت بهم أفنيتهم ، حتى أخليت أرضهم منهم ، فصارت قفرا بلا رجل .

والمعنى : كم جمع جمعه الأعداء لك ، تغيب الأرض من كثرة رجاله ، وتخفى عن الأبصار بتزاحم جموعه ، حتى كأنهم رجال بلا أرض قتلتهم ، فتركت جموعهم أرضا بلا رجال . وفيه نظر لكثرة الجيش إلى قول حبيب فى صفة الجيش :

مَلأَ المَلاَ عُصَباً فَكَادَ بِأَنْ يُرَى ... لاَ خَلْفَ فِيهِ وَلاَ لَهُ قُدَّامُ

٢ — الغريب — الطرف : الفرس الكريم . والثمل والثامل بمعنى ، وهو السكران . وثمل ثملا : إذا أخذ فيه الشراب ، فهو ثمل .

المعنى — يقول : مازال فرسك يخوض فى دمائهم ، و يعثر بالقتلى، حتى مشى بك مشى السكران متعثرا . يريد أن حركة الدم بكثرته أمالته عن سنن جريه ، فمشى مشى السكران .

والمعنى : أن فرسك مازال يطأ فى دمائهم ، و يقتحم معركتهم ، حتى أزلقته الدماء بكثرتها ، فمشى مشى السكران الذى لايثبت بنفسه ، ولا يطمئن فى مشيه .

٣ — الغريب — الجذل : الفرح . وجذل بالكسر يجذل ، فهو جذلان . وأجذله غيره : أى أفرحه : واجتذل ، أى ابتهج .

الإعراب — يروى الناظرين على التثنية ، و يروى بفتح النون ، لجماعة النظار إليه .

المعنى — قال أبو الفتح : له تحكم عيناه فيما تريانه ، وله يحكم قلبه فى الجذل ، وهو الفرح .

وقال الخطيب : يعنى بالناظرين ناظرى الممدوح ، فيما يراه ، وحكم القلب الفرح ، فإذا تمنى قلبه شيئا وصل إليه ، ومن روى الناظرين يريد : أنهم المنجمون وله معنى ، ولا ينبغى أن يعدل عن الأول ، لأن قوله «حكم القلب» يشهد أن الناظرين عينا الممدوح .

وقال ابن الإفليلى : وله حكم ناظريه أن لايريهما الله إلا مايسره ، وحكم نفسه أن لايعرفه الله إلا مايفرحها : من نصر ، وظفر بالأعداء .

وقال الواحدى : الحكم ههنا اسم للمفعول لا للفعل ، فإن الناس مستوون فى أفعال نواظرهم ، وإنما يختلفون فى المحكوم به . يقول : ماحكم به ناظرك استحسانا فهو لك ، لايعارضك فيه مانع ، وكذلك الحكم فيما يسره .

إنَّ السَّعادَةَ فِيما أَنْتَ فاعِـــلُهُ   وُفِّقْتَ مُرْتَحِلاً أَوْ غَيْرَ مرْتَحِلِ(١)
أَجْرِ الجِيادَ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيَها   وَخُذْ بِنَفْسِكَ فى أَخْلاَقِكَ الأُوَلِ(٢)
يَنْظُرْنَ مِنْ مُقَلٍ أَدْمَى أَحِجَّتَها   قَرْعُ الْفَوارِسِ بِالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ(٣)
فَلاَ هَجَمْتَ بِها إلاَّ عَلَى ظَفَرٍ   وَلاَ وَصَلْتَ بِها إلاَّ إلَى أَمَـــلِ(٤)

---

١ — المعنى — يدعو له بالتوفيق مقيما وراحلا ، أى أنت موفق مسعود فيما تفعله ، إن أقمت أو ارتحلت . وأشار بهذا إلى ارتحال الديلمى عن الموصل ، وقال: إن الذى فعله الله لك من الموادعة التى اختارها محاربك ، قد جعل لك فيه السعادة ، وقرن لك به الخيرة .

٢ — الغريب — الجياد : جمع جواد ، وقلب الواو ياء هنا شاذ فى القياس ، دون الاستعمال ، ويقال : خيل جياد وأجاود وأجاويد . وأخلاقك : عاداتك وخصالك .

المعنى — يقول : عاود الحرب ، ودع السلم على ما كنت عليه فى الأوّل ، وأجر خيلك على ما كنت مجريها من قتل الأعداء ، والسير إليهم .

والمعنى : قاتل الأعداء ولاتهادنهم ، وذلك أن سيف الدولة كان قد ترك الحرب مدّة ، فقال له : أجر خيلك على ما كنت مجريها أوّلا من غزو الروم ، وحماية الثغور ، فقد كفاك الله ما كنت تحذره على أخيك من الديلمى ، وخذ بنفسك فيما تقدّم من أخلاقك ، وشمر من مذاهبك ، واعدل عن السلم إلى الحرب ، وعن الدعة إلى الجهاد .

٣ — الغريب — الأحجة : جمع حجاج ، وهو العظم الذى فيه العين . والفوارس : جمع فارس . والعسالة : الرماح الطوال التى تهتز . والذبل : جمع ذابل ، وهو اليابس . وعسل الرمح يعسل عسلانا : إذا اضطرب .

المعنى — يقول : إن خيلك تنظر من عيون قد أدمى حجاجها قرع الرماح الطويلة المضطربة لها حين الطراد ، وأشار بذلك إلى ما حضه عليه من غزو الروم ، وحماية الثغور ، وإن خيلك قد ألفت ذلك .

٤ — المعنى — يدعو له بهذا الدعاء ، وهو فى غاية الحسن .

والمعنى : لا وصلت بها إلا إلى ما تأمله من ظفر وغنيمة ، ولا هجمت بها إلا على عدوّ تظفر به ، وتسبى حريمه ، وهذا من أحسن الدعاء وأبلغه وأخصره ، وأحكمه وأتمه .

وقال يرثى أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة

وهى من الطويل ، والقافية من المتواتر

بِنَامِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَابِكَ فى الرَّمْلِ ... وَهٰذَا الَّذِى يُضْنِى كَذَاكَ الَّذِى يُبْلِى (١)
كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِى بِى وَخِفْتَهُ ... إِذَا عِشْتَ فَاخْتَرْتَ الحِمَامَ عَلَى الثُّكْلِ (٢)
تَرَكْتَ خُدُودَ الغانياتِ وَفَوْقَهَا ... دُمُوعٌ تُذِيبُ الحُسْنَ فى الْأَعْيُنِ النُّجْلِ (٣)

---

١ — المعنى — يقول « بنامنك » أى من حزنك والغم عليك ، فحذف المضاف ، كقول زهير ابن أبى سلمى :

* أَمِنْ أَمّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ *

أراد أمن دمن أم أو فى دمنة .

والمعنى : بنامنك ونحن فوق الرمل ، يريد : الأرض، مابك وأنت تحتها . يريد : إنا أموات حزنا عليك ، ونبلى كما أنت ميت تحتها تبلى ، وفسر المصراع الأوّل بالثانى ، فقال : الحزن يهزل ويبلى كما يبلى الموت . وقد نقله من قول يعقوب بن الربيع يرثى جارية له تسمى ملكا :

يَا مَلْكُ إِنْ كُنْتِ تَحْتَ الْأَرْضِ بَالِيَةً ... فَإِنَّنِى فَوْقَهَا بَالٍ مِنَ الحَزَنِ

٢ — الغريب — الحمام : الموت . والثكل : فقد الحبيب العزيز .

المعنى — يقول : كأنك أبصرت الذى ألقاه من الحزن عليك ، وأقاسيه من الوجد بك ، وعلمت أن الدنيا مجبولة على فقد الأحبة ، وإعدام الأعزة ، فآثرت الموت على الثكل ، واخترت الموت على الحزن . وقوله « وخفته » يدلّ على تعظيم ماهو فيه ، وترجيحه على الموت .

٣ — الغريب — الغانيات : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن التحسين . وقيل : هى التى غنيت بزوجها . قال جميل :

أُحِبُّ الْأَيَامَى إِذْ بُثَيْنَةُ أَيِّمٌ ... وَأَحْبَبْتُ لَمَّا أَنْ غَنِيتِ الْغَوَانِيَا

والعين النجلاء : الواسعة الحسنة ، والجمع : نجل .

المعنى — يقول : تركت خدود الغانيات من نوادبك ، والمنعمات من بواكيك ، وفوقها دموع مسفوحة عليك ، منهملة بمصابك ، كأنها تذيب الحسن بفيضها ، ووجه إذابة الدمع أنه يفسد العين بكثرة البكاء ، كقول الآخر :

أَلَيْسَ يَضُرُّ الْعَيْنَ أَنْ يَكْثُرَ الْبُكَا ... وَيُمْنَعَ عَنْهَا نَوْمُهَا وَهُجُودُهَا =

تَبُلُّ الثَّرَى سُودًا مِنَ الْمِسْكِ وَحْدَهُ ... وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْرًا عَلَى الشَّعَرِ الْجَثْلِ (١)

فَإِنْ تَكُ فِى قَبْرٍ فَإِنَّكَ فِى الْحَشَى ... وَإِنْ تَكُ طِفْلاً فَالْأَسَى لَيْسَ بِالطِّفْلِ (٢)

وَمِثْلُكَ لا يُبْكَى عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ ... وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْمَخِيلَةِ وَالْأَصْلِ (٣)

= وقال تذيب ، ولم يقل تزيل ، لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئا فشيئا كان استعارة الإذابة لمثله أحسن . وأيضا لما كان الذوب فى معنى السيلان ، والدمع سائل، كان كأنّ الحسن سال معه . وقيل : إن الحسن عرض لايقبل الإذابة ، فقال إن الدموع تذيب ما لا يقبل الإذابة ، فما ظنك بما يقبلها ، كيف لاتذيبه ؟ .

١ — الغريب — الجثل : الشعر الكثير الملتفّ .

المعنى — يقول : هذه الدموع تصل إلى الأرض سودا ، لامتزاجها بالمسك وحده ، لأن الجوارى لايكتحلن إلا به ، وقد استعملن المسك قبل المصيبة ، فبقى فى شعورهنّ ، وهذه الدموع قطرت وهى حمر لامتزاجها بالدم ، ثم غلب عليها سواد المسك، فصارت سودا ، وقطرت على الشعر، لأنهنّ نشرن الشعور وفيها مسك ، فمرت الدموع بها ، فاسودّت من مسكها . وقد نقله من قول أبى نواس :

وَقَدْ غَلَبَتْهَا عَبْرَةٌ فَدُمُوعُهَا ... عَلَى خَدِّها حُمْرٌ وَفِى نَحْرِها صُفْرُ

يريد : أنها اختلطت بالطيب ، وفيه زعفران ، وأشار إلى أن بواكيه فى النعيم والرفعة مع ماهنّ بسبيله من حرّ المصيبة .

٢ — الغريب — الأسى : الحزن والطفل : الصغير .

المعنى — يقول : إن كنت فى قبر قدتضمنك ، ولحد قد سترك ، فإن مثالك فى القلب ساكن ومحلك فى الحشى لطيف ، و إن تك طفلا فى سنك ، وصغيرا فيما انصرم من عمرك ، فان الرزء بك ليس بالصغير ، والحزن عليك ليس باليسير . وقد نقله من قول الآخر :

إِنْ تَكُنْ مُتَّ صَغِيرًا ... فَالْأَسَى غَيْرُ صَغِيرِ

ومن قول حبيب :

لَهَا مَنْزِلٌ تَحْتَ الثَّرَى وَعَهِدْتُهَا ... لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبِ

٣ — الغريب — المخيلة : السحابة التى يتأكد الرجاء فى مطرها ، والدلالة بالشىء الصادق مخيلة ، وأراد بالمخيلة ههنا : الفراسة .

المعنى — يقول : مثلك لا يبكى عليه بقدر سنه ، لأنك لم تبلغ مبلغ الرجال ، فيوجب فرط البكاء عليك ، ولكنك يبكى عليك على قدر أصلك ، لأنك من أصل كبير، ويبكى عليك على =

أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِى مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمُ مُهْجَةُ الْبُخْلِ (١)
عَوْلُودِهِمْ صَمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنَّ فِى أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ (٢)
تُسَلِّيهِمُ عَلْيَاؤُهُمْ عَنْ مُصَابِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ (٣)

= قدر الفراسة فيك ، لأنا نتفرّس فيك الملك ، فلهذا يكثر البكاء عليك ، لأنك جدير بالبكاء عليك لشرف أصلك .

١ — الإعراب — روى أبو الفتح الذى ، وقال أراد الذين ، فحذف النون تخفيفا لطول الاسم . وقال هو فى موضع خفض نعت للقوم . قال : ويجوز أن يكون ابتداء « ومن رماحهم » : صلة و « نداهم » : خبر المبتدأ ، والجلة فى موضع الحال ، لأن الجل تكون أحوالا من المعارف ، وصفات للنكرات .

المعنى — ألست يخاطب الميت من القوم الذين كرمهم من سلاحهم ، ونداهم من رماحهم ، والبخل من قتلاهم ، فهم يبسطون على الأعداء بما يرهبونهم به من الفضل ، ويملكونهم بما يسمعون فيهم من الإنعام والجود ، واستعار للبخل مهجة . والمعنى مأخوذ من قول الطائى :

فَإِنْ أَزَمَاتُ الدَّهْرِ حَلَّتْ بِمَعْشَرٍ أُرِيقَتْ دِمَاءُ المَحْلِ فِيهَا فَطُلَّتِ

والأصل فيه قول ابن الرومى :

وَمَا فِى الْأَرْضِ أَسْمَحُ مِنْ شُجَاعٍ وَإِنْ أَعْطَى الْقَلِيلَ مِنَ النَّوَالِ
وَذَاكَ لِأَنَّهُ يُعْطِيكَ مِمَّا تُفِيءُ عَلَيْهِ أَطْرَافُ الْعَوَالِى

٢ — الغريب — الأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب من رأسه إلى وركه .

المعنى — يقول : مولود هؤلاء القوم كغيره من الصبيان لا ينطق ، لأن الصبىّ لا يقدر على المنطق لصغره ، ولكن الفضل والجود والشجاعة تتفرّس فيه ، فكأنه ناطق لظهوره فيه ، فالفضل فى أعطافه وشمائله يقوم مقام النطق .

والمعنى : مولودهم إذا منعته من الكلام الطفولية ، نطقت السيادة من أعطافه ، منطق فضل ، وشهدت له مخايل الكرم شهادة عدل ، ويروى « منطق الفصل » بالصاد المهملة . يريد قولهم «أما بعد» فى صدر الكلام ، ويروى « صمت » بالفتح والضمّ فى الصاد مصدران .

٣ — الغريب — العلياء من ضمّ قصر ، ومن مدّ فتح العين . والمصاب والمصيبة : مصدران . وقيل : بل المصدر المصاب . والشغل بضمّ الغين وسكونها لغتان فصيحتان . قرأ بسكون الغين ابن كثير ونافع وأبو عمرو .

المعنى — يقول الكرم يسليهم عن مصابهم ، ويوجب لهم الصبر فى فجائعهم ، ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل بغيره ، وأراد بغيره ، فحذفه لدلالة المعنى عليه . =

أَقَلُّ بِلَاءً بِالرَّزَايَا مِنَ الْقَنَا ... وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ (١)
عَزَاءَكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ ... فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ (٢)
مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِى كُلِّ مَنْزِلٍ ... كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِى أَهْلِ (٣)

= والمعنى : معاليهم تذهب عنهم حزن المصيبة ، لأن الجزع من أخلاق اللئام ، ومن علت همته ، علا قدره لم يجزع لما أصابه ، بل يستقلّ بكسب المحامد عن كلّ شغل ، لأن كسب الثناء يشغلهم عن غيره .

١ — الإعراب — رفع « أقل » على خبر الابتداء ، أى هم أقلّ . وقوله « وأقدم » . يريد : وأشدّ إقداما ، وإنما أخذه من قدم يقدم ، وهو راجع إلى معنى الإقدام ، لأن الإقدام على الشىء قرب منه ، وهو موجود فى القدوم . وقد قال حسان بن ثابت :

كِلْتَاهُمَا حَلَبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِى ... بِزُجَاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمَفْصِلِ

أراد أشدّ إرخاء . وقد قال ذو الرمّة :

بِأَضْيَعَ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلَّمَا ... تَوَهَّمْتَ رَبْعًا أَوْ تَذَكَّرْتَ مَنْزِلَا

الغريب — الرزايا : جمع رزية ، وهى مايرزأ به الإنسان : موت وغيره . والجحفل : العسكر العظيم . والنبل : جمع نبلة ، وهى السهام .

المعنى — يقول : إن رهط سيف الدولة أقلّ بالرزايا ، مبالاة من الرماح المتوقعة ، وأقعد بين الجيشين المتقابلين من السهام المرسلة .

والمعنى : لايبالون بما يصيبهم ، كما لايبالى بها من لايعرفها . وقوله « من القنا » لأنه جماد لايعرف الرزايا ، فشبههم لجراءة أنفسهم ، وجلدهم على الرزايا إذا طرقتهم بالرماح والسهام التى تصيب ولا تصاب ، وتهاب ولا تهاب .

٢ — الإعراب — نصب « عزاءك » بفعل مضمر ، تقديره : تعز عزاءك . وقيل على الإغراء ، الزم عزاءك . والمقتدى به : فى موضع نصب نعتا للعزاء ، والضمير فى « به » للعزاء .

الغريب — النصل : حديدة السيف .

المعنى — يقول : الزم عزاءك الذى يقتدى به الناس ، فأنت الأسوة فى غيرك ، والأوحد فى فضلك ، وأنت سيف ، والشدائد إنما تلق السيف يكشفها بحدّته ، وينفذ فيها بصرامته ، وهو يلقى شدّة الحديد من الدروع والجواشن .

والمعنى : اصبر ولا تجزع ، فأنت تعلم الناس الصبر .

٣ — الإعراب — رفع « مقيم » على خبر الابتداء . يريد : أنت مقيم ، ويجوز أن يكون نعتا لنصل .

=

وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنْكَ لِلْحُزْنِ عَبْرَةً ... وَأَثْبَتَ عَقْلاً وَالْقُلُوبُ بِلاَ عَقْلِ (١)
تَخُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ ... وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ (٢)
وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ ... وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفِرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ (٣)

= الغريب — الهيجاء تمد وتقصر ، وهي من أسماء الحرب . والصوارم : جمع صارم ، وهو السيف .
المعنى — يريد : أنت مقيم في كل منزل من منازل الحرب ، تأنس بها ، ولا تستوحش لها ، حتى كأن صوارها أهلك ، وأسلحتها رهطك ، تنصرك ولا تخذلك ، وتظفرك ولا يظفر بك ، فكأنك إذا كنت بين السيوف ، كنت في أهلك . وهو من قول الطائي :

لِتَعْلَمَ أَنَّ الْغُرَّ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ ... غَدَاةَ الْوَغَى آلُ الْوَغَى وَأَقَارِبُهْ

ومثل قوله أيضا . قال بن وكيع :

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُ ... بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقاً إِلَى الْوَطَنِ

١ — الغريب — أصل العبرة : تردد البكاء في الصدر ، وتردد الدموع في العين . وامرأة عابر بغير هاء : إذا تهيأت للبكاء .
المعنى — يقول : لم أر أحدا لا يطيع دمعه الحزن سواه ، وإنه أثبت الناس عقلا إذا أذهب الخوف عقول الرجال عند الحرب . يشير بذلك إلى استسهاله لأمرها ، واستقلاله بحملها .
والمعنى : أنه صابر عند الشدائد ، ثبت في الحروب .
٢ — الغريب — السليل : الولد ، والأنثى : سليلة . قالت هند بنت النعمان :

وَمَا هِنْدُ إِلاَّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ ... سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلُ

والبغل : الخسيس من الناس والدواب ، ورواه الجوهري : بغل بالغين . قال عبد الله بن برى ، فيما أخذ عليه هو تصحيف ، لأن البغل لا نسل له ، والفوارس : جمع فارس . والرجل : جمع راجل ، يقال رجل وراجل ، ورجلة ورجالة ، ورجال ورجال ، ورجالى وأراجل وأراجيل . وقوله تعالى « فرجالا أو ركبانا » جمع راجل .
المعنى — يقول متعجبا بأمره ، ومنبها على جلالة قدره : إن الموت حتم من الله على جميع خلقه ، تخالفه المنايا ، فتخترم نفس ابنه ، وتخون عهده في ولده ، وتنصره في حربه ، وتطيعه عند مواقعته لعدوه . وفي هذا شاهد على أن الموت لا يدفع بقوة ، ولا يمتنع منه برفعة . وفيه نظر إلى قول مسلم بن الوليد :

أَلَمْ تَعْجَبْ لَهُ أَنَّ الْمَنَايَا ... فَتَكْنَ بِهِ وَهُنَّ لَهُ جُنُودُ

٣ — الغريب — الحوادث : جمع حادثة ، وهي ما يحدث الدهر على الإنسان . والفرند : جوهر السيف وماؤه ، ويبدو : يظهر . =

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةٍ ... فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي (١)
وَمَا الموْتُ إلَّا سارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ ... يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلَا رِجْلِ (٢)
يَرُدُّ أَبُو الشِّبْلِ الخَمِيسَ عَنِ ابْنِهِ ... وَيُسْلِمُهُ عِنْـــدَ الْوِلَادَةِ لِلنَّمْلِ (٣)
بِنَفْسِي وَلِيدٌ عادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ ... إِلَى بَطْنِ أَرْضٍ لا تُطَرِّقُ بِالْحَمْلِ (٤)

= المعنى — يقول : إن الحوادث لاتذهب بصبره ، ولاتخلّ بجلده ، ولكنها تبقى ذلك وتظهر كما يبدى فرند السيف صقله ، ويظهر بجلاله فضله .

والمعنى : أنه إذا ابتلى بالحوادث ظهر صبره ، وهو منقول من قول الطائى :

فَلَقِيلَ أَظْهَرَ صَقْلَ سَيْفٍ أَثْرُهُ ... فَبَدَا وَهَذَّبَتِ الْقُلُوبَ هُمُومُهَا

١ — المعنى — يقول : من كان ذا نفس وذا طبيعة كطبيعتك وكريمتك ، ففى جلالته ما ي نفسه عن كل جسيم يفقده ، وفى كرم نفسه ما يسليه عن كلّ مهمّ يطرقه ، لأنه يعرف الإنسان لايخلو عن الحوادث ، ومن عرف هذا وطن نفسه على فقد الأحبة .

٢ — المعنى — يقول : مثل الموت وإتلافه الأرواح ، كالسارق الذى لايمكن الاحتراس منـ لدقة شخصه ، كذلك الموت لايدرى ، كيف يأتى ولا كيف يسرق الأرواح عن الأجساد .

والمعنى : يريد أن الموت كسارق خفى شخصه ، شديد أمره ، يصول دون كفّ يظهره ويسعى دون رجل ينقلها ، وذلك أشدّ لبطشه ، وأسرع لسعيه .

٣ — الغريب — الشبل : ولد السبع . والخميس : الجيش العظيم .

المعنى — ضرب هذا مثلا ، لقيام سيف الدولة بجليل الأمور ، وهو مع ذلك لايدفع المو عن ولده .

والمعنى : أنه يعجز عن الغائلة من لايعجز عن المبارزة ، فدلّ بهذا على أن حوادث الد لايمتنع منها بقوة ، ولا يدفع محتومها بشدة ، يردّ الأسد الجيش عن ابنه ، ويسلمه لأدنى الـ عند ولادته ، فيحميه من العظيم الكثير ، ويسلمه إلى الحقير اليسير . ويقال إن النمل اجتمع على ولد الأسد فأكله وأهلكه .

٤ — الإعراب — «وليد» : خبر ابتداء محذوف ، تقديره : المفدى بنفسى وليد ، ويجـ رفعه على مالم يسمّ فاعله ، تقديره : يفدى بنفسى وليد ، وهذا خبر فيه معنى التمنى .

الغريب — التطريق بالحمل : هو أن يخرج من الولد بعضه ويبقى بعضه فى الرحم ، وطرّ الناقة بولدها : إذا نشب فى رحمها . وناقة مطرقة ، وكذلك المرأة ، وأنشد أبوعبيدة لأوس بن حجـ

لَهَا صَرْخَةٌ ثُمَّ إِسْكَاتَةٌ ... كما طَرَّقَتْ بِنِفَاسٍ بِكُرْ =

بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرِّوَى   وَصَدَّ وَفِينا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحْلِ (١)
وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عُيُونَهَا   إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكابِ مِنَ النَّعْلِ (٢)
وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ العَدُوِّ وَمَا مَشَى   وَجاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغْلِى (٣)

= المعنى — يقول : بنفسى هذا المولود الذى صار بعد حمل الأمّ إياه إلى بطن أمّ — يريد الأرض — لا يعسر عليها خروج من ضمته .

قال الواحدى : وإنما قال : لا تطرّق ، لأنها جاد لا يوصف بالتطريق ، وإن كانت تسمى أمّا ، إما لسكون الأموات فى بطنها ، وإما لأنّ الله تعالى قادر على إخراج الموتى من بطنها بسرعة وسهولة ، كما قال الله تعالى : «فإنما هى زجرة واحدة فإذاهم بالساهرة» .

وفسر قوم هذا البيت بالضدّ ، وقالوا : معنى «لا تطرّق» : لا تخرج الولد من بطنها . والتطريق : إظهار الطريق ، من قولهم : طرّق طرّق ، أى خلّ الطريق . وقالوا : إن المتنبى كان لا يقول بالبعث . وليس كما قالوا . انتهى كلامه .

والمعنى إلى بطن أمّ يريد أن الأرض منها مبدأ جميع الخلائق ، لقوله تعالى : «منها خلقناكم وفيها نعيدكم» ، فلما كان منها بنو آدم جعلت لهم أمّا .

١ — الإعراب — لا يقال : وعدته بالخير ، ولا يكون الباء إلا مع أوعدته بالشرّ ، وكان الوجه : وعد السحابة للرّوى ، كما تقول : عجبت من ضرب زيد لعمرو .

الغريب — الروى : الماء الكثير . والغلة : العطش . وماء روى ورواء : كثير . وماء رواء، بالفتح والمدّ ، وروى ، بالكسر والقصر .

المعنى — يقول : بدا هذا الوليد وشواهد الكرم بادية عليه ، ومخايله ظاهرة فيه ، فوعد من فضله، بمثل ما يعد السحاب من وبله ، ثم صدّ باخترام الموت ، فأبقى بأنفسنا مثل غلة البلد المحل، إذا منع من السحاب المطر .

٢ — الغريب — الخيل العتاق : الكرام . والركاب : ما يكون فى سرج الدابة .

المعنى — يقول : مدّت الخيل الكرام عيونها إليه ، وتنافست عتاقها فيه ، وارتقبت أن يصير من السنّ إلى حال يتعوّض فيها بالركاب من النعل ، وبركوب الخيل عن المشى .

٣ — الغريب — جاشت القدر : إذا غلت وهاجت . والضروس : الشديدة العض .

المعنى — يقول : إن الأعداء خافوه وهو صبىّ ، فكأنّ الحرب قامت على ساق . وقوله «وما تغلى» تنبيه على أن الحرب قامت معنى لا صورة ، والمعنى هو الخوف .

وروى : تغلى ، يريد : الحرب . وروى بالياء ، يريد الطفل ، وروى : تفلى (بالفاء) ، من فليت رأسه بالسيف . وروى : تقلى (بالقاف) ، يريد : لم تبلغ حدّ البغض . =

أَيَفْطِمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِــــهِ ... وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الأَكْلِ (١)

وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتَهُ ... وَيَسْمَعَ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْعَذْلِ (٢)

وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السِّلْمِ وَالوَغَى ... وَيُمْسِي كَمَا تُمْسِي مَلِيكاً بِلاَ مِثْلِ (٣)

= والمعنى : أن الصبيّ وهو فى المهد ارتاع له جيش الأعداء . واستعار للحرب « جاشت » من الغليان للقدر ، لأن الحرب إذا قامت على ساق تغلى بالكلام.

١ — الإعراب — هذا : استفهام إنكار وتوبيخ .

الغريب — الفطام : الفصال عن الثدى ، وهو منع الصبىّ من الرضاع . والتوراب : لغة فى التراب ، وفيه لغات : تراب ، وتوراب ، وتورب ، وتيرب ، وترب ، وتربة ، وترباء ، وتيراب ، وتريب ؛ وجمع التراب : أتربة وتربان . والترباء : الأرض نفسها .

المعنى — يقول : أيفطمه التراب باشتماله عليه قبل بلوغه إلى أكل الطعام ؟ ويأكل جسمه بإبلائه قبل بلوغه سنّ الأكل ؟ وهو من قول السلمى :

فَطَمَتْكَ الْمَنُونُ قَبْلَ الفِطَامِ ... وَاحْتَوَاكَ النُّقْصَانُ قَبْلَ التَّمَامِ

٢ — الإعراب — أراد : قبل أن يرى ، فحذفها وأعملها ، على رواية من روى : « ويسمع » بالنصب ، وهو مذهبه ، لأنه كوفى ، وقد ذكرنا حجتنا وحجة أهل البصرة فى مواضع من هذا الكتاب . وأراد: من جوده مارأيته من جودك ، فحذف للعلم به .

المعنى — قبل أن يرى من كرم جوده مارأيته ، ويشهد من كثرته ماشهدته ، ويسمع من العذل فيه ، كالذى سمعت ، ويعرض عنه كما أعرضت ، ودلّ بكثرة العذل على قلة إصغائه إليه .

٣ — الإعراب — من روى فى البيت «وقبل يرى ويسمع» بالنصب يكون «يمسى» فى موضع نصب ، إلا أنه سكنها ضرورة .

الغريب — السلم : المسالمة . والسلم : الصلح ، يذكر ويؤنث ، ويفتح ويكسر . وقرأ الحرميان وعلى بن حمزة : «ادخلوا فى السلم كافة» بفتح السين . وقيل : معناه الإسلام . والسلم : لغة فى السلام . قال الشاعر :

وَقَفْنا فَقُلْنا إِيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ ... فَما كَانَ إِلاَّ وَمْؤُها بِالحَوَاجِبِ

والوغى : الحرب . والمليك والملك ، واحد . قال الله تعالى : «عند مليك مقتدر» .

المعنى — يريد : قبل أن يلقى ، كالذى تلقاه من عظيم سلطانك ، وارتفاع شأنك فى السلم ، وجلالة قدرك ، وشهود ظفرك فى الحرب ، ويصير ملكا لا يماثل فى حالة ملكه ، وسلطانا لا يعترض أمره .

تُوَلِّيهِ أَوْسَاطَ الْبِلادِ رِمَاحُـــهُ   وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ الْعَزْلِ (١)
نُبَكِّى لِمَوْتَانَا عَلَى غَـيْرِ رَغْبَةٍ   تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلاَ مَوْهَبٍ جَزْلِ (٢)
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ   تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ (٣)
هَـلِ الْوَلَدُ الْمَحْبُوبُ إِلاَّ تَعِلَّةٌ   وَهَلْ خَلْوَةُ الْحَسْنَاءِ إِلاَّ أَذَى الْبَعْلِ (٤)

---

١ — المعنى — أنه طابق بين الأطراف والأوساط ، والولاية والعزل .

والمعنى : توليه رماحه قواعد البلاد ، ووسائط الأرض ، بتغلبه عليها ، وتمنعه أطراف الرماح رهبة الأعداء لها ، من أن يعزل .

والمعنى : أنه يتولاها قسرا ، لامن جهة غيره ، فيعزل عنها .

٢ — الغريب — الموهب : العطاء . والجزل : الكثير .

المعنى — يقول : نبكى على موتانا ، ونحزن لهم ، ونكثر الأسف لفراقهم ، ونحن نتيقن أنهم لايفوتهم من الدنيا مارغب فى مثله ، ولا يمنعون منها مايجب أن يتنافس فى نيله ، لأن الدنيا بجملتها غرور ، وتمتع من بقى فيها بصحبتها يسير .

والمعنى : أن من فارق الدنيا لم يفته بفراقها شىء له قدر .

٣ — المعنى — إذا ما تأملت تصاريف الزمان ، وتدبرت الدهر وخطوبه ، تيقنت أن ماحتم على الإنسان من الموت ، كالذى يتوقعه من القتل ، لأن الأمرين متساويان فى مكروههما ، متماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة لهما ، فما ظنك بشىء يكون آخر مصيره ، إلى أكره مايحذر من أموره. وهـذا يوجب الزهد فى الدنيا ، ويدعو إلى الإعراض عنها ، وقلة الأسف عليها . وهو منقول من قول عنترة :

فَاقْنَىْ حَيَاءَكِ ـ لاَ أَبَا لَكِ ـ وَاعْلَمِى   أَنِّى امْرُؤٌ سَـأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

ومثله للآخر :

إِذَا بَلَّ مِنْ دَاءٍ بِهِ ظَنَّ أَنَّهُ   نَجَا وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِى هُوَ قَاتِـلُهْ

وقال البحترى :

رَأَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الْحُبِّ أُسْوَةً   فَمَاتُوا وَمَوْتُ الْحُبِّ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ

يريد أن قتل الحبّ إياهم كقتل السيف .

٤ — الغريب — التعلة : التعلل . والحسناء ، يريد : المرأة الحسنة .

المعنى — يقول : السرور بالولد المحبوب لايدوم ، وإنما هو تعليل إلى وقت ، وكذلك إذا خلت الحسناء مع محبها أدّى ذلك إلى تأذيه بها ، إما لأنه يشتغل قلبه عما سواها ، أو لغير ذلك من =

وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ الْبَنِينَ عَلَى الصِّبا ... فَلا تَحْسَبَنِّي قُلْتُ ما قُلْتُ عَنْ جَهْلِ (١)

وَما تَسَعُ الْأَزْمانُ عِلْمِي بِأَمْرِها ... وَلاَ تُحْسِنُ الْأَيَّامُ تَكْتُبُ ما أُمْلِي (٢)

وَما الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَهُ ... حَياةٌ وَأَنْ يُشْتاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ (٣)

= المضارّ التى تلحق مواصل الغوانى . وهذا كله تسلية له عن ولده ، هذا قول أبى الفتح .

وقال ابن فورجة : إنما المعنى أنه نهاه عن الخلوة بامرأته لئلا تلد ، فقال: خلوتك بامرأتك أذى لك فى الحقيقة ، لأنها تجلب لك ولدا تغتمّ من أجله ، وتتأذى بتربيته، ولعلّ العاقبة إلى الثكل.

١ — الغريب — الحلواء : معروفة ، وهى تستعمل لكلّ مايستحلى .

المعنى — يقول : جرّبت حلاوة الأولاد وقت صباى ، فوجدت الأمر على ماقلته ، ويجوز أن يكون «على الصبا» راجعا إلى البنين ، أى على صبا البنين .

قال الواحدى : قال ابن جنى . يقول : لست أسليك إلا عما قد فجعت به ، فرأيت الصبر عليه أحزم من الأسى عليه . وهذا بعيد ، لأنه لم يتقدّم هذا البيت مايدلّ على ماقاله، إنما تقدّم ماذكرناه. انتهى كلامه .

والمعنى يريد : ذقت حلاوتهم فى حال صبوتى ، وعرفتهم حقيقة المعرفة ، ثم لحظتهم بعين التيقن ، بعد تجربتى لأمرهم ، وإحاطتى بعلمهم ، فلا تظنن أنى ذممتهم عن غير معرفة ، وزهدت فيهم دون تجربة .

٢ — الغريب — الأزمان : جمع زمن وزمان ، ويجمع على أزمنة وأزمن . ولقيته ذات الزمين: تريد بذلك تراخى الوقت .

المعنى — يريد أنه وكد ما قدّمه من إحاطته بالأمور ، وما حثّ عليه من الزهد فى الدنيا ، وقلة الأسف على الولد ؛ أى ماتسع الأزمان ماأعلمه من أمرها ، وأتيقنه من شدّة نكدها . يريد أنها تضيق عن علمه ، وتعجز عن الاشتمال عليه ، وأن الأيام لاتحسن أن تكتب ما أمليه ، وتضبط ما أعدّه .

والمعنى أن الأيام التى تأتى بالحوادث لاتحسن أن تكتب ما أمليه من الحكمة، والكلام النادر، فكيف تعلمه .

٣ — المعنى — يريد : أن الدهر مذموم أمره، شديد مكره ، فلا تؤمل عنده حياة ، ولاهو ممن يشتاق فيه إلى نسل ، لأن مآل الحياة فيه إلى الموت ، ومآل النسل إلى القبر ، بعد طول الشغل والنصب ، ومعاناة الكدر والطلب ، وما كان كذلك فالسرور يسير بوجوده ، والحزن غير واجب عند فقده .

وقال الواحدى : لأن الولد إذا عاش بعد، لقى من مكاره الدهر ماينغص عليه عيشه، ويسأم معه الحياة ، ولأنه أيضا لايبقى الولد ، بل يفجع به الوالد .

وقال يمدحه

وهى من الكامل ، والقافية من المتدارك

لا الحُلْمُ جادَ بِهِ وَلا بِمِثالِهِ ... لَوْلا ادِّكارُ وَداعِهِ وَزِيالِهِ (١)

إِنَّ المُعِيدَ لَنا المَنامُ خَيالَهُ ... كانَتْ إِعادَتُهُ خَيالَ خَيالِه (٢)

١ — الغريب — الحلم : النوم . والزيال : المزايلة والزوال . يقال : زال الشىء زوالا ، وزالت الخيل بفرسانها زوالا وزيالا ، فقلبت الواو ياء للكسرة التى قبلها .

الإعراب — لا ، بمعنى ليس ، ويجوز أن تكون على وجهها ، وهم يستعملون «لا فعل» موضع «لم يفعل» ، ومنه : « فلا صدّق ولا صلى » ، يريد : لم يصدّق ولم يصلّ ، والضميران فى المصراع الأوّل ، والضميران فى المصراع الثانى ، الجميع للحبيب ، وإن لم يجرله ذكر ، للعلم به عند السامع.

المعنى — قال الواحدى : يصف شدّة هجر الحبيب ، وأنه لا يأتيه فى النوم (أيضا) ، وهم إذا وصفوا الخيال بالامتناع من الزيارة فى النوم أرادوا به شدّة هجر الحبيب ، كقول حبيب :

* صَدَّتْ وَعَلَّمَتِ الصُّدُودَ خَيالَها *

ولا يتصوّر تعليم الخيال الصدود ، ولكنهم كما يصفون الحبيب بشدّة الهجر ، يجعلون هجر الخيال نوعا من صدوده . يقولون : لم يزره الحبيب فى النوم . يريد : أن موجب رؤية الخيال فى النوم ، استدامة ذكر الوداع والفراق ، ولولا أنى أطلت تذكر وداعه ومفارقته ، وواصلت الفكر فيه ليلا ونهارا ، لما جاءنى خياله .

والمعنى : تذكرى فى اليقظة الوداع والفراق ، أرانى خياله ، ولو غفلت عن ذكره لم أره فى النوم.

والمعنى : أن موجب رؤية الخيال استدامة ذكر الوداع والفراق ، وجود الحلم بالحبيب جوده بمثاله ، وجعل ذلك أبو الطيب شيئين ، ظنا منه أنه يرى الحبيب فى النوم ، ويرى خياله ، ورؤية الحبيب فى النوم رؤية خياله ، لا رؤية شخصه بعينه . وهذا كلام منقول من كلام أبى الفتح .

والمعنى : أن الأحلام لم تكن فى قدرتها أن تجود بمن أحبه فتقرّ به ، ولا بما يشبهه فتمثله ، لولا ما يدعو إلى ذلك من التذكر بوداعه عند فرقته ، وزياله عند رحيله ، وهو منقول من قول الآخر :

نَمْ فَما زارَكَ الخَيالُ وَلٰكِنَّـكَ بِالفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الخَيالِ

٢ — الإعراب — رفع «المنام» بفعله . والتقدير : الذى أعاد لنا المنام خياله ، ونصب «خيال» لأنه خبر كان ، وليس هو مفعول « إعادته » . وأقام المصدر مقام المفعول ، لأنه يريد بالإعادة الشىء المعاد ، كوقوع الخلق موقع المخلوق .

المعنى — قال الواحدى : يقول إن الذى أعاد لنا المنام خياله ، فأراناه فى النوم ، كان ذلك =

بِتْنا يُناوِلُنا المُـــدامَ بِكَفِّهِ   مَنْ لَيسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبالِهِ (١)

= الذى أرانا خيال خياله . يعنى : أنا كنا نصوّر لأنفسنا فى اليقظة خياله ، فالذى رأيناه فى النوم كان خيال ذلك الذى يتصوّر لنا ، فهو خيال الخيال . وهـذا البيت تأكيد لما قبله ، من أنه يداوم على ذكر الحبيب ، وذكر حال الفراق والوداع .

وابن جنى يقول : إنما رأينا الآن فى النوم شيئا كنا رأيناه فى النوم قبل ، فصار ماروُى ثانيا خيال مارأيناه أوّلا ، والذى رؤى أوّلا هو خياله ، فصار الثانى خيال الخيال . وهذا كلامه ، وهو باطل ، لأنه إذا رآه ثالثا صار خيال خيال خياله ، وكذا فى الرابع ، وهذا لاينقطع . وقوله «المعيد لنا المنام خياله» يجوزأنه يريد به الابتـداء ، فسماه إعادة ، و إن لم يحلم به قبل ، والعود قد يطلق على الابتداء . ومنه قول الآخر :

* وَمَاءٍ كَلَوْنِ الزَّيْتِ قَدْ عَادَ آجِناً *

يريد: صارآجنا ، ويجوز أن يريد الإعادة على حقيقتها . وقوله «كانت إعادته» أى وقعت وحصلت ، ولايحتاج فى السكون ، إذا كان بمعنى الوقوع ، إلى الخبر ، ونصب خياله بالإعادة لا بخبر كان ، انتهى كلامه .

والمعنى : أن الذى أعاد لنا المنام خياله ، كانت تلك الإعادة لخفة وقعتها ، وتقاصر مدّتها من ذلك الخيال ، كالخيال الذى لاحقيقة له ، ولا شفاء للعاشق به .

١ — المعنى — أنه وصف حاله عند زيارة الطيف له ، وما قرب له بذلك من البعيد ، وأمكنه من العسـير ، فقال : إنه بات يتناول المدام من كف محبوبه ، وذلك المحبوب لايخطر بباله رؤيته له ، لتباعده عنه ، ولا يتوهمها ، لانفصاله بالمسافة المتراخية منه ، والشاعر يجعل ما يراه فى النوم كأنه يراه فى اليقظة . ومثله للبحترى :

أَرُدُّ دُونَكِ يَقْظاناً وَيَأْذَنُ لِى   عَلَيْكِ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنانا

ومن قول قيس بن الخطيم :

مَا تَمْنَعِى يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَـــهُ   فى النَّوْمِ غَـــيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ

وللبحترى أيضا :

جَذْلانَ يَسْمَحُ فى الْكَرَى بِعِناقِهِ   وَيَضَنُّ فى غَيْرِ الْكَرَى بِسَــلامِهِ

ولأبى نواس :

إِذَا الْتَـــقَى فى النَّـــوْمِ طَيْفانَا   عَادَا إِلَى الْوَصْـــلِ كَمَا كَانَا
يَا قُرَّةَ الْعَـــيْنِ فَمَا بَالُنا   نَشْـــقَى وَيَلْتَـــذُّ خَيالانَا
لَوْ شِئْتِ إِذْ أَحْسَنْتِ لِى نائِمًا   أَتْمَمْتِ إِحْســـانَكِ يَقْظانَا

تَجْنِي الْكَوَاكِبَ مِنْ قَلَائِدِ جِيدِهِ ... وَتَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ (١)

بِنْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ فِيكُمُ ... وَسَكَنْتُمُ ظَنَّ الْفُؤَادِ الْوَالِهِ (٢)

فَدَنَوْتُمُ وَدُنُوُّكُمْ مِنْ عِنْدِهِ ... وَسَمَحْتُمُ وَسَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ (٣)

---

١ — الغريب — الجيد : العنق .

المعنى — شبه ما فى قلادته من الدر بالكواكب ، وخلخاله بعين الشمس . يريد لمعان خلخاله ، وذكر أنه يجنى الكواكب من تلك القلائد ، بتناوله لها ، وينال عين الشمس من تلك الخلاخل ، بلمسه إياها ، فأحرز قصبات التشبيه فيما شبه به، بما لا زيادة عليه فى حسن النظر ، وأشار إلى المعانقة والملامسة بأحسن إشارة ، وعبر عنها بأحسن عبارة ، فجعل مد يده إلى تلك الفرائد جنيا للكواكب ، وإلى الخلخال نيلا لعين الشمس .

قال الواحدى : ويجوز أن يكون التشبيه فى البعد لا فى الصورة ، أى ما كنا نظن أن نراه، فلما رأيناه صرنا نرى بقلائده الكواكب ، وبخلخاله الشمس .

والمعنى : أنه رأى فى المنام مالم يصل إليه فى اليقظة .

٢ — الإعراب — استعمل الهاء الأصلية فى الواله وصلا ، وهى لام الكلمة ، وهى جائزة .

الغريب — الوله : التحير ، وهو ذهاب العقل بشدة الحب ، ويروى: ظن الفؤاد ، بالظاء المعجمة والنون . يريد : فى ظنى وفكرى ، ويروى : طى الفؤاد ، وهو ضد النشر ، ويروى: طن الفؤاد ، وليس بشىء .

المعنى — يقول مؤكدا لما ذكر قبل : ارتحلتم عن مرأى العين التى قرحت بكثرة البكاء لبينكم ، وسكنتم ظن الفؤاد الواله بحبكم ، المشغول بذكركم ، المقصور على مثلكم ، فالقلب لا يخلو من ذكراكم ، وهو منقول من قول الآخر :

فَقُلْتُ لَمْ تَبْعُدْ نَوَى غَائِبٍ ... غَابَ عَنِ الْعَيْنِ إِلَى الْقَلْبِ

ومن قول ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ ... لَنَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

ومن قول الآخر :

لَئِنْ بَعُدَتْ عَنِّي لَقَدْ سَكَنَتْ قَلْبِي ... فَسِيَّانَ عِنْدِي غَايَةُ الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ

٣ — المعنى — يريد : أن القلب استدناكم بفكره ، فالدنو من قبله ، وسمحتم بالزيارة لكثرة فكره فيكم ، فكان السماح على الحقيقة منه لا منكم ، فلو خلا القلب منكم ، لم يحصل هذا الدنو ، والضميران فى « عنده » و « ماله » : للقلب أو للعاشق . ولما ذكر «السماح» ذكر معه «المال» لتجانس الصنعة ، وأجراه على طريق الاستعارة .

إِنِّى لَأُبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ ... إِذْ كانَ يَهْجُرُنا زَمانَ وِصالِهِ (١)
مِثْلَ الصَّبابَةِ وَالْكَآبَةِ وَالْأَسَى ... فارَقْتُهُ فَحَدَثْنَ مِنْ تَرْحالِهِ (٢)
وَقَدِ اسْتَقَدْتُ مِنَ الْهَوَى وَأَذَقْتُهُ ... مِنْ عِفَّتِى ما ذُقْتُ مِنْ بَلْبالِهِ (٣)

---

١ — الغريب — الطيف : الخيال ، يقال : طيف وطائف . وقرأ القراء بهما ، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى : «طيف» بغير ألف ، والباقون بألف . ويقال : طاف الخيال يطيف طيفا ومطافا ، قال كعب بن زهير :

أَنَّى أَلَمَّ بِكَ الْخَيالُ يَطِيفُ ... وَمَطافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُعُوفُ

المعنى — يقول : هو يبغض طيف محبوبه ، مع كلفه به ، ويكرهه مع ارتياحه له ، لأنه كان يهجره فى زمن الوصل ، ولا يطرقه مع التئام الشمل ، فيقول : رؤيتى الطيف عنوان الهجر.

قال أبو الفتح : هذا يسمى الإكذاب ، لأنه قال فى الأوّل: لا الحلم جاد به ، فزعم أن النوم لا يصل إلى أن يريه الخيال ، ثم ذكر أنه يبغض طيفه .

وقال الواحدى : كان من حقه أن يقول : إذ كان يواصلنى زمان الهجر ، لأن هجران الطيف زمان الوصال، لا يوجب بغضا له ، إذ لا حاجة به إلى طيف أيام الوصال ، ولكنه قلب الكلام على معنى أن هجرانه زمان الوصال ، يوجب وصاله زمان الهجران .

٢ — الإعراب — نصب «مثل» بفعل مضمر ، تقديره : أبغضه مثل ، ويجوز أن يكون «يهجرنا» ، أى يهجرنا مثل هذه الأشياء التى حدثت من ترحال الحبيب .

والمعنى : لما فارقت من أحبه حدثت هذه الأشياء بفرقته وعدمته ، فشكوتهنّ بعد رحيله ، وكذلك الطيف إنما زار زمن الهجر ، وطرق عند امتناع الوصل .

٣ — الغريب — استقدت : اقتصصت ، وهو استفعلت من القود ، والأصل فيه أن الرجل إذا قتل الآخر يقاد القاتل إلى أهل المقتول ، فربما قتلوه، وربما عفوا عنه. والبلبال : الهموم والحزن.

المعنى — يريد : قدرت من الهوى على ما أردت ، فعففت عنه ، واقتصصت بذلك من الهوى ، وجعلته جزاء لفعله .

والمعنى : إن كان الهوى قد لحقنى منه حزن وهموم ، فقد استقدت منه ، وأذقته من عفتى ما هو جزاء له .

قال أبو الفتح : يحتمل هنا وجهين : أحدهما أن يكون العرض ، فيكون هذا من مبالغة الشعر التى ليست لها حقيقة ؛ والآخر: أن يريد المرأة، التى شبب بها ، فيكون على حذف المضاف ، أى ذات الهوى .

والمعنى : أذقته من الأسف بالعفة التى سهلت علىّ خلابه ، كما أذاقنى .

وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ ساعَةً ... تَسْتَجْفِلُ الضِّرْغامَ عَنْ أَشْبالِهِ (١)
تَلْقَى الْوُجُوهُ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَها ... ضَرْبٌ يَجُولُ الْمَوْتُ فِي أَجْوَالِه (٢)
وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنْ الْكَلامِ سُلافَةً ... وَسَقَيْتُ مَنْ نادَمْتُ مِنْ جِرْيالِه (٣)
وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيادُ بِسَهْلِهِ ... بَرَّزْتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِجِبالِه (٤)

١ — الغريب — الاستجفال : الهرب بعجلة وسرعة . والضرغام : من أسماء الأسد ، وكنى « بالساعة » : عن قصر المدّة . والأشبال ، واحدها : شبل ، وهو ولد الأسد .

المعنى — يقول : أعددت لافتتاح كلّ أرض ، فحذف المضاف للعلم به ، وقتا صعبا ، يضطرّ الأسد فيه إلى ترك أولاده ، والهرب عنها ، خوفا على نفسه ، تحمله لشدّتها على الفرار عن أولاده .

٢ — الإعراب — الضمير فى «بها» للساعة المذكورة ، ويجوز أن يكون الأرض .

الغريب — الأجوال : النواحى ؛ الواحد : جول .

المعنى — أنه وصف الساعة ، فقال : إن وجوه الأبطال الذين لا ينكصون يلقى بعضها بعضا ، و بينها ضرب شديد ، وجلاد وكيد ، يكثر فيه الموت ، ويجول فى نواحيه . وجانس بقوله : يجول وأجواله ، لأن حروف يجول والأجوال واحد .

والمعنى فى الكلمتين مختلف ، وهذا فى الكلام هو التجنيس .

٣ — الغريب — السلاف : هو أوّل مايجرى من ماء العنب من غير عصر ، وهو أجود ، وهو أصفر ، وهو سلاف وسلافة . والجريال : صبغ أحمر ، وما اشتدّت حمرته من الخمر يسمى جريالا ، على المشابهة .

المعنى — يقول : يريد أنه خبأ من الكلام أسهله وأفضله ، وما هو فيه كالسلاف فى ضروب الخمر ، وأظهر فيه مالا يدفع فضله ، ولا ينكر حسنه ، كالجريال فى أنواعها ، إلا أن الذى أظهره دون الذى كتمه .

والمعنى : أنه يشير بهذا إلى قدرته على الكلام ، و إحاطته به . وقوله «وسقيت من نادمت» ، أى لم أخرج إليه مختار شعرى وكلامى .

٤ — الغريب — الجياد : جمع جواد على السماع ، لا على القياس .

المعنى — يقول : إذا بعد سهل الكلام على أهل الإحسان ، وصعب انقياده لهم لصعوبة المقامات التى توجب ذلك ، برّزت هناك غير مقصر فى غوامض القول ، ولا متعثر فى بدائع الشعر ، وكنى «بالسهل» عما قرب من الكلام ، و «بالجياد» عن أهل الإحسان ، فاستعار هذه الألقاب أحسن استعارة ، وأشار إلى إحسانه أبدع إشارة ، وهذا من بديع الكلام .

والمعنى : إذا لم يقدروا على السهل المستعمل ، كنت قادرا على الغريب المهمل ، فجعل الجياد مثلا للبلغاء .

وَحَكَمْتُ فِى البَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ مُعْتَادِهِ مُجْـــــتَابِهِ مُغْتَالِهِ (١)

يَمْشِى كَمَا عَـــدَتِ الْمَطِيُّ وَرَاءَهُ وَيَزِيدُ وَقْتَ جَمَامِهَا وَ كَلَالِهِ (٢)

وَتُرَاعُ غَـــيْرَ مُعَقَّلَاتٍ حَوْلَهُ فَيَفُوتُهَا مُتَجَفِّلاً بِعِـــقَالِهِ (٣)

فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِى أَخْـــفَافِهِ وَغَـــدَا الْمِرَاحُ وَرَاحَ فِى إِرْقَالِهِ (٤)

---

١ — الإعراب — الضمائر تعود على « العراء » .

الغريب — العراء : الأرض الفضاء الواسعة ؛ وقيل : ظهر الأرض ؛ وقيل له عراء ، لأنه لاشجر فيه ، كأنه عرى منه . والناعج : الأبيض الكريم من الإبل . والنعج : ضرب من سير الإبل . والمعتاد : من العادة . والمجتاب : القاطع ، وهو الذى يقطع الأرض بالسير . والمغتال : الذى يستوفى غايته .

المعنى — يقول : إنه قد اقتدر على القفر العراء ، بجمل معتاد السير فيه ، مستضلع للقطع له ، مستقلّ ببلوغ غايته ، فحكم فى القفر بركوب هذا الجمل الموصوف المغتال المهلك . يريد : الذى أفناه بالسير .

٢ — الغريب — المطى : جمع مطية . والجموم من الخيل، كلما ذهب منه جرى جاءه جرى آخر . قال النمر بن تولب :

جَمُومُ الشَّـــدِّ شائِلَةُ الذُّنابَى تَخَـــالُ بَياضَ غُرَّتِها سِرَاجَا

وأصله : جمّ الماء يجمّ جموما، إذا كثر . وكللت من المشى أكل كلالا وكلالة ، وكذلك البعير، إذا أعيا ، وكلّ السيف والرمح والطرف واللسان يكلّ كلة وكلا ، وسيف كليل الحدّ ، ورجل كليل اللسان ، وكليل الطرف .

المعنى — يقول : هذا الناعج يسبق عدو الإبل ماشيا ، ويزيد عليها عند كثرة جريها إذا كان كالا ، فما ظنك به إذا تساوت به الحال ، وذهب عنه الكلال ؟ والمعنى إذا كان مقيدا يسبق الإبل مطلقة ، فتصير وراءه .

٣ — الغريب — تراع : تفزع . والمتجفل : المسرع . والعقال : حبل يشدّ به يد الجمل إلى عضده .

المعنى — يقول : تراع المطى حول هذا الجمل، وكلها لا عقال عليها ، وهو معقول بينها، فتفرّ مسرعة ، وتصدّ مولية ، ويفرّ هذا الجمل لفرارها ، فيفوتها مسرعة بعقاله، وهى مطلقة، و يتقدمها برباطه ، وهى مجتهدة .

٤ — الغريب — أخفافه : جمع خفّ ، وهو خفّ البعير . والمراح : النشاط . والإرقال : ضرب من السير ، وهو الخبب ، وقد أرقل البعير ، وناقة مرقل ، ومرقال ، إذا كانت كثيرة الإرقال .

المعنى — يقول : بسيره أبلغ ما أطلب من النجاح، فالنجاح فى قوائمه ، وهو نشيط العدو ، فالنشاط فى إرقاله ، فاقترن الظفر بسيره ، والفوز والغبطة بسفره .

وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هاشِمٍ فِي سَيْفِها ... وَشَقَقْتُ خِيسَ الْمُلْكِ عَنْ رِيبالِهِ (١)

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِمَ اللُّيُوثُ كَمالَهُ ... يُنْسِي الْفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمالِه (٢)

وَتَوَاضَعَ الْأُمَرَاءُ حَوْلَ سَرِيرِهِ ... وَتُرِي الْمَحَبَّةَ وَهْيَ مِنْ آكالِه (٣)

وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ ، وَيَبَشُّ قَبْلَ نَوَالِهِ ، وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِه (٤)

إِنَّ الرِّيَاحَ إِذَا عَمَدْنَ لِنَاظِرٍ ... أَغْنَاهُ مُقْبِلُها عَنِ اسْتِعْجَالِه (٥)

---

١ — الغريب — خيس : أجة الأسد . والريبال : الأسد .

المعنى — يريد : أنه صار مشاركا للخلافة فى سيف الدولة . يريد أنه سيفه ، كما هو سيف دولة هاشم ، ووصلت إلى أسد الملك بشقّ الخيس إليه .

والمعنى : أن نظام أمرى من عطاياه ، كما أن نظام دولة هاشم من رأيه .

والمعنى : أنى شركت دولة هاشم فى رئيسها ، أوسيفها ، اخترته لقصدى ، كما اختاره الخليفة لنفسه ، ووصلت إلى دار سلطانه ، ورفيع مكانه .

٢ — الإعراب — من روى «خوفه» ، فالمصدر مضاف إلى المفعول ، ومن روى « خوفها » ، فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، لأن الفريسة هى الخائفة .

الغريب — الليوث : جمع ليث ، وهو الأسد .

المعنى — يريد : أن الأسد إذا افترس فريسة ذعرها وأفزعها ، وهذا مع أنه يقتل أعداءه بحياته، لاينفرون عنه لكماله وجماله ، ويريد : أنه حرم الليوث كماله ، لأنه يشركها ببأسه ، ويفوتها بحسنه وجماله ، فهى منسوبة إلى القبح ، وهو لحسنه ينسى فريسته خوفه بجمال وجهه ، ويشغلها ببهائه عما تتوقعه من بأسه .

٣ — الغريب — الآكال : جمع أكل وأكل (بالضم ، وبضمتين) .

المعنى — يقول : إنه لشدّته وارتفاع رتبته ، تتواضع الأمراء حول سريره ، وتعتصم بالخضوع له ، ويظهرون له المحبة ، وليست من أشكاله ، وتتودّده وهى من آكاله ، أى من أرزاقه وأقواته . يعنى : أنه محبوب إلى كلّ أحد .

٤ — الغريب — البشاشة : الاستبشار . والنوال : العطاء .

المعنى — يريد : أنه يميت بهيبته قبل أن يقاتل ، ويبشّ للسائل قبل أن يعطيه ، ويعطيه قبل أن يسأله .

٥ — الغريب — مقبلها : أوّلها ، وهو مايستقبل منها .

المعنى — أنه ضرب هذا مثلا مؤكدا لما قبله : أى هوغيرمحتاج إلى محرّك له فى السؤدد=

أَعْطَى وَمَنَّ عَلَى الْمُلُوكِ بِعَفْوِهِ ... حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ (١)
وَإِذَا غَنُوا بِعَطَائِهِ عَنْ هَزِّهِ ... وَالَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَالِهِ (٢)
وَكَأَنَّمَا جَدْوَاهُ مِنْ إِكْثَارِهِ ... حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلَالِهِ (٣)
غَرَبَ النُّجُومُ فَغُرْنَ دُونَ هُمُومِهِ ... وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ (٤)

= والفضل ، كما أن الرياح إذا رأيتها مقبلة إليك لم تحتج إلى استعجالها لسرعتها ، فكأنها جدو
قال أبو الفتح : جاريته فى معناه ، فقال هذا ، والرواية الصحيحة: مقبلها ، بفتح البا
يريد إقبالها .

١ — الغريب — الإفضال : العطاء ، وهو أن يفضل عليهم من جوده .
المعنى — يقول : أعطى واقتدر ، فمنّ بفضله ، واقتدر على الملوك المترفعين عن تقبل العطا فمنّ عليهم بعفوه ، وكان صفحه عنهم من أوفر العطاء عندهم ، فتساوى الملوك والسوقة فيما شملهم من العطاء ، وتماثلوا فيما أحاط بهم من الإحسان . وهو منقول من قول البحترى :

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا ... فَغَدَا الْمُقِلُّ عَلَى الْغَنِيِّ الْمُكْثِرِ

٢ — المعنى — يقول : أغنى الناس مما يعطيهم ، فهم لا يسألونه متابعة .
والمعنى : إذا أغنى كرمه عن مسئلته ، وابتداؤه للعطاء عن تحريكه ، والى ذلك وأعاده وواصله من غير أن تطلب الإعادة .

٣ — الغريب — الجدوى : العطية . والإقلال : مصدر .
المعنى — قال أبو الفتح : سألته عن معناه . فقال : أردت إفراطه فى الجود ، حتى كأنه يطلب أن يكون مقلا كسائله ، فهو يفرط فى إعطائه طلبا للإقلال ، فكأنه لكثرة إعطائه يحسد على الفقر والقلة ، حتى يصير فقيرا .

٤ — الغريب — الهمة والهموم ، واحد .
المعنى — يقول : همته بلغت أقصى من مغارب النجوم ، وتطلع من مشارقها ، وهى دون مناله بهمته . يريد : أن النجوم تغرب ، ومطالعها أقرب من مبلغ همته و إرادته .
والمعنى : أن النجوم مع ارتفاع مواضعها ، وانتزاح مغاربها ومطالعها ، تغرب مقصرة عما تبلغه همته ، وتطلع متواضعة عما يدركه تناوله .

وقال الواحدى : يريد أن الممدوح أبعد من مطلع الشمس ، لا يناله أعداؤه ، ولا يبلغون إليه ، ولا يبلغون مناله .

وَاللّٰهُ يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ... وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ (١)
لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْرِي عَلَى أَسْيَافِهِ ... مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ (٢)
فَلِمِثْلِهِ جَمَعَ الْعَرَمْرَمُ نَفْسَهُ ... وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ (٣)
لَمْ يَتْرُكُوا أَثَرًا عَلَيْهِ مِنَ الْوَغَى ... إِلَّا دِمَاؤُهُمُ عَلَى سِرْبَالِهِ (٤)

---

١ — الغريب — الجدّ : الحظ . والآل : أصله أهل ، فأبدل من الهاء همزة ، فاجتمع همزتان ، فأبدل من الثانية ألف ، وخصّ به الأكثر فالأكثر نحو: آل موسى ، وآل ابراهيم ، وآل محمد .

المعنى — يقول: جدّد الله له كلّ يوم سعادة، تزيد من أعدائه فى أوليائه الذين يوالونه بالمحبة.

والمعنى : الله يمدّه فى كلّ يوم بكرامة وسعادة يجدد ، ماله ، ويظفره بمن ناوأه ، ويظهره على من عاداه ، ويجعلهم بعد العداوة أتباع أمره ، وأنصارا لحزبه .

وقال أبو الفتح : يدخل أعداءه فى صحبه ، إما رغبة وإما رهبة .

٢ — المعنى — يقول : لولم يكن يقتل أعداءه بسيفه ، ماتوا هم بقوّة جدّه وإقباله ، فكان سيف إقباله يقتلهم . واستعار «للإقبال» جثة يجرى عليها دماؤهم .

والمعنى : لولم يهلكهم بوقائعه ، وتجر مهجاتهم على سيوفه ، لتكفل له بذلك إقبال جدّه ، وما أظهر الله من تمكنه وسعده .

٣ — الغريب — العرمرم الجيش الكثير ، والأقتال: الأعداء ، واحدها: قتل (بكسر القاف)؛ والجمع : أقتال . قال عبيد الله بن قيس الرقيات :

وَاغْتِرَابِي عَنْ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ... فِي بِلَادٍ كَثِيرَةِ الْأَقْتَالِ

أصل العرمرم ، فعلعل، من العرام ، وهو الشدّة . والانفصام: الكسر من غير انفصال . والانقصام (بالقاف) : البائن المنفصل ، وقصمته فانقصم . قال ذو الرمة :

كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهٌ ... فِي مَلْعَبٍ مِنْ جَوَارِي الْحَيِّ مَفْصُومُ

هذا يشبه غزالا بدملج ، فقال : كأنه دملج مقصوم . يريد : لتثنيه وانحنائه إذا نام .

المعنى — يقول : لمثل سيف الدولة جمعت الجيوش أنفسها ، وسلمت طاعتها إعظاما لقدره ، واعترافا بفضله ، وبمثله من أهل الحزامة ، والمتقدّمين فى الرياسة انفصمت عرا أعدائه ، وانحلّ عقدهم ، ونبا حدّهم .

٤ — الغريب — الوغى : الحرب . والسربال : الثوب ، والجمع : سرابيل . قال الله تعالى : «سرابيلهم من قطران» ، وسربلته فتسربل .

المعنى — يريد: أنه ظهر على الأعداء فقتلهم، وبلغ مراده منهم، ولم يتركوا عليه للحرب =

يأَيُّها القَمَرُ المُباهِى وَجْهَهُ ... لا تُكْذَبَنّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكالِهِ (١)
وَإِذَا طَما البَحْرُ المُحِيطُ فَقُلْ لَهُ ... دَعْ ذَا فَإِنَّكَ عاجِزٌ عَنْ حالِه (٢)
وَهَبَ الَّذِى وَرِثَ الْجُدُودَ وَما رَأَى ... أَفْعالَهُمْ لِابْنٍ بِلا أَفْعالِه (٣)

= أثرا يظهرونه، وشاهدا يتكافه، لاستغنائه عن ذلك ببلوغ الهمة والبغية، إلا ما فى ثوبه من الدماء التى سفكتها منهم صوارمه، وأجرتها قوائمه.

قال ابن الإفليلى: هذا باب من البديع يعرف بالاستثناء.

١ — الغريب — المباهى: المشاكل والمضاهى. والأشكال: جمع شكل، وهو الشبه.

المعنى — يقول للقمر: لاتسمع الكذب، ولاتكذبن على نفسك، فإنك لست تشاكله، هوأبهى منك، وأحسن وأضوأ وأنور، وله فى البأس والكرم رتبة لاتبلغها، ومنازل لاتستحقها، فلست ممن يشاكله ويضاهيه ويساويه، وجعل القمر مباهيا لوجهه، لأنه بحسنه وزيادته كل ليلة، كأنما يباهى وجهه.

٢ — الغريب — طما البحر طموّا، إذا ارتفع، يطمو ويطمى طميا، فهو طام. ومنه: طمت المرأة بزوجها: إذا ارتفعت، وطما يطمى، مثل طم يطم: إذامرّ مسرعا.

المعنى — قل للبحر إذا ارتفع: دع ماتظهره، فكرم الممدوح يغمرك، ومواهبه تغرقك، وأنت عاجز عن رتبته، ومقصر عن جلالته ورفعته. وهو منقول من قول البحترى:

قَدْ قُلْتُ لِلْغَيْثِ الرُّكامِ وَلَجَّ فى ... إِبْراقِهِ، وَأَلَحَّ فى إِرْعادِهِ
لا تَعْرِضَنّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهاً ... بِنَدَى يَدَيْهِ، فَلَسْتَ مِنْ أَنْدادِهِ

٣ — الإعراب — نصب «الجدود» بإسقاط حرف الجرّ، تقول: ورثت زيدا مالا، أى من زيد، وتقول: ورثت أبى مالا، تريد: من أبى، فتسقط حرف الجرّ، وتعمل الفعل. وأنشد سيبويه:

وَرِثْتُ أَبِى أَخلاقَهُ: عاجِلَ القِرَى ... وَعَبْطَ المَهارِى كُومُها وشَنُونُها

«ولا» فى معنى غير، والضمير فى «أفعاله» يعود على الابن.

الغريب — رأى، بمعنى رضى واختار، كقولك: رأى فلان كذا، أى رضيه، وفلان يرى كذا معناه: يرضاه ويشير به.

المعنى — يقول: وهب ماورث من المال والمآثر، فوهب المال للعفاة، والمفاخر لقومه، لأنه لايرى الافتخار إلا بفعله، وأنه رأى أفعال آبائه لاترفعه ولا تنفعه حتى يفعل مثلها.

والمعنى: أن سيف الدولة لسعة فضله، وعموم جوده، وهب الذى ورثه من جدوده، استغناء بكسبه، ولم يقنع بما خلفه آباؤه من المجد، وأسلفوه من الجود، دون أن يتلوهم بفعله، =

حَتَّى إِذَا فَنِيَ التُّرَاثُ سِوَى العُلا قَصَدَ الْعُدَاةَ مِنَ القَنَا بِطِوَالِهِ[(1)]
وَبِأَرْعَنٍ لَبِسَ العَجَاجَ إِلَيْهِمُ فَوْقَ الحَدِيدِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِه[(2)]
فَكَأَنَّمَا قَذِيَ النَّهَارُ بِنَقْعِهِ أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفَ مِنْ إِجْلاَلِه[(3)]

= وعائلهم بفضله ، ورأى أن أفعال الآباء لاتشرّف الابن، حتى تشرّفه أفعاله ، وترفعه أحواله.
ومثله قول الليثى :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

ومثله قول الآخر :

وَإِذَا افْتَخَرْتَ بِأَعْظُمٍ مَقْبُورَةٍ فَالنَّاسُ بَيْنَ مُكَذِّبٍ وَمُصَدِّقِ
فَأَقِمْ لِنَفْسِكَ فِى انْتِسَابِكَ شَاهِدًا بِحَدِيثِ مَجْدٍ لِلْحَدِيثِ مُحَقِّقِ

وأخذه الرضى الموسوى فقال :

فَخَرْتُ بِنَفْسِى لاَ بِقَوْمِى مُوَفَّرًا عَلَى نَاقِصِى قَوْمِى مَآثِرَ أُسْرَتِى

١ — الغريب — التراث : المال الموروث. قال الله تعالى : وتأكلون التراث أكلا لما». وأصل التاء فيه واو . والميراث ، أصله : موراث ، فانقلبت الواو ياء ، لكسرة ماقبلها .

المعنى — يقول : فنى ماورثه من أموالهم سوى العلا ، لأنه شحيح بها أن يعطيها أحدا ، فالمال يفنى بالإعطاء ، والمعالى لاتفنى ، وذكرها باق مع الأيام .

والمعنى : حتى إذا أفنى تراثه ، واستوعب طارفه وتالده ، ولم يبق من ذلك إلا العلا التى خلدها، والمكارم التى شيدها،طلب المال مغالبة،فقصد الأعداء بطول رماحه ، واستعمل فيهم صوارم سيوفه.

٢ — الغريب — الأرعن:الجيش العظيم المضطرب،مأخوذ من«رعن الجبل» ، وهو أنفه المتقدم ؛ والجمع : رعون ورعان ؛ ومنه : سميت البصرة : رعناء . قال أبو دريد ، وأنشد للفرزدق :

لَوْلاَ ابْنُ عُتْبَةَ عَمْرٌو وَالرَّجَاءُ لَهُ[(1)] مَا كَانَتِ الْبَصْرَةُ الرَّعْنَاءُ لِى وَطَنَا

المعنى — وقصد العدو بأرعن ، أى بجيش عظيم قد لبس فوق ماعليه من الحديد ، دروعاً من العجاج . وجرّ من أذياله ، الضمير يحتمل أن يكون للعجاج وللحديد .

والمعنى يقول : قصد أعداءه بجيش عظيم له رعون وفضول ، يلبس مايثيره من العجاج ، فوق مايلبس فرسانه من السلاح ، ويجرّ أذياله لكثرته ووفوره ، ويسحبها إلى العدوّ فى مسيره .

٣ — الإعراب — الضمير فى «نقعه» يعود على الجيش ، «وعنه وإجلاله» الضميران يعودان (أيضا) على الجيش ، ويجوز أن يعودا على سيف الدولة ، وهو أمدح .

الغريب — قذى،القذى: مايدخل فى العين فيمنعها النظر.والنقع:الغبار وغضّ الطرف:=

(١) فى اللسان : * لولا أبو مالك المرجو نائله *

الْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ ... فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمالِهِ(١)

تَرِدُ الطِّعانَ المُرَّ عَنْ فُرْسانِهِ ... وَتُنازِلُ الْأَبْطالَ عَنْ أَبْطالِهِ(٢)

كُلٌّ يُرِيدُ رِجالَهُ لِحَياتِهِ ... يا مَنْ يُرِيدُ حَياتَهُ لِرِجالِهِ(٣)

= كسره وخفضه . والإجلال ، مصدر ، أجله .

المعنى — يريد : أن النهار ، وهو عين الشمس غطاها الغبار ، فصار كالقذى فيها ، أوكأن النهار خفض طرفه إجلالا له .

والمعنى : أن العجاج غلب ضوء الشمس ، وغطاه بتكاثفه ، فكأنه قذى بالغبار ، أوخفض طرفه إجلالا للممدوح المختار .

١ — الغريب — القلب: قلب الجيش ، وهو وسطه ، وكذا يمينه وشماله ، ما يكون من الجمع فيهما .

المعنى — يقول : الجيش فى الحقيقة جيشك ، وكلّ جيش سواه ، فليس بجيش ، وهو جيشك يمتثل أمرك ، ويتصرّف على رأيك ، وأنت فى الحقيقة جيشه ، لأنه يتشجع بشجاعتك ، ويقدم بإقدامك ، وتهابه الشجعان من أجلك ، فهذه حاله فى قلبه ، ويمينه وشماله ، وإذا امتنع الملوك بجيوشهم ، فأنت تمنع جيشك ، وإذا احتموا بجموعهم ، فأنت تحمى جمعك .

٢ — الإعراب — الضميران فى «فرسانه وأبطاله» يعودان على الجيش .

المعنى — يريد بهذا : أنه يفسر ما قال أوّلا ، فيقول : أنت جيشه ترد الطعان المرّ قبلهم ، وتسبق إلى مبارزة الأبطال دونهم ، فتصلى حره ، فأنت فى نفسك وحدها جيش . وفيه نظر إلى قول حبيب :

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الْوَغَى لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَها فى جَحْفَلٍ لَجِب

٣ — المعنى — يريد أن الملوك سواك يطلبون عسكرهم وجنودهم ، ليدفعوا عنهم ، ويجمعونهم على أعدائهم ليسلموا ، وأنت تريد رجالك أن يبقوا ويسلموا ، وتدافع عنهم ، وهذا غاية الكرم والشجاعة . وقد بنى البيت على حكاية تذكر عن سيف الدولة مع الإخشيد ، وذلك أنه جمع جيشا عظيما ، وأتى إليه ليتغلب ، فوجه إليه سيف الدولة ، يقول له : قد جمعت هذا الجيش ، وجئت إلى بلادى ، ابرز إلىّ ولا تقتل الناس بينى وبينك ، فأينا غلب أخذ البلاد ، وملك أهلها . فوجه إلى سيف الدولة يقول : ما رأيت أعجب منك! إنما جمعت هذا الجيش العظيم لأقى به نفسى ، أفتريد أن أبارزك ؟ إن هذا الجهل وقد روى مثل هذا عن علىّ عليه السلام: أنه بعث إلى معاوية ، وهما بصفين: قد فنى الناس بينى وبينك ، فابرز إلىّ ، فأينا قتل صاحبه ملك الناس. فقال عمرو لمعاوية : قد قال لك حقا ، وأتاك بالإنصاف ؛ فقال معاوية لعمرو : أعلمت أن عليا برز إليه أحد فرجع سالما؟ والله لابرز إليه سواك ، فحمله حتى برز إلى علىّ ، فلما تقار با كشف عن سوأته ، فتركه علىّ =

دُونَ الحَلاوَةِ فى الزَّمانِ مَرَارَةٌ   لا تُخْتَطَى إلاَّ عَلَى أَهْوالِهِ(١)
فَلِذاكَ جاوَزَها عَلِيٌّ وَحْدَهُ   وَسَعَى بِمُنْصُلِهِ إلَى آمالِهِ(٢)

وقال وقد توسط جبالا بطريق آمد

وهى من المتقارب ، والقافية من المتدارك

يُؤَمِّمُ ذَا السَّيْفُ آمالَهُ   وَلا يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعالَهُ(٣)
إذَا سارَ فِي مَهْمَهٍ عَمَّهُ   وَإنْ سارَ فِي جَبَلٍ طالَهُ(٤)
وَأَنْتَ بِما نُلْتَنا مالِكٌ   يُثَمِّرُ مِنْ مالِهِ مالَهُ(٥)

= ورجع إلى أصحابه بغير قتال ، فأنشدوا فى المعنى :

وَلاَ خَيْرَ فى دَفْعِ الرَّدَى بِمَذَلَّةٍ   كما رَدَّها يَوْمًا بِسَوْءَتِهِ عَمْرُو

١ — المعنى — يقول : دون حلاوة الظفر، ولذّة بلوغ الأمل ، مرارة من الغرر، ومشقة من الخطر ، لا تتجاوز تلك المرارة إلا بمقارعة أهوال الزمان وشدّتها ، والتعرض لمحنتها وصعوبتها ، وضرب هذا مثلا لما قدمه . وقوله : «على أهواله» يتضمن معنى الركوب .

والمعنى : تركب إلى الحلاوة أهوال الزمان للوصول إليها ، كما يقال لا تقطع الفلاة إلا على الإبل ، ولا يتوصل إلى حلاوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته .

٢ — الغريب — جاوزها : قطعها . وعلىّ : هو سيف الدولة ، اسمه على . والمنصل : السيف .

المعنى — يقول : لهذا انفرد علىّ وحده بجواز تلك المرارة ، وسعى بسيفه إلى تلك الصعوبة ، وقدر بسيفه على اتصاله إلى بلوغ آماله ، فإذا طلب شيئا أدركه .

٣ — الغريب — السيف الأوّل : سيف الدولة ، والثانى : الحديد .

المعنى — يقول : هذا الملك الذى يسمى بالسيف ، يبلغ كلّ ما يريده ويؤمله وينويه ويعتقده ، فلا يفعل السيف فى ذلك فعله ، ولا يفعل فى إدراكه شأوه ، لأنه أعظم من السيف فعلا .

٤ — الغريب — المهمه : المفازة البعيدة ، والجمع المهامه . عمّ الشيء يعمه عموما : شمل . وطاله : علاه .

المعنى — إذا سار فى الأرض السهلة عمها بجنوده ، وإن سار فى الجبل علاه ، فصار فوقه ، وليست هذه الصفة من أعمال السيف .

٥ — الغريب — نلتنا : من النيل ، وهو العطاء . يقال : نال ينول : إذا أعطى ، وأناله ينيله إنالة : إذا أعطاه . وثمرماله : إذا أحسن القيام عليه ، وأصله فى الشجر الذى يثمر .

المعنى — يقول : أنت بما نلتنا به من فعلك ، وتابعته لدينا من بذلك مالك ، تثمر مالك بمالك =

كَأَنَّكَ ما بَيْنَنا ضَيْغَمٌ يُرَشِّحُ لِلفَرْسِ أَشْبالَه(١)

وقال يمدحه ويذكر الخيمة التى رمتها الريح

وهى من المتقارب ، والقافية من المتدارك

وكان قد ضرب سيف الدولة خيمة بميّافارقين ، وأشاع الناس أن مُقامه يتصل بها، فهبت ريح شديدة ، فوقعت الخيمة ، فتكلم الناس فى ذلك، فقال :

أَيَنْفَعُ فِى الْخَيْمَةِ الْعُذَّلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهْرَها يَشْمَلُ(٢)

= وتحوط ملكك بملكك ، لأننا لك فى وقوعنا تحت أمرك ، وما يحيط بنا من ملكك ، كالمال الذى تحويه وتضبطه ، وتحوزه وتملكه .

١ — الغريب — الضيغم : الأسد . ويرشح ، الترشيح : التغذية ، وهو أن ترشح الأمّ ولدها باللبن القليل ، تجعله فى فيه شيئا بعد شىء ، إلى أن يقوى على المصّ ، وفلان يرشح للوزارة ، أى يربى لها ، ورشحت الظبية ولدها : إذا علمته المشى ، وهو راشح . قال :

كَأَنَّ فى جَانِبَيْهِ جِلَّةً نُتِجَتْ فى آخِرِ الصَّيْفِ قَدْ هَمَّتْ بِإِرْشاحِ (*)

المعنى — يقول : أنت فيما سبقتنا إليه من مقارعة الأبطال ، وما تنفرد به دوننا من منازلة الأقران ، أسد ينهج لأشباله ما يفعله ، ويضريها على ما يأتيه ويمتثله .

والمعنى : أنت تضرينا على الحرب ، وتعوّدنا القتال ، كما يرشح الأسد أشباله للفرس .

٢ — الإعراب — هذا استفهام إنكار .

والمعنى : أينفع فى سقوطها عذل العذل ، فحذف المضاف وروى الخوارزمى : أيقدح . وهى رواية جيدة ، فلا يقدّر فيها محذوف .

الغريب — العذل : جمع عاذلة ، يقال : عذل وعواذل . والعاذل : اللائم . والعاذل : اسم العرق الذى يسيل منه دم الاستحاضة . وشمل الشىء : غطاه وعمه .

المعنى — يقول : لا ينفع فى هذه الخيمة أن تعذل على سقوطها ، فعذرها بين ، والموجب لفعلها ظاهر ، وكيف لها أن تشمل من يشمل الدهر بسلطانه ، ويجير عليه بإحسانه ؟ ولو قال : من دهره لكان أحسن من إضافة الدهر إليها . ومعنى يشمل : يحيط به ويحويه . وقوله «يشمل من دهرها» يعنى أن الخيمة تحيط بمن يحيط بالدهر . يعنى . علم كلّ شىء . فلا يحدث الدهر شيئا لا يعلمه ، ومن كان بهذا المحلّ لا يعلوه شىء .

(*) البيت لعبيد بن الأبرص ، وقد رواه ابن الشجرى فى مختاراته والقالى فى الأمالى هكذا :

كَأَنَّ فيه عِشارًا جِلَّةً شُرُفًا شُعْثًا لَهَامِيمَ قَدْ هَمَّتْ بِإِرْشاحِ

وَتَعْلُو الَّذِى زُحَلٌ تَحْتَهُ ... مُحالٌ لَعَمْرُكَ ما تُسْــــأَلُ(١)

فَلِمْ لا تَــلُومُ الَّذِى لامَها ... وَما فَصُّ خاتَمِهِ يَذْبُــــلُ(٢)

تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجاؤُها ... وَيَرْكُضُ فِى الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ(٣)

---

١ — الإعراب — «الذى» فى موضع نصب مع صلته ، وما بمعنى : الذى ، وهو فى موضع رفع بالابتداء ، وخبره « محال » .

الغريب — زحل : اسم نجم معروف ، وهو من السبعة المدبرات ، ويقال : هو فى السماء الرابعة ، ويقال فى الخامسة والسادسة .

المعنى — يقول : كيف تعلو هـذه الخيمة من تحته زحل فى علوّ القدر والنباهة ، ومحال ما تسأله الخيمة من ثبوتها فوقه ، ومن ضمّ التاء ، وهى روايتنا ، وعليه الأكثر : أراد ما تسأل الخيمة من ذلك . والمعنى : وكيف تعلومن يتواضع زحل عن رفعته ، ويقصردون بلوغ منزلته ؟ فمحال ماتسأله ، وممتنع ماتحمله .

٢ — الإعراب — قال ابن القطاع : ما : بمعنى الذى ، والضمير فى «خاتمه» : لسيف الدولة ، والتقدير : لم لاتلوم لائمها ؟ وسيف الدولة الذى فصّ خاتمه يذبل تحتها ، فحذف الخبر .

وقال أبو الفتح : سألته عن هذا البيت فقال : ما: بمعنى ليس ، والتقدير : لم لاتلوم الخيمة من لامها ؟ على أنه ليس فصّ خاتمه يذبل . فالضمير على هذا القول راجع على اللائم .

الغريب — يذبل : جبل معروف . والخاتم ، بكسر التاء وفتحها : لغتان فصيحتان ، وقرأ عاصم : «وخاتم النبيين» بفتح التاء ، ويقال: خاتم ، وخاتم، وخيتام ، وخاتام . والجمع : خواتيم .

المعنى — قال ابن القطاع : لم لاتلوم لائمها على سقوطها ، وتقول له : لم لا يكون فصّ خاتمك يذبل ؟ فانه يقول لها عند ذلك : لايمكن خيمة ، ولا يصحّ لها أن تشتمل على سيف الدولة .

وقال أبو الفتح : إن جاز أن تلام هذه الخيمة على عجزها عن علوّها الممدوح ، وهو غير ممكن لعلوّه عنها ، فلم لاتلوم من لامها على أنه ليس فصّ خاتمه يذبل ، وهو مستحيل فى أن يكون فصّ خاتم إنسان يذبل ، لأنه ليس هـذا فى طاقته ، فـكذا هذه الخيمة لاتقدر أن تعلو الممدوح ، لقصورها عنه .

وقال ابن الإفليلى: لم لاتلوم من لامها ، وتقول له : إن الرئيس تهيبته ، وأعجزنى الاشتمال عليه بقصر يذبل مع عظمته عن فصّ خاتمه ، ويخف عند رزانته ، ويقلّ عند جلالته ، فكيف أطيق الاشتمال على من هذه حاله ؟ .

٣ — الغريب — الأرجاء : النواحى، الواحد: رجا.والتثنية: رجوان.والجحفل : الجيش العظيم.

المعنى — يقول : هذه الخيمة كلّ قطر منها يسع جحفلا ، ولكنها تضيق جميعها بشخصك ، إجلالا لك ، وإعظامالك أن تعلوك .

وَتقْصُرُ ما كنْتَ فى جَوْفِها ... وَتُرْكَزُ فِيها القَنَا الذُّبَّــلُ(١)

وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ ... كَأَنَّ البِحارَ لَها أَنْمُلُ(٢)

فَلَيْتَ وَقارَكَ فَرَّقْتَــهُ ... وَحَمَّلْتَ أَرْضَكَ ما تَحْمِلُ(٣)

فَصارَ الأَنامُ بِهِ سادَةً ... وَسُدْتَهُمُ بِالَّذِى يَفْضُلُ(٤)

رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فى لَوْنِها ... كَلَوْنِ الغَزَالَةِ لا يُغْسَلُ(٥)

---

١ — الغريب — الذبل: اليابسة الدقيقة الطويلة ، و إنما خص الذبل لأنها لاتذبل حتى تطول .
المعنى — يقول : هذه الخيمة تقصر مادمت فى جوفها ، مكبرة الاشتمال عليك ، وتضطرب مستعظمة للاستعلاء فوقك ، وذلك لجلالتك ، لا لصغرها وقصرها ، ولهيبتك ، لالتطأطئها ، وهى من علوّها تركز فيها القنا الذبل .

٢ — الغريب — الراحة: وسط الكف. والأنمل: جمع أنملة، وهو من الجموع التى بينها وبين مفردها الهاء.
المعنى — يقول : باسطا لعذر الخيمة فى سقوطها ، وكيف تقوم مشتملة على من البحار كالأنمل لراحته؟ يغمرها بأيسر جوده ، و يزيد عليها بأقلّ بذله .

٣ — المعنى — يقول : فليتك أيها الرئيس فرّقت وقارك وقسمته ، وشاركت فيه ، وحملت الأرض ما تحمله ، وكلفتها ماتبلغه ،فلوفرّقت وقارك ، لكان يخصّ الخيمة منه مايوقرها ، و يثبتها عن السقوط .

٤ — المعنى — يقول: لوفرقته صار الأنام ، وهم الخلائق كلهم سادة ، وفضل لك ماتسود به الناس، فتسود بما يفضل معك جماعتهم ، وتستحقّ معه رياستهم .
والمعنى : أنه يصف رزانة حلمه ، وكثرة وقاره ، فلوفرقه لكفى الناس، وفضل معه مايسودهم به ، وفضل فيه لغات : أفضلها فضل بفتح العين ماضيا ، ومثله دخل يدخل ، و بكسر العين ماضيا ، كحذر يحذر . وفيه لغة أخرى مركبة منهما ، بكسر العين ماضيا ، و بالضمّ ، مستقبلا ، وهو شاذ لانظيرله . قال سيبويه : هذا عند أصحابنا إنما يجىء على لغتين . قال : وكذلك نعم ينعم ، ومت تموت ، وكدت تكود .

٥ — الغريب — أصل الغزالة : ارتفاع الشمس ، وهو وقت سميت الشمس به .
وغزالة الضحى : أوّلها ، ومنه قول ذى الرّمة :

فَأَشْرَفْتُ الغَزَالَةَ رَأْسَ حُزْوَى ... أُرَاقِبُهُمْ وَمَا أُغْــنِى قِبالا

نصب الغزالة على الظرف ، وقيل الغزالة : الشمس ، سميت بذلك ، لأن حبالها كالغزل الذى تغزله المرأة.
المعنى — يقول : لون الممدوح ونوره لايلحقه تغيير ، كلون الشمس الذى لايزول عنها =

وَأَنَّ لَها شَرَفًا باذِخًا وَأَنَّ الْخِيامَ بِها تَخْجَلُ (١)
فَلا تُنْكِرَنَّ لَها صَرْعَةً فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ ما يَقْتُلُ (٢)
وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ ما بُلِّغَتْ لَخانَتْهُمُ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ (٣)
وَلَمَّا أُمِرْتَ بِتَطْنِيبِها أُشِيعَ بِأَنَّكَ لا تَرْحَلُ (٤)
فَما اعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَها وَلٰكِنْ أَشارَ بِما تَفْعَلُ (٥)

= بالغسل، فهذه الخيمة رأت لون وجهه فى لونها ، وتلألأ حسنه فى حسنها ، كنور الشمس تشرق ولا يذهب بغسل ، ويضىء ولا يتغير ، فاكتسب من نوره ما صارت به موازية للشمس التى لايزول نورها .

١ — الغريب — الباذخ : العالى : وبذخ بالكسر وتبذخ : أى تكبر وعلا . والبواذخ من الجبال : الشواخ . وبذخ الفحل : اشتد هديره ، بذخانا ، وإنه لبذاح .

المعنى — يقول : رأت أن لها شرفا عاليا إذا سكنتها ، وأن جميع الخيام تخجل منها إذ لم تبلغ محلها ، واستعار للخيام خجلا . والخجل فى بنى آدم : استرخاء يلحق الإنسان عند الحياء ، وهو مأخوذ من خجل الوادى : إذا طال نبته والتف ، فقال : هذه الخيمة إذا نظرت الخيام إلى عظم شرفها ، خجلت ، وعلمت أنها مفتضحة إذا قيست بها .

٢ — المعنى — يقول : هذه الخيمة لاتنكروا سقوطها، لأنها غاب عليها الفرح ، فلا غرو أن يصرعها طرب ، ويستخفها فرح ، فمن الفرح مايقتل لشدته ، ومن الطرب مايضر بزيادته .

٣ — المعنى — يقول : لو بلغ الناس العقلاء مابلغته هذه الخيمة من الصيانة لك ، والاتصال بك ، والاشتمال عليك ، لخانتهم أرجلهم ، فلم تحملهم ، وصرعهم فرحهم، فلم يمهلهم الوقوف .

والمعنى : لم تحملهم قوائمهم هيبة لك ، كما خانتها أطنابها وعمدها .

٤ — الغريب — الأطناب : حبال البناء . والتطنيب : مد الأطناب .

المعنى — يقول : لما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمد أطنابها ، شاع ، أى ظهر فى الناس ، بأنك لست راحلا لغزو العدو، لأمر وقفك عن الرحيل ، وعذر ثبطك عن الغزو .

٥ — الغريب — التقويض : الحط ، ورفع الأطناب لقلع الخيمة ، وأشار من الإشارة ، لامن المشورة فى الرأى . فإن قيل : الإشارة إنما تكون بالإيماء بالجارحة ، والله تعالى يرتفع عن الوصف بالجوارح . قيل : إنما أراد بالإشارة التنبيه ، أى فنبهك بوقوعها على الرحيل الذى أعرضت عنه ، فالخيمة المشيرة إليه بالوقوع . وقال الآخرون : وجه جوازه أن يكون الله أشار إليه بجسم من الأجسام يحتمل الحركة : إما حى وإما موات ، إذ لاجارحة له تعالى . =

وَعَرَّفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّـــهِ ... وَأَنَّكَ فِى نَصْرِهِ تَرْفُلُ(١)

فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَمَّــلُوا؟ ... وَمَا الْحَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا؟(٢)

هُمُ يَطْلُبُونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا؟ ... وَهُمْ يَـكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ؟(٣)

= المعنى — يقول لم يرد الله حطها ، ولـكن كان قلعها وسقوطها تنبيها من الله تعالى لك بما تفعله من الارتحال ، والتوجه إلى الغزو ، لأن الأمر ليس على ما يقول الناس ، فجعل سقوط الخيمة كالإشارة إلى ما تفعل ، وأراك رشدك فى النهوض الذى أخرت أمره ، وقعدت عنه .

١ — الغريب — من همه ، أى من إرادته . ورفل يرفل رفلا : إذا سحب أذياله ، ومشى وشمر رفله : أى ذيله ، ورفل بكسر العين رفلا : خرق فى لبسته ، فهو رفل . وأنشد الأصمعى :

* فى الرَّكْبِ وَشْوَاشٌ وَفى الْحَىِّ رَفِلْ *

وامرأة رفلة : تترفل فى مشيتها خرقا ، فان لم تحسن المشى فى ثيابها قيل رفلاء . والرفل : الأحمق.

المعنى — يقول : عرف الله الناس بتقويض الخيمة أنه لم يخذلك ، بل يريد إرشادك ، وأنك تمشى فى نصر دينه ، فجعل قلع الخيمة سببا لمسيرك ، وعلامة على أنه أراد لك الارتحال ، فأنت فى نصره ترفل ، وفى تأييد دينه تحلّ وترتحل .

٢ — الإعراب — استفهم بلفظ «ما» ، لأنه استفهام تصغير وتحقير . يريد : ماهؤلاء الأعداء ؟

الغريب — العاندون : جمع سلامة ، وهو جمع عاند ، وعند يعند بالكسر عنودا : أى خالف وردّ الحق ، وهو يعرفه ، فهو عنيد وعاند ، وأصل العاند : البعير الذى يجور عن الطريق ، ويعدل عن القصد ، والجمع عند ، مثل راكع وركع . وأنشد أبو عبيدة :

إِذَا رَكِبْتُ فَاجْعَلَانِى وَسَطَا ... إِنِّى كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنَّدَا

وجمع العنيد عند : كرغيف ورغف ، وعاند معاندة وعنادا .

المعنى — يقول ماهؤلاء الأعداء الذين يميلون عن الصدق إلى الـكذب ، والحاسدون ماهم ، وما قولهم ؟ لا تأثير لعداوتهم وحسدهم ، ولا لما يلفقونه من الأقوال الـكاذبة عند تقويض الخيمة ، ولا لما أملوا ، ومن روى « أثلوا » بالثاء المثلثة ، أراد : ماجمعوا . وقوله « وما قوّلوا» : قال أبو الفتح : كرّروا القول وخاضوا ، وقولتنى مالم أقل ، أى نسبته إلىّ ، كقولك : موتت الإبل ، أى كثر موتها . والتقويل : الادّعاء . والمعنى يقول : ماقدر العاندون والحاسدون علينا إذا اقترن ذلك بجلالة سلطانك ، واستطاف إلى علوّ مكانك .

٣ — المعنى — قال الواحدى : هم يطلبون رتبتك ، فمن الذين أدركوا منهم شأوك ؟ ووجه آخر : هم يطلبون بكيدهم ، فمن الذين أدركوه حتى يطمعوا فيك اه ؟ .

=

وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ ما يَشْتَهُونَ ... وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ المُقْبِلُ[١]

وَمَلْمُومَةٍ زَرَدٌ ثَوْبُها ... وَلٰكِنَّهُ بِالقَنا مُخْمَلُ[٢]

يُفاجِئُ جَيْشاً بِها حَيْنُهُ ... وَيُنْذِرُ جَيْشاً بِها القَسْطَلُ[٣]

جَعَلْتُكَ بِالقَلْبِ لِي عُدَّةً ... لِأَنَّكَ بِاليَدِ لا تُجْعَلُ[٤]

لَقَدْ رَفَعَ اللهُ مِنْ دَوْلَةٍ ... لَها مِنْكَ ياسَيْفَها مُنْصُلُ[٥]

= والمعنى : هم مجتهدون فى الطلب فسلهم عمن يقبل كذبهم ، ويسمع إفكهم ، وهل أولئك إلا طغام لايحفل بهم، وهمج لايعرج عليهم ؟ .

١ — المعنى — يقول . هم يتمنون من الظهور عليك ، بحسب ماتبلغه شهواتهم ، ويعترضهم دون ذلك إقبال جدّك ، وتمكن سعدك ، وما تكفل الله به من إعلاء أمرك .

٢ — الإعراب — «ملمومة» : عطف على المبتدا ، فى قوله جدّك المقبل .

الغريب — الملمومة : الكتيبة المجموعة . وخمل الثوب : معروف ، وهوماتدلى منه .

المعنى — يقول : هذه الكتيبة المجموعة لباس فرسانها الدروع ، حتى كأنها منها فى ثوب شامل ، ولباس سابغ، إلا أن ذلك الثوب مخمل بالرماح البادية ، ومتنه متشعب بالقنا المتشاجرة فيه.

والمعنى : أن جيشك يمنعك من وصولهم إلى مايشتهون . وروى ابن الإفليلى : وملمومة خفضا ، وقال : ورب ملمومة لك لباس أهلها الحديد . والزرد : حلق الدروع .

٣ — الغريب — المفاجأة : المسارعة . والحين : الهلاك . والقسطل : الغبار .

المعنى — يقول : يفاجئ بهذه الكتيبة جيشاهلاكه بها . يريد : أنها تسير ليلا ، فتباكر جيشا قد دنا حينه، وهوهلاكه، فتهلكه ، لأنه لايشعر بها، وتارة تسير نهارا، فتثير غبارا ، فينذر جيشا آخر فيهرب . وقيل إنها تحزن : تسير فى الحزن ، فلا تثير غبارا ، وتارة تسهل : تسير فى السهل ، فتثير غبارا .

٤ — المعنى — يقول : جعلتك بالقلب عدّة أعتدّها ، وعصمة أعتقدها ، لأنك أرفع قدرا من أن تتناول بالجوارح ، وإنما تنال بالفكر والاعتقاد ، فأنا أعتقد أنك عدّة لى فيما أحتاج إليه ، لأنك لست من العدد الذى يعدّ باليد ، كالسيوف والأسلحة .

٥ — الغريب — المنصل : بضم الصاد وفتحها .

المعنى — يقول : لقد رفع الله دولة ، يريد الخلافة ، جعلتك سيفها وأنت ملك الملوك ، وجعلتك منصلها وأنت أمير الأمراء ، فهذه الدولة قد أسعدها الله، ورفعها على سائر الدول .

فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهَفَاتُ   فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْمِقْصَلُ[١]

وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا   فَإِنَّكَ فِى الْكَرَمِ الْأَوَّلُ[٢]

وَكَيْفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ   وَأُمُّكَ مِنْ لَيْثِهَا مُشْبِلُ[٣]

وَقَدْ وَلَدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى   أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لا تَنْجَلِ[٤]

---

١ — الغريب — المرهفات : جمع مرهف ، وهو السيف الرقيق الحدّ . والطبع : الصناعة . والمقصل : القاطع .

المعنى — يقول : إن تقدّمتك السيوف بزمان طبعها ، وسبقتك بوقت صناعتها ، فأنت سبقتها بنفاذ أمرك ، وتقدّمتها بمضاء عزمك .

وقال الواحدى : قال ابن جنى : معنى البيت : أنك لإفراط قطعك ، وظهوره على قطع جميع السيوف ، كأنك أوّل من قطع ، إذ لم يرقبلك مثلك . وقال غيره : يريد أن قطعها بسببك ، ولولا قطعك ماقطعت ، وكلا القولين ضعيف .

والمعنى الذى أراده المتنبى : أنك سبقتها بالقطع ، لأنك تقطع برأيك وعقلك وحكمك مالا يقطعه السيف .

٢ — الغريب — جاد : من الجود ، وهو الكرم .

المعنى — يقول : ان تقدّمك أجواد سلفت أعمارهم ، وتراخت مددهم ، فأنت تقدّمتهم بعموم جودك ، وسبقتهم بسبوغ كرمك ، وإن تقدّموك بالزمان ، فأنت تقدّمتهم بالإحسان .

٣ — الإعراب — الرواية الصحيحة التى قرأنا بها الديوان على الشيخين : أبى الحزم مكى ، وأبى محمد عبد المنعم «من ليثها» جارا ومجرورا ، وهو متعلق باسم الفاعل الذى هو خبر الابتداء . وروى «من ليثها» بالرفع وفتح ميم من ، وهوعبارة عن الأم ، وهوخبر الابتداء ، ومابعده صلة له.

الغريب — المشبل : الأنثى من السباع ، وهى ذات أشبال . والشبل : ولد الأسد الصغير. والليث : من أسماء الأسد .

المعنى — يقول : كيف تقصر عن غاية من الفضل ، ومنزلة من الكرم والبأس ، وقد ولدك الأسد ، فأمّك أشبلت بك من أبيك ، الذى هو الأسد ، وضرب ذلك مثلا لشجاعته ومضائه ، كأن أبويه سبعان .

وقال الواحدى : روى ابن دوست «عن غابة» بالباء الموحدة ، وهى تصحيف ، إنما يقال : قصر عن الغاية إذا لم يبلغها ، لاعن الغابة .

٤ — الغريب — الورى : الخلق ، يقال : ما أدرى أىّ الورى هو ؟ أى أىّ الخلق هو . قال ذو الرّمة :

فَتَبًّا لِدِينِ عَبِيدِ النُّجُومِ ... وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّها تَعْقِلُ(١)
وَقَدْ عَرَفَتْكَ فَمَا بَالُها ... تَرَاكَ تَرَاها فَلا تَنْزِلُ(٢)
وَلَوْ بِتُّمَا عِنْدَ قَدْرَيْكُمَا ... لَبِتَّ وَأَعْلاكُما الأَسْفَلُ(٣)
أَنَلْتَ عِبادَكَ ما أَمَّلُوا ... أَنَا لَكَ رَبُّكَ ما تَأْمُلُ(٤)

= وَكَائِنْ ذَعَرْنا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحٍ ... بِلَادُ الْوَرَى لَيْسَتْ لَهُ بِبِلَادِ

وتنجل : تلد .

المعنى — يقول : لما ولدتك أمك ، وهى الشمس فى رفعتها ، وعظم قدرها ، وجلالة أمرها ، استعظم الناس أن يلد مثلها ، ومن صار فى عظم منزلتها نسلا ، فكيف بك وأمك الشمس جلالة ورفعة ، وأبوك الأسد صرامة وشدة ؟

وقال الواحدى : لما ولدتك أمك كنت شمسا فى رفعة المحل ، ونباهة الذكر ، فقال الناس : ألم تكن الشمس لا تولد ، فكيف ولدت هذه المرأة شمسا ؟ وهو مأخوذ من قول الأول :

لَأُمٌّ لَكُمْ نَجَلَتْ مالِكًا ... مِنَ الشَّمْسِ لَوْ نَجَلَتْ أَكْرَمُ

والنجل : النسل ، ونجله أبوه : ولده ، يقال : قبح الله ناجليه ، أى والديه .

١ — الغريب — نصب «تبا» على المصدر ، يقال : تب تبا «ومن» فى موضع جر عطفا على ماقبله ، والجملة لاموضع لها صلته .

الغريب — التب : الهلاك والخسار . ومنه : «تبت يدا أبى لهب» ، أى هلكت وخسرت .

المعنى — يقول : ضلالا وخسارا لعبدة النجوم ، الذين يعتقدون أنها عاقلة .

والمعنى : أهلك الله أصحاب النجوم ، والمصدقين بها وعبيدها ، المعظمين لها ، وأبعد الله القائلين : إنها عاقلة مميزة ، وعالمة مدبرة ، ثم بين العلة بعد ، فقال :

٢ — المعنى — يقول : من زعم أن النجوم عاقلة ، وقد عرفتك فما بالها لاتنزل إلى خدمتك ، وهى تراك تراها ، فلم لاتنزل خاضعة لك ، وتنحط من أماكنها متواضعة عنك ؟ وهى فى الحقيقة لاتبلغ رتبة فضلك ، ولاتقارب جلالة قدرك ، فلو كانت تعقل كما زعم قوم لنزلت حتى تعلو عليها ، بحسب استحقاقك ، لعلمها أن محلك فوق محلها ، لكنها لا تعقل .

٣ — المعنى — يقول : لو بتما ، وموضع كل واحد منكما على حسب فضله ومكانه حيث يستحق بقدره ، لبت فى مواضع النجوم ، وباتت فى موضعك ، تعلوها وتسفل منك ، وتسبقها ، وتتواضع عنك ، لشرف قدرك على قدرها .

٤ — الغريب — العباد : أكثر ما تستعمل مضافة إلى الله ، والعبيد للناس . والعباد مختص بالخالق . وأنشد سيبويه شاهدا لهذا : =

وقال يمدحه ويعتذر إليه

وذلك فى شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة

وهى من البسيط ، والقافية من المتراكب

أَجابَ دَمْعِى وَما الدَّاعِى سِوَى طَلَلٍ ... دَعا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ (١)

= أَتُوعِدُنِى بِقَوْمِكَ يا بْنَ حَجْلٍ ... أُشاباتٍ يَخالُونَ الْعِبادَا

المعنى — قال الواحدى : قال ابن جنى : مننت على عبادك بأن حللت بينهم ، والكواكب تأمل ذلك ، فلاتقدر عليه ، وهذا معنى بعيد ، وتأويل فاسد ، والذى أراده أبوالطيب : أعطيت عبيدك ، يعنى الناس جعلهم عبيدا له ، لأنه ملك مارجوه من عطائه ، ثم دعا له بباقى البيت أن يكافئه الله بمثل فعله ، فينيله ما يؤمله ، هذا هو المعنى ، فأما الحلول بين الناس فبعيد اهـ .

والمعنى : أنلتهم ما أملوه من فضلك ، وحققت رجاءهم فيما استدعوه من كرمك ، أنالك ربك ما تأمله ، وأيدك على ما تقصده ، وتكفل لك بتقريب ما تريده . ولما أطلق على الناس لفظ العبودية له ، عطف عليه من آخر البيت ، فجعله مربوبا مثلهم ، حذقا منه وصنعة .

١ — الغريب — الإجابة : الإطاعة . والتلبية : الإقامة على الإجابة . والركب : القوم الراكبون على الإبل ، وهى الجمال لاواحد لها من لفظها ، وهى مؤنثة ، لأن أسماء الجموع التى لاواحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين لزمها التأنيث ، وإذا صغرتها أدخلت الهاء ، فقلت : أبيلة وغنيمة ، وربما قالوا : إبل بسكون الباء للتخفيف ، والجمع : آبال ، وإذا قالوا إبلان وغنمان ، فإنما يريدون قطعتين من الإبل والغنم . والطلل ما شخص من آثار الديار .

المعنى — يقول : يستدعى الطلل دمعى بدثوره ، فكنت أول من أجابه بالبكاء من أصحابى ، وقبل الإبل . والمراد أن الإبل تعرف ذلك الطلل ، وتبكى عليه ، كقول التهامى :

بَكَيْتُ ، فَحَنَّتْ ناقَتِى ، فَأَجابَها ... صَهِيلُ جَوادِى حِينَ لاَحَتْ دِيارُها

والمعنى : أنه وقف على ديار محبوبه . فشجاه ما شاهد من دروس رسومها ، وتغير طلولها ، فاستدعى ذلك بكاءه ، فأجاب دمعه تلك الدعوة ، وأسعد على تلك النية ، قبل أن يجيب ذلك بعض الركب بالتأسف ، وبعض الإبل بالحنين . وأشار إلى ناقته ، والعرب تصف مطيهم بالحنين إلى ديار الأحبة ، كما يصفون أنفسهم ، وقد بينه أبوالطيب فى قوله :

* اِثْلِثْ فإنَّا أَيُّها الطَّلَلُ *

ظَلِلْتُ بَيْنَ أُصَيْحابِي أُكَفْكِفُهُ ... وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَذَلِ (١)

أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَبْرَتِي عَجَبٌ ... كَذَاكَ كانَتْ وَما أَشْكُو سِوَى الْكِلَلِ (٢)

وَما صَبابَةُ مُشْتاقٍ عَلَى أَمَلٍ ... مِنَ اللِّقاءِ كَمُشْتاقٍ بِلا أَمَلِ (٣)

مَتَى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيارَتَها ... لا يُتْحِفُوكَ بِغَيْرِ الْبِيضِ وَالْأَسَلِ (٤)

١ — الغريب — يقال : ظللت بفتح اللام وكسرها ظلولا : إذا ظلّ يفعله بالنهار . ومنه قوله تعالى : «فظلتم تفكهون» ، وهو من شواذ التخفيف ، والأصل : فظللتم . وأنشد الأخفش :

مَسْنا السَّماءَ فَنِلْناها وَطالَهُمُ ... حَتَّى رَأَوْا أُحُدًا يَهْوِي وَثَهْلانَا

والأصل مسسنا . أكفكفه : أكفه ، ويسفح: يجرى ويسيل ، وأصيحابى : تصغير عظمة .

المعنى — يقول : واصفا لانسكاب دمعه ، واستكفافه له ، ظللت أكفكفه ، وظلّ يسفح بين ما أبسطه لهم من العذر ، وما يبدونه لى من العذل ، ويجوز أن يكون بين أصحابى ، فمنهم عاذر لى ، ومنهم عاذل ، لما رأوا من عظم وجدى على الطلل .

٢ — الإعراب — الواو فى قوله «وما» واو الحال .

الغريب — النوى : البعد والفراق .

المعنى — يقول : أشكو الفراق ، وهم يتعجبون من بكائى ، كذلك كانت الدموع تجرى ، بحيث لم يكن بينى و بينهم بعد إلا الحجاب ، حين لا أشكو سوى الستر الذى بينى و بينهم ، فى حال دنوّ المسافة ، حين كانت تحجب بيننا الكلل ، وهى جمع كلة ، وهى الستر .

والمعنى : أنه يقول لأصحابه : لاتعجبوا من بكائى على فراقها ، فلقد كنت أبكى فى هجرها ، وما أشكو مانعا دون الكلل التى تضمها ، والستور التى تحجبها ، والدار واحدة ، والمنازل متجاورة ، فكيف ظنكم بى ؟ وأنا أشكو النوى التى تمنع منها ، والبعد الذى يؤيس عنها .

٣ — الغريب — الصبابة : رقة الشوق .

المعنى — قال الواحدى : إن المشتاق الذى لايأمل لقاء حبيبه أشدّ حالا ممن يأمل ، لأنه إذا كان على أمل خفف التأميل تبريح اشتياقه . قال : ويجوز أن يكون أخفّ حالا ، لاستراحته إلى اليأس ، والأوّل أوجه . هذا كلامه .

والمعنى : وما صبابة مشتاق على أمل ، من لقاء حبيبه بقرب الدار ، ودنوّ المحلّ ، كصبابة مشتاق لا أمل له ، لتباعد محبوبه ، وتنائى داره ، وانتزاح محله . وأراد كصبابة ، فحذف للعلم به .

٤ — الإعراب — ردّ ضمير من على المعنى ، دون اللفظ ، فقال زيارتها ، ولورده على اللفظ لقال زيارته .

الغريب — البيض : السيوف ، والأسل : الرماج والأتحاف : الإطراف بالهدية . =

وَالْهَجْـــرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أُرَاقِبُهُ أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ (١)

ما بالُ كُلِّ فُؤَادٍ فِي عَشِيرَتِها بِهِ الَّذِي بِي وَما بِي غَـــيْرُ مُنْتَقِلِ (٢)

مُطاعَةُ اللَّحْظِ فِي الأَلْحاظِ مالِكَةٌ لِمُقْلَتَيْها عَظِيمُ المُلْكِ فِي المُقَلِ (٣)

= المعنى — يقول: إن هـذه المحبوبة منيعة بالسيوف والرماح ، فإذا زار قومها زائر لأجلها ، كانت تحفته منهم السـيوف والرماح ، فدلّ على تعذر زيارة محبوبته ، لما بسببها من المنعة ، وموضعها من التعذّر والرفعة .

١ — المعنى — يقول: هجر هذه المحبوبة أقتل لي من سلاح من أراقبه ، وموقع ما أحذره من الرقيب في جنب ما أشكوه من هجران الحبيب ، كموقع البلل عند الغريق الذي هو أقلّ ما يحذره وأهون ما يخافه ، ويتوقعه ، وهذا من قول بشار :

كَمُزِيلٍ رِجْلَيْهِ عَنْ بَلَلِ القَطْـــرِ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الأَرْضِ بَحْرُ

وقال ابن وكيع : هو مأخوذ من قول عدى بن زيد :

لَوْ بِغَـــيْرِ المَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي

وليس كما قال ، وإنما نقله من كلام الحكيم: من علم أن الفناء مستول على كونه ، هانت عليه المصائب .

٢ — الغريب — العشيرة : الأهل والقرابة والجمع : عشائر وعشيرات . وقرأ أبو بكر عن عاصم في براءة : «وعشيراتكم» على الجمع .

المعنى — قال الواحدى : كان حقه أن يقول : ما بال فؤادى لا ينتقل عن حبها ، وبكلّ فؤاد من عشيرتها ما بى ، لأنّ التعجب يريد أن يكون من فؤاده لا من أفئدتهم .

والمعنى: لم لا ينتقل حبها عنى ولا أسلوها إذا كان قومها وعشيرتها يحبونها كحبي ؟ يشير إلى أنها محبوبة في قومها ، منيعة فيما بينهم ، وأنه في يأس من الوصول إليها ، واليأس من الشيء يوجب السلوّ عنه ، كما قالوا : اليأس إحدى الراحتين ، وأنه مع هذا اليأس لا ينتقل عنه حبها .

وقال أبو الفتح : أجود ما يتأول في هذا أن يجعل الذي يجده من الشـوق كأنه شخص ، والشخص إذا حصل في مكان لم يشغل غيره ، فإذا صحّ ذلك صحّ إنكاره لثبات وجده ، لأنه في أماكن كثيرة ، والشخص لا يشغل مكانين ، فأما العرض فلا يشغل مكانا ، فإذا كان في قلب واحد جاز أن يكون في قلوب كثيرة .

والمعنى يصـفها بالحسن ، وأنها معشوقة الدلّ ، كلّ قلب في عشيرتها به الذى بأبي الطيب من حبها ، فما بال حبها في قلبه ثابت لا ينتقل ، ومقيم لا يرتحل ؟ يريد : أن حبّ أهلها لها ، لبداعة حسنها غير حبه لها ، وأن حبهم يتغير وينتقل ، وحبه لا يتغير ولا ينتقل ، بل هو ثابت .

٣ — المعنى — يقول : هي بديعة في الحسن ، وأنّ ألحاظها مطاعة في الألحاظ المعشوقة ، وأنها =

تَشَبَّهُ الْخَفِرَاتُ الْآنِسَاتُ بِهَا فِي مَشْيِهَا فَيَنَلْنَ الْحُسْنَ بِالْحِيَلِ (١)
قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتَهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلِ (٢)
وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابُ الرُّوحَ فِي بَدَنِي وَقَدْ أَرَانِي الْمَشِيبُ الرُّوحَ فِي بَدَلِي (٣)

= في الحسان مالكة لا تماثل، ومقدّمة لا تشاكل، وأن لمقلتيها عظيم الملك، ورفيع المنزلة والقدر، إذا نظر إنسان إليها فتنته، حتى يصير مطيعا لها، وهي تملك بحسنها كلّ القلوب .

قال ابن فورجة : إن العيون إذا نظرت إليها لم تملك صرف ألحاظها عنها ، لأنها تصير عقلة لها ، فكأنّ عينيها مالكة العيون ، وهو معنى قول أبي نواس :

كُلَّ يَوْمٍ يَسْتَرِقُ لَهَا حُسْنُهَا عَبْداً بِلَا ثَمَنِ

١ — الغريب — الخفرات : النساء الحييات ، الواحدة : خفرة . والآنسات : الحسان . الواحدة : آنسة .

المعنى — إذا كان في حسن امرأة تقصير ، تشبهت بها في مشيها ، فيجبر حسن المشى تقصير الحسن ، حتى تكون قد نالت الحسن بالحيلة ، وهذا قول أبي الفتح ، ونقله الواحدى .

والمعنى أنّ النساء الحييات يتشبهن بها في مشيتها ، ويرين حكايتها في دلها ، فيكسبهنّ ذلك نيل الحسن بالتحيل ، والوصول اليه بالتعمل .

٢ — الغريب — الصاب : شجر مرّ يعصر منه ماء مرّ . قال أبو ذؤيب :

إِنِّي أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُشْتَجِرًا كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ

المعنى — يقول : قد ذقت صعوبة أيامي وسهولتها ورفاهيتها ، فما حصلت على صاب من مرّها ، ولا على عسل من حلوها ، لأنّ لذات الأيام ومكارهها منتقلة فانية ، ومستحيلة زائلة ؛ تتعاقب ولا تدوم ، وتنتقل ولا تقيم ، وما كان كذلك فليس تقطع على استكراه مرّه ، ولا تحتم على استعذاب حلوه ، وهو منقول من قول البحترى :

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَرَ خَفْضَهَا نَعِيمًا ، وَلَمْ يَعْدُدْ مَضَرَّتَهَا بَلْوَى

٣ — المعنى — قال أبو الفتح : قد ذهب قوم إلى أنّ المعنى أنه كان شابا ، فلما ذهب الشباب رآه في غيره من الناس ، ونقله الواحدى ، وقال هو كقول الآخر :

مَنْ شَابَ قَدْ مَاتَ وَهْوَ حَيٌّ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَشْيَ هَالِكْ

وقال ابن فورجة: أحسن ما يحمل عليه البدل في هذا البيت الولد ، لأنه بدل الإنسان ، إذ كان يشبّ أوان شيخوخة الأب ، و إذا مات ورثه ، فيكون بدله في ماله .

والمعنى يقول: قد صحبت الشباب مسرورا ، وأرانى الروح يد القوّة والجلادة ، والنهضة في =

وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًا ... بِصَاحِبٍ غَيْرِ عِزْهَاةٍ وَلا غَـــزِلِ [1]
فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِيـــــنا نُدَفِّعُهُ ... وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشَّكْوَى وَلا الْقُبَلِ [2]
ثُمَّ اغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثَرٌ ... عَلَى ذُؤَابَتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْخِـــلَلِ [3]
لاأَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلاَّ مِنْ مَضَارِبِهِ ... أَوْ مِنْ سِنَانِ أَصَمِّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلِ [4]

= بدنى ، ثم صحبت المشيب مستكرها لصحبته ، فأرانى الروح فى بدلى بتغير أحوالى، وعجزى عن النهوض ، والقيام بسرعة ، كما كنت أيام الشباب ، وصرت أستعين بغيرى، يساعدنى على أحوالى، وكأنى بهذا قد أرانى الروح فى بدلى . يريد : القوة والنشاط ، والذى كنت أفعله وحدى صرت أحتاج فيه إلى مساعد . وتلخيص المعنى أن حقيقة أمور الإنسان أيام شبابه ، ثم تتبدل بالانتقال إلى مشيبه وكبره .

١ — الغريب — رجل عزهاة وعزهاءة وعزهى منون . والجمع : عزاهى ، مثل : سعلاة وسعالى. وعزهون : وهو الذى لايطرب للهو ، و يبعدعنه . والغزل : الذى يهوى محادثة النساء ، وهو صاحب غزل ، وقد غزل غزلا . وفى المثل «هو أغزل من امرئ القيس» .

المعنى — يريد : أنه أتى حبيبته ليلا مرتديا بسيفه ، جعله موضع الرداء ، والسيف لايوصف بهذين الوصفين ، فيريد أنه صاحب لا يطرب للسماع ، ولا يحن للهو .

٢ — الغريب — الترقوة : العظم الذى بين المنكب ، و بين ثغرة النحر . وجمعه : تراق . قال الله تعالى : «حتى إذا بلغت التراقى» . والقبل : جمع قبلة .

المعنى — يقول : بات السيف بين تراقينا ونحن متعانقان ، ولا علم له بما يجرى بيننا من شكوى الفراق ، ولا غير ذلك مما يجرى بين المحبين إذاهما تعانقا ، و يشير بهذا إلى ما كان عليه من الحذر والمخافة ، وأنه لم يخلع السيف حين عانق محبوبه ، وأنهما كانا يدفعانه عنهما .

٣ — الغريب — الردع : أثر الطيب ، و به ردع من زعفران أودم ، أى لطخ وأثر ، وردعته بالشيء فارتدع ، أى لطخته به فتلطخ . ومنه قول ابن مقبل :

يَخْدِي بِهَا بَازِلٌ فُتْلٌ مَرَافِقُهُ ... يَجْرِي بِدِيبَاجَتَيْهِ الرَّشْحُ مُرْتَدِعُ

والخلل . واحدها : خلة بالكسر : جلود منقوشة بالذهب وغيره ، يغشى بها أغماد السيوف ، وجفن السيف : غمده . وذؤابة السيف : رأس قائمه .

المعنى — يقول : يرجع السيف ، و به أثر من طيبها ، ظاهر على قائمه وجفنه وخلله .

والمعنى : أنه لصق بهذه المحبوبة حتى لصق الطيب الذى طيبت به .

٤ — الإعراب — الرواية التى قرأناها بها الديوان باضافة «سنان» إلى «أصم» بغير تنوين .

جادَ الْأَمِــــيرُ بِهِ لِى فى مَوَاهِبِهِ فَزَانَها وَكَسانِى الدِّرْعَ فى الْحُلَلِ (١)

وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ مَعْرِفَتِي بِحَمْلِهِ مَنْ كَعَبْدِ اللهِ أَوْ كَعَلِي (٢)

مُعْطِى الكَوَاعِبِ والْجُرْدِ السَّلاهِبِ والْـــبِيضِ الْقَوَاضِبِ وَالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ (٣)

ضاقَ الزَّمانُ وَوَجْهُ الأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ مِلْءِ الزَّمانِ وَمِلْءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٤)

ورواه جماعة «سنان» بالتنوين ، والأجود الإضافة ، وإذا نوّن يكون المعنى : ومن سنان أصمّ كعبه، والكعب : للرمح ، لا للسنان ، وإذا جوّزناه على الاستعارة ، كان للرمح أشبه (وأيضا) فإن فى السنان نونين ، وإذا نوّن صار فيه ثلاث نونات ، وثلاث حروف بمعنى فى كلمة ثقيل .

الغريب — كعوب الرمح : العقد الناشزة من أنابيبه . والأصمّ الكعب : هو الذى تتصلب تلك الكعوب منه ، وتكتنز وتتداخل ولا تنتشز ، وبذلك يعتدل .

المعنى — كأنه قال ملغزا فى السيف ، ثم أبان مراده ، فقال : لا أكسب جميل الذكر إلا من مضرب هذا السيف الذى وصفه ، ومن سنان هذا الرمح الذى وصفه . والمعنى أنه لا يكتسب المجد إلا بإقدامه وبأسه .

١ — المعنى — أعطانى الأمير هذا السيف فى جملة ما وهبه لى ، فزان بحسنه ما وهب لى ، وكسانى فى جملة ما أعطانى من الثياب الدرع . يعنى أنه وهبه سيفا ودرعا فى جملة ما وهبه له .

٢ — المعنى — يقول : من على، وهو سيف الدولة بن عبد الله معرفتى بحمل الرمح والطعن به ، لأنى لما صحبته احتذيت حذوه فى الحرب ، وامتثلت أفعاله فى الطعن والضرب ، ثم قال : ومن مثل سيف الدولة وأبيه ، فى شدّة بأسهما ، وشهرة مجدهما ؟ يريد : لا مثل لهما .

٣ — الغريب — الكواعب : من النساء : التى نبت ثديهنّ . والجرد من الخيل : التى يقصر شعر جلودها ، وذلك من شواهد كرمها ، والسلاهب منها : الطوال . والقواضب من السيوف : القواطع الماضية . والعسالة من الرمح : المنعطفة عند هزها المضطربة . والذبل : اليابسة منها .

المعنى — يريد أنه يعطى سائله الجوارى الشواب ، والخيل الطوال ، والسيوف القواطع ، والرماح اللينة .

والمعنى : أنه يعطى الجوارى المصيبات بحسنهنّ ، والجرد المعجبات بعتقهنّ ، وقواضب السيوف وطوال الرماح ، وقد أشار بوصفه بالإكثار من هذه الأوصاف إلى أنه يستصحب كماة الفرسان ، وأعلام الشجعان ، فيعتمدهم فى هباته بما يوافقهم ، ويعضدهم بما يشاكلهم .

٤ — المعنى — يريد : أن الممدوح لغرابة أفعاله ، وانفراده بالفضل فى جميع أحواله ، وما يتابعه من كثرة وقائعه ، ويخلده من جليل مكارمه ، وظفره فى جميع مقاصده ، يحمل الزمان من ذلك مالا يطيقه ، ويكلفه مالا يعهده ، فيضيق عن فخامة قدره ، ويقصر عن جلالة مجده ، وكذلك =

فَنَحْنُ فِى جَذَلٍ وَالرُّومُ فِى وَجَلٍ ۝ وَالْبَرُّ فِى شُغُلٍ وَالْبَحْرُ فِى خَجَلِ (١)
مِنْ تَغْلِبَ الْغَالِبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ ۝ وَمِنْ عَدِىٍّ أَعَادِى الْجُبْنِ وَالْبَخَلِ (٢)
وَالْمَدْحُ لِابْنِ أَبِى الْهَيْجَاءِ تُنْجِدُهُ ۝ بِالْجَاهِلِيَّةِ عَــيْنُ الْغَىِّ وَالْخَطَلِ (٣)
لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوْفِى مَنَاقِبَهُ ۝ فَمَا كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأُوَلِ؟ (٤)

تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه ، و يسير فيها من جموعه ، فقد ملأ الزمان بمكارمه ومجده ، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه .

١ — الغريب — الجذل : الفرح بالتحريك . وجذل بالكسر يجذل ، فهو جذلان ، وأجذله غيره ، أى أفرحه . واجتذل : ابتهج . والوجل : الخوف .

المعنى — يقول: نحن من الاعتزاز به والنصر ، فى فرح دائم ، والروم من التوقع له فى خوف لازم ، والبرّ فى شغل لتضايقه بجيشه ، والبحر فى خجل لتقصيره عن جوده .

٢ — الغريب — تغلب : هم قوم الممدوح ، وكذلك عدى : قبيلة معروفة . والبخل والبخل : لغتان فصيحتان ، وقرأ حمزة والكسائى (بفتح الباء والخاء) شاهد هذا البيت .

المعنى — يقول سيف الدولة : أصله من هــذه القبيلة التى غلبت الناس بعزّها ، والانقياد فى الجاهلية والاسلام لأمرها ، ومع أنه منها هو من بنى عدى أطواد فخرها ، ومعدن مجدها ؛ وقد أحسن فى هذا البيت بالمجانسة . والمعنى : أنهم غلبوا الناس نجدة وشجاعة وجودا .

٣ — الغريب — ابن أبى الهيجاء . كنية سيف الدولة ، وأبو الهيجاء : هو عبد الله المتقدّم . والغىّ : ضدّ الصواب والرشد ، وأراد به ههنا فساد الكلام . والخطل : المنطق الفاسد المضطرب . وخطل (بالكسر) فى كلامه خطلا . وأخطل : أفحش .

الإعراب — تنجده : فى موضع الحال .

المعنى — أنه يخاطب نفسه يقول: المدح لهذا الممدوح تنجده وتعينه بأخبار الجاهلية ، وما سلف له من كريم الأوّلية ، غىّ بين ، وخطل ظاهر ، لأنه غنىّ عن الشرف بغيره ، وحائز لغاية ما يبلغه المدح بنفسه ، والكرماء بجملتهم يقصرون عن أقلّ مكارمه ، ولا يبلغون أيسر فضيلته ، وهذا تعريض بأبى العباس النامى ، لأنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا فى الجاهلية ، فردّ عليه بقوله هذا ، وأكده بقوله : [البيت الذى بعده] .

٤ — الإعراب — أدخل ما على من يعقل ، لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار بشأنه .

الغريب — كليب : هو ابن ربيعة رئيس بنى تغلب ، وسيدهم فى الجاهلية ، وكانت العرب تضرب به المثل فى العزّ ، فيقولون : أعزّ من كليب بن وائل .

المعنى — يقول : ليت ما مدح به من الشعر يستوفى بعض مناقبه ، و يأتى على ذكر مكارمه ،

خُذْ ما تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ ... فى طَلْعَةِ الشَّمْسِ ما يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ (١)
وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ ... فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَاناً قَائِلاً فَقُلِ (٢)
إِنَّ الْهُمَامَ الَّذِى فَخْرُ الْأَنَامِ بِهِ ... خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَّىْ خَيْرَةِ الدُّوَلِ (٣)
تُمْسِى الْأَمَانِىُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ ... فَمَا يَقُولُ لِشَىْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِى (٤)

= فما كليب وسائر الملوك الأولين عند ماخلده من الفخر، وأبقاه من المكارم على وجه الدهر .

١ — المعنى — يخاطب نفسه ويقول : أمدحه بما تشاهده من فضله، وتراه من مجده، ودع عنك شيئا سمعت به ولم تشهده، وأخبرت عنه ولم تبصره، ففضل سيف الدولة على الملوك كفضل الشمس على سائر النجوم، وفيه ما يغنى عنهم، وهو أكرم منهم، كما أنّ الشمس تغنى عن زحل . وهذا من قول الحكيم: العيان شاهد لنفسه، والإخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان، فأولى ما أخذ ما كان دليلا على نفسه .

والمعنى : فيما قرب منك عوض عما بعد عنك، لا سيما إذا كان القرب أفضل من البعد .

٢ — المعنى — يقول : قد وجدت فى الممدوح وما يبديه من فضله، و يتتابع من مجده مكانا للقول، ومجالا واسعا للوصف، فإن كنت ذا لسان قائل، فحسبك وصف فضائله، وذكر ما خلده من مكارمه، ونسب القول إلى اللسان، لأن القول به يكون كما جاء فى الحديث: «يداك أوكتا وفوك نفخ»، فنسب الفعل إلى الجوارح لأنها آلات له .

٣ — الغريب — الهمام : هو الشجاع ذو الهمة العالية، وخيرة تأنيث خير . قال الله تعالى : «فيهنّ خيرات حسان» . الواحدة : خيرة . والدول : جمع دولة .

المعنى — يقول : انّ هذا الهمام الذى يفخر به الفاخرون، و يلهج بذكره الذاكرون، خير السيوف المسلولة، بكفّ خيرة الدول المعلومة، يعنى دولة الخلافة، لأنها رأس الإسلام وعموده، وذروة سنامه .

٤ — الغريب — الأمانى : جمع أمنية .

المعنى — يقول : لاتصل الأمانى إلى قلبه فتستميله، ولا إلى لسانه فتجرى عليه، لأنه لايحتاج أن يتمنى شيئا، فلا يرى نفيسا إلا وله خير منه، أوصار له ذلك الشيء، فالأمانى تقصر عن بلوغ قدره، وتصغر عند جلالة أمره، وتمسى صرعى دون إدراك مجده، فما يتمنى فى الرفعة أكثر مما قد بلغه، ولايحاول فى الفضل مايزيد على مايفعله . وقد فسر بهذا البيت ماأغلقه البحترى بقوله:

وَمُظَفَّرٌ بِالْمَجْدِ إِدْرَاكَاتُهُ ... فى الحَظِّ زَائِدَةٌ عَلَى أَوْطَارِهِ =

أُنْظُرْ إِذَا اجْتَمَعَ السَّيْفانِ فى رَهَجٍ ... إِلَى اخْتِلافِهِما فى الْخَلْقِ وَالْعَمَلِ (١)

هٰذَا المُعَدُّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُنْصَلِتاً ... أَعَدَّ هٰذَا لِرَأْسِ الفارِسِ الْبَطَلِ (٢)

فالعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكُدْرِىِّ طائِرَةٌ ... وَالرُّومُ طائِرَةٌ مِنْــــهُ مَعَ الْحَجَلِ (٣)

= وهو ضدّ قول عنترة :

أَلاَ قاتَلَ اللهُ الطُّلُولَ الْبَوَالِيا ... وَقاتَلَ ذِكْرَاكَ السِّنِينَ الْخَوَالِيا !

وَقَوْلَكَ لِلشَّىْءِ الَّذِى لاَ تَنَالُهُ ... إِذَا مَاحَلاَ فى الْعَيْنِ يَا لَيْتَ ذَالِيا !

١ — الغريب — السيفان . يريد : سيف الدولة ، وسيف الحديد . والرهج : الغبار . وأرهج الغبار : أثاره . والرهوجة : ضرب من السير . قال العجاج :

* مَيَّاحَةٌ تَمِيحُ مَشْيًا رَهْوَجا *

المعنى — يقول : إذا اجتمعا فى رهج حرب ، ومساجلة جلاد وضرب ، فانظر إلى تقصير السيف عن فعله ، وتأخره عما يقبين من فضله ، ومخالفته له فى خلقه وفعله ، وزيادته عليه فى غنائه وآثاره ، لأن السيوف فى الحقيقة لاتعمل شيئا ، إنما يعمل الضارب بها ، و بنو آدم لايشبهون بالسيوف فى الخلق . ثم بين الفضل بينهما .

٢ — الإعراب — منصلتا : حال من سيف الحديد ، والعامل فيه «أعد» ، تقديره : أعده سيف الدولة منصلتا ، ويجوز أن يكون حالا من سيف الدولة ، وهو أوجه .

الغريب — المنصلت : المتجرد ، وقيل الماضى . وجرد السيف من غمده وأصلته : بمعنى . وضربه بالسيف صلتا ، أى ضربه وهو مصلت .

المعنى — يقول : سيف الدولة : معدّ لريب الدهر ، منصلت على خطوبه ، متجرّد لكفّ صروفه ، قد أعدّ السيف المغمود لرأس البطل ، يضربه به ، ويصرفه ويمضيه عليه ، ويستعمله ، ويتخذه آلة يدبرها ، ويبطش على حسب إرادته بها ، فأبان أن السيف وإن وافقه فى الاسم ، فهو مقصر عنه فى حقيقة الحكم .

٣ — الغريب — الكدرى : جنس من القطا ، وهو على ثلاثة أضرب : كدرى ، وجونى ، وغطاط . فالكدرى : الغبر الألوان ، الرقش الظهور والبطون ، الصفر الحلوق ، القصار الأذناب ، وهو ألطف من الجونى . والجونى : سود البطون ، سود الأجنحة والقوادم ، قصار الأذناب . والغطاط : غبر الظهور والبطون والأبدان ، سود بطون الأجنحة ، طوال الأرجل والأعناق ، لطاف لاتجتمع أسرابا ، أكثر ما تكون ثلاثا واثنين . والحجل : القبج . واحدها : حجلة ، تكون فى الجبال . =

وَما الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْبالِ مِنْ أَسَدٍ　　تَمْشِي النَّعامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الْوَعِلِ [١]

جازَ الدُّرُوبَ إِلَى ما خَلْفَ خَرْشَنَةٍ　　وَزَالَ عَنْها وَذَاكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلِ [٢]

فَكُلَّما حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِنْدَهُمُ　　فَإِنَّما حَلَمَتْ بِالسَّبْيِ وَالْجَمَلِ [٣]

= المعنى — إن القطا من طير السهل ، والقبج من طير الجبل .

فالمعنى : أن العرب بلادها المفاوز ، والروم بلادها الجبال . يقول : إنّ أعداءه يعتصمون منه بما غمض من الرمال ، و بعد من المهامه والقفار ، وهناك يستقرّ القطا ، و يأمن و يسكن ، كذلك الروم تعتصم منه بالأوعار ، وقنن الجبال ، وتلك مواضع الحجل ومساكنها ، وأشار بذلك إلى مستقرّ الطائفتين .

١ — الغريب — الأجبال : جمع جبل . والمعقل : المكان المنيع الذى لايقدر عليه . والوعول تيوس الجبل . الواحد : وعل .

المعنى — يقول : وكيف ينجى الفرار إلى الأجبال من أسد ، و يروى من ملك ، أى من أسد شديد بأسه ، أوملك نافذ أمره ، تسهل سعادته للنعام التوقل فى معاقل الأوعال ، حتى كأنها رمال مبسوطة ، وسهول موصولة ، فدلّ على أنّ سيف الدولة فى قوّة سعده ، وتمكن أمره ، لايفوته من طلبه ، ولا يمنع عليه من قصده .

وقال ابن القطاع : شبه سيف الدولة بالأسد ، وخيله بالنعام . والجبال : موقع الأوعال . يريد : أن خيله تصعد إلى أعالى الجبال ، شبهها بها فى سرعة العدو ، وطول السباق ، وفى هذا إغراب لايوجد مثله .

وقال أبو الفتح : تمسى النعام بالسين المهملة . وقال : قدأخرج النعام من البرّ إلى الاعتصام برءوس الجبال ، والنعام تكون فى السهولة ، والأوعال فى الجبال ، فلا يجتمعان لتضادّ موضعهما. وقال ابن فورجة : يعنى بالنعام خيله العراب ، لأنهامن نتائج البدو ، وقد صارت تمشى بسيف الدولة فى الجبال ، لطلب الروم وقتالهم ، واستنزال من اعتصم بالجبال منهم .

٢ — الغريب — الدروب : المسالك التى تكون فى الجبل ، الحاجزة بين بلاد الروم و بلاد المسلمين . وخرشنة : مدينة من مدن الروم . والروع : الخوف والفزع .

المعنى — يريد : أنه تغلغل فى بلاد الروم حتى خلف خرشنة وراءه ، وفارقها بالانصراف عنها ، والروع الذى بأهلها لم يفارقهم ، لأنهم كانوا يحذرون سطوته ، ولا يأمنون كرّته .

٣ — الغريب — الحلم (بالضمّ) مايراه النائم . تقول : منه حلم (بالفتح) واحتلم ، وتقول : حلمت بكذا ، وحلمته أيضا . قال الأخطل :

فَحَلَمْتُها وَبَنُو رُفَيْدَةَ دُونَها　　لاَ يَبْعُدَنَّ خَيالُها الْمَحْلُومُ =

إنْ كُنْتَ تَرْضَى بأَنْ يُعْطُوا الْجِزَى بَذَلُوا ... مِنْها رِضاكَ وَمَنْ لِلْعُوْرِ بِالْحَوَلِ (١)

نادَيْتُ مَجْدَكَ فى شِعْرِى وَقَدْ صَدَرَا ... يا غَيْرَ مُنْتَحَلٍ فى غَـيْرِ مُنْتَحَلِ (٢)

بالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَقْوامٌ نُحِبُّهُمُ ... فَطالِعاهُمْ وَكُونا أَبْلَغَ الرُّسُلِ (٣)

= والحلم (بالكسر) : الأناة . تقول : منه حلم الرجل (بالضم) ، وتحلم : تكلف الحلم . قال حاتم الطائى :

تَحَلَّمْ عَنِ الْأَدْنَيْنَ وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمْ ... وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا

وحلم الأديم (بالكسر) ، قال الوليد بن عقبة بن أبى معيط :

فَإِنَّكَ وَالْكِتابَ إِلَى عَلِيٍّ ... كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

والعذراء : الجارية البكر الشابة .

المعنى — يريد : أن الذى استكن فى قلوبهم من الخوف ، لايفارقهم فى حال اليقظ والنوم ، فكلماحلمت عذراء من خرائدهم ، ومحجوبة من كرائمهم ، فإنما تحلم بالسبى الذى تحذ وقوعه ، والجمل الذى تتوقع ركوبه ، والجمال إنما يحمل عليها العرب ، ولا تعرفها الروم ، فأشا بذلك إلى أن كثرة ما اجتلبه سيف الدولة على الجمال من سبيهم ، ذعرت محجبات نسائهم فاشتغلت بذلك نفوسهن . ومثله لهن أحلامهن ، وهذا إشارة إلى مالحقهن من الخوف ، وكثر استماعهن لذلك .

١ — الغريب — الجزى : جمع جزية ، كسدرة وسدر ، وهومايعطيه أهل الذمة ليدفعوا به عن أنفسهم ، ويحفظوا به دماءهم . قال تعالى : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

المعنى — يخاطب سيف الدولة ويقول : إن كنت ترضى من الروم بجزيتهم ، وتقبل مايبذلون لك من طاعتهم ، بادروا فى ذلك إلى أمرك ، واحتملوا على رأيك ، وأنى لهم بهذه الحظوة ، والبلوغ إلى تلك الرتبة ، مع ماأحاط بهم من القتل ، واتصل بهم من السبى ؟ وذلك غاية أمانيهم ، كالأعور يتمنى الحول ، لأنه خير من العور ، والجزية خير لهم من القتل .

٢ — الغريب — الانتحال : الادعاء . والمنتحل من المجد والشعر : ما ادعى على غير حقيقة

المعنى — يقول : قلت لمجدك وشعرى ، وقد صدرا عنى وعنك ، وسارا فى الآفاق : أنتما صادقان ، لادعوى عندكما .

والمعنى : ماخلدته فى شعرى من مجدك ، وقيدت ذكره فى مدحك ، قد تيقنت أنهما يسيران مسير الشمس ، ويبقيان بقاء الدهر ، وذكر تمام المعنى فى البيت الثانى .

٣ — المعنى — يقول لمجده ولشعره : أنتما سائران شرقا وغربا ، فتحملا رسالتى إلى من أحببت مشاركته فى حالنا ، ومطالعته بجملة أمرنا ، وكونا أكرم المرسلين . ثم قال : [البيت بعده] .

وَعَرَّفاهُمْ بِأَنِّى فى مَكارِمِــــهِ   أُقَلِّبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ (١)
يٰأَيُّها الْمُحْسِنُ الْمَشْــكُورُ مِنْ جِهَتِى   وَالشُّــكْرُ مِنْ قِبَلِ الْإِحْسانِ لا قِبَلِى (٢)
ما كانَ نَوْمِىَ إِلاَّ فَوْقَ مَعْرِفَتِى   بِأَنَّ رَأْيَكَ لا يُؤْتَى مِنَ الزَّلَلِ (٣)
أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ   زِدْ هَشِّ بَشِّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ (٤)

---

١ — الغريب — الخول : جمع خائل ، وهو الخادم ، من قولهم : رجل خال مال ، وخائل مال : إذا كان حسن القيام عليه . وخولى مال (أيضا) . وخلت المال أخوله : إذا حفظته . وخوّله الله الشيء : إذا ملكه إياه .

المعنى — يقول : عرّفاهم أنى متقلب فى إنعام سيف الدولة ، مغمور بمكارمه ، متصرّف فى فواضله ، أقلب الطرف بين الخيل المسوّمة ، والحاشية المكرمة المنعمة . وهومنقول من قول الآخر :

وَقَدْ سارَ شِعْرِى فِيكَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا   كَجُودِكَ لَمَّا سارَ فى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

٢ — المعنى — يقول : يأيها المحسن بطبعه ، المشكور من جهتى بما حملنى من فضله ، فالشكر من قبل إحسانه ورفده ، لا من قبلى فيما أهديه من مدحه . كأنه ينفى المنة عنه بشكره .

٣ — المعنى — قال الواحدى : روى ابن جنى « إلا بعد معرفتى » ، وقال : ما لحقنى السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسى إلى فضلك وحلمك .

وقال ابن فورجة : أقام النوم مقام السهو والغفلة . يقول : ما نمت عما وجب علىّ من صيانة مدحك عن خلطه بالعتاب ، إلا لثقتى باحتمالك ، وسكونى إلى جزالة رأيك . قال : هذا كلامه ، وكلاهما قد بعد عن الصواب .

والمعنى : إنما أخذنى النوم مع عتبك لثقتى بحلمك ، ولزوم التوفيق لرأيك ، وعلمى أنك لا تعجل علىّ ، ولا ترهقنى عقوبة ، وأراد النوم الحقيقى لا السهو والتفريط كما ذكره ، ألا ترى أنه قال : إلا فوق معرفتى ، فجعل المعرفة بمنزلة الحشية التى ينام فوقها . وقوله « لا يؤتى من الزلل » ، أى أنت موفق فى كلّ ما تفعله ، لا تأتى الزلل .

والمعنى : إلا فوق ما كنت أتيقنه من معرفتى ، بأن رأيك لا يستنزله الساعون ببغيهم ، ولا يحلونه بكذبهم ، وكنى بالنوم عن سكون نفسه ، وبتمهيده بمعرفة رأى سيف الدولة عن حسن ظنه .

٤ — الغريب — أمره بأربعة عشر أمرا فى بيت واحد . «أقل» : من الإقالة . وأقلته من عثرته ، وأقلته من البيع عند الندم فيه . «أنل» : من الإنالة . نلته وأنلته . «أقطع» : من الإقطاع . أقطعته أرض كذا . «احمل» : من قولهم : حملته على فرس . ومنه حديث عمر بن الخطاب « حملت على فرس فى سبيل الله تعالى » . وقوله « علّ » من العلوّ والرفعة . « وسلّ » : من السلوّ . «وأعد» : من الإعادة . «وزد» : من الزيادة . «وهش» من قوله : هششت إلى كذا ، وهو التهلل =

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَـــوَاقِبُهُ ... فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ (١)

= نحو الشيء . « وبش » : من البشاشة ، وهي الطلاقة ، بششت بالرجل أبش . «تفضل» : من الإفضال . « أدن » : من الدنوّ . « سرّ » : من السرور . « صل » : من الصلة ، وهي العطية .

المعنى — يقول : أقل من استنهضك من عثرته ، وأنل من استعان بفضلك على قلته وفقره، وأقطع الضياع من أملك وقصدك ، واحل على سوابق الخيل من استحملك ، وعلّ قدر من اعتلق بك ، وسلّ عن كلّ ذى همّ همه ، بما تجدّده من برّك ، وتسبغه من فضلك ، وأعد ذلك وأدمه وجدّده ، وزد فى غدك على ما تفضلت به فى يومك ، وهش ورحب بمن قصدك ، وأظهر البشاشة لمن اعتمدك ، ودم على ما عهد من تفضلك ، وأدن الوافد عليك ، وسرّه بمتابعة إحسانك، وصل الجميع بتطوّلك وإنعامك . فوقع سيف الدولة تحت أقل: أقلناك ، وتحت أنل: يحمل إليك من الدراهم ما تحبّ ، وتحت أقطع: أقطعناك ضيعة كذا بباب حلب ، وتحت احل: نحمل إليك الفرس الفلانية ، وتحت علّ: قد فعلنا، وتحت سلّ: قد فعلنا فاسل، وتحت أعد: أعدناك إلى حالك ، وتحت زد: يزاد كذا وكذا ، وتحت تفضل: قد فعلنا، وتحت أدن: أدنيناك، وتحت سرّ: قد سررناك. قال أبو الفتح : قال أبو الطيب : إنما أردت من التسرية . فأمر له بجارية ، وتحت صل : قد فعلنا . وكان بحضرة سيف الدولة شيخ يضحك منه ، يقال له « العقلى » ، حسد المتنبي على ما أعطاه سيف الدولة ، فقال : يامولاى ، هلا قلت له لما قال هش بش: هئ هئ، تحكى الضحك ، لأنك قد وقعت له بما أراد ، فهلا ضحكت؟ فضحك سيف الدولة منه ، وقال: اذهب يا ملعون . وقد حذا فى هذا حذو أبى العميثل بقوله :

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ خِلَالُهُ ... كَخِلَالِ عَبْدِ اللهِ أَنْصِتْ وَاسْمَعِ

أُصْدُقْ وعِفَّ وَبَرَّ وَانْصُرْ وَاحْتَمِلِ ... وَاحْلُمْ وَكَافِ وَدَارِ وَاصْبِرِ وَاشْجَعِ

ويروى : وابذل واشجع . والأصل فيه قول امرئ القيس :

أَفَادَ وَجَادَ وَسَـــادَ وَزَادَ ... وَذَادَ وَقَادَ وَعَادَ وَأَفْضَـــلْ

١ — المعنى — يقول : لعلّ ما أحدثه الواشون من عتبك ، وأوجبوه من موجدتك ، محمود العاقبة ، مشكور الخاتمة ، يفضى إلى السعادة بحسن رأيك ، وتعقب الخصوم بكرم اختصاصك ، فربّ علة انقادت بعد شدّة ، وكانت سبب السلامة والصحة ، وهذا من كلام الحكيم : قد يفسد العضو لصلاح الأعضاء ، كالكىّ والفصد اللذين يفسدان الأعضاء لصلاح غيرها . وقد نقله من قول الآخر :

لَعَلَّ عَتْبًا يُفِيدُ حُبًّا ... فَالشَّرُّ لِلْخَيْرِ قَدْ يَجُرُّ

وقريب منه قول ابن الرومى : =

وَلا سَمِعْتُ وَلا غَـــيْرِى بِمُقْتَدِرٍ أَذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ القَوْلِ عَنْ رَجُلِ (١)

لِأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَـــكَلَّفُهُ لَيْسَ التَّـكَحُّلُ فى الْعَيْنَيْنِ كالْـكَحَلِ (٢)

وَما ثَناكَ كَلامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ العارِضِ الْهَطِلِ (٣)

أَنْتَ الجَوادُ بِلا مَنٍّ وَلا كَذِبٍ وَلا مِطالٍ وَلا وَعْدٍ وَلا مَذَلِ (٤)

= أَحْمَدِ اللّهَ إِذْ رُزِقْتَ هِجاءً هُوَ بَعْدَ الْخُمُولِ نَوَّهَ بِاسْمِكْ

قَدْ تَذَكَّرْتُ مُوبِقاتِ ذُنُوبِى فَرَجَوْتُ الْخَلاصَ مِنْها بِشَتْمِكْ .

١ — المعنى — يقول: لاسمعت ولاسمع غيرى بمالك مثلك ، ومقتدر قبلك بلغ مبلغك فى رفع الـكذب عن رجل يمتحن به ، وردّ السوء عن مطالب يحنق عليه ، ولايسمع فى تحريشه على من يحرش عليه . وقوله « عن رجل » . يعنى المغتاب ، ولم يقل عن إنسان ، ولا عن مغتاب، لأجل القافية، وجاء عذبا من أحسن الكلام . وقد بينه فيما بعد بقوله [البيت بعده]

٢ — الغريب — التـكحل : هو الاكتحال والتحسن للعين ، وهو مايتكلفه لها ، والـكحل: هو الذى يكون خلقة فى العين . رجل أكحل : بين الـكحل ، وهو الذى يعلو جفون عينيـه سواد مثل الـكحل ، من غير اكتحال ، وعين كحيلة ، وامرأة كحلاء .

المعنى — يريد : أن حلمه حلم طبع عليه، فهو لا يتكلفه، كالـكحل الذى يكون فى العين من غير تـكلف، فقد طبعت عليه، فما تتكلفه، وخصصت به، فما تتـكسبه، وحسن الـكحل غير حسن التـكحل ، وحلم الطبع غير حلم التـكلف . وهذا من قول الحـكيم : مباينة المتـكلف المطبوع ، كمباينة الحق الباطل .

٣ — الغريب — ثناه : ردّه وصرفه . والعارض : السحاب . قال الله تعالى : « قالوا هذا عارض ممطرنا » . والهطل الـكثير : المطر .

المعنى — يقول : لايصرفك كلام الناس فى إفساد مابيننا ، كما لايقدرون أن يصرفوك عن الـكرم ، ومن يقدر على هذا إلا كمن يقدر أن يردّ صوب السحاب المطر ، فالذى يصرفك عن جودك ، كالذى يردّ السحاب ، لأن جودك أغزر من فيض السحاب .

٤ — الغريب — المذل : الفترة والضجر . ومذلت أمذل (بالضم) مذلا ، أى قلقت . وأصله من إفشاء السرّ ، وهو أن لايقدر على ضبط ماعنده ، لقلقه به من مال أوسرّ . قال الأسود بن يعفر :

وَلَقَدْ أَرُوحُ عَلَى التجار مُرَجَّلاً مَـــذِلاً بِمَالِى لَيِّناً أَجْيادِى

المعنى — يقول : أنت جواد بلا منّ ينقص جودك ، ولا كذب يعارض فضلك ، ولا مطل ينازع بذلك ، ولا عدة ولا تأخير ، ولا فترة وضجر .
=

أَنْتَ الشُّجاعُ إذا ما لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ   غَـــيْرَ السَّنَوَّرِ وَالْأَشْلاءِ وَالْقُلَلِ (١)

وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنا بَعْضًا مُقارَعَةً   كَأَنَّهُ مِنْ نُفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلِ (٢)

لازِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَاداكَ عَنْ عُرُضٍ   بِعاجِلِ النَّصْرِ فِي مُسْتَأْخِرِ الْأَجَلِ (٣)

= والمعنى : أنه إذا كثر معروفه كتمه ، ولم يبح به ، لأن الأصل في المثل : الترويح بالسر فنفي ذلك عنه ، وهو من أحسن الكلام .

١ — الغريب — السنوّر : لبوس من قدّ كالدرع ، قال لبيد يرثى قتادة بن الجعد الحنفى :

وَجَاءُوا بِهِ فِي هَوْدَجٍ وَوَرَاءَهُ   كَتَائِبُ خُضْرٌ فِي نَسِيجِ السَّنَوَّرِ

والسنوّر واحد ، وليس هو جمعا ، وسميت به دروع الحديد . والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو من أعضاء اللحم . وفى الحديث : « ائتنى بشلوها الأيمن » . وأشلاء الإنسان : أعضاؤه بعد البلى والتفرّق ، و بنوفلان أشلاء فى بنى فلان ، أى بقايا فيهم . والقلل : جمع قلة ، وهى : أعلى الرأس ، من قلة الجبل .

المعنى — يقول : أنت الشجاع عند اشتداد القتال ، وتجالد الأبطال ، وسقوط القتلى عن خيولهم ، وانفصالهم عن سلاحهم ، والخيل لاتطأ حينئذ إلا أشلاءهم ورءوسهم ، وسلاحهم وأجسادهم ، فأنت شجاع هناك .

٢ — الإعراب — مقارعة : حال من القنا .

وقال الواحدى : هو مفعول ، وليس بمصدر ، والحال أجود .

٣ — الغريب — الجدل والجدال والمجادلة : هو ما يدفع به أحد المتجادلين حجة صاحبه ، وهو شدّة الخصومة . وجدل الرجل صاحبه : ألقاه بالجدالة ، وهى الأرض . ومنه قول الراجز :

قَدْ أَرْكَبُ الْآلَةَ بَعْدَ الْآلَهْ   وَأَتْرُكُ الْعاجِزَ بِالْجَـــدَالَهْ

المعنى — يريد : أنت الشجاع المعروف ، إذا ردّ بعض القنا بعضا ، بتخالف الطعان ، وتقارع الأقران ، حتى كأنه من شدّة تلك المعارضة ، واتصال تلك المقاومة ، فى جدل لايقلع ، وخصام لاينقطع .

٤ — الغريب — عرض : اعتراض . ونظرت إليه عن عرض وعرض ، مثل عسر وعسر ، أى من جانب وناحية ، وخرجوا يضربون الناس عن عرض ، أعنى : عن شق وناحية .

المعنى — يدعوله بالنصر ، ضاربا أعداءه ، كيفما وجدهم ، مقبلين ومدبرين ، بنصر عاجل ، فى أجل مستأخر .

والمعنى : لازلت تضرب أعداءك ، معترضا لهم ، مقدما عليهم ، مكنوفا بنصر ، معصوما بأجل يستأخرك ، وهذا من قول بعضهم ، وقد سئل فى أى شىء تحب أن تلقى عدوّك ؟ قال : فى أجل مستأخر .

ولما أنشد (أقل، أنل) رآهم يعدون ألفاظه، فقال وزاد فيه:

أَقِلْ ، أَنِلْ ، أَنْ ، صُنِ ، احْمِلْ ، عَلِّ ، سَلِّ ، أَعِدْ
زِدْ ، هَشَّ ، بَشَّ ، هَبِ ، اغْفِرْ ، أَدْنِ ، سُرَّ ، صِلِ(١)

فرآهم يستكثرون الحروف فقال :

عِشِ أَبْقَ أَسْمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ انْهَ رِ فِ أَسْرِ نَلْ
غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِ لِ اثْنِ نُلْ(٢)

---

١ — أن من الأون ، وهو الرفق .

٢ — الغريب — أمره فى هـذا البيت بأربعة وعشرين أمرا ، زاد على البيت الأوّل عشرة : عش : من العيش ، وابق:من البقاء ، واسم:من السموّ ، وسد:من السيادة ، وقد:من قود الخيل، وجد:من الجود، ومر:من الأمر ، وانه:من النهى ، ور: من الورى، وهو داء فى الجوف ، يقال: وراه الله ، وف،من الوفاء ، واسر،من سرى يسرى ، ونل،من النيل،وهو العطاء ، وغظ ، من الغيظ ، وارم، من الرمى، وصب،من صاب السهم الهدف يصيبه صيبا ، واحم، من الحماية ، واغز،من الغزو ، واسب،من السبى ، ورع، من الروع،وهو الإفزاع ، وزع،من وزعته : إذا كففته ، ود،من الدية، ول ، من الولاية ، وأن،من ثنيته ، ونل من نلته أنوله : إذا أعطيته . وروى ابن جنى : «بل» من الوابل . وهو أشدّ المطر . يقال : و بلت السماء فهى وابلة ، والأرض مو بولة ومأبولة

المعنى — يقول : عش فى نعمة سالمة ، حتى تفنى أعداءك ، وابق فى عزّ مؤبد ، حتى تحيى أولياءك ، واسم ، أى أعل على كلّ الملوك بالقهر والغلبة ، وسد أهل زمانك بالكرم والفضل والشجاعة ، وقد الجيش إلى أعدائك ، وجد بعطائك على أوليائك ، ومر مسموعا أمرك ، وانه غير مخالف نهيك ، ورأعداءك بظهورك عليهم ، أى أصب رئاتهم بإيجاعك لهم ، وف لأوليائك بإحسانك إليهم ، و بنعمك عليهم ، واسر إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم ، ونل ماتبغيه بسعدك ، و إقدامك وتأييدك ، لأنك مؤيد بالنصر ، وغظ بظهورك من يحسدك ، وارم ببأسك من يخالفك ، وصب من تعتمده برميك ، واحم ذمارك بهيبتك و ببأسك ، واسب بجيوشك حريم أعدائك ، ورع بمخافتك أمنهم ، وزع ، أى كفّ بوقائعك مسلطهم ، ود : احمل الديات متفضلا على تبعك وحشمك ، ول الأمصار مشكورا فى ولايتك ، واثن الأعداء عنها بحمايتك ، ونل عفاتك بجودك ، وأمطر عليهم سحائب فضلك ، وعلى الرواية الأخرى نوّلهم مايطلبون من عطائك الجزيل .

وَهٰذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُّ كُفِيتُهُ لِأَنِّى سَأَلْتُ ٱللّٰهَ فِيكَ وَقَدْ فَعَلْ(١)

وقال

وقد حضر مجلس سيف الدولة ، وبين يديه ترنج وطلع وهو يمتحن الفرسان فقال لابن شيخ المصيصة لا يتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب :

شَدِيدُ ٱلْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ ٱلشَّمُولِ تُرُنْجُ ٱلْهِنْدِ أَوْ طَلْعُ ٱلنَّخِيلِ(٢)

---

١ — المعنى — يقول : كلّ دعاء دعوته لك ، مضمون معهود معلوم ، ولو سكت عنه لكنت قد كفيت ، لأنى إنما أدعو الله بشىء قد فعله ، وأعمل الرغبة إليه فيما قدمكنه . وهذا البيت من الضرب الطويل ، والقافية من المتدارك ، وماجمع أحدقبله من الألفاظ ماجمع فى هذا البيت ، وجمع ديك الجنّ فى مصراع بيت أربع استفهامات فى قوله :

* أَنَّى وَلِمْ وَعَلَامَ ذَاكَ وَفِيمَا ؟ *

وقد قال البحترى أيضا :

بِمَهْ وَفِيمَ ٱلْجَفَاءُ مِنْــكَ بَدَا أَوْ مِمَّ أَوْ عَمَّ أَوْ عَلَامَ لِمَهْ ؟

٢ — هذه القطعة من الوافر ، والقافية من المتواتر .

الإعراب — شديد : خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : أنت شديد ، وترنج رفعه بالابتداء تقديره : بين يديك ، أو فى مجلسك ترنج .

الغريب — اللغة الفصيحة : أترج ، وأترجة : واحده . ومنه الحديث : «ومثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كالأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب» . وحكى أبو زيد ترنج وترنجة .

وقال ابن فورجة : شديد البعد من شرب الشمول ، ترنج الهند لديك ، فحذف لديك ، وأتى به فى البيت الثانى ، دالا على حذفه ، والظروف كثيرا ماتضمر ، وأراد من شرب الناس الشمول عليه وعلى رؤيته ، وهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول ، كقولك : أعجبنى دقّ هذا الثوب ، كذلك تقول : ترنج الهندبعيد من شرب الناس الشمول عليـه . والشمول : من أسماء الخمر ، وقيل هى الباردة التى هبت عليها ريح الشمال ، وقيل : هى التى تشمل القوم بريحها .

المعنى — يقول : ترنج الهند وطلع النخيل ، شديد بعدهما عن محالك من شرب الخمر ، وإن كان غيرك يتخذهما لذلك ، لأن هـذه الحال غير مظنونة بك ، وإنما استحضارك لهما ، ولما يشاكلهما من الرياحين استمتاعا بحسن ذلك ، لامخالفة فيه إلى ما يكره ، واستجازة لما لايحسن وكلّ شىء طيب حسن يحضر مجالسك الكريم .

وَلَـكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ طِيبٌ ... لَدَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى الْجَلِيلِ (١)
وَمَيْدَانُ الْفَصَاحَـةِ وَالْقَوَافِي ... وَمُمْتَحَنُ الْفَوَارِسِ وَالْخُيُولِ (٢)

وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله : شديد ..... الخ فقال :

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ ... وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيلِي (٣)
فَعَارَضَـهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ ... بِمَنْزِلَةِ النِّسَاءِ مِنَ الْبُعُولِ (٤)

---

١ — المعنى — يريد : أنه يؤيد ماقال أوّلا ، ولكن استحضارك للترنج والطلع لأنهما طيبان ، وكلّ طيب فى حضرتك ، وغير معدوم فيما يقع عليه مشاهدتك ، مما دقّ إلى ما جلّ . يريد : ما كان صغيرا ، وما كان كبيرا .

٢ — الغريب — ممتحن : مكان يمتحن فيه الفوارس ، وهم : جمع فارس .
المعنى — يقول : وعندك ميدان السباق فى النظم والنثر ، والتبارى فى الفصاحة والشعر . وممتحن الخيل وفرسانها بالتسابق والتجاول ، والطرد والتساجل ، هـذا الذى يعمر به مجلسك وحضرتك ، وتنزع إليه همتك ورغبتك .

زعم بعض الرواة أن ابن خالويه أنكر عليه ترنج ، وقال : المعروف أترج ، فاستشهد أبو الطيب برواية أبى زيد أنهما مقولان .

٣ — الغريب — الأصيل من كلّ شىء : الثابت . والقول والقيل بمعنى واحد ، وهو مما جاء ، مثل فعل وفعل ، وقلبت الواو فى قيل ياء للكسرة التى قبلها .
المعنى — يريد : أن الذى آتى به من كلام العرب الثابت فى العرباء القديمة . وقوله « بقدر ماعاينت » ، أى على حسب ماشاهدت ، و إنما بنيت الشعر على العيان ، فأغنانى عن أن أقول : أنت شديد البعد عن شرب الشمول ، وفى مجلسك ترنج الهند ، وذلك أنهم قالوا له : لم لاقلت :

بَعِيدٌ أَنْتَ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ ... عَلَى التَّارَنْجِ أَوْ طَلْعِ النَّخِيلِ
لِشُغْلِكَ بِالْمَعَالِي وَالْعَوَالِي ... وَكَسْبِ الْحَمْدِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ
وَقَدْحِ خَوَاطِرِ الْعُلَمَاءِ فَحْصًا ... وَمُمْتَحَنِ الْفَوَارِسِ وَالْخُيُولِ

٤ — الغريب — البعول : جمع بعل ، وهو زوج المرأة .
المعنى — فعارضه كلام ساقط ، و إنكار ضعيف ، فوقع ذلك الضعف من قوّته ، وذلك

وَهٰذَا الدُّرُّ مَأْمُـــونُ التَّشَظِّي ... وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْفُـــلُولِ(١)
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِى الْأَفْهَامِ شَيْءٌ ... إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ(٢)

ودخل عليه سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة وعنده رسول ملك الروم وأحضروا لبوة [مقتولة] ومعها ثلاثة أشبال بالحياة، وألقوها بين يديه،

فقال مرتجلا :

لَقِيتَ الْعُـــفَاةَ بِآمَالِهَا ... وَزُرْتَ الْعُـــدَاةَ بِآجَالِهَا(٣)

السقوط من رفعته، موقع الفساء من البعول، والرعية من الملك الجليل، لأنى قد أتيت بكلام لاينكر صوابه، ولا تدفع صحته. وفيه نظر إلى قول أبى النجم :

إِنِّى وَكُلُّ شاعِرٍ مِنَ الْبَشَرْ ... شَيْطَانُهُ أُنْثَى وَشَيْطانِى ذَكَرْ

١ — الإعراب — رفع «مأمون» على البدل من السيف، «وهذا» : مبتدأ، «والدر» : نعت له، و «مأمون» : خبره.

الغريب — التشظى : التكسر والتشقق. الواحدة : شظية. والفلول : جمع فلّ، وهو ما يلحق السيف من الضرب به.

المعنى — يشير إلى شعره بأنه الدرّ الذى لايخاف تشظيه، ولا يمكن الاعتراض فيه، والدرّ إذا طال عليه الأبد لابدّ له من التغير، إلا هذا الدرّ، فإنه يزيد حسنا على مرّ الأيام، وأنت السيف الذى لايخشى عليه، وقد أمن فيه الانفلال، ولا يخاف نبوّه، ولا تثلم حدّه.

٢ — المعنى — يقول : إذا احتاج أحد إلى أن يعلم النهار بدليل يدلّ عليه، لم يصحّ فى فهمه شيء. والمعنى : إذا لم يصحّ ما أنظمه، ويفهم ما أورده، فكأنه لم يعرف النهار، وأنكر وجوده، لأنه كالنهار الذى لاتطلب الأدلة عليه، ولا يمكن أحد المخالفة فيه. وهذا كقولهم : «من شكّ فى المشاهدات فليس بكامل العقل».

٣ — هذه القطعة من المتقارب، والقافية من المتدارك.

الغريب — العفاة : جمع عاف، وهو الذى يطلب المعروف.

المعنى — إنك أعطيت عفاتك ما أملوه من جودك، وزرت أعداءك بما حذروه من شدّة بأسك، فانصرمت فى يديك أعمارهم، وقربت بزيارتك لهم آجالهم.

والمعنى : أنك تعطى المؤمّل ما أمله، وتقرّب للعدوّ أجله.

وَأَقْبَلَتِ الرُّومُ تَمْشِي إِلَيْـــكَ بَيْنَ اللُّيُوثِ وَأَشْـــبالِها[١]
إِذَا رَأَتِ الْأَسْـــدَ مَسْبِيَّةً فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأَطْـــفالِها ؛[٢]

ودخل عليه ليلا وهو يصف سلاحا كان بين يديه ورفع فقال ارتجالا :

وَصَفْتَ لَنا وَلَمْ نَرَهُ سِــلَاحًا كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النِّزَالِ[٣]
وَأَنَّ الْبَيْضَ صُفَّ عَلَى دُرُوعٍ فَشَوَّقَ مَنْ رَآهُ إِلَى الْقِتالِ[٤]
فَـــلَوْ أَطْفَأْتَ نارَكَ تا لَدَيْهِ قَرَأْتَ الْخَطَّ فِي سُـــودِ اللَّيالِي[٥]

---

١ — **الغريب** — الأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد . والليوث : جمع ليث ، وهو الأسد .
المعنى — يقول : وأقبلت الروم ، يريد : رسول ملك الروم ومن معه ، تمشى إليك بين الأسد المقتولة ، وأشبالها المغنومة .

٢ — **المعنى** — يقول : إذا رأت الملوك الأسد بين يديك مقتولة ، وأشبالها مغنومة ، فأين تفرّ ملوك الروم بأطفالها هربا من بأسك . وهو منقول من قول محمود بن الحسين :

وَمَنْ كَانَتِ الْأُسْدُ مِنْ صَيْدِهِ فَلَنْ يُفلِتَ الدَّهْرَ مِنْـهُ أَحَدْ

٣ — هذه القطعة من الوافر ، والقافية من المتواتر .
الغريب — النزال : الحرب .
المعنى — يقول : وصفت لنا سلاحا لم نره ، لأنه رفع قبل دخوله عليه ، فكأنك وصفت الحرب بوصفه ، وأخبرت عنه بذكره ، لأن مثل ذلك الموصوف لا يعدّ إلا للنزال ، ولا يختبر إلا فى القتال ، لأنه إذا وصف السيوف وبريقها ، كأنه وصف القتال . ونصب «سلاحا» على إعمال الفعل الأوّل على مذهبه فى إعمال الفعل الأوّل . ومثله لذى الرمّة :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأُرْضِيَهُ بِشِــعْرِى لَئِيمًا أَنْ يَكُونَ أَصابَ مَالا

٤ — **الغريب** — البيض : جمع بيضة ، وهى المغفر من الحديد ، يكون على الرأس .
المعنى — يقول : وذكرت أن البيض صفّ على دروع ، فشوّق من سمعه إلى الحرب ، وهيجه على الطعن والضرب .

٥ — **الإعراب** — تا ، بمعنى هذه ، وتانعت للنار ، وهى فى موضع نصب ، كما تقول : ضربت

إِنِ اسْتَحْسَنْتَ وَهْوَ عَلَى بِساطٍ ... فَأَحْسَنُ ما يَكُونُ عَلَى الرِّجالِ (١)
وَإِنَّ بِها وَإِنَّ بِهِ لَنَقْصًا ... وَأَنْتَ لَها النِّهايَةُ فِى الْكَمالِ (٢)
وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتُقُ جانِبَيْهِ ... لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حالاً لِحالِ (٣)

يدا هذا ، فهذا نعت لزيد ، أى هـذا المشار إليـه ، ولو جعل بدلا لجاز ، وتا : إشارة للمؤنث الحاضر ، كما يشار بذا إلى المذكر الحاضر .

المعنى — يقول لسيف الدولة : لو أطفأت نارك : أعنى السراج ، أو القناديل ، أو الشمع ، أى ما تستضىء به فى ليلك ، لأغناك لمعان السلاح عنه ، ولأضاء لك بريقه ، حتى تقرأ ما خط فى المصحف ، فى الدياجى المظلمة ، والليالى المسودّة الحالكة .

١ — الإعراب — استحسنت: أراد استحسنته ، فحذف الهاء للعلم به ، والمفعول كثيرا ما يحذف ، وأنشد سيبويه :

فَأَقْبَلْتُ زَحْفًا عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ ... فَثَوْبٌ لَبِسْتُ وَثَوْبٌ أَجُرُّ

أراد لبسته وأجره ، فحذف المفعولين ، لدلالة الكلام عليهما .

المعنى — يقول : إن استحسنت هذا السلاح وهو على بساط ، فأحسن ما يكون إذا لبسه الرجال ، وأظهر فضله القتال .

٢ — الإعراب — الضمير الأوّل للرجال ، والثانى للسلاح .

وقال أبو الفتح : التأنيث للدروع ، والتذكير للبيض . وقوله «وإنّ به» زاد إن الثانيـة توكيدا ، تقديره : وإن بها وبه لنقصا . ومثله للحطيئة :

قالَتْ أُمامَةُ لاَ تَجْزَعْ فَقُلْتُ لَها ... إِنَّ الْعَزَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غُلِبا

ويجوز أن يكون حذف اسم إن الأولى ، واستغنى بالثانية ، كقوله تعالى : « والله ورسوله أحقّ أن يرضوه» . وأنشد سيبويه :

نَحْنُ بِما عِنْدَنا وَأَنْتَ بِما ... عِنْدَكَ راضٍ وَالرَّأْىُ مُخْتَلِفُ

أراد : نحن راضون وأنت راض ، وكذلك : «والله ورسوله أحق أن يرضوه» .

المعنى — يريد : بالرجال والسـلاح نقص ، وكمالها بك ، وأنت للرجال نهاية الكمال الذى يكمل الفخر ، الذى به يتجمل .

٣ — الغريب — الدمستق : مقدّم الفرنجة .

المعنى — لو نظر الدمستق ذلك السـلاح ، ولاحظ جانبيه ، وأشرف عليـه بمشاهدته له ، لأفزعه إفزاعا يقلب الرأى فى التخلص منه ، ويعمل الحيل فى الفرار عنه .

وقال يمدحه

وأنشدها فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة

لَيالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ ... طِوَالٌ وَلَيْلُ الْعاشِقِينَ طَوِيلُ (١)
يُبِنَّ لِيَ الْبَدْرَ الَّذِي لا أُرِيدُهُ ... وَيُخْفِينَ بَدْراً ما إِلَيْهِ سَبِيلُ (٢)
وَماعِشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأَحِبَّةِ سَلْوَةً ... وَلَكِنَّنِي لِلنَّائِباتِ حَمُولُ (٣)
وَإِنَّ رَحِيلاً وَاحِداً حالَ بَيْنَنا ... وَفِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلُ (٤)

---

١ — هذه القطعة من الطويل ، والقافية من المتواتر ، ويذكر فى هذه القصيدة وقعة .

الغريب — شكول : جمع شكل . وشكل الشىء : مثله . وجمع القلة : أشكال ، وأتى هنا بجمع الكثرة ، لأنه أبلغ فى شكوى الحال . والظاعنين : جمع ظاعن ، وهو المرتحل .

المعنى — يقول : ليالىّ بعد الظاعنين من أحبتى ، متشاكلة فى طولها ، متشابهة فى تعذبى بها ، وليل العاشقين يطول عليهم ، بما يقاسونه من السهر ، وما يتجدّد لهم فيه من الفكر ، والليل يطول و يقصر بحسب الفصول الأربعة ، وليله طويل ، لبعد الحبيب عنه ، وامتناع النوم منه.

قال الواحدى : يجوز أن تكون مشاكلتها من حيث أنه لا يجد روحا فيها ، ولا نوما. يقول: لايتغير حالى فى ليالىّ بعدهم ، ولا ينقص غرامى ووجدى بالحبيب ، وهو ضدّ قول الآخر :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْلُو حَبِيباً ... فَأَكْثِرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيالِي

٢ — المعنى — يقول : هذه الليالى يبنّ لى بدر السماء الذى لا أريده ، و يظهرنه ولا يسترنه ، ويخفين البدر الذى لا أجد إليه سبيلا .

٣ — الإعراب — نصب «سلوة» على المصدر . يريد : ما سلوتهم سلوة ، وقيل بإسقاط حرف الجرّ . يريد : عن سلوة ، وقيل مفعول له :

المعنى — يقول : ليس بقائى بعدهم لسلوة عنهم ، ولا لخلوّ عن ذكرهم ، ولكنى حمول للنائبات ، صبور على الخطوب الموجعات ، وهو كقول أبى خراش الهذلى :

فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَكُمْ ... وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ

٤ — المعنى — يقول : وان رحيلا واحدا غير مضاعف ، ومفردا غير مردّد، حال بينى و بينهم ، وأيأسنى من قربهم ، وفى الموت الذى أباشره لفقدهم ، وأشرف عليه من بعدهم ، رحيل يشفع رحيلهم ، و بعاد يضاعف بعادهم ، ولا دار أبعد من القبر ، ولا سبب أقطع من الموت .

إِذَا كَانَ شَمُّ الرَّوْحِ أَدْنَى إِلَيْكُمُ فَلَا بَرِحَتْنِي رَوْضَــةٌ وَقَبُولُ(١)

---

٣ — الغريب — الروح : نسيم الريح الشرقية ، التى تأتى من وراء القبلة .

المعنى — قال الواحدى : قال ابن جنى : إذا كنتم تؤثرون شمّ الروح فى الدنيا وملاقاة نسيمها ، فلازلت روضة وقبولا انجذابا إلى هواكم ، ومصيرا إلى ما تؤثرونه ، ويكون سبب الدنوّ منكم ، أراد ولا برحت وروضة وقبولا ، فجعل الاسم نكرة ، والخبر معرفة للقافية ، ومن فسر هذا التفسير ، فقد فضح نفسه ، وغرّ غيره .

وقال ابن فورجة : الروح يؤثره من يأوى إلى همّ ، وينطوى على شوق ، فأما الأحبة وإن كان إيثار الروح طبعا من الناس ، فإنهم لايوصفون بطلب الروح وشمّ النسيم ، والتعرّض لبرد الريح ، والتشفى بنسيم الهواء ، وأيضا فما الحاجة إلى أن يكون الاسم نكرة والخبر معرفة ؟ وليس هذامن أخوات كان ، وإنما هى من برح فلان من مكانه ، أى فارقه . يقول : إذا لم يكن لى من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسيم ، وطلب روح الهواء ، وتشممى لطيبه بروائحكم ، وما كان ينالنى أيام اللهو والفرح بقربكم ، فلا فارقتنى روضة وقبول يسوق إلىّ روائح تلك الروضة . وهذا من قول البحترى :

يُذَكِّرُنَا رَيَّا الْأَحِبَّـــــــةِ كُلَّمَا تَنَفَّسَ فى جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدُ

وأصله من قول الأوّل :

إِذَا هَبَّ عُلْوِيُّ الرِّيَاحِ وَجَدْتُنِي كَأَنِّي لِعُــلْوِيِّ الرِّيَاحِ نَسِيبُ

والمعنى : إذا كان شمّ الروح أدنى إليكم ، لأنها تذكرنى روائحكم ، وطيب أيام وصالكم فلافارقتنى روضة استنشق رائحتها ، وريح قبول أتنسم بها لأكون أبدا على ذكركم ، انتهى كلامه .

وقال ابن القطاع : برح هنا : بمعنى زال . يقول : إذا بعدتم ولا أصل إليكم إلا بشمّ الروح الذى يشبه رائحة نسيمكم ، فلا فارقتنى روضة ، وقبول يأتينى برائحتكم ، وقد دعا لنفسه بالحياة ، فإنه مادام حيا جاءته الرياح بروائح أحبته ، لأن قبله :

* وَفِى الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلُ *

وقال ابن الإفليلى : إذا كان شمّ الروح أقرب الأشياء منكم ، وأنفذها بالدنوّ اليكم ، وتيقنت أن الرياض فى تبدّلكم منازلكم والمياه التى تقار بها مواردكم لما يوجب لكم علوّ الحال من الحلول فى كرائم الأرض ، فلا برحتنى روضة تذكرنى منازلكم ، وقبول أتنسم منه ريح أفقكم ، وأشار بذكر القبول إلى أن رحلة أحبته إلى جهة الشرق . وقال ابن وكيع : هذا مأخوذ من قول البحترى :

إِذَا خَطَرَتْ رِيَاحٌ جَانِبَيْهَا كَمَا خَطَرَتْ عَلَى الرَّوْضِ الْقَبُولُ

وليس كما قال ، وليس فى البيت سوى ذكر الروض والقبول .

وَما شَرَقِى بِالْماءِ إلاَّ تَذَكُّرًا . لِماءٍ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ(١)
يُحَرِّمُــــهُ لَمْعُ الأَسِنَّةِ فَوْقَهُ فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إِلَيْهِ وُصُولُ(٢)
أَمَا فِى النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِها لِعَيْنِى عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ(٣)
أَلَمْ يَرَ هٰذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيَتِى فَتَظْهَرَ فِيــــهِ رِقَّةٌ وَنُحُولُ(٤)

---

١ — الإعراب — نصب « تذكرا » على الحال ، أى متذكرا ، فأقام المصدر مقام اسم الفاعل ، أى شرقى بالماء متذكرا لـكذا وكذا ، أى فى هذه الحال كقولك : أخطب ما يكون الأمير قائما ، أى فى حال قيامه .

وقال الخطيب نصبه على المصدر ، ويجوز أن يكون مفعولا من أجله ، أى لتذكرى ، ويجوز رفعه على أنه خبر شرقى .

الغريب — الشرق : الاختناق بالماء ، أو بالريق ، أو بالنفس .

المعنى — يقول : وما أشرق بالماء إلا لماء أن أهـل الحبيب الراحلين به ، وقومه الحافظين له ، يعتمدون ماء ينزلون به ، ويستقرّون بمهل يحلونه ، فيهيج لى الماء تذكر حلوله ، وأغصّ به أسفا على رحيله ، لأنى أذكر ذلك الماء الذى هم نزول به ، فلا يسوغ لى الماء .

٢ — المعنى — يريد : وصف موضع من يحبه من الرفعة ، وما هو بسبيله من العزّ والمنعة ، فقال يحرم هذا الماء الذى يرده لمع أسنة قومه المحتلين به ، وامتناع جهتهم ، واحتداد شوكتهم ، فليس لظمآن وصول إليه ، ولا لوارد طمع فيـه ، وأشار بهذا إلى أن محبوبه ممنوع منه ، على القرب والبعد ، فلا يقدر على زيارته .

٣ — الغريب — الدليل : مايستدلّ به . والدليل : الدالّ . ودله يدله دلالة ودلالة ودلولة ، والفتح أفصح . وأنشد أبو عبيد :

* إنِّى امْرُؤٌ بِالطُّرْقِ ذو دَلاَلاَتِ *

المعنى — أنه استطال ليله ، فقال مشتكيا لسهره ، وما هو عليـه من شدّة كده : أما فى النجوم وغيرها مما يعرف به أوقات الليل ، دليل يدلنى على ضـوء الصباح وتدانيه ، وانصرام الليل وتناهيه .

٤ — الإعراب — نصب « فتظهر » لأنه جواب الاستفهام بالفاء .

المعنى — أنه خاطب محبوبته ، فقال : ألم يرهـذا الليل الجليل ، خطبه المتصل طوله عينيك كما رأيتهما ، ويشهد ما شهدته من سحرها ، فيقلّ منه ما كثر ، ويقصر منه ما طال ، ويرقّ لمن سحرتاه ، ويلقى من الضعف والنحول ما ألقاه ، فينجلى عنى .

لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ الْفَجْرَ لُقْيَةً ... شَفَتْ كَمَدِي وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ (١)

وَيَوْمًا كَأَنَّ الْحُسْنَ فِيهِ عَلامَةٌ ... بَعَثْتِ بِها وَالشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ (٢)

وَما قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ إثَّارَ عاشِقٌ ... وَلا طُلِبَتْ عِنْدَ الظَّلامِ ذُحُولُ (٣)

---

١ — الغريب — درب القلة: موضع ببلاد الروم. والكمد: الحزن.

المعنى — يقول: لقيت بهذا الموضع الفجر لقية على حال من البهجة، وسبيل من الغبطة، شفت حزني بتطاول الليل، وأظهرتني عليه بالخروج عنه، وهو كالقتيل الذي تقضت مدّته، وسقطت عمن يحذره مؤنته.

قال أبو الفتح: سألته عن معناه؟ فقال: وافينا القلة وقت السحر، فكأني لقيت بها الفجر، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلا، وشننا الغارات وغنمنا، وشفيت كمدى لانحسار الليل عنى، والليل قتيل في ذلك الموضع، فكأنّ النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به، وقد أخذ هذا المعنى بعضهم، فكشفه بقوله:

وَلَما رَأَيْتُ الصُّبْحَ قَدْ سَلَّ سَيْفَهُ ... وَوَلَّى انْهِزَامًا لَيْلُهُ وَكَوَاكِبُهُ

وَلاحَ احْمِرَارٌ قُلْتُ قَدْ ذُبِحَ الدُّجَى ... وَهٰذَا دَمٌ قَدْ ضَمَّخَ الْأَرْضَ سَاكِبُهُ

٢ — الإعراب — نصب «يوما» عطفا على معمول «لقيت».

المعنى — يخاطب محبوبته، ويقول: لقيت بهذا الموضع يوما على هذه الليلة تناهت بهجته، وراق منظره، حتى كأنّ حسنه علامة توجهينها، وكأنّ الشمس فيه رسول منك.

وقال أبو الفتح: لما ثار الغبار ستر الشمس، فكأنها رسول من محبوبته مستخف، وهذا المعنى من أحسن الكلام. قال: وفى معناه قول الآخر:

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإِنَّهَا ... أَمارَةُ تَسْلِيمِي عَلَيْكِ فَسَلِّمِي

٣ — الغريب — إثار: افتعل من الثأر، وأصله الهمز. والذحول: جمع ذحل، وهو الحقد والعداوة.

المعنى — قال الواحدى: قال ابن جنى: لولا سيف الدولة ما وصلت إلى درب القلة، حتى شفيت نفسى من الليل بملاقاة الفجر.

قال ابن فورجة: هذه الأبيات من محاسن هذه القصيدة، وإذا توبع فيها أبو الفتح ضاعت وبطلت، أفترى أبا الطيب لولا سيف الدولة لما أصبح ليله، ولما لقى الفجر، ولو لم يصل إلى درب القلة لما شفى عشقه، فأىّ فائدة للعاشق فى الوصول إلى درب القلة. وقد خلط أبو الطيب فى هذه الأبيات تشبيبا بتقريظ، وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب، ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى. وأراد بقوله «والليل فيه قتيل»: =

وَلـكِنَّهُ يَأْتِى بِكُلِّ غَرِيبَـةٍ تَرُوقُ عَلَى اسْتِغْرَابِهَا وَتَهُولُ (١)

رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السِّهَامَ خُيُولُ (٢)

شَوَائِلَ تَشْوَالَ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ (٣)

= حمرة الشفق ، فكأنه دم ، فلما لقيه كذلك ، شمت به لطول ماقاسى من همه ، وجعل حسن اليوم ، وهو ظفر سيف الدولة بسروره به ، كالعلامة التى جاءت من المحبوبة ، والشمس كرسولها ، لشدة الجذل بطلوعها ، ثم ادّعى أن سيف الدولة قتل الليل ، وأثار لأبى الطيب ، على ماجرت به العادة من نسبة الغرائب إلى الممدوحين ، وان كانت من المحال ، يدلّ عليه قوله [البيت بعده]

١ — الغريب — تروق : تعجب وتهول : تفزع .

المعنى — يقول سيف الدولة : يأتى بكلّ غريبة فى مجده ، و بكل نادرة فى كرمه ، فيروق ذلك ، و يعجب ويهول ، و يفزع ويسلى من شهده عما سواه ، ويفسيه مالقيه وقاساه .

٢ — الغريب — الدرب : المدخل إلى أرض العدو . والجرد : القصيرة شعر الجلد ، وهو من شواهد الكرم لها . والجياد : جمع جيد على غير قياس ، وقد تقدم الكلام فيه .

المعنى — يقول : قامت لهم الخيول ، مقام السهام فى السرعة والمضاء ، ولم يعلموا أن خيلا تسرع إليهم إسراع السهام .

والمعنى : أنه رمى درب الروم مقدما عليهم ، وغاديا إليهم ، بكتائب خيله ، ومواكب جيشه ، فصارت كالسهام مسرعة ، ونفذت منافذها ، ولم تعلم الروم قبل ذلك أن من الخيل مايفعل فعل هذه ، ولاأن منها مايسير مثل هذا السير فى الإسراع .

٣ — الإعراب — شوائل : حال من الجرد ، والضمير فى «تحته» يعود على القنا .

وقال أبو الفتح : ولا يمتنع أن يرجع إلى الممدوح .

الغريب — الشوائل : التى ترفع أذنابها عند الجرى ، وهو دليل على قوّتها . والمرح : لعب يتبعه النشاط ، وقد مرح (بالكسر) فهو مرح ومريح بالتشديد ، مثل سكير . وأمرحه غيره . والاسم : المراح ، بكسر الميم .

المعنى — قال أبو الفتح : شبه القنا مع الخيل بأذناب العقارب إذا شالت بها ، والتشوال بمنزلة التمساء ، يراد به المبالغة والكثرة ، وكذا نقله الواحدى حرفا حرفا .

والمعنى : أنه يشير إلى سرعة سيرها ، وكثرة جريها ، ورفعها الأذناب فى ذلك الجرى ، وهو دليل على كرمها ، وقوّة ظهرها . والتشوال : أكثر ما يكون فى الخيل عند الجرى ، ثم دلّ على نشاطها بمراحها ، وعلى عزة أنفسها بصهيلها . وقال ابن وكيع : وهو مأخوذ من قول كثير :

وَهُمْ يَضْرِبُونَ الصَّفَّ حَتَّى تَبَيَّنُوا وَهُمْ يَرْجِمُونَ الْخَيْلَ جُمًّا قُرُونُهَا

وليس فيه من معنى المتنبى شىء ، ولا يلمّ به أبدا .

وما هِىَ إلاَّ خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ ... بحَرّانَ لَبَّتْها قَنًا وَنُصُولُ(١)

هُمامٌ إذَا ما هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ ... بِأَرْعَنَ وَطْءُ المَوْتِ فِيهِ ثَقِيلُ(٢)

وَخَيْلٍ بَرَاها الرَّكْضُ فى كُلِّ بَلْدَةٍ ... إذَا عَرَّسَتْ فِيها فَلَيْسَ تَقِيلُ(٣)

فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دَلُوكَ وَصَنْجَةٍ ... عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةٌ وَرَعِيلُ(٤)

عَلَى طُرُقٍ فِيها عَلَى الطُّرْقِ رِفْعَةٌ ... وَفى ذِكْرِها عِنْدَ الأَنِيسِ خُمُولُ(٥)

---

١ — الغريب — حران : بلدة من بلاد الجزيرة ، بالقرب من الرقة. والتلبية : الإجابة . والنصول: جمع نصل ، وهي السيوف .

المعنى — يقول : وما هى ، يريد : هذه الغزوة التى رمى بها أرض العدوّ ، إلا خطرة عرضت لسيف الدولة ، يشير إلى أنها كانت مع جلالتها وعظمتها عن بديهة ، وفعلها مع احتفالها عن غير روية ، فلبتها القنا والنصول ، واقترن بها الصنع الجميل .

٢ — الغريب — الهمام: الملك ذوالهمة. وهمّ: أراد فعل الأمر.والهموم : الإرادات. والأرعن: الجيش الكثير الفضول ، له رعون كرعون الجبال ، وهى أنف الجبال .

المعنى — هوهمام : إذاهمّ بأمر فعله ، وما أراده أنفذه ، بجيش حافل وجمع غالب ، يقدّمه إلى الأعداء و يقصدهم به ، فيه حتفهم وهلاكهم ، و يطؤهم الموت أثقل وطأة ، و يصرعهم أشدّ صرعة.

٣ — الإعراب — وخيل: عطف على قوله « بأرعن » أى و بخيل ، وأراد تقيل فيها ، فحذف لدلالة الأولى على الثانية .

الغريب — براها : أهزلها وأضعفها . والتعريس : نزول الركب آخر الليل للاستراحة . والقائلة معروفة ، وهو النزول فى الهاجرة .

المعنى — يقول : و بخيل تضمنها ذلك الجيش ، براها لما يحملها من الركض ، و يكلفها من السير فى بلاد يفتحها إلى العدوّ ، ولا تقيل فيها ، وتسير ولا تستريح .

٤ — الغريب — دلوك وصنجة : بلدان من بلاد الروم . والطود : الجبل . والرعيل : الجماعة من الناس والخيل ، وقيل : الرعلة والرعيل : القطعة من الخيل . والجمع : رعال . قال طرفة :

ذُلُلٌ فِى غَارَةٍ مَسْفُوحَةٍ ... كَرِعَالِ الطَّيْرِ أَسْرَابًا تَمُرّْ

واسترعل : خرج فى أوّل الرعيل .

المعنى — يريد : أنه لما بلغ هذين الموضعين ، انتشرت جيوشه ، و بدت له فى كلّ جبل راية مائلة ، يتلوها جماعة ناهضة .

٥ — المعنى — يقول : سلك هذا الجيش إلى الروم على طرق ، فحرف الجرّ يتعلق بمحذوف ، أى سلك إلى الروم على طرق كانت ممتنعة لا تسلك ، ومجهولة لا تعرف ، فكانت مرتفعة على الطرق ، =

فما شعروا حتى رأوها مغـــيرة قباحا وأما خـــــلقها فجميل (١)
سحائب يمطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف غسيل (٢)
وأمسى السبايا ينتحبن بعرقة كأن جيوب الثاكلات ذيول (٣)
وعادت فظنوها بموزار قفلا وليس لها إلا الدخول قفول (٤)
فخاضت نجيع الجمع خوضا كأنه بكل نجيع لم تخضه كفيل (٥)

= مشرفة على سائر السبل ، وفى ذكرها عند الناس خمول لجهلهم بها ، وقلة سلوكهم لها ، ولها رفعة على الطرق ، لأنها فى رءوس الجبال .

١ — الإعراب — نصب قباحا صفة لمغيرة .

المعنى — يقول : فجأتهم هذه الخيل فلم يشعروا بها ، إلا مغيرة عليهم قباحا فى أعينهم لسوء فعلها بهم ، وهى مع ذلك جميلة فى خلقها ، متناهية فى حسنها .

٢ — الإعراب — سحائب ، نصبه على البدل من قباح ، قاله أبو الفتح ، ويجوز على البدل من ضمير رأوها .

المعنى — جعل خيله كالسحائب ، لما فيها من بريق الأسلحة ، وأصوات الفرسان ، وجعل مطرها الحديد ، لأنها تنصب عليهم بالسيوف والأسنة ، ولما جعل الحديد مطرا جعل المكان الذى يقع به مغسولا به .

وقال أبو الفتح : يجوز أن يعنى بالسحاب الغبار الثائر ، ويكون فى الكلام حذف ، أى رأوا .

والمعنى أنه وصف خيله بالكثرة ، فقال : سحائب تمطر الحديد عليهم ، وتعمل السلاح فيهم ، فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء ، وتغشاه بما تحدثه من القتل .

٣ — الغريب — الانتحاب : البكاء . وعرقة : موضع ببلاد الروم . والثاكلات : جمع ثكلى ، وهى التى فقدت ولدا ، أو بعلا ، أو أبا ، أو أخا :

المعنى — الجوارى : اللاتى سبين من الروم ، بهذا الموضع يبكين بعولهن مفجعات ، قد شققن جيوبهن ، وفرقن شعورهن وثيابهن ، فعادت جيوبهن لسعتها ذيولا تسحب .

٤ — الغريب — موزار : موضع ببلاد الروم . والقفول : الرجوع . ومنه الحديث : «كان إذا قفل من غزو » . وقفل يقفل بالضم . والقافلة : الرفقة الراجعة من السفر .

المعنى — لما عادت خيل سيف الدولة ، ظنها الروم قافلة منصرفة بموزار ، وليس لها قفول إلا الدخول إليهم ، والاقتحام عليهم ، فكان عودتها إلى موزار بخلاف ماظنوه ، وبغير ما حسبوه .

٥ — الإعراب — الضمير فى «كأنه» يعود على المصدر ، والنجيع : الدم الضارب إلى السواد . وقال الأصمعى : هو دم الجوف خاصة . والكفيل : الضامن . =

تُسايِرُها النِّيرانُ فى كُلِّ مَسْلَكٍ ... بِهِ القَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيارُ طُلُولُ(١)

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فى دِماءِ مَلَطْيَةٍ ... مَلَطْيَةُ أُمٌّ لِلْبَنِينَ ثَكُولُ(٢)

وَأَضْعَفْنَ ما كُلِّفْنَهُ مِنْ قُباقِبٍ ... فَأَضْحَى كَأَنَّ الماءَ فِيهِ عَلِيلُ(٣)

وَرُعْنَ بِنا قَلْبَ الفُراتِ كَأَنَّما ... تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرِّجالِ سُيُولُ(٤)

يُطارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سابِحٍ ... سَواءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ(٥)

= المعنى — يقول : خاضت هـذه الخيل بموزار الدم الذى سفكت من الروم خوضا ، كأنه يكفل بظاهر الغلبة فيه ، واقتران النصر به ، ماخاضته بعد ذلك من دمائهم ، وهزمته من جيوشهم ، لأن من رأى ذلك الخوض علم أنه لا يتعذر عليها خوض دم غيره .

١ — الغريب — الطلول : مابقى من آثار الديار .

المعنى — يريد : أن هذه الخيل تسير مع النيران التى تضرمها ، فى ديار الروم ، فى كل مسلك أهله صرعى بالقتل ، ومنازله طلول بالخراب ، يشير إلى ما أحدثته هذه الخيل فى بلاد الروم ، من إحراق شجرهم ، وهدم ديارهم ، وكثرة القتل فيهم .

٢ — الغريب — ملطية : مدينة معروفة من بلادالروم وغيرها ، لأنها أعجمية ، والاسم الأعجمى إذا وقع إلى العرب غيرته ، وسكن الطاء لإقامة الوزن . والثكول: التى تفقد أولادها .

المعنى — يقول : كرّت هذه الخيل ، فمرّت فى دماء أهل ملطية ، فاخبر عن البلد ، كما يخبر عن أهله ، كقوله تعالى : « واسأل القرية » أى أهل القرية . يريد أنها خاضت فى دمائهم التى سفكت ، وجعلها أمّا لأهلها ، وهم كالبنين لها ، وقد فقدتهم حين قتلوا .

٣ — الغريب — قباقب : اسم نهر ببلد الروم .

المعنى — يقول : أضعفت هـذه الخيل هذا النهر عند عبوره ، بشدّة تزاحمها فيه ، وكثرة ترادفها عليه ، فأضحى ماؤه كالعليل الساقط القوّة فجعلت جرى مائه ضعيفا .

والمعنى : أضعفت الخيل الماء الذى كلفت قطعه .

٤ — المعنى — يقول : لما عبرت الخيل الفرات ، راعته كثرة الخيل ، أى ذعرته وأخافته وأفزعته ، حتى كأنما يخرّ عليه من جماعات الرجال سيول طارقة ، وأمواج بحر متلاطمة ، واستعار للفرات قلبا .

٥ — الغريب — السابح : الفرس الذى يمدّ يديه . وغمرة الماء : مجتمعه ومعظمه . والمسيل : مجرى ماء المطر .

المعنى — يقول: يطارد موج هذا النهر ، كل سابح من الخيل ، سواء عنده الغمرة والمسيل ، والكثير والقليل ، يشير إلى ما على هذه الخيل من شدّة الأمر ، وما بلغته من قوّة الخلق .

تَرَاهُ كَأَنَّ المَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ ... وَأَقْبَلَ رَأْسٌ وَحْــــدَهُ وَتَلِيلُ (١)

وَفِى بَطْنِ هِنْزِيطٍ وَسِمْنِينَ لِلظُّبا ... وَصُمِّ القَنا مِمَّنْ أَبَدْنَ بَدِيلُ (٢)

طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً يَعْرِفُونَها ... لَها غُرَرٌ ما تَنْقَضِى وَحُجُولُ (٣)

تَمَلُّ الحُصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنا ... فَتُلْقِى إِلَيْنا أَهْلَها وَتَزُولُ (٤)

وَبِتْنَ بِحِصْنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الوَجَى ... وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِــيرِ ذَلِيلُ (٥)

---

١ — الغريب — التليل : العنق .

المعنى — يريد : أن الفرس إذا سبح فى الماء لم يظهر منه إلا الرأس والعنق .

والمعنى : ترى ذلك السابح فى الفرات لكثرة مائه ، وتعذّر خوضه ، قد استتر جسمه ، وخفى أكثره ، حتى كأنّ الماء مرّ بنفسه إلا القليل ، وهو الرأس والعنق .

٢ — الغريب — هنزيط وسمنين : موضعان فى بلاد الروم . والظبا : جمع ظبة ، وهى السيوف .

المعنى — يقول : فى هذين الموضعين للسيوف والرماح بديل ممن قتلته .

والمعنى : أن وقائع هذه الخيل فى هذين الموضعين متصلة على الروم ، فكلما غمرتهم منها طائفة ، أفنتهم هذه الخيل بوقائعها فيهم ، و إغارتها عليهم .

٣ — الغريب — الغرر : جمع غرة ، وهى التى تكون فى وجه الفرس . والحجول : بياض يكون فى قوائمها .

المعنى — طلعت هذه الخيل بهذين الموضعين من الروم ، طلعة قد عرفوا مثلها ، وعهدوا ما يشبهها ، بجلالها وعظمتها وشهرتها ، ولها غرر لا تخفى بها ، وحجول لا تستر معها .

٤ — الغريب — الشمّ : الطوال المرتفعة العالية .

المعنى — يقول : تملّ الحصون المستعلية مداومتنا لقتالها ، وملازمتنا لحصارها ، فيسهل لنا الظفر بها ، ولا تمتنع عما نحاوله من هدمها ، وتصبح كالزائلة بتغير بنيتها ، واستحالة هيئتها .

٥ الغريب — حصن الران: حصن من حصون الروم ورزحى : تعبة كالة . والرازح من الإبل : الهالك هزالا ، وقد رزحت الناقة ، ترزح رزوحا ورزاحا : سقطت من الإعياء هزالا . ورزحتها أنا ترزيحا . و إبل رزحى ، ورزاحى ، ومرازيح ، ورزح .

المعنى — يقول : باتت خيل سيف الدولة فى هذا الموضع تعبة بمالاقته من سفرها ، وماعاينته من شدّة تعبها ، وقد خضع ملك الروم وقومه لسيف الدولة ، فذلّ عزيزهم ، ودان منيعهم ، واعترف بعبوديته كبيرهم وصغيرهم .

وقال أبو الفتح : اعتذر لها ، فقال : لم يلحقها ذاك لضعفها ، ولكن الأمير كلفها من همته صعبا ، فذلت له ، و إن كانت عزيزة قوية .

وَفى كُلِّ نَفْسٍ ما خَلاهُ مَلالَةٌ … وَفى كُلِّ سَيْفٍ ما خَلاهُ فُلُولُ(١)
وَدُونَ سُمَيْساطَ المَطاميرُ وَالمَلا … وَأَوْدِيَةٌ مَجْهُولَةٌ وَهُجُولُ(٢)
لَبِسْنَ الدُّجى فِيها إِلَى أَرْضِ مَرْعَشٍ … وَلِلرُّومِ خَطْبٌ فى البِلادِ جَلِيلُ(٣)
فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحْدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ … دَرَوْا أَنَّ كُلَّ العالَمِينَ فُضُولُ(٤)

---

١ — الإعراب — الضمير فى «خلاه» لسيف الدولة ، وموضعه نصب بخلا .

المعنى — يريد : من شدّة ما لاقوا فى هذه الغزوة ، فى كلّ نفس من نفوس الجيش ملالة ، ماخلا سيف الدولة ، فإنه لا يفتر ولا يملّ ولا يكسل ، وكذلك كلّ سيف فى ذلك الجيش ، قد فله الضرب ، وأوهنه الجلاد ، وهو السيف الذى لا ينبو عن ضريبته ، ولا يضيق عن حمل عظمته .

٢ — الغريب — سميساط : بلد من بلاد الروم ، والمطامير : جمع مطمورة ، وهى حفرة غائرة فى الأرض . والملا : الفلاة . والهجول : جمع هجل ، وهو المطمئنّ من الأرض . قال أبو زبيد :

تَحِنُّ لِلظِّمْءِ مِمَّا قَدْ أَلَمَّ بِهَا … بِالْهَجْلِ مِنْهَا كَأَصْوَاتِ الزَّنَابِيرِ

المعنى — يريد : لما ورد الخبر عليه ، بخروج الروم إلى بلاد المسلمين ، فأتبعهم وأوقع بهم ، فيقول : ودون سميساط التى حلّ فيها جيش سيف الدولة ، ما اعترضهم من المطامير التى سلكوا بينها ، والفلاة التى قطعوا بعدها ، وما سلكوا بعد ذلك من الأودية المجهولة ، والهجول المتصلة .

٣ — الغريب — مرعش : حصن من حصون الروم ، ولبسن الدجى : سرن فى الظلام . وهو من قول ذى الرمة :

* فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ ..... الْبَيْتَ *

المعنى — يريد : أن سيف الدولة لما نزل بحصن الران ، وورد عليه الخبر أن الروم خرجوا إلى بلاد المسلمين يقتلون ويفسدون ، فرجع إليهم مسرعا ، فقتل منهم خلقا كثيرا ، وأسر قسطنطين ابن دمستق ، وجرح أباه فى وجهه ، فهذا معنى قوله : «وللروم خطب جليل» بما فعلوا فى البلاد ، فذكر أن الخيل لبست الدجى فى سيرها إلى العدوّ ، تسرع وتخبّ نحوهم وتوضع ، حتى أتت أرض مرعش ، وخطب الرّوم جليل فى البلاد مستشنع ، ومخوف متوقع .

وقال الواحدى : يريد أن لأرض الروم خطبا جليلا ، لأنّ الوصول إليها صعب لتعذّر الطريق إليها ، ولشدّة شوكة أهلها ، وقد داسها سيف الدولة بحوافر خيله ، وذلل أهلها .

٤ — الغريب — الفضول: الزوائد التى لاحاجة إليها . وقال أبو الفتح : هو جمع فضل ، وقد أبدلته العامّة ، فجعلته عبارة عن الدخول فيما لا يعنى الإنسان ، وإنما هو تشبيه له بغيره ، ونقل له عن موضعه ، ومنه قول الراعى :

=

وَأَنَّ رِماحَ الخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ ... وَأَنَّ حَدِيدَ الهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ(١)

فَأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الحِصانِ وَسَيْفَهُ ... فَتًى بَأْسُهُ مِثْلُ العَطاءِ جَزِيلُ(٢)

جَوادٌ عَلَى العِلاَّتِ بِالمالِ كُلِّهِ ... وَلٰكِنَّهُ بِالدَّارِعِينَ بَخِيلُ(٣)

فَوَدَّعَ قَتْلاهُمْ وَشَيَّعَ فَلَّهُمْ ... بِضَرْبٍ حُزُونُ البَيْضِ فِيهِ سُهُولُ(٤)

مِنْ نِعْمَةِ الرَّحْمٰنِ لاَ مِنْ حِيلَتِي ... أَنِّي أَعُدُّ لَهُ عَلَيَّ فُضُولاَ

المعنى — القول : إن الروم لما رأوا سيف الدولة يقدم جيشه ، ويقود جمعه ، دروا أن العالمين بعده فضول زائدة ، ونوافل ساقطة ، وأنه يستغنى بنفسه ، ولا يفتقر إلى جيشه .

١ — الغريب — الخط : موضع باليمامة ، وهو خط هجر ، تنسب إليه الرماح الخطية والكليل : الذى لا يقطع .

المعنى — علموا أن الرماح لا تصل إليه ، وأن السيوف تكلّ عنه ، إما لأنها تندفع دونه لعزّته ومنعته ، وإما لأن هيبته تمنع الضارب والطاعن ، وهذا إشارة إلى إحجام الضاربين والطاعنين ، واعتصامهم بالفرار منه .

٢ — الغريب — الحصان : الفحل من الخيل . والجزيل : الكثير .

المعنى — يشير إلى لحاق سيف الدولة بالروم ، وإيقاعه بهم ، فصيرهم موردا لصدر حصانه ، ونهبة لحدّ سيفه ، فتى بأسه شديد بالغ ، كما أن إعطاءه كثير ، فبأسه يماثل جوده ، وإقدامه يشاكل فضله .

٣ — الغريب — العلات : العوائق . والدارعون : جمع دراع ، وهو الذى عليه الدرع ، مثل لابن وتامر .

المعنى — يقول : جواد على العوائق المعترضة بضروب ماله كله ، لا يستأثر بشئ من ذلك ، ولا يدّخره ولا يمسكه ، ولكنه ضنين بفرسانه . بخيل : شديد البخل بأصحابه .

وقال الواحدى : إن جعلنا الدراعين من الأعداء ، كان المعنى : أنه يقتلهم ولا يجود بهم عليهم .

وقال أبو الفتح : وبخله بالدارعين أنه يقتلهم بنفسه ، أو يسلبهم ، أو يحميهم اصطناعا .

٤ — الغريب — الفلّ : المنهزم . والحزن : ما غلظ من الأرض ، وهو ضدّ السهل . والبيض : جمع بيضة ، وهو ما ستر الرأس من حديد .

المعنى — يريد : أنه ودع قتلاهم عند تركهم ، وتبع منهزميهم عند هربهم بضرب شديد ، وجلاد وكيد ، يكسر البيض فى رءوس الفرسان ، فيجعل ما علامنها وارتفع ، كالذى انخفض فلا تدفعه البيض عن الرءوس ، فكأن الحزن منها سهل لذلك الضرب ، وطابق بين التوديع والتشييع ، والحزن والسهل .

عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينَ مِنْهُ تَعَجُّبٌ ... وَإِنْ كَانَ فِى سَاقَيْهِ مِنْهُ كُبُولُ(١)
لَعَلَّكَ يَوْمًا يا دُمُسْتُقُ عائِدٌ ... فَكَمْ هارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَئُولُ(٢)
نَجَوْتَ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً ... وَخَلَّفْتَ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ(٣)
أَتُسْلِمُ لِلْخَطِّيَّةِ ابْنَكَ هارِبًا ... وَيَسْكُنُ فِى الدُّنْيا إِلَيْكَ خَلِيلُ!(٤)

١ — الغريب — قسطنطين : هو ابن الدمستق ، مقدّم الروم . والكبول : جمع كبل ، وهو القيد الضخم ، كبلت الأسير وكبلته : إذا قيدته ، فهو مكبول ومكبل .

المعنى — يقول : على قلب ابن الدمستق من ذلك الضرب تعجب شاغل ، وروع غالب ، و إن كان مشغولا بالقيد ، وذلك لا يمنعه من التعجب ، مما رأى من شجاعة سيف الدولة .

وقال الخطيب : لما أسر سيف الدولة قسطنطين ، أكرمه وأقام عنده بحلب مدة ، فمات فاغتمّ لذلك سيف الدولة ، فلما بلغ موته إياه ، دخلت الروم الجيوش التى فيها المسلمون ، وقتلوا جماعة ، فكان سيف الدولة يعيب عليهم ذلك ، لأنهم ظنوا أنه سقاه ، وليس الأمر كما ظنوا .

٢ — الغريب — الدمستق : هو أمير الروم .

المعنى — أنه يهدده يقول : لعلك يوما تعود إلى مواقعة سيف الدولة ، فيحق بك الهلاك الذى استدفعته بفرارك ، فربّ هارب منا يئول إليه ، و يتخلص مما يورده الحين فيه .

والمعنى : قد يهرب الإنسان مما يعود إليه قال ابن وكيع : وهذا مما نقل من قول ابن الرومى :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْأُمُورِ مُقَدَّراً ... وَهَرَبْتَ مِنْهُ فَنَحْوَهُ تَتَوَجَّهُ

٣ — الغريب — المهجة : الجريحة الدمستق . والسائلة : ابنه .

المعنى — يريد أن الدمستق ضرب فى وجهه فى هذه الوقعة ، فمضى هاربا ، وأسر ابنه ، فجعل مهجته مجروحة ، و إن كانت الجراحة لا تكون إلا فى البدن ، لأنها تسرى إلى الروح . وقوله «تسيل» . قال أبو الفتح : يعنى أن ابنه يذوب فى القيد هما وغما .

وقال الواحدى : ليس قول أبى الفتح بشىء ، وإنما المعنى أنه يقتل فيسيل دمه .

والمعنى أنه يخاطب الدمستق ، فيقول : أنت وابنك كالشىء الواحد ، ومهجتاكما كالمهجة المفردة ، و إن كنت نجوت بمهجتك بعد الجرح الذى نالك ، وخزى الفرار الذى لحقك ، فقد تركت مهجتك الثانية فى قبض الأسر سائلة ، ولحقيقة الهلاك مباشرة ، فما أدرك ابنك فقد أدركك ، وما لحقه فقد لحقك .

٤ — الإعراب — هذا استفهام إنكار وتوبيخ ، و «هاربا» : حال من المخاطب .

الغريب — الخطية : منسوبة إلى الخط : موضع باليمامة .

المعنى — يقول للدمستق : أتسلم ابنك للرماح هاربا عنه ، وتتركه فى قبضة الأسر متبرئا منه ، ويسكن إليك بعد هذا خليل تألفه ، وتسر بعيش تستأنفه ؟

بِوَجْهِكَ ما أَنْساكَهُ مِنْ مُرِشَّةٍ ... نَصِيرُكَ مِنْها رَنَّةٌ وَعَوِيلُ (١)
أَغَرَّكُمُ طُولُ الْجُيُوشِ وَعَرْضُها ! ... عَلِيٌّ شَرُوبٌ لِلْجُيُوشِ أَكُولُ (٢)
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلَّيْثِ إِلاَّ فَرِيسَةً ... غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ أَنَّكَ فِيلُ (٣)
إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجاعَةٌ ... هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَذُولُ (٤)
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَةً ... فَقَدْ عَلَّمَ الْأَيَّامَ كَيْفَ تَصُولُ (٥)

---

١ — الغريب — المرشة : الطعنة التى يرشّ منها الدم إرشاشا . والرنة : الصوت بالبكاء . والعويل : البكاء .

المعنى — يقول : أنت عاجز عن نفسك ، فكيف لك بنصر ابنك ، و بوجهك من الجراحات التى لحقتك ، والآلام الموجعة التى لازمتك ما أنساك فقده ، وسهل عليك أمره ، ونصيرك المداومة للرنين ، والملازمة للعويل .

٢ — المعنى — يقول : أغرّكم احتمال جيوشكم ، وكثرة عددكم ، والجيوش لسيف الدولة كالغذاء الذى يتقوّت به ، و يتحكم فى استعماله ، فهو يشرب الجيوش و يأكلها ، و يتلفها و يهلكها ، والأكل والشرب ذكرهما على سبيل الاستعارة ، وهو ينظر فيه إلى قول أبى نواس :

فَإِنْ يَكُ بَاقِى إِفْكِ فِرْعَوْنَ فِيكُمُ ... فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

٣ — الغريب — غذاه : صار له غذاء ، والضمير راجع إلى الليث . والفيل : معروف ، وهو عظيم الخلقة .

المعنى — هذا مثل ضربه للروم . يقول : إن كنتم أكثر عددا فإن الظفر له دونكم ، فلا ينفعكم كثرتكم ، كالفيل مع الليث ، فإن الفيل لاينفعه عظمه ، إذا صار فريسة للأسد .

٤ — المعنى — إذا لم تدخلك الشجاعة فى الطعن ، لم يدخلك فيه العذل . يعنى : أن التحريك لايحرّك الجبان .

والمعنى : إذا لم تدخلك فيه شجاعة هى الطعن ، و بها يكون البطش والفعل ، لم يدخلك فيه عاذل يعذلك على الجبن ، و يستقصرك على قبيح الفعل ، لأن الخلق غالب ، والطباع للإنسان لازمة .

٥ — الغريب — الصولة : حملة الباطش . وصال عليه : إذا استطال . وصال عليه : وثب ، صولا وصولة ، يقال : ربّ قول أشدّ من صول . والمصاولة : المواثبة ، وكذلك الصيال والصيالة ، والفحلان يتصاولان ، أى يتواثبان .

المعنى — يقول : إن تكن الأيام أبصرت وقائع سيف الدولة و بطشه ، فقد علمها من ذلك مالم تعلمه ، وكشف لها مالم تعرفه ، ونهج لها سبيل الصول والقدرة ، ونبهها على حقائق الغلبة ، مع أن هذه الأحوال إلى الأيام تنسب ، وآثارها فيها تمثل .

فَدَتْكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِياً ... فَإِنَّكَ ماضِى الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلُ(١)

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ ... فَفِى النَّاسِ بُوقَاتٌ لَها وَطُبُولُ(٢)

أَنا السَّابِقُ الْهادِى إِلَى ما أَقُولُهُ ... إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقائِلِينَ مَقُولُ(٣)

---

١ — المعنى — يقول : فدتك ملوك تروم مشابهتك ، ولم تسمّ سيوفا مواضى ، فتماثلك فى اسمك ، وتعادلك فى قدرك ، فإنك السيف اسما وحقيقة وتلقبا ، وحدّك ماضى الشفرتين ، صقيل الصفحتين.

٢ — الغريب — البوق : هو الذى ينفخ فيه . وأنشد الأصمعىّ :

* زَمْرَ النَّصارَى زَمَرَتْ فى الْبُوقِ *

والباطل ، ومنه قول حسان بن ثابت :

يا قاتَلَ اللهُ قَوْماً كانَ شَأْنُهُمُ ... قَتْلَ الإمامِ الأَمِينِ المُسْلِمِ الْفَطِنِ

ما قَتَلُوهُ عَلَى ذَنْبٍ أَلَمَّ بِهِ ... إِلاَّ الَّذِى نَطَقُوا بُوقاً وَلَمْ يَكُنِ

والطبل : الذى يضرب به . والطبل : الخلق ، وما أدرى أىّ الطبل هو ؟ أى أىّ الناس هو ؟ قال لبيد :

* سَيَعْلَمُونَ مَنْ خِيارُ الطبل *

وقال أبو الفتح : عاب عليه من لا مخبرة له بكلام العرب ، جمع بوق ، والقياس يعضده ، إذ له نظائر كثيرة ، مثل حمام وحمامات ، وسرادق وسرادقات ، وجواب وجوابات ، وهو كثير فى جمع مالا يعقل من المذكر ، إذ لا يوجد له مثال القلة .

المعنى — أنك إذا كنت سيف الدولة ، فغيرك من الملوك بالإضافة إليك بمنزلة البوق والطبل ، لا يقومون مقامك ، وعنى ببعض الناس سيف الدولة ، وهو الظاهر من معنى البيت .

وقال أبو الفضل العروضى : أراد بالبوق والطبل : الشعراء الذى يشيعون ذكره ، ويذكرون فى أشعارهم غزواته ، فينتشر بهم ذكره فى الناس ، كالبوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث.

٣ — الغريب — كلام مقول ، وكلمة مقولة .

المعنى — يقول : أنا السابق إلى ما أبدعه فى القول ، الهادى إلى ما أغرب به من الشعر ، لا أهتدى إلى ذلك بمن سبقنى بعمره ، وفاتنى بتقدّم عصره ، إذ كان غيرى من القائلين لا يخرج عما قيل قبله ، ولا يورد إلا ماقد قاله قبله غيره . والمعنى : أنه لا يخترع المعانى التى لم يسبق إليها .

وَما لِـكَلامِ النَّاسِ فِيما يُرِيبُنِي أُصُـــولٌ وَلا لِلْقائِلِيهِ أُصُولُ(١)

أُعادِى عَلَى مايُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْــدَأُ وَالْأَفْـكارُ فِيَّ تَجُولُ(٢)

سِوَى وَجَـــعِ الْحُسَّادِ داوِ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فى قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ(٣)

وَلا تَطْمَعَنْ مِنْ حاسِدٍ فى مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيها لَهُ وَتُنِيلُ(٤)

وَإِنَّا لَنَلْقَى الْحادِثاتِ بِأَنْفُسٍ كَثِيرُ الرَّزَايا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ(٥)

يَهُونُ عَلَيْنا أَنْ تُصابَ جُسُومُنا وَتَسْـــلَمُ أَعْرَاضٌ لَنا وَعُقُولُ(٦)

فَتِيهاً وَفَخْراً تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ فَأَنْتِ لِخَيْرِ الْفاخِـــرِينَ قَبِيلُ(٧)

---

١ — المعنى — يقول : وما لكلام حاسدى من الناس فيما أسترِيبه منهم، ويتصل بى عنهم ، أصول ثابتة فى الصدق ، كما أن ما للقائلين بذلك أصول ثابتة فى الفضل ، فسقوطهم فى أقوالهم كسقوطهم فى أحوالهم ، وهذه العبارة وإن زادت على لفظه ، فهى مفهومة من حقيقة قصده .

٢ — المعنى — يقول : أعادى على فضلى وعلمى وتقدّمى فى الشعر ، وذلك مما يوجب الحبّ لا العداوة ، وأسكن أنا ، والأفكار تجول فىّ ولا تسكن .

٣ — المعنى — يقول : على سبيل المثل ، غير ما يصطنعه الحاسد فداوه بلطفك ، وتلافه بحلمك ، وأما وجع الحاسدين فلا طمع فيه ، ولا سبيل للعلاج عليه ، لأنه إذا حلّ فى القلب المتخلق به ، ثابت لا يحول ، ودائم لا يزول .

٤ — المعنى — يقول : لا تطمعن فى صدق مودّة ، وخلوص محبة ممن أتقن حسده ، وإن أظهرت ذلك والتزمته ، وأبديته واعتقدته ، وبذلت له مع ذلك النيل والمشاركة ، والحسد داء لا يبرأ منه ، وخلق لا ينفصل صاحبه عنه .

٥ — المعنى — يقول مخبرا عما هو عليه من الصبر ، وقلة الجزع لحوادث الدهر ، وإنا لنلقى الحوادث بأنفس صابرة ، وعزائم ثابتة ، تستقل الرزايا الكثيرة ، وتحتقر الخطوب الجليلة .

٦ — المعنى — يقول : يهون أن تصاب جسومنا فى الحرب ، وأن تتعرّض للجراح والقتل ، إذا كانت أعراضنا وافرة ، وعقولنا سالمة ، وهذا من قوله الذى لا يشاركه فيه . وأصله لحبيب :

لَا يَأْسَفُونَ إِذَا هُمُ سَلِمَتْ لَهُمْ أَحْسابُهُمْ أَنْ تَهْزُلَ الْأَعْمارُ

٧ — الإعراب — نصب «تيها وفخرا» على المصدر ، «وتغلب» ، من رفعه ، رفعه على النداء المفرد ، وجعل «ابنة وائل» منصوبا بالنداء المضاف ، ومن نصبه جعله مضافا إلى وائل ، «وابنة» بدلا منه ، وأنث «تغلب» لأنها قبيلة ، وهم رهط سيف الدولة ، وبكر وتغلب : ابنا وائل بن قاسط ،

يَغُمُّ عَلِيًّا أَنْ يَمُوتَ عَدُوُّهُ ... إِذَا لَمْ تَغُلْهُ بِالأَسِنَّةِ غُولُ(١)

شَرِيكُ المَنَايَا وَالنُّفُوسُ غَنِيمَةٌ ... فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِتْهُ غُلُولُ(٢)

فَإِنْ تَكُنِ الدَّوْلاتُ قِسْماً فَإِنَّهَا ... لِمَنْ وَرَدَ المَوْتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ(٣)

ومن ولدهما الجمهور الأعظم ، من ربيعة بن نزار .

المعنى — يقول لتغلب : افخرى وتيهى على سائر العرب ، لأنك قبيلة سيف الدولة ، فهو قبيل خير الفاخرين ، وأكرم من تدفعين به الأكرمين .

١ — الغريب — تغله : تهلكه . والغول : المهلك . والغول : المنية .

المعنى — يقول : هو يغتمّ إذا مات عدوّه حتف أنفه ، ولم يقتله بسيفه ورمحه ، مع ماله فى ذلك من الكفاية ، وبلوغ الرغبة ، وسقوط المئونة ، إذا لم تغله أسنته ، وتحط به مقدرته ، وتهلكه وقائعه ، لأنه على يقين من الظفر به ، فإذا فاته بالموت ساءه ذلك ، وظنّ أنه شىء سبق إليه ، ومنع من بلوغ المراد فيه .

٢ — الغريب — الغلول : ما أخذ من المغانم قبل القسمة .

وقال أبو عبيد : الغلول فى المغنم خاصة ، ولا نراه من الخيانة ، ولا من الحقد ، ومما يبين ذلك أنه يقال من الخيانة : أغلّ يغلّ ، ومن الحقد : غلّ يغلّ (بالكسر) ، ومن الغلول : غلّ يغلّ (بالضمّ) . وقد جاء فى قوله تعالى : « وما كان لنبىّ أن يغلّ » فى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وعاصم .

قال المفسرون : بمعنى يخون ، فهذا ردّ على قول أبى عبيد ، وفى قراءة الباقين : يغلّ (بفتح الغين) مبنيا للمفعول ، بمعنى يخان ، وبمعنى يخوّن ، أى ينسب إلى الغلول .

المعنى — يقول : هو شريك المنايا ، فإذا مات من أعدائه أحد حتف أنفه ، فإن المنايا غلته .

والمعنى : أنه بكثرة ما يحدثه من القتل ، ويتلفه من النفوس فى الحروب ، يشارك المنايا ، والنفوس له كالغنائم المختارة ، والأنهاب المتملكة ، فكلّ ممات لا يشركه المنايا فيه ، يكون كالغلول المأخوذة على غير وجهها ، والأمور المقصودة على غير سبيله ، يشير إلى كثرة وقائعه ، واتصال ملاحمه .

٣ — الغريب — الدولات : الظفر ، وهى (أيضا) من دولة السلطان ، وهى بمعنى المصدر . والدولة فى الحرب : أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى . والجميع : الدول . والدولة (بالضم) فى المال ؛ (وبالفتح) فى الحرب . وأدالنا الله من عدّونا : من الدولة . والإدالة : الغلبة ، يقال : اللهمّ أدلنى على فلان ، وانصرنى عليه . ودالت الأيام ، أى دارت .

المعنى — يقول : إن تكن الدولات أقساما تستحقّ ، وحظوظا تستوجب ، فإن أحقّ من دانت له دولته فملكت ، وأسعدته فانفرد بها ، من ورد الموت الزؤام ، وهو العاجل غير متهيب ، وأقدم عليه غير متوقع .

لِمَنْ هوَّنَ الدُّنْيا عَلَى النَّفْسِ ساعَةً وَلِلْبِيْضِ فى هامِ الْكُماةِ صَلِيلُ(١)

قال

وقد جرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل ، فقال له سيف الدولة : ماتقول فى هذا وماتحكم يا أبا الطيب ؟ فقال :

إنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الْأَنامِ سائِلاً فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضائِلا(٢)
مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ ياهُمامُ وَائِلاَ الطَّاعِنِينَ فى الْوَغَى أَوائِلا(٣)
وَالعاذِلِينَ فى النَّدَى الْعَوَاذِلا قَدْ فَضَلُوا لِفَضْلِكَ الْقَبائِلا(٤)

---

١ — الغريب — البيض : السيوف . والكماة : الشجعان . والصليل : امتداد الصوت .

المعنى — يقول : الدولة تدول لمن وطن نفسه على القتل ، ولم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب ، وصبر على المكروه ، وهو يسمع صليل الحديد فى رءوس الشجعان ، والأبطال تتجالد ، وكئوس الموت تتنازع ، وأحكام السيوف من الفرسان نافذة ، وأصواتها فى رءوس الشجعان عالية .

٢ — المعنى — يقول لسيف الدولة : إن كنت تسأل عن خير الأنام ، فخيرهم أشهرهم بالفضائل ، وأقعدهم بالمكارم ، وخير الأنام أكثرهم فضلا ، وهذه القطعة من الرجز ، والقافية من المتدارك .

٣ — الإعراب — جعل وائل : اسما للقبيلة فلم يصرفه ، كقول ذى الأصبع :

وَمِمَّنْ وَلَدُوا عَا مِرُ ذُو الطُّوْلِ وَذُو الْعَرْضِ

جعله اسما لقبيلة عامر فلم يصرفه ، ثم قال ذو فرجع إلى الحى ، وأوائل أصله : أواول ، فهمزت الواو لوقوعها بعد ألف زائدة ، وكذا مذهب النحويين فيما كان كذلك ، ولو سميت رجلا عودا أو سودا ، لقلت فى الجمع : عوايد وسوايد ، و إن جمعت سيدا جمع التكسير ، همزت مابعد الألف على رأى أهل البصرة ، إلا على رأى ابن مسعدة ، فإنه لايرى الهمز إلا فى أول و بابه .

الغريب — وائل : بن قاسط : أبو بكر . وتغلب : رهط سيف الدولة .

المعنى — يقول مخاطبا لسيف الدولة : من كنت منهم . يعنى : من القبيلة المعروفة بوائل ، لهم الفضل والرفعة ، وفيهم العدد والمنعة ، الطاعنين أوائل فى الحرب ، والسابقين إلى الطعن والضرب ، ومن روى هذه الرواية جعل «أوائل» حالا ، ومن روى بالتعريف جعله نعتا للطاعنين ، ويجوز أن يكون مفعول الطاعنين . يعنى : الطاعنين الفرسان الأوائل المتقدمين فى الحرب ، وهم الأبطال ، والسادات والمقدمون .

٤ — الغريب — الألفات فى «العواذلا والقبائلا والأوائلا» على الرواية الثانية للإطلاق ، كما قرأ

وقال يمدحه

عند دخول رسول الروم فى صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة

وهى من الطويل ، والقافية من المتدارك

دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هَذِى الرَّسائِلُ ... يَرُدُّ بِها عَنْ نَفْسِهِ وَيُشاغِلُ (١)

هِىَ الزَّرَدُ الضَّافِى عَلَيْهِ وَلَفْظُها ... عَلَيْكَ ثَناءٌ سابِغٌ وَفَضائِلُ (٢)

وَأَنَّى اهْتَدَى هٰذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ ... وَماسَكَنَتْ مُذْسِرْتَ فِيها القَساطِلُ (٣)

نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ، بإثبات الألفات وقفا ووصلا ، فى قوله : « الظنونا والرسولا والسبيلا » فى سورة الأحزاب ، وقرأ بحذفهن فى الوقف والوصل أبو عمرو وحمزة ، وقرأ بحذفهن فى الوصل خاصة ابن كثير وحفص والكسائى .

المعنى — يقول : أنت من القوم الذين يعدلون من عدلهم على الكرم ، ويتفضلون بأوفر النعم ، وقد فضلوا القبائل بفضلك ، وانفردوا بالمكارم بما كسبتهم من مجدك .

١ — الإعراب — فى الكلام تقديم وتأخير . يريد: هذه الرسائل دروع ، واللام متعلقة بمحذوف.

الغريب — قال أبو الفتح : يشاغل لفظة غريبة ، إلا أن العامة ابتذلتها ، فلو تجنبها كان أجود . وقوله « ملك » . قيل : هو مخفف من ملك ، يقال : ملك ومليك وملك . والجمع : ملوك وأملاك . والاسم : الملك . والموضع : مملكة . والرسائل : جمع رسالة .

المعنى — يخاطب سيف الدولة يقول : رسائل ملك الروم دروع تمنعه ، وحصون تكتنفه ، لأنه يرد بها جيوشك عن أرضه ، ويشغل بها عزائمك عن نفسه . ثم فسرها بعد بقوله :

٢ — الغريب — الزرد : معروف . والضافى : الكثيف السابغ . والفضائل : جمع فضيلة .

المعنى — يقول : هى عليه كالزرد الذى يشمله ، والسلاح الذى يعصمه ، ولكن ألفاظ تلك الرسائل فضائل لك ، وثناء مخلد عليك ، لأنها خضوع منه يرتفع به قدرك ، واستسلام إليك يجل معه أمرك .

والمعنى : أنه يخطب منك الصلح لخوفه ، ورهبته لك .

٣ — الغريب — القساطل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذى تثيره الخيل بحوافرها .

المعنى — يقول : كيف اهتدى إليك هذا الرسول ، وأنى له بالهداية فى أرضه ، والتحقق لطريق يسلكه فى قصده ؟ وما سكنت فى تلك البلاد عجاجات خيلك ، ولا افترت فيها قساطل جيشك؟

وَمِنْ أَيِّ ماءٍ كانَ يَسْقِي جِيادَهُ ... وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّماءِ المَناهِلِ (١)

أَتاكَ يَكادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ ... وَتَنْقَدُّ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ المَفاصِلِ (٢)

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السِّماطَيْنِ مَشْيَهُ ... إِلَيْكَ إِذا ما عَوَّجَتْهُ الأَفاكِلِ (٣)

فَقاسَمَكَ العَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ ... سَمِيُّكَ وَالخِلُّ الَّذِي لا يُزايِلِ (٤)

---

(١) الغريب — الجياد : جمع جواد ، وقد بيناه فيما تقدّم . والمناهل : جمع منهل ، وهى المياه التى يكون فيها النهل ، وهو أوّل الشرب . والمنازل التى تكون فى المفاوز وفيها الماء تسمى مناهل ، استعارة ، يشير إلى قرب عهده بغزو الروم ، وسفك دمائهم ، فقال : وعلى أىّ مياه فى بلادهم كان ينزل ، ومن أيها كان يسقى و يشرب ، وهى بما سفكت من الدماء ممتزجة ، و بما لحقها من ذلك جيفة متغيرة .

(٢) الغريب — الذعر : الفزع . وتنقدّ : تنقطع . والمفاصل : جمع مفصل ، وهو العضو .
المعنى — قال أبو الفتح : يكاد يتبرّأ بعضه من بعض ، لإقدامه على الوصول إليك هيبة لك ، وتنقطع مفاصله بالارتعاد خوفا منك ، وكذا نقله الواحدى .
والمعنى : أتاك هذا الرسول متخاضعا لهيبتك ، متضائلا لجلالة قدرك ، قد صير رأسه بين منكبيه ، كفعل المتخوّف للقتل ، حتى كأنّ عنقه لتمثاله وقوع السيف عليه ، يكاد يجحد رأسه ، ويكاد يغيبه خوفه ، وتكاد مفاصله يقطعها ذعره ، هيبة لك ، وفرقا منك .

(٣) الإعراب — من روى «تقويم» بالنصب جعله مصدرا و يكون الضمير فى يقوّم للرسول ، ومن رفعه جعله فاعلا .
الغريب — السماطان : الصفان. والأفاكل : جمع أفكل ، وهى الرعدة التى تعرض عند الفزع.
المعنى — يقول : إذا عوّجت الرعدة مشيته ، ولم تستقرّ نفسه به قوّمته الصفوف الماثلة ، والجماعات القائمة .

(٤) الغريب — سميك . يريد : السيف . والخلّ : الخليل ، و يقال للسيف : خليل وخلّ .
المعنى — أنه كان ينظر بإحدى عينيه إليك ، و بالأخرى إلى السيف .
والمعنى : قاسمك نظره سميك الذى تأنس بقربه ، وتألفه فما يزايلك ، وتصحبه فما يفارقك ، أراد أن رسول الروم ملكه من هيبة سيف الدولة ، ما ملكه من هيبة سيفه ، واستعظم من أمره الذى استعظم من أمر سيفه ، فأجال لحظه متهيبا للحالين ، متعجبا من الأمرين ، ثم ذكر لفظة المقاسمة .

وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ وَالرِّزْقُ مُطْمِعٌ ... وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هائِلُ (١)

وَقَبَّلَ كُمًّا قَبَّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ ... وَكُلُّ كَمِيٍّ وَاقِفٌ مُتَضائِلُ (٢)

وَأَسْعَدُ مُشْتاقٍ وَأَظْفَرُ طالِبٍ ... هُمامٌ إِلَى تَقْبِيلِ كُمِّكَ واصِلُ (٣)

مَكانٌ تَمَنَّاهُ الشِّفاهُ وَدُونَهُ ... صُدُورُ الْمَذاكِي وَالرِّماحُ الذَّوابِلُ (٤)

فَما بَلَّغَتْهُ ما أَرادَ كَرامَةٌ ... عَلَيْكَ وَلٰكِنْ لَمْ يَخِبْ لَكَ سائِلُ (٥)

وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ ... إِلَيْكَ الْعِدَى وَاسْتَنْظَرَتْهُ الْجَحافِلُ (٦)

---

١ — الغريب — الهائل : المفزع .

المعنى — أنه أبصر منك بعموم جودك الرزق المحي فأطمعه ، وأبصر منك لكثرة فتكك به الموت الهائل ، فلاحظك بين اليأس والطمع ، وقسم عينيه بين التأميل والطمع .

٢ — الغريب — المتضائل : المنقبض المخفيّ شخصه فرقا . والكمى : الشجاع المكى شخصه في الحديد .

المعنى — أنه قبل الترب قبل تقبيله كم سيف الدولة ، وخضع فيه قبل خضوعه له ، والكماة من إبطال رجالك وقوف متضائلون ، والرؤساء من خدامك مثول متهيبون .

٣ — الغريب — الهمام : الملك الرفيع الهمة .

المعنى — يقول : أسعد مشتاق بنيل ما أمله ، أظفر طالب ببلوغ ما حاوله ملك رفيع الهمة ، وصل إلى تقبيل كمك ، ورئيس جليل الرتبة خضع ، فتشرّف بقربك .

٤ — الغريب — المذاكى من الخيل : التى كملت أسنانها . الواحدة : مذكٍّ . والذوابل من الرماح : اليابسة العوالى .

المعنى — يقول : كمك مكان تمناه الشفاه ، وتتنافس فيه الأفواه ، ودون الوصول إليه ، والتشرف بالانكباب عليه ، خيول جيشك العالية ، ورماحك الذابلة ، فهو متعذّر الوصول إليه ، لكثرة ما دونه من الخيل والرماح .

٥ — المعنى — يقول : ما أوصله إلى ما بذلت له من سلمك ، وشرفته به من تقبيل كمك ، كرامته عليك ، ومنزلته الرفيعة عندك ، ولكنه سألك وأنت لا تخيب سائلك ، وأملك وأنت لا تضيع آملك .

٦ — الإعراب — نصب أكبر بفعل مضمر ، تفسيره ما بعده .

وقال قوم : هو في موضع جرّ بإضمار ربّ «و بعثت به» : حكى أبو علىّ الفارسى «بعثت به» لغة ، =

فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ   وَعادَ إِلى أَصْحابِهِ وَهُوَ عاذِلُ(١)
تَحَيَّرَ فى سَيْفٍ رَبِيعَةُ أَصْلُهُ   وَطابِعُهُ الرَّحْمٰنُ وَالْمَجْدُ صاقِلُ(٢)
وَما لَوْنُهُ مِمَّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ   وَلا حَدُّهُ مِمَّا تَجُسُّ الأَنامِلُ(٣)
إِذَا عايَنَتْكَ الرُّسْلُ هانَتْ نُفُوسُها   عَلَيْها وَمَا جاءَتْ بِهِ وَالْمَراسِلُ(٤)

= وقال أبو حاتم : لا يقال بعثت به ، إنما يقال : بعثته . قال الله تعالى : «ثم بعثناهم ، ويوم يبعثهم الله جميعا» .

وقال الخطيب : يكون «أكبر» مبتدأ ، وما بعده خبرا عنه .

الغريب — الجحافل : جمع جحفل ، وهو الجمع العظيم .

المعنى — يقول : وأكبر من هذا الرسول همة ، وأرفع منه منزلة ورتبة ، بعثت به إليك لوائف الروم الذين يطلبون سلمك ، ويتوقعون سطوتك وحربك ، واستقطرته : أى انتظرته جيوشك ، للقدوم بجوابك ، واستعلام حقيقة رأيك .

وقال الواحدى : أعداؤك الروم استعظمت همة هذا الرسول الذى بعثت به إليك . يعنى : أنه كان عظيم الهمة ، حيث حملته همته على أن يأتيك ، وعساكرهم طلبوا منه أن ينظرها ويمهلها ويؤخرها .

١ — المعنى — يقول : أقبل إليك من أصحابه ، وهو رسولهم معظم لهم ، وعاد إليهم يزرى بهم ، لما تبين له من جلالك ، وعظيم شأنك ، وتيقنه من ضعف المرسلين لك ، عن مقاومتهم لك ، وما لهم من الحظ فى الخضوع لك ، حين رأى جنودك ، وكثرة عددك .

٢ — الغريب — طبع السيف : صناعته على هيئته .

المعنى — يقول : تحير فى سيف من سيوف الله ، ربيعة هذه القبيلة أصله : والله عزّ وجلّ صانعه وحافظه ، ورافع قدره ، والمجد يظهر حسنه ، ثم أكد ما قدّمه من تفضيله على السيف .

٣ — المعنى — يقول : المقلة لا تحصل لونه ، لأنها لا تستوفيه بالنظر هيبة له ، ولا تجس الأنامل حدّه كما تجسّ حد السيف ، لأنه ليس هو سيفا فى الحقيقة . وقال ابن وكيع : هو من قول الأوّل :

إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي   كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

٤ — المعنى — يقول : إذا عاينت الرسل جلالتك ، وشاهدت مهابتك تصاغرت عندها أنفسها ، وهانت عليها رسائلها ، واستقلت الملوك المرسلين لها ، وعلمت أن السعادة فى التسليم لأمرك ، وحقيقة التوفيق فى التمسك بحبالك . وهو من قول البحترى :

لَحَظُوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ فَاسْتَصْغَرُوا   مَنْ كَانَ يُعْظَمُ عِنْدَهُمْ وَيُبَجَّلُ

رَجا الرُّومُ مَنْ تُرْجَى النَّوافِلُ كُلُّها | لَدَيْهِ وَلا تُرْجَى إِلَيْهِ الطَّوائِـــلُ (١)
فَإِنْ كانَ خَوْفُ القَتْلِ وَالأَسْرِ ساقَهُمْ | فَقَدْ فَعَلُوا ما القَتْلُ وَالأَسْرُ فاعِلُ (٢)
فَخافُوكَ حَـــتَّى ما لِقَتْلٍ زِيادَةٌ | وَجاءُوكَ حَتَّى ما تُرادُ السَّلاسِلُ (٣)
أَرى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ | كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالمُـــلُوكُ جَداوِلُ (٤)
إِذا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحائِبٌ | فَوابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وابِلُ (٥)
كَرِيمٌ مَتَى اسْتُوهِبْتَ ما أَنْتَ راكِبٌ | وَقَدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ باذِلُ (٦)

---

١ — الغريب — الطوائل : الأحقاد . واحدها : طائلة . و بينهم طائلة ، أى عداوة وترة .
المعنى — يقول : رجا الروم من سيف الدولة فى إجابته إلى الصلح الذى رغبوه ، ممن يرجى بمسئلته نوافل الخير ، وترتهن بطاعته ضروب الفضـل ، ولا يرجو من عصاه أن يدال عليـه ، فيأخذه بعداوته ، و يظفر بإدراك ترته ، لأن سعادته تمنع منه ، و إقباله ييئس الأعداء منه .
والمعنى : أنهم رجوا عفو من كلّ الفواضل عنده ، ولا يرجى أنه يدرك لديه ثار .
٢ — المعنى — يقول : إن كان خوف القتل ساق الروم ، متخيرين لما رغبوه من السلم ، فقد فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة ، وأبدوه من الخضوع والاستكانة ، ماهو كالقتل فى شدته ، ولا يفعل القتل أكثر منه فى حقيقته . ثم فسر ذلك بقوله : [البيت بعده]
٣ — المعنى — يقول : أبدوا من مخافتك، ما يزيد على القتل ، وجاءوك طائعين ، حتى لا تحتاج فى أسرهم إلى السلاسل . وفى المثل : « الحذر أشدّ من الوقيعة » .
٤ — الغريب — الجداول : جمع جدول ، وهو النهر الصغير .
المعنى — يقول : أرى كلّ ملك مصيره إلى الخضوع لك ، وغاية أمله أن يعتلق بك ، فلا ملك إلا وهو واقع تحت ملكك ، ولا رئيس إلا وهو متصرّف على حسب أمرك ، كأنك فى مصير الملوك ، وتزاحمها لديك، البحر الذى إليه تئول الجداول الجارية ، وفيه مستقرّ الأنهار السائلة.
٥ — الغريب — السحائب : جمع سحابة . والطلّ : المطر الضعيف . والوابل : المطر الكثير .
المعنى — يقول : أنت والمتشبهون بك من الملوك إذا ساجلوك فى جودك ، وتشبهوا بك فى فعلك ، فأمطروا وأمطرت ، وفعلوا وفعلت ، فطلّ عطائك يستغرق وابلهم . والمعنى : كثيرهم قليل بالإضافة إليك .
٦ — الإعراب — رفع كريم على حذف المبتدا . يريد : أنت كريم .
الغريب — لقحت الحرب : اشتدّت . واللاقح من النوق : التى بدا الحمل بها .
المعنى — يريد : أنه جواد كريم ، ما يسئل شيئا إلا أعطاه ، فيقول : أنت كريم لا يبخل على من استوهبه ، ولا يمنع من سأله ، فلو سئل فى أحوج ما يكون إليه شيئا لوهبه .

أَذَا الجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مالِكٌ ... وَلا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ ما أَنا قائِلُ(١)

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِرٌ ... ضَعِيفٌ يُقاوِينِي قَصِيرٌ يُطاوِلُ(٢)

لِسانِي بِنُطْقِي صامِتٌ عَنْهُ عادِلٌ ... وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضاحِكٌ مِنْهُ هازِلُ(٣)

وَأَتْعَبُ مَنْ ناداكَ مَنْ لا تُجِيبُهُ ... وَأَغْيَظُ مَنْ عاداكَ مَنْ لا تُشاكِلُ(٤)

وَما التِّيهُ طِبِّي فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَيَّ الجاهِلُ الْمُتَعاقِلُ(٥)

---

١ — المعنى — قال أبو الفتح : لا تعط الناس شعرى فينتحلوا معانيه ، وهذا ليس بشيء ، لأنه يمكنه ستر مدائحه ، وأجود الشعر ما كان فى الناس .

وقال أبو العلاء : يريد لا تعط الناس شعرى ، فتجعلهم فى طبقتى ، فتقول : أنت مثل فلان . والمعنى : لا تحوجنى إلى مدح غيرك .

٢ — الإعراب — هذا : استفهام تعجب و إنكار .

الغريب — الضبن : ما تحت الإبط إلى الخاصرة ، وهو الحضن .

المعنى — يريد : أنه فى كلّ يوم يرس فى شويعر ضعيف فى صناعته ، قصير فى معرفته ، باريني فى القوّة ، وهو لاقوّة له ضعيف ، و يطاولنى وهو قصير لا بسطة له ، وهذا إشارة إلى ستحقاره ذلك الشويعر ، حتى لو أراد أن يحمله تحت حضنه لقدر ، ثم إنه مع قصوره يضاهيه .

٣ — الغريب — الهزل : ضدّ الجدّ . وهزل يهزل . قال الكميت :

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الحَيَاةِ وَطُولِهَا ... تَجِدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزِلُ

المعنى — يقول : يعدل عنه لسانى ، فلا يكلمه ولا أهاجيه ، لأنى لا أراه أهلا لذلك ، وقلبي يضحك منه ، ولسانى ساكت عنه .

والمعنى : إذا نطقت فلسانى معرض عنه ، عادل عن مخاطبته ، وقلبي ضاحك منه ، هازل بجهالته ، وهذا إشارة إلى الذين كانوا ينازعونه الشعر عند سيف الدولة .

٤ — المعنى — يقول على سبيل المثل : أتعب من ناداك . يريد : أتعب حاسديك بندائه لك ، من كنت مرتفعا عن مجاوبته ، وأشدّهم تعذبا بك ، من كنت متنزّها عن مخاطبته ، وأغيظ أعدائك عليك من لا يشاكلك ، وأكرمهم إليك من كنت لا تماثله . وهذا من قول الحكيم: ليس التنائى بمباعدة الأجسام .

٥ — الغريب — الطبّ : العادة والديدن . ومنه بيت الكتاب :

فَمَا إِنْ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلٰكِنْ ... مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا =

وَأَكْبَرُ تِيهِي أَنَّنِي بِكَ وَاثِقٌ ... وَأَكْثَرُ مَالِي أَنَّنِي لَكَ آمِلُ (١)

لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ القَرْمِ هَبَّةً ... يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلُ (٢)

رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالقَوَافِي وَفَضْلِهِ ... وَهُنَّ الغَوَازِي السَّالِمَاتُ القَوَاتِلُ (٣)

= المعنى — يقول : ليس الكبر عادتى ، غير أنى أبغض الجاهل الذى يتكلف ، ويرى أنه عاقل .

والمعنى : بغضى إياهم يمنعنى كلامهم لا التكبر ، فما أعرض عنهم مداويا بالتيه لحسدهم ، ولا معارضا بالكبر لسفههم ، ولكنى أبغض تعاقلهم مع جهلهم ، وما يتعاطون من التمام مع نقصهم ، ومن كانت هذه حاله فأنا أبغضه ، ومن كان على هذه السبيل فأنا أكرهه . وهذا من كلام الحكيم حيث قال : إن الحكيم تريه الحكمة أن فوق علمه علما ، فهو يتواضع لتلك الزيادة ، والجاهل يظنّ أنه قد تناهى فيسقط بجهله ، وتمقته النفوس . وهذا من قول الطرماح :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِيَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ

إِذَا مَا رَآنِي قَطَّعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ ... وَبَيْنِي كَفِعْلِ العَارِفِ المُتَجَاهِلِ

١ — المعنى — يقول : أكبر ما أترفع به ما أضمره من الثقة بك ، وأنفس مال أدّخره ما اعتقده من التأميل لك ، وإنما أتيه بجميل آرائك ، وأستغنى بجزيل عطائك .

٢ — الغريب — القرم : السيد ، وأصله : البعير المكرم ، الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ، ولكن يكون للفحلة ، وقد اقترمته ، فهو مقرم .

المعنى — يقول : لعلّ لسيف الدولة انتباها يتأمّل به مغالطة هؤلاء المقصرين فى أشعارهم ، فيحيى بذلك التأمّل ما أهدى إليه ، ويهلك معه ما يتزينون به من الإفك والباطل .

٣ — الغريب — الغوازى : من الغزو . جمع غازية . والقواتل من القتل : جمع قاتلة . والقوافى : جمع قافية ، ومراده بها ههنا : الأبيات التى فيها القوافى ، والبيت قافية ، والقصيدة قافية .

المعنى — يقول : لما مدحته بنشر فضائله ، فكأنى رميت بتلك القوافى التى ذكرت فيها فضائله أعداءه ، فقتلتهم غيظا وحسدا ، وجعلها قواتل غوازى ، لما قتلت أعداءه بالغيظ والحسد ، وجعلها سالمات ، لأنها تصيب ولا تصاب .

والمعنى : أنه يقول : رميت عداه بما قيدته من مدحه ، وما خلدته من مكارمه وفضله ، فهنّ الغوازى السالمات فى غزوهنّ ، القاتلات للأعداء ، لأنهنّ يسرعن بالنصر دون تكلف ، ويقتلن من اعتمدنه بغير تكلف وتخوّف .

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوالِدٌ ... وَلَوْ حارَبَتْهُ ناحَ فِيها الثَّوَاكِلُ (١)

وَما كانَ أَدْناها لَهُ لَوْ أَرادَها ... وَأَلْطَفَها لَوْ أَنَّهُ الْمُتَناوِلُ (٢)

قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ ناءٍ عَلَى الْوَرَى ... إِذَا لَثَّمَتْهُ بِالْغُبارِ الْقَنابِلُ (٣)

يُدَبِّرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفُّهُ ... وَلَيْسَ لَها وَقْتاً عَنِ الْجُودِ شاغِلُ (٤)

---

١ — الغريب — الثواكل : جمع ثاكل ، وهى التى فقدت ولدها .

المعنى — يريد : أن النجوم وإن قيل إنها خالدة . يعنى : باقية لوحاربته لقتلها وأفناها .

والمعنى : زعموا أن النجوم خوالد إلى أن تفنى بجملتها ، وتنتقص باقتراب الساعة منها ، ولو حاربته لانقلبت أحوالها بسعده ، وأزالها بإقبال جدّه ، وأشار بنوح الثواكل إلى ذلك .

٢ — الإعراب — نصب وألطفها : عطفا على أدناها ، لأنه فى موضع نصب خبر كان ، وقيل : « ما » هنا للتعجب .

المعنى — يقول : ما كان أدناها له لو قصدها ، وألطفها لو حاول تناولها !

والمعنى : أن سعده يقرب له مالا يقرب مثله ، ويبلغه إلى مالم يبلغه أحد قبله ، وهذا من إفراط الشعراء الذين يستجيزون فيه الكذب ، بما يحاولونه من بلوغ غايات المدح ، ويرومونه من استيفاء أرفع منازل الوصف .

وقال الواحدى : فى جميع النسخ ، «وألطفها» بردّ الكناية إلى النجوم ، ولا معنى لذلك ، والصحيح أن تردّ الكناية إلى الممدوح ، فتقول : وألطفه ، أى وما ألطفه لوتناول النجوم ، بمعنى ما أحذقه وأرفقه بذلك التناول ، من قولهم : فلان لطيف بهذا الأمر ، أى رفيق به . يعنى : أنه يحسنه ، وهو ليس فيه بأخرق .

٣ — الإعراب — القنابل : الجماعات من الخيل . واحدها : قنبلة ، وهى خمسون من الخيل .

وقال الجوهرى : مابين الثلاثين إلى الأربعين ، وكذلك القنبلة من الناس .

المعنى — يريد : أنه قريب عليه كلّ بعيد على غيره .

والمعنى : إذا قاد جيشه ، ونفذ نحو العدوّ خيله ، ولثمته كتائبه بما تثيره من العجاج ، وما يتبعه من الرهج ، فكلّ ما يبعد على غيره ، قريب عليه مرامه ، وغير بعيد منه تناوله .

٤ — الإعراب — من رفع وقتا ، جعله اسم ليس ، « وشاغل » : نعتا له ، والخبر فى الجارّ والمجرور ، وعن الجود متعلق باسم الفاعل ، ومن نصبه جعله ظرفا ، وجعل شاغلا اسم ليس .

المعنى — يقول : إنه يدبر المشارق والمغارب ، والدوانى والقواصى ، وليس يشغله مع ذلك فى وقت من الدهر شاغل عن جوده ، ولا يعوقه عائق عما يبذله من فضله . والمعنى : لا يغفل عن الجود ، وإن عظم شغله ، كقول البحترى : =

يُتَبِّعُ هُرَّابَ الرِّجَالِ مُرَادُهُ ... فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارَضَتْهُ الْغَوَائِلُ(١)
وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ ... تَلَقَّاهُ مِنْـــــهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ(٢)
فَتًى لا يَرَى إِحْسَانَهُ وَهْوَ كَامِلٌ ... لَهُ كَامِلاً حَتَّى يُرَى وَهْوَ شَامِلُ(٣)
إِذَا الْعَرَبُ الْعَرْبَاءُ رَازَتْ نُفُوسَهَا ... فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكُ الْحُلَاحِلُ(٤)

= تَبِيتُ عَلَى شُـــغْلٍ وَلَيْسَ بِضَائِرٍ ... لِمَجْدِكَ يَوْمًا أَنْ تَبِيتَ عَلَى شُغْلِ

وقال الواحدى : تهوس ابن فورجة فى هذا البيت ، فروى «وقتا» بالرفع . قال : وفيه معنى لطيف ، ليس يؤدّيه اللفظ إذا نصب الوقت ، وذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب ، وما يحويانه ، وليس لها وقت يشغلها عن المجد ، وكفّ تملأ الشرق والغرب ، كان بأن تملأ ما هو أحقر منهما أولى . قال : وهذا الذى قاله باطل محال لايقوله إلا غمر جاهل ، والوجه النصب ، لأنه ظرف لشاغل .

١ — الغريب — الغوائل : جمع غائلة ، وهى الداهية المهلكة .

الإعراب — حربا : حال ، أى محاربا . وفلان حرب لفلان ، أى كان معاديا له .

المعنى — يقول : إنه يساعده جدّه ، وما مكنه الله من أمره ، ويتبع من هرب عنه من الرجال ، ما يريده سيف الدولة به ، ويعرضه مايعتقده له ، فمن فرّ عنه فى حربه أدركته فى مأمنه غوائل حتفه .

والمعنى : الذين يهربون منه تتبعهم همته ، فيهلكون بسبب من الأسباب .

٢ — المعنى — يريد : لعموم نائله فى الأرض ، فأين فرّ الحاسد فى عطائه ، استقبله حيث كان من البلاد .

والمعنى : من فرّ من إحسانه ، وأظهر مشاركته ، واعتقد مجانبته ، تلقاه من سيف الدولة حيثما سار ، عطاء يشمله ، وإنعام يعمه ، إشارة إلى أن جوده يشمل الحاسد والولى ، ويعم المحسن . وفيه نظر إلى قول حبيب :

وَإِذَا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِبَابِهِ ... لَمْ تَلْقَ إِلاَّ نِعْمَةً وَحَسُودَا

٣ — المعنى — يقول : لايرى جليل إحسانه ، وكامل إفضاله ، وإن بلغ فيه أبعد غاياته كاملا ، حتى يكون شاملا فى ذاته ، عامّا فى حقيقته . والمعنى : حتى يشمل الناس جميعا .

٤ — الغريب — العرباء : القديمة المحض ، التى لم يشبها هجين ، وهى الخالصة العروبة . ورازت : جرّبت واختبرت . والحلاحل : السيد الشجاع الرئيس . والجمع : الحلاحل (بالفتح) . =

أَطاعَتْكَ فى أَرْوَاحِها وَتَصَرَّفَتْ ... بِأَمْرِكَ وَالْتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبائِلُ(١)

وَكُلُّ أَنابِيبِ الْقَنا مَدَدٌ لَهُ ... وَما تَنْكُتُ الْفُرْسانَ إِلاَّ الْعَوامِلُ(٢)

= المعنى — يقول : إذا العرب العرباء الصرحاء ، والجلة منهم الكرماء ، جرّبوا أنفسهم ، وتحققوا أمرهم ، علموا أنك سيدهم جودا ونجدة ، وملكهم إقداما ورفعة .

١ — الإعراب — الضمير فى «أطاعتك ، وفى أرواحها ، وفى تصرّفت» راجع إلى العرب العرباء .

الغريب — القبائل : جمع قبيلة ، وهى كالبطن والعمارة والعشيرة .

المعنى — قال أبو الفتح : أى فى بذل أرواحهم ، أى هم لك مطيعون ، ولو أمرتهم ببذل الأرواح . ومعنى التفت عليك القبائل : أحاطت بك من حيث النسب ، وهو كقوله :

يَهُزُّ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ ... كَما نَفَضَتْ جَناحَيْها الْعُقَابُ

قال : ويجوز لإحداق أنسابها بنسبك ، فأنت وسيط فيهم .

وقال الواحدى : يريد : أنهم انضموا إليك ، وأحاطوا بك طاعة لك .

والمعنى : أنهم أطاعوك فى بذل أرواحهم ، وتصرّفوا على أمرك فى إيرادهم وإصدارهم ، واجتمعت قبائلهم على نصرتك ، ودانوا أجمعين بالخضوع لطاعتك .

٢ — الإعراب — الضمير فى «له» عائد إلى القنا .

الغريب — النكت : الوخز . والأنابيب : جمع أنبوب ، وهى العقدة الناشزة فى القنا . والعوامل : جمع عامل ، وهو صدر الرمح ، وهو ما يلى السنان ، وهو دون الثعلب ، وقيل : سمى بذلك لأنه يعمل به .

المعنى — قال أبو الفتح : قرأت عليه ينكت بالياء ، فقال بالتاء ، أى تنكت الأنابيب ، فلذلك أنث . والمعنى : أصحابك وإن كانوا أعوانا لك ، فأنت تولى الحرب بنفسك ، وتقدم إليها كتقدّم السنان .

وقال الواحدى : هذا مثل . يريد : أن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله ، وإذا لم يعاون بعض الرمح بعضا ، لم يحصل الطعن ، ولكن العوامل هى التى تصيب الإنسان ، لأن السنان فيها ، فكذلك القبائل كلهم مددلك والعمل منك ، فأنت فيهم كالعامل من الرمح : وهذا من قول بشار :

خُلِقُوا سادَةً فَكانُوا سَواءً ... كَكُعُوبِ الْقَناةِ تَحْتَ السِّنانِ

قال : وكما قال البحترى :

كَالرُّمْحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فَقْرَةً ... مُنْقادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الأَصْيَدِ

والمعنى : أنه يخاطبه ، ويقول له مؤكدا لما ذكره من التحاق العرب به ، وانقيادها لأمره ، =

رَأَيْتُكَ لَوْ لَمْ يَقْتَضِ الطَّعْنُ فِى الْوَغَى ... إِلَيْكَ انْقِيَادًا لَاقْتَضَتْهُ الشَّمَائِلُ (١)

وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمْهُ لَكَ الذُّلَّ نَفْسُهُ ... مِنَ النَّاسِ طُرًّا عَلَّمَتْهُ المَنَاصِلُ (٢)

= كل أنابيب الرمح مما تمده، وتعينه وتؤيده، ولكن العامل منها به يكون الطعن، وصرع الفرسان، فجعل موضعه من العرب وإن كانوا مددا له موضع العامل من الرمح الذى به يكون الطعن، وإليه ينسب الفعل من دون سائر الأنابيب.

١ — الغريب — الشمائل: جمع شمال، وهى الطباع والأخلاق. وفلان حسن الشمائل، وذلك أنه يشتمل على ما يحمد عليه.

وقال أبو الفتح: يجوز أن يجعل الأخلاق مشتملة عليه، والناس يستعملون الشمائل فى حسن الخلق والقدر.

المعنى — إن لم تطعك الناس خوفا من طعنك، أطاعوك حبا لشمائلك. يريد: أن كرمك وحسن أخلاقك أدعى إلى طاعتك من الطعان والقتال.

وقال أبو الفتح: لو لم تطعك الناس رهبة، أطاعوك محبة. والمعنى: يريد لو لم يقتض الطعن فى الحرب، انقياد أعدائك لك، وخضوعهم لأمرك، وحاولوا مدافعتك بأبلغ جهدهم، وراموا ذلك بظاهر فعلهم، لاقتضت انقيادهم لك شمائلك، ولقصرت على ذلك طبائعهم، لأن جبلتهم توجب خضوعهم لطاعتك، وأنفسهم تلزمهم الاعتراف لرياستك.

٢ — الغريب — المناصل: جمع منصل، وهو السيف. يريد: من لم تعلمه نفسه الذل لك، وترشده سعادته إلى الاعتلاق بك، علمته ذلك سيوفك، وأجبرته عليه جيوشك وكتائبك، فمن لم يطعك بالاعتراف والرغبة، أطاعك بالاقتدار والغلبة.

وقال يعزيه بأخته الصغرى ، ويسليه بالكبرى

وأنشدها فى رمضان سنة أربع وأربعين وثلاث مئة

وهى من الخفيف ، والقافية من المتواتر

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِى الرَّزِيَّةِ فَضْلا ... فَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجَلاَّ(١)

أَنْتَ يا فَوْقَ أَنْ تُعَزَّى عَنِ الْأَحْـبابِ فَوْقَ الَّذِى يُعَزِّيكَ عَقْلا(٢)

وَبِأَلْفاظِكَ اهْتَدَى فَإِذَا عَـزْ ... زَاكَ قالَ الَّذِى لَهُ قُلْتَ قَبْلا(٣)

١ — المعنى — يقول : إن يكن صبر من طرقه الدهر بمصيبة ، وعرّضته الأيام لرزية ، فضلا فيه وتماما منه ، فكن فى ذلك أفضل الأفضلين وأعزهم ، وأكرم الأكرمين وأجلهم ، لزيادة فضلك على فضلهم ، فليكن صبرك زائدا على صبرهم .

٢ — الإعراب — قال أبو الفتح : فوق الأولى ، نداء مضاف إلى أن تعزى ، والثانية ظرف .

وقال الخطيب : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون حذف المنادى ، ومثله كثير فى الشعر وغيره ، أى أنت يا سيف الدولة . والثانى أن يكون : فوق نعتا له ، وقد أخرجه من باب الظروف إلى الأسماء ، وهو أحسن ، فعلى الوجه الأوّل فوق الأولى والثانية ظرفان ، وعلى الوجه الثانى الأولى : اسم ، والثانية ظرف ، ونصب « عقلا » على التمييز .

المعنى — يقول : أنت يأيها الجليل مرتفع عن أن تعزى بمن فقدت من الأحباب ، وأصبت من الألاف ، فوق الذى يعزيك عقلا ومعرفة ورأيا وتجربة ، فكيف يحضك على الصبر من لا يماثلك فى درايتك ، ويندبك إلى التجلد من لا يصل إلى معرفتك وإحاطتك ، فأنت غنىّ بمعرفتك بأحوال الدهر عن التعزية .

٣ — الإعراب — نصب « قبل » على الظرف ، وجعله نكرة ، كما تقول : جاء أوّلا إذا لم تعرفه ، وتقول : جئتك قبلا وبعدا ، مثل : جئتك أوّلا وآخرا ، وقرئ فى الشواذ « لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ » بالتنوين والخفض ، وكقول الآخر :

فَساغَ لِىَ الشَّرابُ وَكُنْتُ قَبْلاً ... أَكادُ أَغَصُّ بِالْماءِ الْقَراحِ

وقد جاءت بعد مضمومة منوّنة ، وهو شاذ ، كقول العداء :

وَنَحْنُ قَتَلْنا الأُسْدَ أُسْدَ خَفِيَّةٍ ... فَما شَرِبَتْ بَعْدٌ عَلَى لَذَّةٍ خَمْراً

المعنى — يقول : المعزى لك إنما يهتدى بألفاظك ، ويخاطبك بما تعلمه من قولك ، =

قَدْ بَلَوْتَ الْخُطُوبَ مُرًّا وَحُلْوًا وَسَلَكْتَ الْأَيَّامَ حَزْنًا وَسَهْلَا(١)

وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْـ ـرِبُ قَوْلًا وَلَا يُجَدِّدُ فِعْلَا(٢)

أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلًا وَأَرَاهُ فِي الْخَلْقِ ذُعْرًا وَجَهْلَا(٣)

لَكِ إِلْفٌ يَجُرُّهُ وَإِذَا مَا كَرُمَ الْأَصْلُ كَانَ لِلْإِلْفِ أَصْلَا(٤)

= فقدرك مرتفع عن التعزية ، فإن حقائق الأمور مستفادة منك ، وجواهر الكلام مأثورة عنك ، إنما يقابلك بما أنت أعلم به ، ويذكرك بما أنت أحفظ له ، فهو كمن جاب إلى هجر القطيعاء ، وإلى الفرات الماء ، وإلى البدر الضياء .

١ — الغريب — الحزن : ضد السهل ، وهو : ما خشن من الأرض ، وارتفع ، والخطوب : طوارق الأيام . وفى البيت طباقان : المرّ والحلو ، والحزن والسهل .

المعنى — يقول : قد خبرت طوارق الدهر بمعرفتك ، وعرفت حلوها ومرّها بتجربتك ، وسرت فى الأيام مالكا صعبها ، تسلك منها ما صعب وسهل ، وتعانى ما بعد وقرب ، ناهضا بنفسك ، مكتفيا بعلمك .

٢ — الغريب — قتل الشىء علما : بلوغ غاية معرفته .

المعنى — يريد : أنت عرفت الزمان وأحواله وصروفه معرفة تامّة ، فلا يأتى بشىء لم تعرفه ، ولا يفعل جديدا لم تره ، فقد قتلته علما بأمره وإحاطة بوجوه تصرّفه ، فما يسمعك قولا تستغرب به ، ولا يجدّد لك فعلا تهيه ، ولا يطرقك إلا بما قد عرفته ، وأحطت بأمثاله وجرّبته ، وأجرى هذا كله على سبيل الاستعارة ، ومن بديع الكلام .

٣ — الغريب — الذعر : الفزع والخوف .

المعنى — قال الواحدى : قال ابن فورجة : إذا حزنت على هالك ، إنما تحزن حفاظا منك لمودّة ، وصحبة ، ووفاء عهد . والوفاء والحفاظ مما يدعو إليه العقل ، وغيرك يحزن خوفا من ألم الفراق ، وجهلا من غير معرفته بالسبب الموجب الحزن .

قال : وأما تفسير العقل والذعر فلم يصب فيه ، والوجه أن يقال : المراد بالعقل الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل إنما يحزن بالميت اعتبارا به ، وعلما أنه عن قريب يتبعه ، وحزن غير العاقل إنما يكون خوفا من الموت ، وهو جهل ، لأنه ميت لا محالة وإن حزن . انتهى كلامه .

والمعنى : إنما تحزن على من تصاب به من أحبتك ، حفظا لذمتهم ، ورعاية لحرمتهم ، وإنصافا وعقلا ، ووفاء وكرما ، وأراه فى غيرك خوفا وجزعا وجهلا .

٤ — الغريب — الإلف : السكون إلى الشىء ، والغبطة به . ألفت الشىء إلفا وألفة . ويجرّه ، وروى ابن جنى بالتاء ، وقال : تسحبه .

=

وَوَفَاءٍ نَبَتَّ فِيهِ وَلٰكِنْ ... لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلَا(١)

إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَيْنًا لَدَمْعٌ ... بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فَاسْتَهَلَّا(٢)

أَيْنَ ذِى الرِّقَّةُ الَّتِى لَكَ فِى الْحَرْ ... بِ إِذَا اسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلَّا(٣)

= وقال الخطيب بالياء ، أى يسحب إليك الحزن .

المعنى — يقول : لك إلف يجرّ إليك الحزن ، والوفاء من كرم الأصل ، وإن الكريم ألوف ، وإذا كان ألوفا ، حزن على فراق من يألفه .

والمعنى : لك إلف لكرم صحبتك ، يجرّ الحزن إليك ممن تفقده من أحبتك ، ويوجب الإشفاق منك على مواصلك ، وكذلك الأصل إذا كان كريما كأصلك ، متمكنا فى مثل نصاب شرفك ، كان أصلا لكريم المواصلة والمؤالفة ، وباعثا على مشكور المعاملة، فمنزلتك من الشرف تضمن الفضل عنك ، ومحلك من الكرم يوجب حسن المؤالفة ، والرواية الجيدة بالياء المثناة تحتها .

١ — الإعراب — قوله : ولكن ، هو على سبيل الاستثناء ، كما تقول : زيد شريف غير أنه سخىّ ، فهو معروف فى كلام العرب .

المعنى — لك وفاء نشأت فيه ، فلا تعرف غير الوفاء الأحباب .

والمعنى : ويجرّ عليك الحزن بالمفقودة وفاء ورثته من آبائك وعشيرتك ، كانت فيه نشأتك ، ونبتّ عليه فى سالف مدّتك ، ولم يزل أهلك أهل الوفاء والكرم ، وأرباب الفواضل والنعم ، فأنت من الإنصاف على وراثة سالفة ، ومن الوفاء والكرم على أوّلية متقادمة .

٢ — الإعراب — نصب عينا على التمييز ، كقولك : إن أحسن الناس وجها لزيد ، وروى الجماعة ، غير أبى الفتح عونا ، وهى أحسن من رواية أبى الفتح ، وبرواية أبى الفتح قرأت على شيخى أبى الحرم بالموصل ، وبالروايتين قرأت على شيخى أبى محمد عبد المنعم .

الغريب — الرعاية : حسن المحافظة . والاستهلال : الانسكاب .

المعنى — يقول : إن خير الدموع لدمع سببه رعاية العهد ، وهو عون على الحزن ، وذلك أنّ الدمع يخفف برح الوجد ، كما قال ذو الرمّة :

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً ... مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِى نَجِىَّ الْبَلَابِلِ

والمعنى : إن خير الدموع الجارية ، وأرفع العيون الباكية ، دمع بعثت الرعاية عليه : وأشار الوفاء والكرم إليه ، فانحدر وانسكب وتصبب .

٣ — الغريب — صلّ الحديد يصلّ إذا صوّت . والصليل : امتداد الصوت . وصلصلة اللجام : صوته ، ويريد : إذا استكره ضرب الحديد . وفيه نظر إلى قول لبيد:

أَحْكَمَ الْجِنْثِىُّ مِنْ عَوْرَاتِهَا ... كُلَّ حِرْبَاءٍ إِذَا أُكْرِهَ صَلّ =

أيْنَ خَلَّفْتَها غَـــدَاةَ لَقِيتَ الـــرُّومَ والْهامُ بِالصَّــوارِمِ تُفْلَى[1]

قاسَمَتْكَ المَنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْراً جَعَلَ القَسْمَ نَفْسَهُ فِيكَ عَدْلا[2]

= المعنى — يقول : أين هـذه الرقة التى نشهدها ، والشفقة التى نبصرها منك عنـد تقلدك الحرب ، واقتحامك فى شدائدها ، ونفاذك فى مضايقها ، حين يستكره الحديد فى رءوس الرجال ، ويكثر صليله بتجالد الأبطال . وهو من قول البحترى :

لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ الرَّقِيقُ رَقِيقاً لا وَلا وَجْهُكَ المَصُونُ مَصُونَا

١ — الغريب — تفلى : من فليت رأسه : إذا فصلت القمل منه ؛ وأصله من فلوت الفلوّ عن أمّه : إذا أنت فصلته عنها . وفى الحديث : « كان عليه الصلاة والسلام يدخل على أمّ حرام بنت ملحان ، فتفلى رأسه » . وهذه خالة أنس بن مالك ، وكانت تحت عبادة بن الصامت ، وتوفيت مع زوجها فى غزاة بفارس فى زمن معاوية بن أبى سفيان .

المعنى — يقول مؤكدا لما قبله : أين خلفت هذه الرقة عنـد لقائك الروم ، وإيقاعك بهم ، وإقدامك عليهم ، والرءوس تفلى بالسيوف ، والنفوس تخترم بالحتوف .

قال الواحدى : ويروى «تقلى» بالقاف ، أى ترمى كالقلة .

٢ — الغريب — المنون : المنيـة . والمنون : الدهر ، ويجوز تذكيره وتأنيثه ، ويأتى بمعنى الجمع ، وبمعنى الإفراد قال عدى بن زيد :

مَنْ رَأَيْتَ المَنُونَ خَلَّدْنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ تُضامَ خَفِيرُ

وقال أبو ذؤيب :

* أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِها تَتَوَجَّعُ *

فروى وريبها بالتذكير والتأنيث .

وقال أبو محمـد عبد الله بن برى النحوى المقدسى : المنون : اسم مفرد ، ولا يكون جمعا ، وقول عدى بن زيد خلدن ، فإنه أراد بالألف واللام الجنس ، كقوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا » ، وقوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ » وسبب ذلك كون الألف واللام تصير الطفل بمعنى الأطفال ، والسماء بمعنى السموات .

المعنى — أنه يعزيه بالكبرى الباقية ، فيقول : قاسمـك الموت شخصين ، فذهب بأحدهما وترك الأخرى ، فكانت هذه المقاسمة جورا ، لأنه كان من حقك أن يتركهما ، ولكن هذا الجور عدل فيك ، حيث تركك حيا ، وكانت المقاسمة معك فى الأختين . والمعنى : إذا كنت أنت البقية ، فالجور عدل ، هذا إذا نصب القسم ، وجعل الفعل للجور ، ومن روى جعل القسم نفسه فيه عدلا . يريد : أنّ القسم جعل نفسه عدلا فى الجور ، لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبقى =

فإذا قِسْتَ ما أخذنَ بما أغـ ... ـدرْنَ سرَّى عن الفُؤادِ وسلَّى[١]

ولعمْرى لقدْ شغلْتَ المنايا ... بالأعادِى فكيْفَ يطلُبْنَ شُغْلا[٢]

وَكمِ انتَشْتَ بالسُّيُوفِ منَ الدَّهْـ ... ـرِ أسيراً وبالنَّوالِ مُقِلاَّ[٣]

عَـدَّها نُصْرَةً عليْهِ فلمَّا ... صالَ خَتْلاً رآهُ أدْرَكَ تبْلا[٤]

= الكبرى ، و يصحح هذا قوله : فإذا قست . والمعنى : أن الموت وإن كان لا بدّ منه ، ولا مخلص لأحد عنه فقد متعك بالإكرام عليك ، وأبقى لك أحبّ الشخصين إليك .

١ — الغريب — أغدرن ، مثل غادرن ، وهو الإبقاء ، والترك . وسرّى : أذهب . وسلى : أى عزى .

المعنى — يقول مخاطبا له : إذا تأملت تبينت أن حظك فى هذه القسمة أوفى وأكمل ، وجدّك أعلى وأفضل ، لأن المنون التى قاسمتك لامدفع لها ، وقد آثرتك بالحظ الأوفر ، واقتصرت على المفقود الأصغر ، وهذا الكلام على تجوّز الشعراء وتزيدهم .

٢ — المعنى — يقول : لقد شغلت المنايا بما تواصله فى أعدائك من القتل ، وما توجبه عليهم من الهلاك فى الحرب ، فكيف تطلب المنايا شغلا بغيرهم . يشير إلى أن الموت من أعوانه إلى أعدائه ، فكيف يتخطى إلى ذى قرابته ، وخالف مراده فى أهل عنايته .

٣ — الغريب — انتاشه من صرعة : إذا نعشه .

المعنى — يقول : كم نصرت أسيرا من الزمان بسيفك ، فاستنقذته من الأسر ، وكم من مقلّ عديم نصرته بنوالك ، وجبرته على كره الزمان .

٤ — الإعراب — الضمير فى « رآه » للدهر ، وهى من رؤية القلب كما يقول الأعمى : رأيت زيدا ذا مال ، أى علمته ، وعدّها فيه ضمير للدهر ، والمفعول لأفعال سيف الدولة .

الغريب — صال : وثب . واستطال صولا وصولة : وفى المثل «ربّ قول أشدّ من صول» . والمصاولة المواثبة . والتبل : الحقد والعداوة . والختل : افتراس الشىء على خديعة ، وحين غفلة .

المعنى — يقول : عدّ الدهر فعلك نصرة عليه ، ومراغمة له ، فلما استطال عليك بأخذ أختك ، رأى نفسه قد أدرك حقدا ، لأنه قد حقد عليك بما فعلته من فكّ الأسارى ، وإغناء المقلين . والمعنى : أن الدهر عدّ فعلك نصرة عليه ، فصال على أختك مختالا غير مجاهر ، ومخادعا غير مكاثر ، فرأى نفسه مدركا منك ثأرا طلبه ، ومجازيا بضغن اعتقده .

كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْلِيـــهِ وَتَبْقَى فِى نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلَى (١)
وَلَقَدْ رَامَكَ الْعُــــدَاةُ كَمَا رَا ... مَ فَلَمْ يَجْرَحُـــوا لِشَخْصِكَ ظِلاَّ (٢)
وَلَقَدْ رُمْتَ بِالسَّـــعَادَةِ بَعْضًا ... مِنْ نُفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكْتَ كُلاَّ (٣)
قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلٰـكِنْ ... تَرَكَ الرَّامِحِينَ رُمْحُكَ عُــزْلاَ (٤)
لَوْ يَكُونُ الَّذِى وَرَدْتَ مِنَ الْفَجْـــعَةِ طَعْنًا أَوْرَدْتَهُ الْخَيْلَ قُبْلاَ (٥)

١ — المعنى — يقول : كذبت الدهر ظنونه فيما رامك من الثكل ، وعرّضك له من الحزن ، أنت تبليه بطول سلامتك ، وتغلبه باتصال سعادتك ، و يبقيك الله فى نعمة لا تبـلى ، سابغة ، لا تنقص ، تامّة نامية .

٢ — المعنى — يقول : لقـد رامك أعداؤك ، بمثل مارامك الزمان من التعرّض لمساءتك ، والإقدام على معارضتك ، فعجزوا عن التأثير فى ظلك ، فضلا عن أن ينالوا بذلك خاصة نفسك .

٣ — المعنى — يقول : طلبت بسعدك ، وما تكفل الله لك من إعلاء أمرك ، بعض نفوس أعدائك ، فأدركت كلها ، وحاولت خصوصا منها ، فمكن لك الإقبال جميعها ، فالأقدار تيسر لك أفضل مما ترغبه ، وتقرب لك أفضل وأكثر مما تطلبه .

٤ — الغريب — القرع : الضرب . والرامحين : جمع رامح وهو الذى يحمل الرمح . وعزل : جمع أعزل ، وهو الذى لا رمح معه .

المعنى — يقول : لما نازلت الأقران ، وطاعنت الفرسان ، قارعت رمحك رماحهم ، وأنت بشدّة قرعك ، وزيادة قوّتك ، أطرت رماح الطاعنين لك ، وأسقطتها من أيد المترسمين بك ، فصاروا عزلا بين يديك ، عاجزين عن الإقدام عليك . يشير إلى ماهو عليه من الحذق بالطعن ، والاقتدار على التصرّف فى الحرب .

٥ - الغريب — القبل : جمع أقبل ، وهو الذى يقبل إحدى عينيه على الأخرى عزّة وتشاوسا .

وقال الخطيب : هو ضدّ الحول ، لأن الحول أن تخالف إحدى العينين الأخرى .

وقال الجوهرى : القبل فى العين إقبال السواد على الأنف ، وقد قبلت عينه ، وأقبلتها أنا ، ورجل أقبل : بين القبل ، وهو الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه . قالت الخنساء :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلاً ... تُبَارِى بِالْخُدُودِ شَبَا الْعَوَالِى

المعنى — يقول : لو كان الذى أصابك من الرزية طعنا لأوردته خيلا . قبلا : جمع أقبل .

والمعنى : لو يكون الذى طرقك من فجيعتك طعانا ومنازلة ، وقتالا ومفاوزة ، لأوردت ذلك الموطن الخيل قبلا مقدمة ، ولأقحمتها على الموت أشدّ الإقحام مكرهة .

وَلَكَشَفْتَ ذَا الْحَنِينَ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَّفَ الْكُرُوبَ وَجَلَّى(١)
خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَإِنْ كَانَتِ الْمُسَمَّاةُ ثُكْلَا(٢)
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْوًا ذَاتُ خِدْرٍ أَرَادَتِ الْمَوْتَ بَعْلَا(٣)
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِى النَّفْسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى(٤)

---

١ — الغريب — الحنين : صوت يبعثه الحزن والاشتياق : وهو الشوق (أيضا) ، يقال حنّ إليه يحنّ حنينا ، فهو حانّ .

المعنى — يقول : ولكشفت عن نفسك ذا الحنين الذى تجده على المفقود ، بضرب كشف الكروب عن أصحابك ، وجلاها عنهم .

والمعنى يقول : لو كان هذا الحنين المتصل على رزيتك ، مما يستدفع بمغالبة ، و يستكشف بمكاثرة ، لكشفته بضرب بالغ ، و إقدام على الموت صادق ، فطالما كشف الكروب الموجعة ، وجلى المخافات المفزعة ، ولكن الموت لايدفع بشدّة ، ولا يعتصم منه بقوّة .

٢ — الإعراب — من روى : المسماة بالرفع ، جعل «ثكلا» : خبر كان ، ومن نصب «المسماة» جعلها خبر كان ، ونصب « ثكلا » بالمسماة ، كقولك : ضربت المعطاة درهما .

الغريب — الخطبة : الإرسال فى طلب النكاح . والحمام : الموت . والثكل : المصيبة بالولد وما أشبهه من الأحبة ، وذوى القرابة .

المعنى — يقول : كانت هذه الوفاة خطبة من الموت لاتردّ ولا تمنع ، ورغبة و إن كان اسمها ثكلا وفجعة ورزءا ومصيبة ، فهى للموت فائدة ، ومنزلة ورفعة ، بجلالة من ظفر بها ، وعلوّ منزلته التى عرض لها .

٣ — الغريب — الكفو : المثل . والخدر : الخيمة والكلة والحجال . والبعل : الزوج .

المعنى — يقول : إذا كانت ذات الخدر لاتجد من الناس كفوا ، أرادت الموت أن يكون بعلا لها ، يتكفل بصيانتها ، ويذهب بها ، موفيا لحق جلالتها ، دون أن تملك بالنكاح تملك سائر الناس وذوات النظراء والأكفاء .

وقال الواحدى : أرادت الموت ، لأنها إذا عاشت وحدها لم تتمتع بلذّة الحياة وشبابها ، فاختارت الموت على الحياة ، إذلم تجد كفؤا من الأزواج .

٤ — الغريب — اللذيذ : المستحبّ . والنفيس : الرفيع المطلوب .

المعنى — يقول : الحياة لاتملّ ، وهى أعزّ وأحلى من أن يملها صاحبها . =

وَإِذَا الشَّيْخُ قالَ أُفٍّ فَما مَـلَّ حَياةً وَإِنَّما الضُّعْفَ مَلَّا(١)
آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّـةٌ وَشَبابٌ فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الْمَرْءِ وَلَّى(٢)
أَبَدًا تَسْتَرِدُّ ما تَهَبُ الدُّنْيا ، فَيالَيْتَ جُودَها كانَ بُخْلا !(٣)

= والمعنى : ماتستلذه أنفس الناس من الحياة ، أنفس فيها ، وأشهى إليها من أن يمل ذلك ويستطال ، ويكره ولا يستدام . وهو منقول من قول الحكيم : إذا تجوهرت النفس تعلقت بالعالم العلوي ، فلا تسكن إلى الهمم الترابية ، ولا يعترضها ملل .

١ — الغريب — أفّ : كلمة المتضجر . وأفّ له : بمعنى ويل له ، فيها لغات بالحركات الثلاث مع التنوين ، وغير التنوين ، وآف بالمد . وقد قرأ ابن كثير وابن عامر (بالفتح) من غير تنوين ، وقرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين ، وقرأ الباقون بالكسر من غير تنوين ، وفي الضعف لغتان : فتح الضاد وضمها ، وبالفتح قرأ عاصم وحمزة .

المعنى — يقول مؤكدا لما قدم : وإذا قال الشيخ أفّ لنفسه ، وأظهر الاستطالة لمدة عمره ، فلم يكن ذلك لأنه ملّ الحياة وسئمها ، فإنما ملّ الضعف والهرم ، واستكره الكبر والألم . وهذه إشارة إلى أن الحياة تألفها طباع البشر ، وتستحب في الشبيبة والكبر . وهو منقول من قول الحكيم : الكلال والملال يتعلقان بالأجسام ، لضعف آلة الجسم .

٢ — المعنى — إن العيش إنما يطيب بالشباب وصحة الجسم ، فإذا ذهبا عن الإنسان فسد عيشه .

والمعنى : آلة العيش وبهجته وحقيقته : الشباب والصحة ، والإقبال والقوة ، فإذا ذهب ذلك ولى وأدبر ، وتنغص عليه وتكدر .

٣ — الإعراب — الدنيا : مرفوعة بتسترد عندنا ، وبتهب عند البصريين ، لأنهم يعملون الثاني ، وبه جاء القرآن ، وإعمال الأول جاء في الأشعار كثيرا .

المعنى — يقول الدنيا تستردّ ما تهب ، فليتها بخلت وما جادت . والمعنى : ان الدنيا مستحيلة ، منتقلة متغيرة تسترد هبتها ، وتكدر مشربها ، وتعقب البقاء بالفناء ، والسراء بالضراء ، فياليت الحياة التي جادت بها ، واخترعت الأنفس بحبها ، لم تكن واقعة ، ولم توجد النفوس إليها ساكنة ، وليتها بخلت بما جادت ببذله ، ومنعت ما تسرعت إلى فعله ، وهذا كقول الحلاج :

* وَلَلْمَنْعُ خَيْرٌ مِنْ عَطاءٍ مُكَدَّرِ *

وكما قال الآخر :

الدَّهْرُ آخِذُ مَا أَعطَى ، مُكَدِّرُ مَا أَصْفَى ، وَمُفْسِدُ مَا أَهْوَى لَهُ بِيَدِ
فَلَا يَغُرَّنْكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيَّتُهُ فَلَيْسَ يَتْرُكُ مَا أَعطَى عَلَى أَحَدِ

وهو من قول الحكيم : الدنيا تطعم أولادها ، وتأكل أولادها .

فَكَفَتْ كَوْنَ فَرْحَةٍ تُورِثُ الْغَمْ — مَ وَخِلٍّ يُغَادِرُ الْوَجْدَ خِلَّا(١)
وَهْيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لا تَحْـ — ـفَظُ عَهْدًا وَلا تُتَمِّمُ وَصْلا(٢)
كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا — وَبِفَكِّ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى(٣)
شِيَمُ الْغَانِيَاتِ فِيهَا فَلا أَدْ — رِى لِذَا أَنَّثَ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لا(٤)

١ — الغريب — الخل : الخليل والصاحب .

المعنى — يقول : لو بخلت ولم تجد ، لكفتنا فرحة بوجود شيء يعقب لفقده غما ، فكانت تكفى أهلها بذلك ، فرحة تؤدّى إلى غمّ ، ومسرّة تئول إلى حزن ، وكون خليل يؤنس بقربه ، وتتأكد البصيرة فى حبه ، ثم تخترمه المنية ، وتغادر الهمّ خليلا للحازن عليه ، وإلفا لذى الوجد المشتاق إليه ، فالدنيا مثل رجل وهب لرجل شيئا، فلما فرح به أخذه منه ، فكان أسفه عليه أكثر من فرحه به .

٢ — المعنى — يقول : هى على هـذه الحالة من الغدر ، والرجوع فى الهبة محبوبة .

والمعنى : أنها محبوبة عند أهلها على كثرة غدرها ، ومحبوبة (أيضا) على قلة وفائها لهم ، لاتتم وصلها ، ولايشكر من صحبها فعلها .

٣ — المعنى — يريد : كلّ من أبكته الدنيا إنما يبكى عليها ، ولا يخلى الإنسان يديه عنها إلا قسرا بحلّ يديه منها .

والمعنى : كلّ دمع تسيله ، فإنما هو أسف على مفارقتها ، وكلّ حزن تبعثه ، فإنما ذلك إشفاق على مباعدتها ، وبحلّ اليدين المتمسكتين تترك وتزايل ، وبفكها عنها تخلى وتباين ، وهذا إشارة إلى الموت الذى يغلب أهل الدّنيا على قربها ، ويخرجهم عنها مع كلفهم بحبها .

٤ — الغريب — الشيم : الطبائع . واحدها : شيمة . والغانيات : النساء الشوابّ . الواحدة : غانية ، وقيل : هى ذات الزوج التى قد غنيت بزوجها . قال جميل :

أُحِبُّ الأَيَامَى إِذْ بُثَيْنَةُ أَيِّمٌ — وَأَحْبَبْتُ لَمَّا أَنْ غَنِيتِ الْغَوَانِيَا

وقيل : غنيت بحسنها وجمالها .

المعنى — يريد : أن الدنيا طبعها طبع الغوانى ، يشير إلى ما هنّ عليه من عدم الصيانة للودّ ، وقلة الإقامة على العهد ، وتخلق الدّنيا بهذه الخليقة ، واحتمالها على هذه الطريقة ، فلا أدرى لهذا التمثيل أنث اسمها الناس ، وهذا من باب التجاهل لعذوبة اللفظ ، وصنعة الشعر ، كما قال زهير :

وَمَا أَدْرِى وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِى — أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ ؟

هو يدرى أنهم رجال ، ولكنه تعامى عن هذا ، لأن فيه ضربا من الهزء بهم .

يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمُفَرِّقَ مَحْيًا وَمَمَاتًا فِيهِمْ وَعِزًّا وَذُلَّا (١)
قَلَّدَ اللهُ دَوْلَةً سَيْفُهَا أَنْتَ حُسَامًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى (٢)
فَبِهِ أَغْنَتِ الْمَوَالِيَ بَذْلاً وَبِهِ أَفْنَتِ الْأَعَادِيَ قَتْلاً (٣)
وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلاً (٤)
وَإِذَا الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا وَإِذَا الْأَرْضُ أَمْحَلَتْ كَانَ وَبْلاً (٥)
وَهُوَ الضَّارِبُ الْكَتِيبَةِ وَالطَّعْنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى (٦)

---

١ — الإعراب — فى بعض النسخ المفرق (بالرفع)، وهو خطأ، لأن المضاف إذا وصف بمفرد لايجوز فيه سوى النصب.

المعنى — يقول : يامليك، والمليك والملك والمالك بمعنى. يريد : يأيها المليك الجليل قدره، المشهور فضله، الذى تسلم الحياة بموالاته، ويتعرض للموت والقتل بمعاداته، ويقسم العز بطاعته، والذل بمعصيته، وتفرق هذه الأحوال فيمن والاه ووافقه، ونابذه وخالفه.

٢ — المعنى — يقول : قد قلد الله دولة جعلك سيفها المحامى عن حوزتها، وحائطها المدافع عن بيضتها، حساما حلاه بالمناقب والفضائل، وزينه بالمحاسن والمكارم، فهو يحمى تلك الدولة ويزينها، ويعز تلك المملكة ويمكنها.

٣ — المعنى — يقول : بذلك السيف أغنت هذه الدولة أولياءها، بذلا ومكارمة، وبه أفنت أعاديها قتلا ومراغمة، فهو يحيى الموالى بماله، ويميت الأعادى بسيفه ورجاله.

٤ — الغريب — الاهتزاز : الارتياح. والوغى : الحرب. والنصل : السيف.

المعنى — يقول : إذا اهتز للعطاء كان كالبحر فى كثرة مواهبه، وعموم مكارمه، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف فى نفاذ عزمه، وقوته فيما يحاوله من أمره.

٥ — الغريب — المحل : قلة النبات فى الأرض من عدم المطر. والوبل : المطر الكثير.

المعنى — يقول : إن سيف الدولة اذا أمحلت الأرض، وأعتمت خطوبها، كان كالشمس المشرقة، وإذا اتصلت محولها كان جوده كالسحاب المغدقة، فينير إذا استبهم الأمر، ويجود إذا بخل الدهر.

٦ — المعنى — يقول : هو الذى يضرب الجيش إذا اشتد الأمر، وصعب الحال، وغلت الطعنة، أى عز وجودها، وإذا غلت الطعنة كان الضرب أغلى من الطعن لحاجة الضارب إلى مزيد إقدام.

وقال ابن فورجة : يريد : إذا لم يقدر على الدنو من العدو قيد رمح، فالدنو إليه قيد سيف أصعب. يريد : أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم الطاعن والضارب.

=

أَيُّها الْبَاهِرُ الْعَـــــقُولَ فَما يُدْ رَكُ وَصْفاً أَتْعَبْتَ فِكْرِى فَمَهْلاً(١)

مَنْ تَعاطَى تَشَبُّهاً بِكَ أَعْيا هُ وَمَنْ دَلَّ فى طَرِيقِكَ ضَلاَّ(٢)

فَإِذَا ما اشْتَهَى خُــلُودَكَ دَاعٍ قالَ لا زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلاَ(٣)

= وقال أبوالفتح : يريد : إن كان الطعن صعبا على الطاعن فهو أيسر من الضرب ، لأن بعد الطاعن عن عدوّه أكثر من بعد الضارب ، والرامى أبعد من الطاعن . وقد رتبه زهير بقوله :

يَطْعُنُهُمْ ما ارْتَمَوْا حَتَّى إذا اطَّعَنُوا ضارَبَ حَتَّى إِذَا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا

ومعنى البيت يقول : هو الضارب الجماعة من الخيل ، والكتيبة من الجيش ، والحرب متوقدة ، ونيرانها مضطرمة ، والطعن بين الفرسان يغلو و يشرف ، و يشتدّ و يفرط ، والضرب أغلى وأفرط ، وأشدّ وأبلغ ، فدلّ على أنّ سيف الدولة عند اشتداد الحرب ، يقتحم الكتائب بنفسه ، و يستخفّ ذلك بشدّة بأسه .

١ — الإعراب — العقول بالنصب : هو الأصل ، وبالخفض تشبيها بالحسن الوجه ، ونصب وصفا على التمييز ، وروى ابن جنى يدرك بالياء ، وروى غيره بالتاء وكسر الراء ، والضمير للعقول ، وروى جماعة تدرك على الخطاب للممدوح ، وهو الأحسن .

الغريب — الباهر : الغالب .

المعنى — يقول : يامن غلب العقول بما ظهر من بدائع أفعاله ، فما تدرك العقول على الرواية بكسر الراء وصفا له ، أتعبت فكرى فمهلا ، أى ارفق .

والمعنى : أيها الملك الذى بهر العقول بكثرة فضائله ، وأعجز الأوصاف بتتابع مكارمه ، مهلا على فكرى فقد أتعبته ، ورفقا بما أنظم فيك فقد أعجزته .

٢ — المعنى — يقول : وكيف لا يكون ذلك ، ومن أراد أن يتشبه بك فى كرمك أعجزه ذلك ، فلم يقدر على التشبه بك ، ومن أراد الدلالة فى طرقك فقد ضلاته فضائلك ، لأنك تسبق ولا تسبق ، وتتقدّم فلا تلحق .

والمعنى : لايقدر أحد على مجاراتك فيما تسلكه .

٣ — المعنى — يقول : إذا دعالك داع بالخلود ، قال لامت حتى ترى لك نظيرا فإنك لاترى لك نظيرا ، فلا تزال باقيا .

والمعنى : إذا اشتهى أحد أن يدعو لك بطول العمر ، واتصال البقاء على مرّ الدهر ، فليقل : بقيت حتى ترى لنفسك شبيها ، وملكا يعادلك فى مجدك ، يشير إلى أنه لايظفر الزمان بمثله ، ولا يبلغ أحد إلى غاية فضله .

وقال يمدحـــه

ويذكر نهوضه إلى الثغر، وذلك فى جمادى الأولى سنة أربعين(١) وثلاث مئة

وهى من الخفيف، والقافية من المتواتر

ذِى المَعالِى فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعالَى ... هٰكَذَا هٰكَذَا وَإِلاَّ فَلاَلا(١)

شَرَفٌ يَنْطَحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيْـــهِ وَعِزٌّ يُقَلْقِلُ الأَجْبـــالا(٢)

١ — الإعراب — ذى : اسم مبهم، يشار به إلى المؤنث، كما يشار بذا إلى المذكر، وتقديره هذه.

المعنى — يقول مشيرا إلى ما فعله سيف الدولة فى بداره الى جيوش الروم، وانهزامهم من بين يديه، ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار الحدث، هذه المعالى التى تؤثر، والمكارم التى تخلد على أثبت حقائقها، وأبعد غاياتها، فمن تعاطى الإقدام والقوّة، والتعالى والرفعة. فلينهض بمثلها، وليتقدّم إلى فعلها، هكذا سبيلها، ووجهها وطريقها، وإلا فلا يتعرّض الرؤساء لها، ولا يتميزوا بها، وكرّر لا على سبيل التوكيد. وكان سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوش النصرانية، قد نزلوا على حصن الحدث، ونصبوا عليه مكايد، وقدّروا أنها فرصة فيه، لما تداخل أهله من الانزعاج والقلق، وكان ملكهم قد ألزمهم قصده، وأنجدهم بأصناف الكفر، من البلغر، والروس: والصقلب، وأنفذ معهم العدد الكثير والعدد، فركب سيف الدولة نافرا، وانتقل إلى غير الموضع الذى كان فيه، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه، وسار عن حلب فى جمادى الأولى، فنزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجمة، لأنهم ضبطوا الطرق، ليخفى عليه خبرهم، فلما ضجر لبس سلاحه، وأمر أصحابه بمثل ذلك، وسار زحفا، فلما قرب من الحدث، عادت الجواسيس تعلمه أن العدوّ لما أشرفت عليه خيول المسلمين من عقبة يقال لها : العبرى، رحل ولم تستقرّ به دار، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبر، خوفا من كمين يعترض الرسل، فنزل سيف الدولة بظاهره، وأتتهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان، ووقعت الضجة، وظهر الاضطراب، وولى كلّ فريق على وجهه، وخرج أهل الحدث، فأوقعوا ببعضهم، وأخذوا آلة سلاحهم، وأعدّوه فى حصنهم.

٢ — الغريب — الروق : القرن. والقلقلة : الحركة. وجمع جبل : جبال وأجبال.

المعنى — انه فسر معاليه بهذا البيت، فقال : شرفك يزاحم النجوم فى العلوّ، وعزك أثبت من الجبال وأرسى. يريد : أن شرفك يبلغ الثريا بعلوّه، ويزاحمها بجلالة قدره، ويناطحها بقرنيه، واستعار لشرفه قرنين، لأنها فى الحيوان من أسباب القوّة، ودواعى الإقدام والمنعة، مع عزّ تتقلقل الجبال من هيبته، وتضطرب إعظاما لرفعته.

وقال الواحدى : يريد أن سلطانه ينفذ فى كلّ شىء، حتى لو أراد أن يزيل الجبال لحركها.

(١) فى شرح الواحدى أن ذلك كان فى جمادى الأولى سنة ٣٤٤ — المصحح.

حالُ أَعْدَائِنا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدَّ ... وْلَةِ ابْنُ السُّيُوفِ أَعْظَمُ حالاَ(١)
كُلَّما أَعْجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيراً ... أَعْجَلَتْهُمْ جِيادُهُ الإِعْجالاَ(٢)
فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقُ الْأَرْضِ ما تَحْمِلُ ... إِلاَّ الْحَدِيدَ وَالْأَبْطالاَ(٣)
خافِياتِ الْأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّقْعُ ... عَلَيْها بَرَاقِعاً وَجِلالاَ(٤)

---

١ — المعنى — يقول حالهم عظيم فى كثرتهم، وشدّتهم ومنعتهم، ولكن سيف الدولة ابن الملوك العظماء، والسيوف الماضية على الأعداء، أعظم وأرفع، وأنفذ وأمنع .

٢ — الغريب — النذير: الذى ينذر أصحابه ويحذّرهم، وأراد بالنذير هنا: الجاسوس .

المعنى — قال أبو الفتح: كلما عاد إليهم نذيرهم سابقوه بالهرب قبل وصوله، ثم تلتهم خيل سيف الدولة، فسبقت النذير .

قال الواحدى: قال ابن فورجة: أعجلته بمعنى استعجلته، فأما سبقته فيقال فيه: عجلته . يقول: كلما استعجلوا النذير بالمسير إليهم و إخبارهم بقدوم جيش سيف الدولة، أظلت عليهم خيله قبل قدوم النذير عليهم، ويجوز أن يريد أن العدوّ كلما أعجلوا النذير بهم، وبادروا المتقلدين لأطراف أعمال سيف الدولة، والمتصرّفين فى أقاصى بلاده، ورجوا أن يصيبوا منهم غرّة، وينتهزوا فيهم فرصة، بادرتهم خيوله، ولحقتهم جيوشه، وأعجلتهم عن ذلك الإعجال، فصرفتهم على أسوإ الأحوال .

٣ — الغريب — خوارق الأرض: الخيل لشدّة وطئها . ومثله :

إِذَا وَطِئَتْ بِأَيْدِيها صُخُوراً ... بَقِينَ لِوَطْءِ أَرْجُلِها رِمالاَ

المعنى — يقول: أتتهم خيل سيف الدولة تخرق الأرض نحوهم مسرعة، وتطويها إليهم مبادرة، لا تحمل إلا الشجعان، والحديد الذى يشملهم، والسلاح الذى يعمهم ويسترهم .

٤ — الغريب — النقع: الغبار . و براقع الخيل وجلالها: معروف . والبرقع: ما ستر الوجه، ولم يبق منه إلا العينان . والجلّ: ما كان على ظهر الدابة تحت السرج .

المعنى — يقول: أتتهم خيل سيف الدولة وقد خفى لونها، فلا يعرف الأدهم من الكميت، ولا الأشهب، ولا الأشقر من الغبار الذى يثيره ركضها، و يبعثه سيرها، حتى كان عليها من ذلك القتام براقع تستر وجهها، وجلالا تشمل جسومها . يشير إلى ماتجشمه من التعب، وما كان عليه من قوّة الطلب . وهو من قول عدى بن الرقاع :

يَتَعاوَرَانِ مِنَ الْغُبارِ مُلاَءَةً ... دَكْناءَ مُحْدَثَةً هُمَا نَسَجاها

وفيه نظر إلى قول عوف بن عطية :

كَأَنَّ الظِّباءَ بِها وَالنِّعا ... جَ أُلْبِسْنَ مِنْ رَازِقِيٍّ شِعاراً

حالَفَتْهُ صُـــدُورُها وَالْعَوالِي لَيَخُوضُنّ دُونَهُ الأَهْوالا(١)

وَلتَمْضِنّ حَيْثُ لا يَجِدُ الرُّمْـــحُ مَداراً وَلا الحِصانُ مَجالا(٢)

١ — الغريب — المحالفة : المعاهدة . والعوالى: الرماح. والأهوال: جمع هول ، وهو الأمر الشديد.

الإعراب — قال أبو الفتح طال الكلام بينى و بينه فى قوله «ليخوضنّ» ، فقال : هو مثل قولى ، وقلنا للسيوف هلمن (بضم الميم) وذلك أنه لما وصفها بالمحالفة أجراها مجرى من يعقل مثل الجماعة المذكرين ، و يؤيده قوله تعالى : « يأيها النمل ادخلوا مساكنكم ، ورأيتهم لى ساجدين ، وكلٌّ فى فلك يسبحون » كلّ هـذا أجرى مجرى من يعقل لما خوطب ، وأخبر عنـه بالسجود والسباحة ، والأفعال فى الأكثر إنما تكون لذوى العقل ، لأن كلّ ذى عقل يصحّ منه الفعل ، وما ليس من ذوى العقول ، فإنما يصحّ الفعل من بعضـه كالفرس ونحوه ، ومنه ما لايصحّ منه الفعل كالدار ، وشبهها مما ليس فيه روح ، فإحراق النار لما وقع فيها ليس بفعل لها فى الحقيقة ، و إنما هو فعل الله تعالى ، وهذا يعرفه أهل الكلام .

المعنى — يريد : أن صدور خيله وعوالى رماحه ، حالفته على أن تخوض معه المهالك .

والمعنى : أنها حلفت لتمتثلنّ أمره ، ولتخوضنّ الأهوال دونه ، ولتبلغنّ فى ذلك مراده لاتحمل إلا الأبطال ، ناهضة غير عاجزة ، ومجدّة غير وانية ، ولوكان قال : لتخوضنّ بالتاء المثناة فوقها لكان أولى .

٢ — المعنى — قال أبوالفتح : كان الوجه أن يقول : لتمضينّ ، كما تقول : حلفت هند لتقومنّ ، وهى و إن كانت جماعة الصـدور والعوالى ، لـكنه أجراها مجرى الواحدة ، وقد أجاز الكوفيون مثل ذلك لتمضنّ ، ولترمنّ ، فعلى هـذا حذفت الياء لسكونها وسكون النون الأولى بعدها ، ولم تحرّك الياء بالفتح ، وجرى مجرى قوله :

* كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْقاعِ الْقَرِقْ *

قال : وفى بعض النسخ ليخوضنّ وليمضنّ بكسر الضاد ، ولا وجه له، لأنه إذا أجراها مجرى جماعة المذكرين ، فقياسه ضمّ الضاد ، كقولهم : حلف الزيدون ليفرنّ ، فأصله ليفرون ، فحذف الواو بدخول نون التوكيد، فبقى ليفرنّ، و إن أراد يمضين هنّ فخطأ ، لأنه لو أراد ذلك لوجب أن يقول : ليمضينان ، كما تقول فى جماعة النساء ليضربنان ، فإن قيل : إنما أراد ليمضين سيف الدولة على لغة من قال : ليمضنّ زيد ، قيل : ليس على هـذا وضع الكلام ، إنما أراد أن الرماح وصـدور الخيل حالفته .

الغريب — الحصان . الفرس الذكر . والجمع : حصن . وفرس حصان بالكسر بين التحصن والتحصين ، ويقال : إنما سمى حصانا، لأنه ضنّ بمائه ، فلم ينز إلا على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سموا كلّ ذكر من الخيل حصانا .

لا أَلُومُ ابْنَ لاوِنٍ مَلِكَ الرُّو مِ وَإِنْ كانَ ما تَمَنَّى مُحالا[١]

أَقْلَقَتْهُ بَنِيَّةٌ بَيْنَ أُذْنَيْـ ـهِ وَبانٍ بَغَى السَّماءَ فَنالا[٢]

كُلَّما رامَ حَطَّها اتَّسَعَ الْبَنْـ ـيُ فَغَطَّى جَبِينَهُ وَالْقَذالا[٣]

يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقالِبَ وَالْبُلْـ ـغَرَ فِيها وَتَجْمَعُ الْآجالا[٤]

= المعنى — يقول : لتمضين مقدّمة، ولتنزلن الأعداء مقتحمة ، حتى تصير فى لاحم القرعة ، ومضايق الحرب المتوقعة إلى المكان الذى لايجد الرمح فيه مدارا لشدّة المجالدة ، ولا الحصان مجالا لكثرة المزاحمة ، وأشار بذلك إلى موضع سيف الدولة من الشدّة وتقدّمه بين أهل البأس والنجدة.

١ — المعنى — يقول : لا ألوم ملك الروم على تمنيه محالا من تخريب هذه القلعة ، وذلك أن ملك الروم قصد حصن الحدث ، طلبا لغرّة سيف الدولة، و إن كان الذى حاوله محالا لاطمع فيه ، وشططا لاسبيل إليه ثم بين ماقدّمه بقوله : [البيت بعده] .

٢ — الغريب — البنية : بمعنى المبنية وهى فعيلة بمعنى مفعولة ، من بنى يبنى بناء و بنيا ، كما فى كتب يكتب كتبا وكتابا . والباغى : الطالب .

المعنى — يريد : أن ملك الروم أقلقه بنيان هذا الحصن الذى كأنما ثبته سيف الدولة بين أذنيه ، وأقرّه على قمة رأسه ، لما ثبت فيه من هتك أرضه ، وشدّة أركان ملكه ، وماشيده من ذلك البنيان ، و بلغ فيه من غاية الإتقان .

٣ — الغريب — القذال : مؤخر الرأس ، وهو مايكون بين جنبتى القفا .

المعنى — يقول : كلما رام ملك الروم أن يحطّ من ذلك الحصن ما أعلاه سيف الدولة ، ورفعه وأتقنه وحصنه ، اتسع ذلك البنيان عليه فغلبه ، وعظم فى نفسه وقهره ، وصار لشدّة إقلاقه إياه كأنما هو على رأسه قد غشى جبينه وقذاله ، وأعجز طاقته واحتياله .

٤ — الغريب — الروم والصقالب والبلغر : كلّ هؤلاء كفرة . والصقالب والبلغر : طائفتان من العجم ، تستضيف مع الروم إلى طاعة ملكهم .

الإعراب — قوله فيها : فى نواحيها وجوانبها ، فحذف المضاف . والآجال : جمع أجل .

المعنى — يقول : يجمع ملك الروم فى هذه الأرض هذه الطوائف من أصناف حزبه ، وأصناف كفره ، مستمدّا لهم ، ومستجيشا على أهل هذه المدينة ، و يقول لسيف الدولة : وأنت تجمع لهؤلاء الطوائف آجالا حاضرة ، ومنايا متوافقة ، إشارة إلى وقائع سيف الدولة عليهم ، وما واصله من القتل فيهم .

وَتُوَافِيهِمُ بِهَا فِى الْقَنَا السُّمْـــرِ كَمَا وَافَتِ الْعِطَاشُ الصِّلَالَا(١)

قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَىْ يُقَصِّرُوهُ فَطَالَا(٢)

وَاسْتَجَرُّوا مَكَايِدَ الْحَرْبِ حَتَّى تَرَكُوهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبَالَا(٣)

رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْـــفُعَّالَ فِيهِ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَا(٤)

---

١ — الغريب — الصلال : جمع صلة ، وهى الأرض المطورة بين الأرض غير المطورة . كذا قال أبو الفتح والواحدى .

وقال الجوهرى : الصلة : الأرض اليابسة . والصلة : واحدة الصلال ، وهى القطع من الأمطار المتفرّقة ، يقع منها الشىء بعد الشىء . والصلال : العشب ، سمى باسم المطر المتفرّق .

المعنى — يقول : توافيهم ببأسك الآجال فى رماحك المشروعة نحوهم ، المتبادرة إليهم ، كما وافت العطاش الأمطار أو الأرض المطورة فتفنيها ، غير مكتفية بهذا .

وقال الواحدى : تأتيهم بمناياهم فى الرماح ، وهى ظامئة إلى دمائهم ، فتسرع إليهـم إسراع العطاش إلى الأرض المطورة .

٢ — المعنى — يقول : قصد الروم هدم سور هذه المدينة ، وفرّقوا جمعها ، فضعفت عن ذلك قوّتهم ، وعجزت طاقتهم ، وانهزموا بين يديه على أسوإ حال ، فبنوا من سورها ماحاولوا هدمه ، وأطالوا من بنائها ما حاولوا حطه ، فكان قصدهم الهدم والتقصير سببا للبناء و إطالته ، لأنهم بعثوا سيف الدولة على تحصينها .

٣ — الإعراب — الضمير فى « لها » للقلعة .

الغريب — الوبال : الشدّة .

المعنى — يقول : استجروا مكايد الحرب . يعنى آلاتها التى يقاتلون بها ، و يستعملونها حتى تركوها ، وانهزموا لأهل المدينة وبالا عليهم ، لأنهم لما انهزموا صارت تلك الآلات زائدة فى عدّتهم مؤكدة لامتناعهم ، فصارت الآلات التى أعدّوها لأهل الحدث ، و بالا على الروم يقاتلون بها .

٤ — المعنى — يقول : ربّ أمر أتاك به أعداؤك ، قاصدين لحربك ، محاولين لكيدك ، فذممت رأيهم ، ولم تحمد فعالهم ، وأفضت الأفعال منهم إلى إرادتك ، فصار تدبيرهم ورأيهم أغرى الحوادث بهم .

والمعنى : أن الفعال هم الروم ، والأفعال جلبهم مكايد الحرب ، فهم غير محمودين ، وفعائلهم غير محمودة فى العاقبة ، لأنهم لو لم يحملوها لما ظفر بها المسلمون . وهو منقول من قول الحكيم : إذا كانت الأشياء فاعلة بالطبع لم تحمد على فعلها ، لأن الشمس لا تحمد على حرارتها ولا على ضوئها .

وَقِسِيٍّ رُمِيتَ عَنْها فَرَدَّتْ   فى قُلُوبِ الرُّماةِ عَنْكَ النِّصالا(١)
أَخَذُوا الطُّرْقَ يَقْطَعُونَ بها الرُّسْـــلَ فَــكانَ انْقِطاعُها إِرْسالا(٢)
وَهُمُ الْبَحْرُ ذُو الْغَوارِبِ إِلاَّ   أَنَّهُ صارَ عِنْدَ بَحْرِكَ آلا(٣)
ما مَضَوْا لَمْ يُقاتِلُوكَ وَلٰكِنَّ   الْقِتالَ الَّذِى كَفاكَ الْقِتالا(٤)

---

١ — الغريب — القسىّ : جمع قوس . والنصال : جمع نصل ، وهى حدائد السهام .
المعنى — يقول : ربّ قسى كانوا يرمونك عنها ، فلما هربوا أخذت تلك القسى فقوتلوا بها.
والمعنى : ربّ قسىّ رماك أعداؤك عنها ، وقصدوك بالمكاره منها ، فردّت تلك القسىّ عنك فى قلوبهم حديد سهامك ، وقادت إليك أعداءك . يريد : أن قوّة سعده ، وإقبال جدّه يجعلان قسىّ أعدائه عليهم ، ويقودان بها المهالك إليهم . قال ابن وكيع : هو من قول الحرث :

قَوْمِى هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِى   فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِى سَهْمِى

٢ — المعنى — يريد : أنهم قطعوا الطرق ، حتى لا يصل الخبر إلى سيف الدولة ، وذلك أن سيف الدولة استبطأ الأخبار لما تأخرت عن عادتها ، فتطلع إلى الأخبار ، فوقع على الأمر ، فكان الانقطاع كالإرسال .
والمعنى : أنهم أخذوا الطرق موكلين بها ، وقاطعين الرسل منها ، فكان ذلك القطع إشعارا لك ، وقام ذلك الضبط مقام الإرسال إليك ، فأنكرت فعلهم ، واستربت فعلهم ، فأسرعت إليهم ، وبادرت بنفسك وجيشك إليهم .
٣ — الغريب — الغوارب : أعالى الأمواج . والآل : السراب . وقيل : الآل فى آخر النهار ، والسراب فى أوّله .
المعنى — يريد : أن حالهم يتلاشى عندك ، وإن كان عظيما .
والمعنى : أنهم كالبحر ذى الموج لتكاثف جمعهم ، وتكاثر عددهم ، إلا أنهم صاروا عند قوّتك وعديدك ، وبأسك وجيوشك ، كالآل الذى يتخيل ولا يصدق ، ويمثل ولا يتحقق ، ففرّوا هاربين ، وولوا عنك مدبرين . وهو مثل قوله :

* حالُ أَعْدائِنا عَظِيمٌ .... *

٤ — المعنى — يقول : انهزموا غير مقاتلين ، فلم يقاتلوك فى الحال ، ولكن القتال الذى قاتلتهم قبل هذا كفاك القتال ، لأنهم لما بلوك قبل هذا أشعر قلوبهم الرعب ، وخافوك فانهزموا ، فما مضوا غير مقاتلين لجيشك ، ولا ولوا غير متيقنين لأمرك ، ولكن القتال عند التأمل ، والنزال الشديد عند التبين ، ما أسكنت قلوبهم وقائعك من الهيبة ، وأودعتها من المخافة ، حتى صار اسمك يهزم عساكرهم ، وذكرك يثنى عزائمهم .

وَالَّذِى قَطَّعَ الرِّقابَ مِنَ الضَّرْ ... بِ بِكَفَّيْكَ قَطَّعَ الآمالا(١)
وَالثَّباتُ الَّذِى أَجادُوا قَدِيمًا ... عَلَّمَ الثَّابِتِينَ ذَا الإِجْفالا(٢)
نَزَلُوا فى مَصارِعٍ عَرَفُوها ... يَنْدُبُونَ الأَعْمامَ وَالأَخْوالا(٣)
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ الْها ... مِ وَتُذْرِى عَلَيْهِمُ الأَوْصالا(٤)
تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْها ... وَتُرِيهِ لِكُلِّ عُضْوٍ مِثالا(٥)

---

١ — المعنى — يقول : سيفك الذى قطع رقاب من قبلهم من الروم ، هو الذى قطع آمالهم منك ، فلا يرجون ظفرا بك الآن . يريد : الضرب الذى قطعت به رقاب الروم فى وقائعهم ، وأفنيت به أبطالهم فى حروبك ، قطع ما أملوه فى حصن الحدث من مكايدتك ، وأكذب ما حاولوه فيه من مغالبتك .

٢ — الغريب — الإجفال : الإسراع والهزيمة .

قال أبو الفتح : لما أجادوا ثباتهم قديما ، وأدّى إلى هلاكهم ، علم من كان عادته الثبات الإسراع فى الهزيمة خوفا منك .

وقال: يفضله فى هذه الأبيات على قوم ذى شجاعة وثبات، ليكون أمدح له، وكذا نقله الواحدى.

والمعنى — الثبات الذى فعلوه فى قتالك ، وأفضى بهم إلى المهالك ، وأعقبهم أشدّ الهزائم على الثابتين من رجالهم ، وأهل البأس من حماتهم وأبطالهم ، الهرب منك .

٣ — الغريب — الندب : ذكر الميت بجميل أفعاله .

المعنى — يقول : نزلوا فى مواضع عرفوها تقدّمت فيها مصارع أهاليهم بإيقاع سيف الدولة بهم ، فجعلوا يبكون بها من قتل من أبطالهم وفرسانهم ، وتمثلوا تلك فى أنفسهم ، وتوقعوا أن يحدث مايشبهها بهم ، لما ذكروا بها ماصنعت بآبائهم ، وأعمامهم وأخوالهم .

٤ — الغريب — تذرى : تنثر وتفرّق . والأوصال : جمع وصل ، ويريد به العضو .

المعنى — يريد : أنه لم يبعد عهد القتلى بهذا الموضع ، فالريح تحمل شعورهم ، وأوصالهم موجودة هناك ، والريح تلقى عليهم أعضاء المقتولين .

والمعنى : أن الريح تذرى عليهم عظام القتلى الذين قتلوا بالموضع الذى نزلوا فيه ، فيخيفهم ذلك ، ويفزعهم ويقلقهم ، فيهربون من بين يديك .

٥ — المعنى — قال أبو الفتح : الضمير فى « تنذر » للمصارع ، ونقله الواحدى : ويجوز أن يكون الضمير للأوصال ، أى تنذر الأوصال الجسم ، بأن يزول إلى مثالها . قال : تنذر المصارع الإقامة بها ، وتريهم لكل عضو عضوا من المقتولين . أو المعنى : تنذر الأوصال الجسم ، بأن يصير

أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فى الْقُلُوبِ دِرَاكاً قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيالا(١)

وَإِذَا حاوَلَتْ طِعانَكَ خَيْلٌ أَبْصَرَتْ أَذْرُعَ الْقَنا أَمْيالا(٢)

مثلها ، و يقيم لديها فى مثل حالها ، وتريه لكلّ عضو من أعضائه ، مثالا شاهدا ونظيرا حاضرا ، وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على الروم عند بنائه الحدث . وقد وصفها فى قوله :

* عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ . . . . * الْقَصِيدَةَ .

ولم تكن ببعيدة من هذه الوقعة ، فلما أشرفوا على موضع تلك الوقعة ، وذكروا عظم تلك البلية ، أشفقوا من أن يعاودهم سيف الدولة بمثلها ، فولوا مدبرين ، وفرّوا من بين يديه منهزمين .

١ — الغريب — الدراك : التتابع . والخيال : ما يرى على غير حقيقة .

المعنى — فيه تقديم وتأخير ، والتقدير : أبصروا الطعن فى قلوبهم ، دراكا خيالا قبل أن يروا الرماح . يريد : لشدّة خوفهم ، تصوّروا ما صنعت بهم قديما ، فرأوا الطعن تخيلا فى قلوبهم ، قبل رؤية الرماح حقيقة .

قال الخطيب : اعتبر المتأخرون بالمتقدّمين ، فكأنهم تخيلوا الطعن دراكا و بينهم و بين من يطلبهم مسافة بعيدة ، ففرّوا قبل أن ينظروا إلى خيال الرماح .

والمعنى يقول له : مثلت هيبتك للروم إيقاعك بهم ، وأرتهم طعان رماحك ، دراكا فى قلوبهم ، قبل أن يتخيلوا ذلك ، و يتحققوه و يتمثلوه ، و يشاهدوه ، فعادوا بالفرار منك ، وولوا منهزمين عنك .

٢ — المعنى — قال الواحدى : الأعداء إذا حاولوا طعانك ، رأوا أذرع قناك ، لطولها وسرعة وصولها إليهم أميالا . يعنى : أنها تطول فتصل إليهم سريعة ، وهذا ضدّ قوله :

* طِوَالُ قَناً تُطَاعِنُها قِصَارُ *

قال : وقال ابن جنى ، أى لشدّة الرعب . قال : وهذا كقوله تعالى : « يرونهم مثليهم » قال : وقوله لشدّة الرعب ، كلام حسن ، وأما احتجاجه بالآية نخطأ . قال : ويجوز أن يريد بالقنا قنا الأعداء ، الذين يحاولون الطعان . والمعنى : أنهم كلما حاولوا طعانك برماحهم . استطالوها ، فرأوا أذرعها أميالا ، أى أنها تثقل عليهم جبنا وخوفا منك ، هذا كلامه .

والمعنى : إذا حاولت فرسان طعانك ، ومثلت لأنفسها قتالك ، أراهم الذرع أذرع رماحك أميالا متصلة لما تتوقعه من طعنها ، وتحذره من مخوف فعلها .

بَسَطَ الرُّعْبُ فِى الْيَمِينِ يَمِيناً فَتَوَلَّوْا وَفِى الشِّمَالِ شِمَالاَ(١)
يَنْفُضُ الرَّوْعُ أَيْدِياً لَيْسَ تَدْرِى أَسُيُوفاً حَمَلْنَ أَمْ أَغْلاَلا ؟(٢)
وَوُجُوهاً أَخَافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكَتْ حُسْنَهَا لَهُ وَالْجَمالاَ(٣)

---

١ — الغريب — الرعب . الفزع ، يقال : رعبته فهو مرعوب : إذا أفزعته . ولا يقال : أرعبته ، ويجوز فيه سكون العين وضمها ، وقرأ ابن عامر والكسائى بضم العين .

المعنى — قال الواحدى : شاع الخوف فيهم شيوعا عامّا ، فكأنّ الخوف بسط يمينه فى ميامن عساكرهم ، وشماله فى مياسرهم ، حتى انهزموا ، وهو معنى قول أبى الفتح .

وقال ابن الإفليلى : بسط الرعب فى أيديهم أيديا مثلها تمنعها من البطش ، وتقصرها عن الكف ، فولوا مخذولين ، وهذا ضدّ قول الآخر :

إِنَّا وَجَدْنا بَنِى جُلاَّنَ كُلَّهُمُ كَساعِدِ الضَّبِّ لاَ طُولٌ وَلا قِصَرُ

٢ — الغريب — الروع : الخوف والفزع والأغلال : جمع غلّ ، وهو رباط تشدّ به اليد إلى العنق .

المعنى — يقول : يرعش الخوف أيديهم ، فقد صارت فى قلة الغناء ، وإن كان فيها سيف بمنزلة اليد المغلولة .

والمعنى : ينفض الفزع من أيديهم السلاح فيسقط ، ويسلبهم إياه الذعر فيذهب ، حتى كأنّ سيوفهم فى أيديهم أغلال تملكها ، وموانع تمنعهم من التصرّف بها : وهو من قول جرير فى الفرزدق .

ضَرَبْتَ بِهِ عِنْدَ الأَمامِ فَأُرْعِشَتْ يَدَاكَ فَقَالُوا مُحْدِثاً غَيْرَ صارِمِ

٣ — الإعراب — نصب «وجوها» بإضمار فعل دلّ عليه قوله « ينفض » ، تقديره ويغير وجوها . يريد : أنه يغير ألوانها ، وهذا من باب قوله تعالى : « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » ، أى وادعوا شركاءكم ، وكقوله : « والذين تبوّءوا الدار والإيمان » . يريد : وأحبوا الإيمان ، وكقول الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِى الْوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحاً

وقال أبو الفتح : هو من قوله :

* عَلَفْتُها تِبْناً وَماءً بارِداً *

المعنى — يقول للممدوح : وغير الروع وجوها قد انتقعها الخوف ، وأذهب جمالها الذعر ، فهى ترعد متغيرة ، وتعبس متوقعة ، قد أخافها منك وجه قد أحرز غايات الحسن ، وغلبها على الجمال والفضل ، فالحسن والجمال لوجهك ، لا لها .

وَالْعِيانُ الْجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوالاً وَلِلْمُرَادِ انْتِقالا(١)
وَإِذَا ماخَلا الْجَبانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالا(٢)
أَقْسَمُوا لا رَأَوْكَ إِلاَّ بِقَلْبٍ طالَمَا غَرَّتِ الْعُيُونُ الرِّجالا(٣)
أَيُّ عَيْنٍ تَأَمَّلَتْكَ فَلا قَتْـ ـكَ وَطَرْفٍ رَنا إِلَيْكَ فَآلا(٤)

---

١ — الغريب — الجلىّ : الظاهر المكشوف .

المعنى — يقول مشيرا إلى الروم وفرارهم بين يديه ، و بعد ما تكلفوه من غزوهم ، وتعاطوه من حصار الحصن : إن مانيقنوه من قصد سيف الدولة ، وتسابقه نحوهم أكذب ماظنوه ، وأراهم الجلية فما حاولوه ، وعرّفهم أن حظهم الانتقال عما أضمروه ، من الإقدام إلى الفرار والانهزام ، فأزال العيان ما كان الظنّ يحدّث لهم . ثم ضرب لهم مثلا بقوله :

٢ — الإعراب — وحده : الضمير للجبان لا للطعن ، لقوله « والنزال » ، وهو فى موضع نصب على الحال ، أى منفردا .

الغريب — الجبان : ضدّ الشجاع ، وهو الذى يجبن عند لقاء العدوّ . وجبن (بالفتح) ، فهو جبان . وجبن (بالضم) ، فهو جبين ، وامرأة جبان ، كما قالوا حصان ورزان . والنزال فى الحرب : أن يتنازل الفريقان . ونزال (بالكسر) ، مثل قطام ، بمعنى . انزل ، لأنه معدول عن المنازلة ، ولهذا أنث زهير فى قوله :

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إذا دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فى الذُّعْرِ

وهذا من قول الحكيم : الجبن ذلة كامنة فى نفس الجبان ، فإذا خلا بنفسه أظهر شجاعتها .

المعنى — يريد : إذا ماخلا الجبان بأرضه ، و بعد عن الأقران بنفسه ، طلب الطعن والمنازلة ، وتعاطى القتال والمبارزة ، فإذا أحسّ بمن يقاتله ، رجع إلى طبعه ، واعتصم بالفرار من قرنه ، فكذا كان شأن الروم ، وشأن سيف الدولة ، أظهروا الإقدام عليه ، فلما أحسوا به فروا من بين يديه ، وهذا كما تقول العرب فى أمثالها : «كل مجر فى الخلاء يسر» . أى إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سرّ بجريه ، فإذا قاربه مثله ذهب سروره .

٣ — المعنى — قال الواحدى : يريد بقلب ، أى إلا والقلب معهم ، حلفوا ليحضرن عقولهم ، وليعملن أفكارهم فى قتالك . ثم قال : طالما غرت العيون ، يريد : كذبهم عنك كثيرا ما رأوه بعيونهم، مغترين منك ، فطالما اغتروا بمواقعتك ، فأفنيت جيوشهم، وكثيرا ما أقدموا فى الحرب على معاناتك ، فأتلفت نفوسهم.

٤ — الغريب — آل : رجع ، يقال : طبخت الشراب فآل إلى قدر كذا ، أى رجع . ورنا=

ما يَشُكُّ اللَّعِينُ فى أَخْذِكَ الجَيْـــشَ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجُيُوشَ نَوَالاَ(١)

ما لِمَنْ يَنْصِبُ الْحَبائِلَ فى الْأَرْ ضِ وَمَرْجاهُ أَنْ يَصِيدَ الهِلالا(٢)

= إليه يرنو رنوّا : إذا أدام النظر ، يقال ظلّ رانيا ، وأرناه غيره ، وأرنانى حسن ما رأيت أى حملنى على الرنوّ ، وكأس رنوناة ، أى دائمة ، ووزنها فعلعلة ، وأصلها رنونوة تحرّكت الواو ، وانفتح ما قبلها ، فانقلبت ألفا ، فصارت رنوناة . وقال أبو على : فعوعلة . قال ابن أحمر :

مَدَّتْ عَلَيْهِ الْمُلْكَ أَطْنابَها كَأْسٌ رَنَوْناةٌ وَطِرْفٌ طِمِرْ

المعنى — قال الواحدى : هـذا متناقض الظاهر ، لأنه أنـكر أن تديم عين النظر إليـه فى المصراع الأوّل ، وأنـكر فى الثانى أن يعود طرف رنا إليه ولم يشخص . قال : هذا يحمل على عيون الأعداء والأولياء ، فعين العدوّ لا تديم النظر إليه هيبة له ، وعين الولىّ تتحير فيه ، وتبقى شاخصة فلا ترجع إلى صاحبها . قال : وقوله «فلاقتك» ، من لاق الشىء وألاقه : إذا أمسكه . قال : وهذا مما لم يتكلم فيه أحد من الشراح، وصدق فى قوله، لأن أحدا من الشراح لايستحسن أن يقول مثل هذا . و إنما المعنى أنه يقول: أىّ عين بطل تأملتك ، فلاقاك (من اللقاء) صاحبها ، وأقدم على مواقعتك الناظر بها ، وأىّ شجاع مجرّب أو كمىّ مقدم رنا إليك طرفه ، ولاحظتك عينه ، فرجع قاصدا إليك ، وتعرّض للكرّ مقدما عليك .

١ — الإعراب — يروى اللعين (بالضم) ، لأنه فاعل يشكّ ، ويروى (بالنصب) على الذمّ ، بإضمار أعنى أو أشتم اللعين ، وقوله «فهل» هو استفهام تجاهل ،لأنه علم أنه لا يبعث الجيوش للنوال.

الغريب — النوال : العطاء .

المعنى — يقول : لم يشكّ هذا اللعين فى أنك تغلب جيشه ، وتتحكم فيه وتأخذه ، وتملكه وتشمل أهله بالقتل والأسر ، والله تـكفل لك عليه بأبلغ النصر أفتراه إنما يجهز الجيوش إليك عطاء لك يقصده ، وإتحافا بهم يعتمده .

٢ — الإعراب — يروى «ومرجاه» بالإضافة ، وموضعه رفع بالابتداء ، وخبره أن يصيد ، أى صيد الهلال ، ويروى مرجاة بتاء التأنيث ، منصوبة نصب المفعول معه ، كقولك : مالك وزيدا. وأجاز أبو الفتح الخفض ، عطفا على من ، فالواو فى الوجه الأوّل واو الحال ، وفى الثانى واو مع ، وفى الثالث واو العطف .

الغريب — الحبائل : جمع حبالة ، وهى الأشراك . ومرجاة : مفعلة من الرجاء . رجوت فلانا رجاء ورجاوة ومرجاة ، مثل مسعاة ومعلاة .

المعنى — يقول : مالمن ينصب الأشراك فى الأرض ، وهذا استفهام تعجب يتعجب ممن يفعل هذا ، وهذا مثل يريد به امتناع سيف الدولة ، وبعده عن أن تناله يد عدوّ بسوء ، فالذى يفعل هذا كمن يروم صيد الهلال فى الأرض ، وهذا إزراء على فعل ملك الروم بإقدامه على قتال سيف =

إِنَّ دُونَ الَّتِي عَلَى ٱلدَّرْبِ وَالْأَحْــــدَبِ وَالنَّهْرِ مِخْــــلَطًا مِزْيَالَا (١)

غَصَبَ ٱلدَّهْرَ وَٱلْمُلُوكَ عَلَيْهَا   فَبَنَاهَا فِى وَجْنَةِ ٱلدَّهْرِ خَالَا (٢)

فَهْيَ تَمْشِي مَشْيَ الْعَرُوسِ اخْتِيَالاً   وَتَثَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلَالَا (٣)

= الدولة ، وجعله قمرا لعلو منزلته ، ورفعة قدره ، فيقول : كيف للك الروم أن يؤثر فى القمر ، ويعترض على سابق القدر ؟ لأن الله قد قضى لسيف الدولة بالنصر عليه .

١ — الغريب — الدرب : المدخل من أرض العدو ، والأحدب : جبل بقرب حصن الحدث . والنهر : موضع بقرب الحصن . والاختلاط بالشيء : الالتباس به . وفلان مخلط مزيال : أى موصوف بالشجاعة ، وجودة الرأى ، وقد وصفوا به الفرس ، إذا طلب الخيل لغارة خالطها ، وإذا طلبته وجدته مزيالا لانلحقه . قال أبو دواد الأيادى :

مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ مِكَرٌّ مِفَرٌّ   أَجْوَلِيٌّ ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيجُ

المعنى — يقول : هذه القلعة دونها ودون الوصول إليها ، رجل مخلط مزيال ، كثير المخالطة الأمور ، يخالطها ثم يزايلها ، يحمى حريمها ، ويقاتل الأعداء عنها ، أودونها ملك مقتدر ، مزيال عن أطراف بلاده ، فهو يثق بما يحميها ، من هيبته مخلط بالأعداء فيها ، عند قصدهم لها ، سريع لا يتأخر من سطوته ، فهو وإن بعد أدنته منهم قوته ، وإن انتزح قربته منهم مقدرته .

٢ — الإعراب — خالا : نصبه على الحال .

المعنى — يقول : إنه استنقذها من الدهر ومن الملوك . غصبته على كذا : أى قهرته . وبناها فى وجنة الدهر خالا : قال الواحدى : يجوز أن يريد به الشهرة كشهرة الخال فى الوجه ، ويجوز أن يريد ثبوتها ورسوخها ، فيكون كقول مزرد :

فَمَنْ أَرْمِهِ مِنْهَا بِسَهْمٍ يَلُحْ بِهِ   كَشَامَةِ وَجْهٍ لَيْسَ لِلشَّامِ غَاسِلُ

والمعنى : أنه بناها فى وجه الدهر ، كالخال الذى يتزين به الوجه ، مع مخالفته للونه ، ويحسنه مع ماثبت فيه من حسنه .

فالمعنى : أن هذه المدينة قد جل قدرها فكأن الدهر زين بها وجهه ، ووسم برفعتها نفسه ، وهذه استعارة حسنة لم يعمل فى بيته مثلها .

٣ — الإعراب — اختيالا ودلالا : مصدران فى موضع الحال .

الغريب — الاختيال : الزهو والتكبر . والدلال : الشكل ، والغنج . ودلت : المرأة تدل (بالكسر) وتدللت ، فهى حسنة الدل والدلال . =

وَحَماها بِكُلِّ مُطَّرِدِ الْأَكْـــعُبِ جَوْرَ الزَّمانِ وَالْأَوْجالاَ(١)

فِى خَمِيسٍ مِنَ الْأُسُودِ بَئِيسٍ يَفْتَرِسْنَ النُّفُوسَ وَالْأَمْوَالا(٢)

وَظُباً تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِلِّ فَقَدْ أَفْنَتِ الدِّماءِ حَلالا(٣)

= المعنى — يقول : هـذه القلعة لا تكلم ولا تمشى ، لـكن لو مشت لمشت اختيالا ، ولو تكلمت لتدللت دلالا تدلّ على الزمان ، حيث لم يقدر عليها أحد ، فهى تختال بمنع سيف الدولة لها ، وتمشى على الزمان دلالا بمدافعته ، واستعار لها المشى والدلال لعزّتها بسيف الدولة .

١ — الغريب — المطرد : المتصل الذى لاعوج فيه . والأكعب : العقد التى تـكون بين أنابيب الرمح . واحدها : كعب . والأوجال : المخاوف . الواحد وجل ، وهو الخوف والفزع .

المعنى — يقول : حفظها من جور الزمان ومن المخاوف ، فقـد حماها جور الزمان ومخاوفه بالرماح المستقيمة . يريد أنه حماها من الروم بمسارعته إليها دونهم ، و إيقاعه عليهم فيها .

٢ — الغريب — الخميس : العسكر العظيم ، وسمى خميسا ، لأنه يخمس ما يجد ، أى يأخـذه ، وقيل : لأنه خمس فرق : المقدّمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة . والبئيس : الشديد الـكثير الشجعان : أولى البأس . والافتراس : الأخذ ، وأصله : دقّ العنق .

الإعراب — نصب الأموال بفعل مضمر ، تقديره : و يأخذ الأموال فهو من باب :

* عَلَفْتُهَا تِبْناً وَماءً بارِدًا *

المعنى — أنه أراد أن هذا الخميس فيه رجال أولو بأس وقوّة تفترس النفوس ، وتأخذ الأموال . فالمعنى : هى فى خميس من جيشه ، وكثرة من جمعه ، كالأسود الضارية ، والسباع العادية ، يفترسون نفوس الأعداء ، و يأخذون أموالهم ، ويقرّبون إليهم حتوفهم وآجالهم .

٣ — الإعراب — ظبا : فى موضع خفض بالعطف على قوله « فى خميس » ، ونصب « حلالا » على الحال :

الغريب — الظبا : جمع ظبة ، وهى طرف السهم والسيف . قال بشامة بن حزن النهشلى :

إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمُ حَدُّ الظُّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

وأصلها ظبو . والجمع : أظب فى أقلّ العدد ، مثل أدل ، وظبات وظبون ، بالواو والنون . قال كعب :

تَعَاوَرُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ كُؤُوسَ الْمَنَايَا بِحَدِّ الظُّبِينَا

المعنى — قال أبو الفتح : هذا مثل ضربه ، أى سيوفه معوّدة للضرب ، فهى تعرف بالدربة الحلال من الحرام .

قال ابن فورجة : العادة والدربة ليستا مما يعرف به الحلال والحرام فى الناس ، فكيف =

إِنَّما أَنْفُسُ الْأَنِيسِ سِباعٌ يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيالا(١)
مَنْ أَطاقَ الْتِماسَ شَيْءٍ غِلابًا وَاغْتِصابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالا(٢)
كُلُّ غادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الغَضَنْفَرَ الرِّئْبالا(٣)

فيما لا يعقل ؟ وإنما يعنى أن سيف الدولة غاز للروم ، فلا يقتل إلا كافرا قد حلّ دمه ، فنسب ذلك إلى سيوفه .

قال الواحدى : هذا كلامه ، وأظهر منه أن يقال : المعنىّ بمعرفة الحلال من الحرام أصحابها ، كأنه قال : وذوى ظبا ، فلما حذف المضاف عاد الكلام إلى المضاف إليه .

١ — الغريب — الأنيس : جماعة الناس . والتفارس : التقاتل . والاغتيال : القتل بالخديعة .

المعنى — يريد : أن أنفس الأنيس كالسباع فيما تبتغيه من الغلبة ، وتطلبه من الاستعلاء والقدرة ، فهى تتفارس سرّا وجهرة ، ومكاشفة وغيلة .

٢ — الغريب — الغلاب : الغلبة . والاغتصاب : الأخذ بالقهر .

المعنى — يقول : من أطاق أن يأخذ منهم شيئا قهرا ، لم يأخذه سؤالا و مخادعة ، وهو من قول الحكيم : الغلبة طبع الحياة ، والمسئلة طبع الموت ، والنفس لا تحبّ الموت ، فلذلك تحبّ أخذ الشيء بالغلبة .

٣ — الغريب — الغضنفر والرئبال : اسمان من أسماء الأسد معروفان .

المعنى — يقول : كلّ غاد منهم لحاجته ، ومعتمد لبغيته ، يودّ لو أنه أسد بأسا وشدّة ، واقتدارا وقوّة ، ليتناول ما يقصده بعضله ، و يستظهر عليه ببأسه وشدّته ، وأشار بهذا إلى أن الروم لم يفرّوا من بين يدى سيف الدولة أنفا ومكارهة ، و إنما كان فرارهم فرقا ومحاذرة ، لأن طبائع البشر أن يستعملوا فيما يطلبونه غاية قوّتهم ، وأن يتناولوا ذلك بأبلغ قدرتهم .

وقال يمدحه ويشكره على هدية بعثها إليه

وكتب إليه بها سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة من الكوفة إلى حلب

وهى من الخفيف ، والقافية من المتواتر

مَا لَنَا كُلُّنَا جَوٍ يَا رَسُولُ ... أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ الْمَتْبُولُ (١)

كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثْتُ إِلَيْهَا ... غَارَ مِنِّى وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ (٢)

أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنَا ... هَا وَخَانَتْ قُلُوبَهُنَّ الْعُقُولُ (٣)

---

١ — الغريب — الجوى : الذى أصابه الجوى ، وهو داء فى الجوف . والمتبول : الذى هيمه الحبّ ، وأفسده وأسقمه . ومنه قول الشاعر :

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ فِى الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ ... تَشْفِى الضَّجِيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ

المعنى — يتهم رسوله الذى يرسله إلى محبوبته ، بمشاركته فى حبها ، فيقول : أنا العاشق ، وقلبك الفاسد ، وكلنا مبتدأ وخبره «جو» ، وإنما ذكرنا هذا ، لأن بعضهم خفضه على التأكيد .

قال أبو الفتح : ولا يجوز ، لأنه يوجب نصب «جو» على الحال ، فيقول : جويا ، وإن لم يفعل فهو ضرورة . ومعنى البيت : يقول . لرسوله : مالنا أيها الرسول الذى استحفظته إلى من أحبه الرسالة ، كلنا جو مشغول بنفسه ، فأنا وامق عاشق ، وأنت رسول ، والحبّ قد قتل قلبك ، وملك لبك ، فمالك تشبهنى فيما ألقاه ، وتماثلنى فيما أقاسيه وأشكاه .

٢ — المعنى — يقول : كلما عاد إليها من أبعثه ، وشاهدها من أقصده نحوها وأرسله ، ملكه الافتتان بحسنها ، وشاركنى فى الشغف بحبها ، وأظهر الغيرة منى عليها ، فخاننى فى قوله ، وخالفنى فى جملة أمره ، لأنه لما فتنه حسنها ، حمله على الخيانة لى .

٣ — الإعراب — الضمير فى « قلوبهن » قال أبو الفتح : يجوز أن يعود على الأمانات ، ويجوز أن يعود على العقول لما تقدم الضمير المفعول ، كقولك : لبس ثوبه زيد ، أى وخانت العقول قلوبهن .

المعنى — يقول : لما أفسدت عيناها بسحرها ، وما تودعه القلوب بفنون لحظهما ، الأمانات بينى و بين من أنزل الثقة به ، وأعتقد الخلاص له ، وخانت فيها العقول قلوبها ، وخذلت الألباب نفوسها ، فعميت عن رشدها ، وعدلت عن سبيل قصدها . ومعنى خيانة العقول : أنها لا تصوّر للقلوب حفظ الأمانة ، لأن الرسول إذا نظر إليها غلب عليه هواها على الأمانة .

تَشْتَكِى ما اشْتَكَيْتُ مِنْ طَرَبِ الشَّوْ قِ إِلَيْها وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ(١)
وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ(٢)
زَوِّدِينا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ مادَا مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حالٌ تَحُولُ(٣)
وَصِلِينا نَصِلْكِ فى هٰذِهِ الدُّنْـيا فَإِنَّ الْمُقامَ فِيها قَلِيلُ(٤)

---

١ — الإعراب — النحول : رفع بالابتداء ، وخبره محذوف ، تقديره : موجود ، لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل .

الغريب — الطرب : خفة تحدث عند الفرح والحزن ، وروى الواحدى من ألم الشوق ، وروايتنا : « طرب الشوق » على شيخى .

المعنى — يقول : المحبوبة التى أحبها ، تشكو من الشوق ما أشكو إليها ، ثم إنه كنى عن تكذيبها ، ولم يصرّح بأحسن الكنايات ، بأن نحولى يدلّ على اشتياقى ، ومن لم يكن ناحلا لم يكن مشتاقا ، لأن النحول دليل الشوق والمحبة .

وقال ابن الإفليلى فى شرحه يقول لرسوله ، وهو يعاتبه : تظهر من شكوى الحبّ ما أظهره ، وليس كذلك ، وإنما الشوق على حقيقته النحول .

٢ — الغريب — خامر : خالط ولابس . والصبّ : الشديد الشوق ، وهو الذى يصبو إلى حبيبه .

المعنى — يقول : إذا خالط قلب محبّ هوى من يحبه ، فملكه واستولى عليه وغلبه ، فنما يظهر من تغير حاله ، و يبين من تقسم باله ، دليل لكلّ عين على ما يضمره ، ومخبر على ما يجنه و يستره .

٣ — الغريب — قال أبو الفتح : « ما دام » هنا بمعنى ثبت ، كقوله تعالى : « مادامت السموات والأرض » ، أى ثبتت و بقيت . وتحول : تذهب وتفنى .

المعنى — يقول لمحبوبته : زوّدينا من حسن وجهك غير معرضة ، ومتعينا بالنظر إليه غير مخيبة ، فحسن الوجوه حال تذهب وتفنى وتحول ، و يتبدّل جمالها ويزول ، لأن الشبيبة يتلوها الكبر ، والاقتبال يعاقبه التغير والهرم .

٤ — الغريب — المقام والمقام (بالفتح والضمّ) : كلّ واحد منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم ، فمفتوح الميم ، وإذا جعلته من أقام يقيم ، فهو مضموم الميم ، لأنه شبه ببنات الأربع نحو دحرج ، وقد دحرجنا ، وهذا مدحرجنا .

وقد اختلف القراء فى قوله تعالى « خير مقاما » فى سورة مريم ، وفى قوله تعالى : « لا مقام لكم » فى الأحزاب ، وفى قوله تعالى : « فى مقام أمين » فى سورة الدخان ، فقرأ بضمّ الميم ابن كثير وحده ، وقرأ حفص « لا مقام لكم » بضمّ الميم ، وقرأ نافع وابن عامر فى الدخان بضمّ الميم ، فهذا بمعنى الإقامة ، ولم يختلفوا فى قوله : « حسنت مستقرّا ومقاما » ، لأنه بمعنى الموضع ، وعليه قول لبيد : =

مَنْ رَآها بِعَيْنِها شاقَهُ الْقُطَّانُ فِيها كَما تَشُوقُ الْحُمُولُ(١)

إِنْ تَرَيْنِي أَدْمْتُ بَعْدَ بَياضٍ فَحَمِيدٌ مِنَ الْقَناةِ الذُّبُولُ(٢)

---

* عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها * =

المعنى — يقول لمحبوبته : أوجدينا السبيل إلى وصالك نصلك معجبين بك ، وصلينا فى هذه الدنيا نسرّ بذلك ونعترف لك ، والإقامة فى الدنيا قليلة ، والرحلة عنها متدانية سريعة .

١ — الإعراب — روى الواحدى « بعينه » ، وهو عائد إلى من وروايتنا « بعينها » راجع إلى الدنيا.

الغريب — القطان : المقيمون . واحدهم : قاطن . والحمول : الأجمال ، ويجوز أن يكون المتحملين ، وقد جاءت الحمول بمعنى النساء المتحملات فى قول البارقى :

أَمِنْ آلِ شَعْثاءَ الْحُمُولُ الْبَواكِرُ مَعَ الصُّبْحِ قَدْ زالَتْ بِهِنَّ الْأَباعِرُ

المعنى — قال أبو الفتح : من رأى الدنيا بالعين التى يجب أن ينظر إليها فإنها تراها رزية ، فالعين فى هذا الوجه للإنسان ، ويجوز أن يكون للدنيا ، من قولهم : هذا عين الشىء ، أى حقيقته ، أى من عرف الدنيا حقّ معرفتها تيقن أن أهلها راحلون لامحالة ، فلم يجد بين القاطن والراحل فرقا ، فهذا يشوقه ، وهذا يشوقه ، لأن الرحيل قد شملهما . والمعنى : من رأى الدنيا بعينها ، وتوسمها بحقيقتها ، شاقه القاطن فيها لقلة مقامه ، كما يشوقه الظاعن عنها لسرعة زوالها ، كأنه أراد ذوى الحمول ، فحذف المضاف . وهو منقول من قول عبدة بن أيوب :

وَفارَقْتُهُمْ وَالدَّهْرُ مَوْقِفُ فُرْقَةٍ عَواقِبُهُ دارُ الْبِلَى وَأَوائِلُهْ

٢ — الغريب — أدم بضم الدال وفتحها : إذا شحب لونه وتغير ، ونزع إلى السواد ظاهره . والقناة : قناة الرمح . والذبول : اليبس والدقة .

المعنى — قال أبو الفتح : إن كانت الأسفار غيرت وجهى ، فليس ذلك بعيب فىّ ، وإن كان عيبا فى غيرى ، بل هو وصف محمود فىّ ، كما أن الذبول وإن كان مذموما فهو فى القناة محمود لأنه يؤدّى إلى صلابتها ، كقول الطائى :

لانْتَ مَهَزَّتُهُ فَعَزَّ وَإِنَّما يَشْتَدُّ رَأْسُ الرُّمْحِ حِينَ يَلِينُ

قال : وقوله « بعد بياض » ليس هو معترضا ، بل هو مسدد للمعنى ، لأنه لم يبال بتغير لونه ، وإن كان غيره من الناس يستوحش ، فإنه يحمده من نفسه ، وإن كان لم يزل آدم لما مدح نفسه بقلة الفكرة فى تغير لونه بعد بياضه ونضرته ، أى تغيرت بعد حسن وشبيبة ، وذلك لما عاينته من الأسفار ، وتقلبت فيه من الأحوال ، وأنا فى ذلك مثل الرمح الذى تعرب سمرته عن عتقه ، وتدل ذبولته على صلابته وصدقه .

صَحِبَتْنِي عَلَى الْفَـــــلاةِ فَتاةٌ   عادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَها التَّبْدِيلُ(١)

سَتَرَتْكِ الْحِجالُ عَنْها وَلٰكِنْ   بِكِ مِنْها مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ(٢)

مِثْلُها أَنْتِ لَوَّحَتْــنِي وَأَسْقَمْــتِ وَزَادَتْ أَبْهَاكُمَا الْعُطْبُولُ(٣)

نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنا بِنَجْدٍ   أَقَصِيرٌ طَرِيقُنا أَمْ يَطُولُ(٤)

— الغريب — الفتاة : الشمس ، جعلها فتاة ، لأن الزمان لا يؤثر فيها ، كما يقال للدّهر الأزلم الجذع : أى طرىّ لا يستحيل . والتبديل : التغيير .

المعنى — يقول : صحبتنى على الفلاة التى قطعتها فى سيرى ، والأسباب التى عاينتها وتجشمتها فتاة لا يهرم شخصها ، ولا ينتقص حسنها ، عادتها فى الألوان أن تبدّلها ، وتنقلها إلى الأدمة وتغيرها. وقوله «فتاة» على سبيل الاستعارة ، لأن طلوعها يتجدّد فى كلّ يوم ، فهى بكر فى كلّ يوم .

— الغريب — الحجال : جمع حجلة ، وهو بيت يزين بالثياب والستور ، وهو بيت العروس. اللمى : سمرة تكون فى الشفتين .

المعنى — يقول لمحبوبته : سترتك الحجال عن هـذه الفتاة التى غيرت لونى ، لأنك فى كنّ منها لا يصيبك حرّها ، ولـكن بك منها تقبيل لما فى شفتيك من الأدمة ، كأنها قبلتك ، فأورثتك هذا اللمى الذى فى شفتيك .

— الغريب — التلويح : تغيير الجسم واللون . والعطبول : الطويلة العنق ، التامّة الجسم . جمعها : عطابل وعطابيل .

المعنى — يقول : أنت مثل الشمس غيرت لونى ، وأنت أسقمت جسمى ، وزادت فىّ تأثيرا أبها كما ، وهى أنت . والمعنى : أنت مماثلة لها بحسنك ، وغـير بعيدة منها فى فعلك ، وكلا كما له فى جسمى فعل غيره ، وتأثير بدّله ، فالشمس لوّحته ، وأنت أسقمته وأذهبت نضرته ، وأنحلته ، وزدت أنت فى قوّة التأثير ، وأفرطت فيما أوجبتـه من التغيير ، وهـذا إشارة إلى أن محبوبته زيادتها على الشمس فى حسنها ، زادت عليها فى فعلها .

— الغريب — نجد : موضع بين الكوفة ومكة .

المعنى — أنه أظهر تجاهلا وهو عارف ، وهـذه طريقة الشعراء ، والإنسان إذا اشتاق إلى الشىء سأل عنه مع علمه به ، وإذا أحبّ شيئا أكثر ذكره ، وأكثر السؤال عنه ، وإن كان يعرفه ، كقول بشر بن أبى خازم :

أُسائِلُ صاحِبِي وَلَقَدْ أَرانِي   بَصِيرًا بِالظَّعائِنِ حَيْثُ صارُوا

وكقول الآخر :

وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ   وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ(١)
لا أَقَمْنَا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَا   بَ وَلا يُمْكِنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ(٢)

= وَخَبَّرَنِي عَنْ مَجْلِسٍ كُنْتَ زَيْنَهُ   بِحَضْرَةِ قَوْمٍ وَالْمَلاءُ شُهُودُ
فَقُلْتُ لَهُ كَرِّ الْحَدِيثَ الَّذِي مَضَى   وَذِكْرُكَ مِنْ كَرِّ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
أُنَاشِدُهُ إِلَّا أَعَادَ حَدِيثَهُ   كَأَنِّي بَطِيءُ الْفَهْمِ حِينَ يُعِيدُ

١ — المعنى — يريد : أن كثيرا من السؤال يبعث عليه شدة الشوق ، ويقود إليه استحكام التطلع والتوق ، دون جهالة توجب القول به ، وقلة معرفة تحمل على الاستعمال له ، وكثير من الجواب تعليل للسائل ، دون جهل بحقيقة مايطلبه ، وتأنيس له ، مع الاستبانة بجملة ما يرغبه. والمعنى : الذي حملني على السؤال الاشتياق ، ولكن أتعلل بالسؤال عن الجواب .

٢ — الإعراب — لا أقمنا : أى لم نقم ، كقوله تعالى : «فلا صدّق ولاصلى» ، أى لم يصدّق . وقال الشاعر :

وَأَيَّةُ لَيْلَةٍ لا كُنْتَ فِيهَا   كَحَاوِي النَّجْمِ يُحْرِقُ مَنْ يُلاقِي

وقال أبو الفتح : يجوز أن يكون على القسم ، أى والله لا أقمنا .

المعنى — قال ابن القطاع : المعنى لا نقيم على مكان وإن طاب ، ولا يمكنه الرحيل معنا ، أى لا نقيم ألبتة ، لأن المكان لا يرحل معنا ، فلا نقيم على مكان أبدا حتى نلقاه ، إلا أن يسير المكان معنا ، فكذلك نحن لا نقيم فى مكان وإن طاب . وقيل : نفى النفى إيجاب فى كلام العرب ، فكأنه قال : لا نقيم فى مكان إلا أن يرحل معنا . وهذا مثل قول الفرزدق :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيُوفَهُمْ   وَلَمْ يُكْثِرُوا الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ

قيل معناه لم يشيموا سيوفهم ، إلا بعد أن كثرت القتلى ، وفى البيت معنى آخر ، وهو على التقرير ، بأن تقرّر صفة الشيء ، والمراد ضده ، فكأنه قال : لم يشيموا ولم يكثروا القتلى ، أى كثرت جدا . ومنه قول الشنفرى :

صَلِيَتْ مِنِّي هُذَيْلٌ بِخِرْقٍ   لا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا

معناه على مذهب التقرير لا يملّ الشرّ وإن ملوه ، وقد جاء فى الحديث : « إن الله لا يملّ حتى تملوا » . معناه : لا يجازيكم جزاء الملل وإن مللتم . وجاء فى الحديث : « وإن صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه »(١) . معناه : لو لم يخف ، أى أمن ، فكأنه قيل : لو أمن الله ماعصاه . وفيه معنى آخر ، وهو أن نفى النفى إيجاب ، فيكون المعنى أن صهيبا لو أمن الله ماعصاه ، أى لم يعصه ، وعلى مذهب =

(١) رواه فى شرح الأشمونى على الألفية : « نعم العبد صهيب لو لم . . . » الخ . وقال الصبان فى حاشيته على الأشمونى : «هو من كلام عمر ، وجعله من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وهم كما فى التصريح » .

كُلَّما رَحَّبَتْ بِنا الرَّوْضُ قُلْنا حَلَبٌ قَصْدُنا وَأَنْتِ السَّبِيلُ(١)
فِيكِ مَرْعَى جِيادِنا وَالمَطايا وَإِلَيْها وَجِيفُنا وَالذَّمِيلُ(٢)
وَالمُسَمَّوْنَ بِالأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالأَمِيرُ الَّذِي بِها المَأْمُولُ(٣)
الَّذِي زُلْتُ عَنْهُ شَرْقًا وَغَرْبًا وَنَداهُ مُقابِلِي ما يَزُولُ(٤)

= التقرير لو لم يخف الله ما عصاه ، أى لم يعصه أبدا . وفيه معنى آخر ، وهو أن لو فى الكلام تدلّ على امتناع الشيء لامتناع غيره، فيكون المعنى: العصيان امتنع لأجل الخوف، أى لما خاف لم يعص. والمعنى الأوّل وما بعده أبلغ من هذا، لأن معناها : لو أمن الله ما عصاه . ومعنى هذا الآخر : أن العصيان امتنع من أجل الخوف .

وقال أبو الفتح : المكان لا يمكنه الرحيل معنا إلى سيف الدولة، شوقا إليه ، وقد بينه فيما بعد .

وقال الواحدى : ويجوز أن يكون على الدعاء كما تقول : لافضّ الله فاك . يقول : لم نقم فى الطريق إليه بمكان ، وإن طاب ذلك المكان . ثم قال : ولا يمكن المكان أن يرتحل ، أى لو أمكنه لارتحل معنا .

١ — الغريب — الترحيب بالزائر : الاستبشار به . والسبيل : الطريق .

المعنى — قال أبو الفتح : يعتذرون إلى الأماكن والروض إذا رحبت بهم ، لأنهم لا يقدرون على الإقامة ، وهى لا يمكنها الرحيل .

وقال الواحدى : كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا لطيب المقام به . قلنا لذلك المكان : لا نقيم عندك ، لأن قصدنا حلب، وأنت الممر ، فلا نقدر أن نقيم عندك . والمعنى : كلما رحبت الرياض بنا، بما تظهر من حسنها ، وما تستميلنا به من زهراتها وطيبها . قلنا لها حلب مستقرّ سيف الدولة قصدنا الذى نرغبه ، وغرضنا الذى نعتمد عليه ونطلبه ، وأنت طريق نسلكه ولا ننزل فيه ، ونعمره ولا نعرج عليه .

٢ — الغريب — الوجيف والذميل : ضربان من السير سريعان .

المعنى — يخاطب الروض يقول : فيك مرعى مطايانا وخيلنا ، و بك نستعين على ما نحاوله من سيرنا إلى حلب ، نوجف مسرعين ، و إليها نبادر غير متوقفين .

٣ — المعنى — يريد : ومن يسمى بالأمير غيره ، ويتعاطى التمكن فى الرفعة كثير مما نشهده ، غير معدوم فيما نعلمه ، ولكن الأمير الذى بحلب نأمل مكارمه ، وهو المرجو، الذى لا ينكر فضله وفضائله .

٤ — المعنى — يقول : سيف الدولة سافرت عنه وفارقته فى شرق البلاد وغربها ، وعطاؤه لم يزل عنى . وذلك أنه أنفذ إليه هدية عند وروده العراق . وهذا مثل قوله فيه :

وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسانِهِ حَسَدًا لَهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُما سارَ نائِلُ

وَمَعِي أَيْنَمَا سَلَكْتُ، كَأَنِّي   كُلُّ وَجْهٍ لَهُ بِوَجْهِي كَفِيلُ(١)
فَإِذَا الْعَذْلُ فِى النَّدَى زَارَ سَمْعاً   فَفِدَاهُ الْعَذُولُ وَالْمَعْذُولُ(٢)
وَمَوَالٍ تُحْيِيهِمُ مِنْ يَدَيْهِ   نِعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ(٣)
فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمْحٌ طَوِيلٌ   وَدِلَاصٌ زَغْفٌ وَسَيْفٌ صَقِيلُ(٤)

---

١ — الغريب — الوجه : ما توجهت إليه . والكفيل : الضامن .

المعنى — قال الواحدى : يريد لزوم عطائه إياه ، وأنه لا يتوجه وجها إلا واجهه جوده ، فكأنّ كلّ طريق كفيل لنداه بوجهه ، وهذا محمول على القلب. أراد : لى كفيل بوجه نداه ، يريده ويأتينى به ، والقلب شائع فى الكلام ، كثير فى الشعر . يقول : كل وجه توجهته كفيل لى بوجه نداه ، ويصحّ المعنى من غير حمل اللفظ على القلب ، وذلك أن من واجهك فقد واجهته ، ومن استقبلك فقد استقبلته ، والأفعال المشترك فيها يستوى المعنى فى إسنادها إلى الفاعل والمفعول ، كقولك : لقيت زيدا ، ولقينى زيد ، وأصبت مالا ، وأصابنى مال ، وإذا كان للندى كفيل بوجهه ، كان لوجهه كفيل بالندى .

وقال ابن الإفليلى : يقول كلّ وجهة أقصدها ، وناحية أعتمدها ، تتكفل لى لسيف الدولة مزعجة لى إليه ، وتضمننى له بكثرة الحضّ عليه .

٢ — المعنى — يريد : أنه لا يسمع العذل فى الجود، وغيره يسمع. والمعنى : إذا عذل جواد فى الجود ، فسمع ذلك ووعاه ، ففداء هذا الممدوح العاذلون والمعذولون .

وقال ابن فورجة : يريد فداؤك كلّ من عذل فى جوده ، فسمعه أو ردّه، لأنك فوقه جودا . والمعنى : إذا عذل جواد على جوده ، وكريم على كرمه ، ففداؤك الجواد وعاذله ، لأنك نهج سبيل الكرم ، والمنفرد بإسداء العوارف والنعم .

٣ — الإعراب — موال : معطوف على قوله العذول .

المعنى — قال أبو الفتح : الموالى يريد بها العبيد ههنا ، أى ينعم على العبيد ، وغيرهم بتلك النعم مقتول حسدا . والمعنى : وفداه موال شملتهم مكارمه ، وأحيتهم مواهبه ، ومن جملة تلك المواهب ما غيرهم من أعاديه مقتول بها . يريد: أنه يسلبها من الأعداء، ويعطيها الأولياء ، والموالى: الأولياء ، وبين تلك النعم بقوله :

٤ — الإعراب — قوله فرس سابق : هو خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هى فرس ، ويجوز أن يكون بدلا من نعم .

الغريب — من روى سابح ، فهو الذى يمدّ يديه فى الحرب . والدلاص : الدروع البراقة الملساء . والزغف : المحكمة النسيج . وقيل : اللينة اللمس .

كُلَّمَا صَبَّحَتْ دِيارَ عَـــدُوٍّ قالَ تِلْكَ الْغُيُوثُ هَذِى السُّيُولُ(١)

دَهِمَتْــــهُ تُطايِرُ الزَّرَدَ الْمُحْــــكَمَ عَنْــــهُ كَمَا يَطِيرُ النَّسِيلُ(٢)

تَقْنِصُ الْخَيْلَ خَيْلُهُ قَنَصَ الْوَحْــــشِ وَيَسْتَأْسِرُ الْخَمِيسَ الرَّعِيلُ(٣)

وَإِذَا الْحَرْبُ أَعْرَضَتْ زَعَمَ الْهَوْ لُ لِعَيْنَيْهِ أَنَّهُ تَهْــــوِيلُ(٤)

المعنى — يريد : أنه يعطى أولياءه هذه الأشياء ، فتصير عونا لهم على قتل أعدائه ، فهو غنى قوله: غيرهم بها مقتول،فبين ما يهبه بأنه من الخيل والسلاح، مما يؤذن للذى يهبه له بمقارعة الأعداء ، والتوطين على الصبر عند اللقاء .

١ — المعنى — قال أبو الفتح : يعنى بالغيوث سيف الدولة ، و بالسيول مواليه، ضربه مثلا ، وذلك أن السيل يكون عن الغيث ، فكذلك مواليه به اقتدوا وغزوا .

وقال الواحدى : إذا أتت مواليه ديار عدوّ للغارة . قال العدوّ : تلك التى رأيناها قبل كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيوثا بالإضافة إلى السيول . يذكر كثرة مواليه .

٢ — الغريب — دهمتــه : جاءته على بغتــة وفجأة . والزرد : حلق الدرع . والنسيل والنسال (بالضم) : ما يسقط من ريش الطير ، ووبر البعير وغيره .

المعنى — يريد : أن درع العـدوّ صارت كالريش والوبر ، لقلة إغنائها عنهم . يريد : أنها غشيتهم بقوّة من الضرب ، وشـدّة من الطعن ، يتطاير معها حلق الدرع التى قد أحكم سردها ، وضوعف نسجها ، كتطاير النسل عن الطير والدابة ، فيذهب ولا ينبت ، و يسقط ولا يستمسك .

٣ — الغريب — الخميس : الجيش العظيم . والرعيل : القطعة من الخيل تقدم الجيش . والقنص : الصيد .

المعنى — يريد : أن خيله تصيد خيل العـدوّ ، والقليل من جيشه يأسر الكثير من عدوّه ، والقطعة من خيله ، تستأسر الخميس الذين هم خمس كتائب : القلب ، والجناحان ، والمقدمة ، والساقة ، فتقتنصها مقتدرة عليها ، وتغلبها مسرعة إليها ، و يغلب اليسير منها الجمع العظيم . يشير إلى سعادته ، وأن سعده يضمن له ذلك .

٤ — الإعراب — من روى أنه ، فالضمير راجع إلى الهول ، ومن روى أنها ، فالضمير راجع إلى الحرب ، ويقوّى التذكير أن زعم الهول ، يوجب ردّ الضمير إليه ، و يقوّى التأنيث أن أعرضت للحرب ، فحسن تأنيث الضمير لأجل تأنيثها .

المعنى — يريد : أنه لا يهوله شىء يراه ، وكأنّ الهول يقول له : لا يهولنك ما ترى ، وذلك أن التهويل يكون بالكلام ، أى أن الحرب إذا اعترضت لسيف الدولة بادية ، وعنت له مسعرة ، صار هولها فى عينيه لشدّة جراءته ، وما يحذر منها لإقدامه وأنفته ، كالتهويل الذى يستقلّ ، فلا تحذر عاقبته ، و يؤمن ، فلا يعقل بالنفوس مخافته .

وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمَانُ صَحِيحٌ ... وَإِذَا اعْتَلَّ فَالزَّمَانُ عَلِيلُ (١)
وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكَانٍ ... فَبِــــهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهٌ جَمِيلُ (٢)
لَيْسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيُّ هُمَامٌ ... سَيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مَسْلُولُ (٣)
كَيْفَ لا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرٌ ... وَسَرَايَاكَ دُونَهَا وَالْخُيُولُ (٤)
لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِي ... رَبَطَ السِّدْرُ خَيْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ (٥)

١ — المعنى — يريد : أن الزمان محمول على حاله ، صائر إلى مثل مآله ، فإذا صحّ فالزمان في صحة وسلامة ، ودعة واستقامة ، وإذا اعتلّ فالزمان وأهله في تشكّ وعلة واضطراب . وهـذا كما يروى عن معاوية أنه قال : نحن الزمان ، فمن رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتضع . وروى أنه سمع رجلا يذمّ الزمان ، فقال : لو يعلم مايقول لضربت عنقه، إن الزمان هو السلطان .

٢ — الغريب — الثناء : الخبر كيف يصرف ، ومايثنى من حديث ، أى ينشر .

المعنى — يقول : إذا غاب عن مكان فإنه يذكر بالخير والفعل الحسن ، فكأنه شاهد فيه ، وقيل : إذا غاب عن مكان وجهه ، وانتقل إلى غيره شخصه ، ففي المكان الذى يفارقه من طيب خبره ، وكرم أثره ، وجه جميل لا يعدم ، وذكر كريم لا يفقد .

٣ — الإعراب — إلاك : الأجود أن يقول إلا إياك ، ولكنه أتى بالضمير المتصل فى موضع المنفصل ، وهو جائز فى ضرورة الشعر .

المعنى — يقول : أنت الشجاع فليس أحد من الملوك يقى عرضه بسيفه إلا أنت ، ملك عالى الهمة ، رفيع القدر ، سيفه مسلول دون عرضه ، فهو يغلب من غالبه ، ولا يفوته من طلبه .

٤ — الغريب — سراياك : جمع سرية ، وقيل : هى ما بين خمس وتسعين إلى ثلاث مئة .

المعنى — يريد : أنه فى وجه العدوّ يدفعهم عن بلاد المسلمين، فكيف لا يأمن العراق ومصر، وما اتصل بهما من بلاد العرب ، وسراياك دونها ، وخيولك وفرسانك وجنودك يمنعون من أرادها ، ولولاك لاستبيحت تلك البلاد ، ولم يتعذر على العدوّ فيها المراد .

٥ — الغريب — التحرف : الميل . والسدر : جمع سدرة . والنخيل : جمع نخلة وهما ضربان ، تختصّ كثرتهما بالعراق ومصر . أراد : حتى يربطوا خيولهم فى السدر والنخيل ، فكأنه قلب المعنى ، جعلهما يربطان خيول الأعداء ، وجعل الفعل للسدر والنخيل توسعا ، لأنها هى الممسكة إذا ربط إليها ، فكأنها ربطتها .

وقال أبو الفتح : هو من باب القلب ، كقولك : ساءنى أمر كذا ، أى وقع السوء فيه ، وفيه معنى آخر ، وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة ، حتى لو تحرّف عن طريق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم ، كقول الآخر :

تَرَكُوا جَارَهُمْ يَأْكُلُهُ ... ضَبُعُ الْوَادِى وَيَرْمِيهِ الشَّجَرْ

وَدَرَى مَنْ أَعَزَّهُ ٱلدَّفْعُ عَنْهُ ... فِيهِما أَنَّهُ الحَقِيرُ الذَّلِيـــــلُ(١)

أَنْتَ طُولَ الحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ ... فَمَتَى الوَعْدُ أَنْ يَكُونَ القُفُولُ(٢)

وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ ... فَعَلَى أَيِّ جانِبَيْكَ تَمِيـــلُ(٣)

قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَسَاعِيـــكَ وَقَامَتْ بِهَا القَنَا وَالنُّصُولُ(٤)

ما الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ المَنَايَا ... كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشَّمُولُ(٥)

لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَاداً ... وَزَمَانِي بِأَنْ أَرَاكَ بَخِيلُ(٦)

— الإعراب — الضمير فيهما للعراق ومصر ، و يعنى به كافورا وآل بويه .

المعنى — ودرى ، أى علم من هو عزيز بالدفع عنه بك ، و بجيوشك فى العراق ومصر أنه حقير ذليل بغلبة العدوّ له ، فلولاك لأتاه العدوّ ، فرأى نفسه حقيرا ذليلا .

— الغريب — القفول : الرجوع من الغزو . ومنه الحديث «كان إذا قفل من غزو أوسفر» .

المعنى — يقول : أنت فى طول حياتك ، ومدّة عمرك غاز للروم لاتتركهم، وتلح عليهم فلا نفلهم ، فمتى وعدك بقفول جيشك ، و إراحة خيلك ، ما أرى غزواتك تنقطع .

— المعنى — يريد : ليس أعداؤك الروم دون غيرهم ، و إنما أعداؤك كثير . يريد : سوى روم ممن يخالفك من أمراء المسلمين روم يتربصون بك ، فعلى أىّ جانبيك تميل فى حربك ؟ إلى أىّ ناحيتيك تقصد فى غزوك ؟

— الغريب — المساعى : المطالب فى الجود والكرم ، وطلب المجد والقنا : الرماح .والنصول: جمع نصل ، وهو السيف .

المعنى — يقول : لم يبلغ أحد من الملوك مطالبك التى قامت بها رماحك وسيوفك . فالمعنى : قعد الملوك عن مشكور معاليك ، وقصروا عن جليل مساعيك ، وعجزوا عن إدراك شأوك ،وتأخروا عن مساواة فضلك ، وقامت السيوف والرماح لك فيما تطلبه ، ومكنت جميع ما تحاوله وترغبه .

— الغريب — الشمول : الخمر الباردة ، وهى التى ضربتها ريح الشمال .

المعنى — يريد : أن غيره من الملوك يشتغلون باللهو وشرب الخمر ، وهومشغول بالحرب ، أى ليست كمن يتعاطى مماثلتك من الأمراء ، و يحاول مساواتك من الرؤساء ، وهو تدار عنده الخمر ، لا يقلع عن النعيم واللهو ، وأنت تدار عندك أحاديث الحرب .

— المعنى — يريد : لا أرضى بأن يصل إلىّ عطاؤك ، وأنا بعيد عنك لا أراك ، والزمان يبخل علىّ برؤيتك ، ولا يوجد لى سبيلا إلى الاتصال بك .

نَغَّصَ الْبُعْدُ عَنْكَ قُرْبَ الْعَطَايا ... مَرْتَعِي مُخْصِبٌ وَجِسْمِي هَزِيلُ (١)

إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَايَ دَاراً ... وَأَتانِي نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمُنِيـــلُ (٢)

مِنْ عَبِيدِي إِنْ عِشْتَ لِي أَلْفُ كافُو ... رٍ وَلِي مِنْ نَدَاكَ رِيفٌ وَنِيلُ (٣)

ما أُبالِي إِذَا اتَّقَتْكَ الرَّزَايا ... مَنْ دَهَتْهُ خُبُولُها وَالْخُبُولُ (٤)

---

١ — الغريب — التنغيص : التكدير . والمرتع : موضع الرعى . والمخصب : الكثير العشب والمرعى ، وهو استعارة . والهزيل : البالى .

المعنى — يقول : نغص بعدى عنك ما أحاط بى من مواهبك ، وما اتصل بى من عوارفك ومكارمك ، فمرتعى بعطائك خصب لا يجدب ، وجسمى ببعدى عنك هزيل لايسمن ، يشير إلى اشتغال نفسه بقصده ، وأسفه على فراقه و بعده . يقول : لست أتهنأ بعطائك ولا أراك ، فإنى فى قرب عطائك منى و بعدى عنك ، كمن يرتعى فى مكان مخصب ، وهو مع ذلك هزيل .

٢ — الغريب — التبوّؤ : القصد إلى المنزل والإقامة فيه . ومنه قوله تعالى « أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا » . والنيل : العطاء . والمنيل : المعطى .

المعنى — يقول : إن تبوّأت دارا غير دارك ، ويروى : إن تبوّأت غير أرضك دارا . يقول : إن تبوّأت غير دارك دارا ، واستوطنت بلدا غير بلدك ، وأصبت فيه مالاوسعة ، وعطاء ومكرمة ، فأنت المعطى لذلك النيل ، والمنفرد بذلك الفضل ، لأن أوكد وسائلى تدنينى منك ، وأنا معدود عليك و إن بعدت عنك .

٣ — الغريب — الريف : هو ما أحدق بسواد العراق ، وهو (أيضا) : إقليم عظيم بأرض مصر فى ظاهرها . والنيل (أيضا) بمصر . والأصل فيه الأرض يكون فيها زرع وخصب . والجمع : أرياف . ورافت الماشية : إذا رعت الريف وأريفنا : إذا صرنا إلى الريف . وأرافت الأرض : إذا أخصبت ، وهى أرض ريفة ، بتشديد الياء .

المعنى — يقول : إذا بقيت لى ، فلى من عبيدى ألف كافور ، مثل الذى رغبت عن صحبته ، وكرهت البقاء فى جلته ، ولى من نداك عوض من الريف والنيل ، اللذين بهما شرف بلده ، وفيهما بسط يده .

٤ — الغريب — الرزايا : جمع رزية ، وهى المصيبة . والخبل (بسكون الباء) : الفساد . والجمع : خبول . وفى بنى فلان دماء وخبول ، يعنى : قطع الأيدى والأرجل . ورجل مخبل ، كأنه قد قطعت أطرافه . والخبل (بكسر الخاء) : الداهية . والجمع : خبول . قال كثير :

فَلَا تَعْجَلِي يا عَزُّ أَنْ تَتَفَهَّمِي ... بِنُصْحٍ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ

المعنى — قال ابن القطاع : قال لى شيخى : قال علىّ بن حمزة البصرى : قرأت على =

وقال فى صباه ، وقد قيل ما أحسن شعرك !

وهى من السريع ، والقافية من المترادف

وقالها وهو فى المكتب :

لا تَحْسُنُ الْوَفْرَةُ حَتَّى تُرَى   مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتالْ(١)

عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً   يُعِلُّها مِنْ كُلِّ وَافِى السِّبالْ(٢)

=أبى الطيب هذا البيت ، فقال : إنما قلت تقيتك ، يقال : تقيت الشىء واتقيته . وقال غيره من جميع الرواة : اتقيتك . والمعنى : إذا تخطتك ولم تنلك وتعدتك ، ومتعنى الله ببقائك ، ودوام رفعتك ، وأسعدنى باتصال مدتك ، فلا أبالى من أصابته آفات الدهر وخطوبه ، ومن قصدته دواهيه وصروفه ، فإن أملى إنما هو معقود بك .

١ — الغريب — الوفرة : الشعر التام على الرأس . والضفرين : الضفائر ، سماها بالمصدر .

المعنى — يقول : لا يحسن الشعر إلا إذا انشرت ذوائبه ، ويعنى بهذا أنه شجاع ، صاحب حروب ، يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال ، وكانوا يفعلون ذلك تهويلا للعدو .

٢ — الغريب — يقول : اعتقل الرمح ، وتنكب القوس ، وتقلد السيف . والصعدة : الرمح القصير . ويعلها : يسقيها الدم مرة بعد أخرى .

المعنى — يقول : حتى تكون منشورة على فتى ، فعلى تتعلق بمنشورة ، وهو عيب فى صنعة الشعر ، يسمى التضمين . يريد : على فتى يعتقل صعدة ، وهى القناة المستوية ، يسقيها الدم من كل رجل تام السبلة ، وهو ماتقدم من اللحية ، واسترسل من مقدمها ، فيقول : إنما يحسن الشعر إذا كان على هذه الحالة .

وقال فى صباه

وهى من الطويل ، والقافية من المتواتر

مُحِبِّى قِيامِى ما لِذالِكُمُ النَّصْلِ ... بَرِيًّا مِنَ الجَرْحَى سَلِيمًا مِنَ القَتْلِ (١)

أَرَى مِنْ فِرِنْدِى قِطْعَةً فى فِرِنْدِهِ ... وَجَوْدَةَ ضَرْبِ الهَامِ فى جَوْدَةِ الصَّقْلِ (٢)

وَخُضْرَةُ ثَوْبِ العَيْشِ فى الخُضْرَةِ الَّتى ... أَرَتْكَ احْمِرَارَ المَوْتِ فى مَدْرَجِ النَّمْلِ (٣)

---

١ — الإعراب — بريا وسالما : حالان ، ومحبى : منادى مضاف ، أى يامحبى قيامى .

الغريب — القيام : الإقامة . والقيام : الوقوف ، من قامت الدابة : إذا وقفت . وجمع الكناية فى ذلكم ، لأنه يخاطب جاعة ، وقيل : القيام ههنا القيام إلى الشىء أو بالشىء .

المعنى — يقول : أيها المحبون قيامى إلى الحرب : ما لنصلكم لايقتل ولا يجرح ، وليس فيه آثار الضرب . يريد : لم لاتعينونى بالضرب إن أحببتم مقامى .

وقال أبو الفتح : يامن يحب مقامى وتركى الأسفار والمطالب ، ولم أجرح بنصلى أعدائى وأقتلهم به .

٢ — الغريب — الفرند ، يقال (بفتح الراء وكسرها) ، وهو معرب ، وهو جوهر يستدل به على جودة السيف ، كالآثار والنقط ، والهام الرأس . والنصل : السيف .

المعنى — يريد : أرى من قوتى ونشاطى قطعة من فرند هذا السيف . يريد : أن للسيف حدة ومضاء ، كحدته ومضائه ، وإذا لم يكن السيف جيد الصقل لم يجد به الضرب ، وإذا نصب «وجودة» ، فمعناه : أرى جودة الضرب فى جودة صقله ، أى قد أجيد صقله ليجود به الضرب .

٣ — الغريب — خضرة ثوب العيش : استعارة من خضرة النبات ، والنبات إذا كان أخضر كان رطبا ناعما ، ويحمد من السيف ما كان مشربا خضرة ، كقول الشاعر :

مُهَنَّدٌ كَأَنَّما طابِعُهُ ... أَشْرَبَهُ بِالهِنْدِ ماءَ الهِنْدِبا

وقد قال البحترى :

حَمَلَتْ حَمائِلُهُ القَدِيمَةُ بَقْلَةً ... مِنْ عَهْدِ عادٍ غَضَّةً لَمْ تَذْبُلِ

واحمرار الموت : شدته . وموت أحمر ، أى شديد ، وأصله من القتل ، وجريان الدم . ومدرج النمل : مدبه ، وهو حيث درج فيه بقوائمه ، فأثر آثارا دقيقة .

المعنى — جعل النصل مدرج النمل ، لما فيه من آثار الفرند ، فيقول : طيب العيش فى السيف ، أى فى استعماله والضرب به .

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ ... فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلا أَحَـــدٌ مِثْلِي[1]

---

١ — الإعراب — قال ابن القطاع : الصحيح من معنى هـذا البيت أن ما نـكرة ، بمعنى شيء موضوعة للعموم ، كأنه قال : أمط عنك تشبيهى بشيء من الأشـياء ، كما أنك تقول : مررت بمـا معجب لك ، أى بشيء معجب لك .

وقال الجرجانى : لا تقل ماهو إلا كـذا ، وكـأنه كـذا ، وإذا قلت : ماهو إلا الأسد ، وكـأنه الأسد ، فقد أثبت ما لتحقيق التشبيه ، كـقول لبيد :

* وَمَا المَرْءُ إِلاَّ كالشِّهابِ وَضَوْئِهِ *

وقال الربعى عن المتنبى : أردت ما أشبه فلانا بفلان .

وقال على بن فورجة : هذه (ما) التى تصحب كأن إذا قلت : كـأنمـا زيد الأسد . وإليه ذهب الخطيب . قال : يريد أمط عنك تشبيهى بأن تقول : كـأنه الأسـد ، وكـأنمـا هو الليث . وهو قول ردىء بعيد عن الصواب ، لأن أبا الطيب قد فصل ما من كأن ، وقدّمها عليه ، وأتى فى مكانها بالهاء ، فاتصال (ما) بكأنه غير ممكن لفظا ولا تقديرا ، وهى مع ذلك لا تفيد معنى إذا اتصلت بكأنّ ، فـكيف إذا انفصلت منه ، وقدّمت عليه ، وهى فى الأقوال الثلاثة منفصلة ، قائمة بنفسها ، تفيد معنى .

وقال أبو الفتح : هى استفهامية ، وفى قول الجرجانى نافية ، وفى قول الربعى تعجبية ، والـكافة إنمـا تدخل لتـكفّ عن العمل ، لا لمعنى تحدثه بمنزلة الزائدة .

وقال الشريف هبة الله بن على الشجرى : اللفظان اللذان مثل بهما أبو زكريا يحيى بن على التبريزى ، كأنه وكـأنمـا ، فهما كـأنّ وحدها ، لأن معنى كـأنّ وكـأنمـا واحد ، فلا فرق بين أن يقول : أمط عنك تشبيهى بكأنّ وكـأنمـا ، فهو فاسد من كلّ وجه .

وقال أبو الفتح : وهو الذى كان يجيب به إذا سئل عن هذا ، أنه يعتبر كـأن قائلا قال بمـا يشبه ، فيقول الآخر : كـأنه الأسد ، فقال هو معرضا عن هذا القول : أمط عنك تشبيهى بمـا وكـأنه ، فلما جاء بحرف التشبيه ذكر ما فى التشبيه .

وقال أبو بكر الخوارزمى : ما ههنا : اسم بمعنى الذى ، يقال لمن يشـبه بالبحر ، كـأنه ما هو نصف الدنيا ، يعنون البحر ، لأن الدنيا برّ وبحر ، ويقولون : كـأنه ماهو سراج الدنيا ، يعنون الشمس والقمر ، ولما كان لفظها فى المشبه به ، ذكره المتنبى مع كـأنّ .

الغريب — الإماطة : الرفع والتنحية . ومنه : إماطة الأذى عن الطريق

المعنى — يقول : لا تشبهنى بأحد ، ولا تقل : كـأنه وما مثله ، فأنا ما فوق أحد ، فلا تشبهنى بشيء ، وهذا قوله فى حال الصبا ، مع شدّة حمقه فى الـكهولة .

وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطِرْفِي وَذَا بِـــلِي ... نَكُنْ وَاحِدًا نَلْقَ الْوَرَى وانْظُرَنْ فِعلِي[١]

وقال يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى المنبجى

وهى مما قال فى صباه :

وهى من البسيط ، والقافية من المتراكب

أَحْيا وَأَيْسَرُ ما قاسَيْتُ ما قَتَلا ... وَالْبَيْنُ جارَ عَلَى ضَعْفِي وَما عَـــدَلا[٢]

---

١ — الإعراب — الضمير فى «إياه» للسيف .

الغريب — الطرف : الفرس الكريم . وجمعه : طروف . والذابل : مالان واهتز من الرماح .

المعنى — يقول : دعنى وسيفى وفرسى حتى نجتمع ، فتكون فى رأى العين شخصا واحدا ، ومن روى نكن واحدا ، ونلق (بالنون) ، فهو مجزوم ، لأنه بدل من قوله «نكن» كقراءة القراء ، سوى عبد الله بن عامر وأبى بكر بن عياش عن عاصم : «يضاعف له العذاب» بالجزم ، بدل من قوله « يلق آثاما» ، ومن روى يلق (بالياء) فهو وصف لواحد النكرة ، وهو مرفوع .

وقال أبو الفتح : وقد لاذ فى هذا البيت بقول ذى الرمّة :

وَلَيْلٍ كَجِلْبابِ الْعَرُوسِ ادَّرَعْتُهُ ... بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فى الْعَيْنِ وَاحِدُ

أَحَمُّ عَدَافِيٌّ ، وَأَبْيَضُ صارِمٌ ... وَأَعْيَسُ مَهْرِىٌّ ، وَأَرْوَعُ ماجِدُ

٢ — الإعراب — قال أبو الفتح : أخبر عن نفسه فقال : أنا أعيش وأيسر ماقاسيت ما قتل ، ويحتمل وجها آخر ، وهو أن يكون فى معنى أفعل التى للتفضيل ، أى أشدّ ما يكون فى الإنسان ، وأيسر ما قاسيت شيء قاتل ، فكأن الكلام على التقديم والتأخير ، أى الشيء الذى يقتل أحيي وأيسر ما لاقيت ، أو ما ألقاه ، و إذا حمل على هـذا الوجه فقد حذف المضاف إليـه ، أى أحيي مالاقيت وأيسر مالاقيت ، وهم يستعملون هذا فى الشعر ، ولوقلت : فى النثر أفضل ، وأكرم الناس زيد ، تريد أفضل الناس وأكرمهم ، لقبح ، و إنما الفصيح أكرم الناس وأفضلهم .

وقال الشريف هبة الله بن على الشجرى : أحيا فعل المتكلم ، والجلة التى هى أيسر الخ فى موضع النصب على الحال من المضمر فى أحيا ، أى أعيش وأقلّ ما قاسيت ، وأهون الأشياء التى قاسيتها فى الهوى الشيء الذى قتل المحبين .

الغريب — الجور : ضدّ العدل ، وهو العدول عن القصد والميل عنه . وجوّره تجويرا : نسبه إلى الجور .

وَالْوَجْدُ يَقْوَى كما تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا ... وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِي كما نَحَلا (١)

لَوْلا مُفارَقَةُ الْأَحْبابِ ما وَجَدَتْ ... لَها المَنايا إِلَى أَرْوَاحِنا سُبُـــلا (٢)

بِما بِجَفْنَيْكِ مِنْ سِحْرٍ صِلِي دَنِفاً ... يَهْوَى الْحَياةَ ، وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتِ فَلا (٣)

= المعنى — يقول : أحيا وأهون ما قاسيت الذى قتل ، وهـذا الفراق جائر علىّ مع ضعفى . وقوله «وما عدلا» كرّر المعنى ، يقال : جار وما عدل ، والمفهوم أن الجائر قد علم منه أنه لم يعدل ، وإنما كرّره لأن الجائر فى وقت قد يعدل ، فيوصف بالجور إذا جار ، و بالعدل إذا عدل ، وهذا جار عليه وما عدل . ومثله فى القرآن قوله تعالى : « أموات غير أحياء » فتوصـيفها بالموت يدلّ أنها أموات . فالمعنى : أنها أموات لا تحيا فى المستقبل ، كما يحيا الناس عنـد البعث . والمعنى : أنه جار على ضعفى بمقاساة الهوى ، ولم يعدل حين فرّق بينى و بين أحبتى .

١ — الغريب — الوجد : الحزن والشوق . والنوى : البعد .

المعنى — يقول : الشوق والحزن زائدان كما يزداد البعد كلّ ساعة ، والصـبر قليل ضعيف ، كما يضعف الجسم و يقلّ و يبلى .

٢ — الإعراب — قال ابن القطاع : (لها) هى الفاعلة ، و «المنايا» : فى موضع خفض بالإضافة . والمعنى : وجدت لهوات المنايا ، فلها جمع لهاة . وقال : قال لى شيخى محمد بن على التميمى : قال لى أبو على بن رشـدين : قلت للمتنبى عند قراءتى عليـه أضمرت قبل الذكر ؟ قال ليس كذلك ، وليست المنايا فاعلة ، و إنما هى فى موضع خفض .

وقال الشريف هبة الله بن محمد فى أماليه : (لها) من الحشو ، لأن المعنى غير مفتقر إليها .

الغريب — المنايا : جمع منية ، وهى الموت . والسبل : جمع سـبيل ، وهى الطريق ، وإنما جمعها لأنه أراد صحة المعنى ، لأن فراق الحبيب يوجد للمنية سـبيلا ، مباينة للسبل التى جرت عادة المنية به ، وذلك أن فراقه إنما يكون فى الأغلب مع الهجر ، والمنية تدرك به من طريق العشق ، وطريق الفراق ، وطريق الشـوق ، وطريق العجز طرقا شتى ، فلذلك اسـتعمل الجمع ، والسبيل تذكر وتؤنث ، قرأ أبو بكر وحمزة والكسائى «وليستبين سبيل» بالياء ، وقرأ نافع بالتاء ، ونصب السبيل على الخطاب للنبىّ عليه الصلاة والسلام ، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث ، ورفع السبيل .

المعنى — يريد : لولا الفراق لما كان للمنية طريق إلى الأرواح ، وإنما توسلت إليها بطريق فراق الأحباب . وهذا من قول أبى تمام :

لَوْ جاءَ مُرْتادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ ... إِلاَّ الفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلاً

٣ — الإعراب — الفاء : جواب «أما» لأنها أسبق ، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه الجواب المذكور ، ومثله قولك : والله ان تزرنى لأكرمنك ، بجعل الجواب للقسم لتقدّمه ، وسدّ جواب =

إلاَّ يَشِبْ فَلَقَدْ شابَتْ لَهُ كَبِدٌ   شَيْبًا إِذَا خَضَّبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلا(١)

يُجَنُّ شَوْقًا فَلَوْلا أَنَّ رائِحَةً   تَزُورُهُ فى رِياحِ الشَّرْقِ ما عَقَلا(٢)

= القسم مسدّ جواب الشرط ، وإذا قدّمت الشرط جعلت الجواب له ، فتقول : إن تزرنى والله أكرمك ، وجاء فى التنزيل من ذكر جواب الأسبق «لئن أخرجوا لايخرجون معهم» لما كانت اللام مؤذنة بالقسم كان الجواب له . وقوله «يهوى» يجوز فيه الجزم والرفع ، فمن رفعه جعله وصفا «لدنف» ، ومن جزمه جعله جواب «صلى» ، لأن الأمر أحد الأشياء التى تنوب عن الشرط ، فهو فى الرفع والجزم كقوله تعالى : «أرسله معى ردءا يصدّقنى» بالجزم كقراءة نافع ، وبالرفع وكقوله : «فهب لى من لدنك وليا يرثنى» بالجزم ، كقراءة أبى عمرو وعلى بن حمزة ، وبالرفع كقراءة الباقين .

الغريب — الدنف : المريض . والدنف (بالتحريك) : المرض الملازم . ورجل دنف (بفتح النون) . وامرأة دنف (أيضا) يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع والتثنية ، فإن قلت : دنف بكسر النون ثنيت وجمعت ، وذكرت وأنثت . ودنف (بالكسر) : ثقل فى المرض ، وأدنفه المرض يتعدّى ولا يتعدّى .

المعنى — أنه أقسم عليها بسحر ألحاظها أن تصل مريضا يهوى الحياة بوصالها ، وأما مع صدودها فلا يهوى الحياة ولا يريدها ، ويريد بسحر الجفون أنها إذا نظرت تغلب عقول الرجال وتصيد قلوبهم ، فكأنها سحرتهم ، وهو من قول دعبل بن على الخزاعى الكوفى :

ما أَطْيَبَ الْعَيْشَ فَأَمَّا عَلَى   أَنْ لا أَرَى وَجْهَكِ يَوْمًا فَلا

لَوْ أَنَّ يَوْمًا مِنْكِ أَوْ ساعَةً   تُباعُ بِالدُّنْيا إِذَنْ ما غَلا

١ — الغريب — النصول : ذهاب الخضاب . تقول : نصل الخضاب : إذا ذهب . والسلوة : ذهاب المحبة . سلا يسلو سلوّا : إذا أقلع عن المحبة .

المعنى — يقول : هذا الدنف إلا يشب رأسه أو لحيته ، فلقد شابت كبده ، واستعار شيب الكبد وهو قبيح ، نقله من شيب الفؤاد . والمعنى : شاب فؤاده من حرارة الشوق ، فإذا خضبت السلوة ذلك الشيب ، ذهب الخضاب ولم يثبت ، لأن سلوته لا تدوم ولا تبقى ، وإذا زالت السلوة زال خضاب فؤاده ، وعاد شيبه إلى أكثر ما كان . وهذا من قول أبى تمام :

شابَ رَأْسِى وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرْ   رَأْسِ إِلاَّ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ

٢ — المعنى — من روى يحنّ (بالحاء) ، فهو من حنّ يحنّ حنينا : أى يشتاق ، ومن روى يجنّ ، بضمّ الياء وفتح الجيم ، فهو من الجنون ، وبه قرأت الديوان على شيخى أبى الحزم ، وأبى محمد ، ويدلّ عليه قوله «عقلا» ، ويكون فيه المطابقة بين الجنون والعقل . والمعنى : أن =

هافانظُرِى أَوْ فَظُنِّى بِى تَرَىْ حُرَقاً ... مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفاً مِنْها فَقَدْ وَأَلا(١)

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّى فَيَشْفَعَ لِى ... إِلَى الَّتِى تَرَكَتْنِى فى الْهَوَى مَثَلا(٢)

= هذا الدنف يصير مجنونا لشدة شوقه ووجده ، فلولا أنه يجد رائحة شرقية من قبل أحبائه لما رجع إليه العقل ، ولكنه إذا وجد ريح المشرق من قبل أحبائه خف جنونه . وقد نظر فيه إلى قول عبد الله بن الدمينة :

وَأَسْتَنْشِقُ النَّكْبَاءَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ ... كَأَنِّى مَرِيضٌ وَالنَّسِيمُ طَبِيبُ

١ — الإعراب — ها للتنبيه . والمعنى : ها أناذا ، وترى : جواب الأمر ، وقوله « فقد وألا » : جواب الشرط .

الغريب — الحرق : جمع حرقة . وقوله « وأل » تقول : وأل الرجل يئل : إذا نجا .

المعنى — يقول : ها أناذا فانظرى إلىّ ، أوفكرى فىّ إن لم تنظرى ، أى استعملى نفسك فى الرؤية والروية ، ترى من أمرى مايسوءك ، فعسى أن ترحمينى لما ترين بى من حرق من حبك ، من لم يجد القليل منها ، فقد نجا من بلاء الحبّ ، وقد وصف فى عجز البيت ماذكره من الحرق مجملا مافصله البحترى فى قوله :

أَعِيدِى فِىَّ نَظْرَةَ مُسْتَثِيبٍ ... تَوَخَّى الْأَجْرَ أَوْ كَرِهَ الْأَثَاما

تَرَىْ كَبِدًا مُحَرَّقَةً ، وَعَيْنًا ... مُؤَرَّقَةً ، وَقَلْبًا مُسْتَهَاما

٢ — الإعراب — علّ : حرف ، ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لامه الأولى أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة ، حجتهم أنها حرف ، والحروف كلها حروفها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة التى يجمعها (اليوم تنساه) إنما تختص بالأسماء والأفعال ، فأما الحروف فلا يدخلها شىء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية ، فى كل مكان ، على كل حال ؛ ألا ترى أن الألف لاتكون فى الاسم والفعل إلا زائدة أو منقلبة ، ولا يجوز أن يحكم عليها فى (ماولا) بأنها زائدة أو منقلبة ، بل يحكم عليها بأنها أصلية ، فدل على أن اللام الأولى فى « لعلّ » أصلية ، والذى يدل على ذلك (أيضا) أن اللام خاصة لاتكاد تزاد إلا على سبيل الشذوذ ، فكيف يحكم عليها بزيادة فيما لايجوز فيه الزيادة بحال .

وحجة البصريين : أنهم وجدوها فى كلام العرب وأشعارها ، كقول نافع الطائى :

وَلَسْتُ بِلَوَّامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا ... يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا

وكقول الآخر :

لَا تُهِينَ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ ... تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ =

أَيْقَنْتُ أَنَّ سَعِيداً طالِبٌ بِدَمِي … لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمْحِ مُعْتَقِلا(١)
وَأَنَّنِي غَيْرُ مُحْصٍ فَضْلَ وَالِدِهِ … وَنائِلٌ دُونَ نَيْلِي وَصْفَهُ زُحَلا(٢)
قَيْلٌ بِمَنْبِجَ مَثْواهُ وَنائِلُهُ … فِى الْأُفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرَهُ سَأَلا(٣)

= ومن روى فيشفع (بالرفع) عطفه على قوله «يرى» ، ومن نصبه جعله جوابا للتمنى كقراءة حفص عن عاصم : «لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع» ، (بالنصب) .

الغريب — الشفاعة : السؤال لصاحب الأمر فى عفو وغيره . تقول : تشفعت إليه فى زيد ، فشفعنى فيه تشفيعا ، واستشفعته إلى فلان : سألته أن يشفع لى إليه .

المعنى — يقول : لعلّ الأمير الممدوح إذا رأى ذلى وضعفى فى الهوى ، يشفع لى إلى من أحبها ، يضرب بى المثل فى العشق لتواصلنى بشفاعته . قال الواحدى : هو من قول أبى نواس :

سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ … هَوَاهَا لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وقول أبى نواس أحسن من قول المتنبى ، لأن الجمع يمكن بأن يعطيه ما يتوصل به إلى محبوبته ، والشفاعة تكون باللسان ، وذلك نوع قيادة ، على أنى سمعت العروضى يقول : سمعت الشعرانى يقول : لم أسمع أبا الطيب ينشده إلا فيشفعنى ، من قولهم كان وترا فشفعته بآخر ، و إلى آخر ، فيكون كقول أبى نواس .

١ — الغريب — الاعتقال : أن يحمل الرمح بين ساقه وركابه .

المعنى — يقول : علمت وتيقنت أن الممدوح يطلب بدمى إن سفكته الحبيبة ، و يأخذ منها ثأرى ، وذلك أنى رأيته قد اعتقل رمحه عند ما توجه لقتال الأعداء ، فعلمت أنه يدرك ثأرا أوليائه . قال الواحدى : هو من قول المؤمّل :

لَمَّا رَمَتْ مُهْجَتِي قَالَتْ لِجَارَتِها … إِنِّي قَتَلْتُ قَتِيلاً مَالَهُ خَطَرُ
قَتَلْتُ شَاعِرَ هٰذَا الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍ … وَاللهِ وَاللهِ مَا تَرْضَى بِهِ مُضَرُ

٢ — الغريب — يروى فضل نائله ، وهو العطاء . وزحل : نجم من النجوم السيارة ، وهو أبعدها عن الأرض ، وسمى زحلا لأنه زحل وتنحى ، وهو معدول عن زاحل ، كعمر عن عامر .

المعنى — يقول : علمت أننى ، فهو معطوف على قوله أن سعيدا ، أى وأننى غير قادر على إحصاء فضله ، وفضل أبيه ، أو فضل عطائه ، وأنى أنال زحلا دون نيلى لوصفه ، وهذا من المبالغة .

٣ — الإعراب — رفع قيل على حذف الابتداء ، أى هو قيل . وقال قوم : هو بدل من قوله : (طالب) خبر أن فى البيت الأول ، ومثواه : مبتدأ ، خبره «بمنبج» . «ونائله» : مبتدأ وخبره ، «فى الأفق» ، «و يسأل» فى موضع الحال ، والباء متعلقة بالاستقرار ، وعن متعلق بيسأل .

الغريب — منبج : بلد بالشام يبعد عن الفرات مرحلة . والقيل بلغة حمير : الملك العظيم . =

يَلُوحُ بَدْرُ ٱلدُّجَى فِي صَحْنِ غُرَّتِهِ ... وَيَحْمِلُ المَوْتُ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ حَمَلا(١)

تُرَابُهُ فِي كِلَابٍ كُحْلُ أَعْيُنِهَا ... وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَذَلا(٢)

= والمثوى : المنزل . ثوى بالمكان : أقام به . ونزل به ، ومنه قراءة حمزة والكسائى : « لنثوينهم من الجنة غرفا » .

المعنى — يريد أنه مقيم بمنبج ، وعطاؤه يطوف الآفاق ، يسأل عمن سأل غيره من الناس ليغنيه عن مسئلتهم ، أو يعتبه إذ لم يسأل هذا الممدوح ، فهو يأتى إلى كلّ سائل . وهو مأخوذ من قول الطائى :

فَأَضْحَتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ شُرَّدًا ... تُسَائِلُ فِي ٱلآفَاقِ عَنْ كُلِّ سَائِلِ

ومن قول أبى العتاهية :

وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ ... فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينَا

ومن قول الطائى أيضا :

وَفَدَتْ إِلَى ٱلْأَقْطَارِ مِنْ مَعْرُوفِهِ ... نِعَمٌ تُسَائِلُ عَنْ ذَوِى ٱلْإِقْتَارِ

ومن قوله أيضا :

فَإِنْ لَمْ يَفِدْ يَوْمًا إِلَيْهِنَّ طَالِبٌ ... وَفَدْنَ إِلَى كُلِّ ٱمْرِئٍ غَيْرِ طَالِبِ

وقد أخذ هذا المعنى السرىّ الموصلى بقوله :

بَعَثَ النَّدَى فِي الخَافِقَيْنِ مُسَائِلاً عَنْ كُلِّ سَائِلْ

١ — الغريب — الغرة : غرة الوجه ، وهو البياض الذى يكون فى وجه الفرس . والهيجاء : الحرب ، يقصر ويمدّ .

المعنى — يريد : أن وجهه لحسنه يضىء كالبدر فى ظلام الليل ، وإذا لقى الأعداء فإنّ الموت يحمل معه ، ويصول عليهم فيقتلهم ، فالموت من أعوانه .

٢ — الغريب — كلاب : قبيلة . وجناب : قبيلة عدوّه . وقوله «يسبق العذلا» : هو مثل ، يقال : سبق السيف العذل ، وأصله من قول رجل قتل فى الحرب ، فعذل على ذلك ، فقال : سبق سيفى عذلكم .

المعنى — يقول : ترابه كحل لأعين كلاب يكتحلون به هذا . قول الواحدى .

وقال أبو الفتح : ترابه فى أعين كلاب ، لأنه لاتغبهم غاراته وقساطله ، ولا يغمد عنهم سيفه .

لِنُورِهِ فى سَماءِ الْفَخْرِ مُخْتَرَقٌ لَوْ صاعَدَ الفِكْرُ فِيهِ الدَّهْرَ ما نَزَلا(١)
هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِى بادَتْ تَمِيمُ بِهِ قِدْمًا وَساقَ إِلَيْها حَيْنُها الْأَجَلا(٢)
مُهَذَّبُ الْجَدِّ يُسْتَسْقَى الْغَمامُ بِهِ حُلْوٌ كَأَنَّ عَلَى أَخْلاقِهِ عَسَلا(٣)
لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةً وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوَانٍ أَسْلَمُوا الْحِلَلا(٤)
وَضاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كانَ هارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَىْءٍ ظَنَّهُ رَجُلا(٥)

---

١ — الغريب — سماء الفخر : استعارة حسنة . والمخترق : موضع الاختراق ، ويريد به المصعد فى الهواء ، كأنه يشقّ الهواء والنور ما اشتهر وسار من فضله .

المعنى — يقول : لفخره علوّ وارتفاع ، فنوره يصعد فى سماء الفخر ، ولو صعد فكر واصفه فى ذلك النور طول دهره ما نزل ، لأنه يصعد على إثر ذلك النور فلا يلحقه ، لأنه قد علا فوق كلّ شىء ذكره ، وصيته علوا لا يدرك بالوهم والفكر .

٢ — الإعراب — لم يصرف تميم ، لأنه أراد القبيلة ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث ، وقدما : بمعنى قديم ، وهو منصوب ، لأنه نعت ظرف محذوف . يريد : زمانا قديما .

الغريب — الحين : الهلاك . وبادت : هلكت ، وكان حقه أن يقول : ساقت إليهم آجالهم حينهم ، لأنّ الأجل يسوق الحين ، ولكنه قلب فجعل الحين يسوق الأجل ، وهو جائز لقرب أحدهما من الآخر ، لأنّ الأجل إذا تمّ وانقضى حصل الحين ، فكأن كلّ واحد منهما سائق للآخر.

المعنى — يريد : أنه الأمير المطاع فى قومه ، الذى كان هلاك بنى تميم به ، وعلى يده زمانا قديما ، وبه ساق الحين إليهم آجالهم .

٣ — المعنى — يقول : هو طيب الأصل ، لأنّ جدّه كان مبرأ من العيوب ، وهو مبارك يستنزل به القطر من الغمام ، فيسقى الله به ، وهو عذب الأخلاق يستحلى خلقه ، كأنه معسول ممزوج بالعسل .

٤ — الغريب — العوان : التى قوتل فيها مرّة بعد أخرى . والحلل : جمع حلة ، وهى المنازل التى حلوها .

المعنى — يقول : لما رأى بنو تميم هذا الممدوح ، وخيله المنصورة قد أقبلت إليهم ، ولم يقاتلهم بعد ، تركوا منازلهم ، وهربوا فى أوّل الأمر قبل القتال .

وقال الواحدى : لا يجوز أن يكون خيل النصر استعارة ، لأنه يلزم من وجود النصر وإقباله انهزام العدوّ ، فلا يكون فيه مدح ، وإنما مراده أنهم لما رأوا خيله مقبلة ، انهزموا لعلمهم أنهم المنصورون فى جميع الحروب .

٥ — الغريب — قال أبو بكر الخوارزمى : رأى فى هذا البيت ليست من رؤية العين ، وإنما =

فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ   بِالْخَيْلِ فِى لَهَوَاتِ الطِّفْلِ ما سَعَلا[1]

= هو من رؤية القلب . يريد به التوهم ، وغير الشىء يجوز أن يتوهم . ومثله كثير .

وقال ابن القطاع : قد أوخذ فى هذا البيت ، فقيل : كيف يرى غيرشىء ، وغيرشىء معدوم ، والمعدوم لا يرى ، وفيه تناقض ، وليس الأمر كما قالوا ، بل أراد غير شىء يعبأ به ، والصحيح أن شيئا فى هذا البيت ، يريد به : إنسانا خاصة . يريد : إذا رأى غير إنسان ظنه رجلا يطلبه ، لأن خوفه من الإنسان .

وقال الواحدى : إذا رأى غيرشىء يعبأ به ، أو يفكر فى مثله ، ظنه إنسانا يطلبه ، وكذلك عادة الهارب الخائف ، كقول جرير :

ما زَالَ يَحْسِبُ كُلَّ شىءٍ بَعْدَهُمْ   خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَرِجالاً

قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقه والله من كتابهم : « يحسبون كلّ صيحة عليهم » الآية ، و يجوز حذف الصفة ، ويترك الموصوف دالا عليها ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » . أجمعوا على أنّ المعنى : لا صلاة كاملة فاضلة ، و يقولون : هذا ليس بشىء ، يريدون شيئا جيدا .

وقال بعض المتكلمين : إن الله خلق الأشياء من لا شىء ، فقيل هذا خطأ ، لأنّ لا شىء لا يخلق منه شىء ، ومن قال : إن الله يخلق من لا شىء ، جعل لا شىء شيئا يخلق منه . والصحيح أن يقال : يخلق لامن شىء ، لأنه إذا قال : لا من شىء ، نفى أن يكون قبل خلقه شىء يخلق منه الأشياء . انتهى كلامه . والصحيح ما قاله ، أى إذا رأى غير شىء يخاف منه ، ومنه : «حتى إذا جاءه لم يجده شيئا» . معناه يريده أو يطلبه ، أو يغنيه عن الماء ، أى شيئا نافعا مغنيا .

المعنى — يقول : لشدّة خوفهم وما لحقهم من الخوف ، ضاقت عليهم الأرض ، فلم يجدوا مهربا ، كقوله تعالى : «وضاقت عليهم الأرض بما رحبت» ، فهاربهم إذا رأى غيرشىء مفزع ، فزع منه لخوفه . وهذا كقوله : [البيت بعده] .

١ — المعنى — قال الواحدى : يريد قلّ قدرهم وعددهم ، وذلوا حتى لو ركضوا بخيلهم فى لهوات صبيّ مع صغر حلقه لما سعل ، و إذا غصّ الإنسان بشىء صغير لم يسعل ، و إنما يسعل الإنسان بشىء كبير الجسم لا بشىء صغير القدر ، ولكنه حمل الكلام على لفظ القلة . كقوله :

أَماتَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمُ الجَهْلُ   وَجَرَّكُمُ مِنْ خِفَّةٍ بِكُمُ النَّمْلُ

اعتمد على اللفظ وجعل المجاز بمنزلة الحقيقة ، كذا ههنا ، و يجوز أن يجعل الطفل منهم ، أى ما جسر الطفل منهم أن يسعل خوفا و إشفاقا ، مع أنه لا عقل له ، فكيف الظنّ بكبيرهم فى أمر الخوف ، وله عقل بالخوف ، وعلى هذا ركضت فعل خيل النصر وقبيلته وقومه .

قال الواحدى : أى بعد اليوم الذى بادت بنو تميم ، أو بعد إسلامهم الحال إلى يومنا هذا =

فَقَدْ تَرَكْتَ الْأُولَى لاقَيْتَهُمْ جَزَرًا ... وَقَدْ قَتَلْتَ الْأُولَى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَلا(١)

كَمْ مَهْمَهٍ قُذُفٍ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ ... قَلْبُ الْمُحِبِّ قَضَانِى بَعْدَ ما مَطَلا(٢)

عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرْفِى فى مَفاوِزِهِ ... وَحُرُّ وَجْهِي بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذْ أَفَلا(٣)

= الذى نحن فيه ، لو ركضت خيلهم فى لهوات صبىّ ماشعر بهم حتى يسعل . يريد : خيل بنى تميم ، لقلتهم وذلتهم ، وقد بالغ رحمه الله حتى أحاله . انتهى كلامه . والوجه الثانى هو الأجود . وهذا مأخوذ من قول الشاعر :

لَوْ أَنَّهُ حَرَّكَ الجُرْدَ الجِيادَ عَلَى ... أَجْفانِ ذِى حُلُمٍ لَمْ يَنتبه فَرَقَا

وفيه نظر إلى قول خالد الكاتب :

وَمَرَّ بِفِكْرِى خاطِراً فَجَرَحْتُهُ ... وَلَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ

١ — الغريب — الأولى بمعنى : الذين . والجزر : ما ألقى للسباع ، ومنه قول عنترة :

* فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ *

ويقال : ما كانوا إلا جزرا لسيوفنا ، أى الذين نقتلهم ، فنلقيهم للسباع .

المعنى — يريد : إن الذين لقوك منهم أفنيتهم بالسيف ، وكانوا جزرا للسباع ، والذين لم يلقوك ماتوا خوفا منك ، ومن جيشك ، فقتلتهم وجلا . والوجل : شدّة الخوف .

٢ — الغريب — المهمه : ما بعد واتسع من الأرض . والقذف : البعيد .

الإعراب — الضمير فى قضانى ، عائد إلى المهمه ، أى هذا المهمه قضانى بعد أن مطل لبعده ، ومشقة قطعه .

المعنى — يقول : كم طريق بعيد شاقّ ، قطعه قلب من يدلّ فيه ، كقلب العاشق لاضطرابه وخوفه من الهلاك فيه ، قطعته بالسير فيه ، بعد ما طال علىّ وصعب ، واستعار له المطل والقضاء ، لأن المطلوب منه انقطاعه بالسير ، فهو بطوله و بعد انقطاعه كالماطل، الذى يمطل بما يقتضى منه ، وهذا المهمه لطوله وشدّته كأنه يمطل .

وقال ابن القطاع : غلط ابن جنى فى هذا البيت ، فرواه قلب المحبّ (بفتح الحاء) . يريد : المحبوب ، وهو من الغلط الفاحش ، لأن قلب المحبوب ساكن الجأش ، و إنما الخائف المحبّ (بكسر الحاء) ، ولهذا شبهه بقلب الدليل، لخوفه فى هذا المهمه . يقول : قطعته بعد شدّة ، فكأنه مطلنى ببعده ، وهذه الرواية التى ذكرها لم أسمعها من أحد عن ابن جنى .

٣ — الغريب — المفاوز : جمع مفازة ، وسميت بذلك تفاؤلا بالفوز ، وقيل : بل من قولهم : فوز الرجل : إذا مات فى مهلكة . وحرّ الوجه : أشرف شىء فيه ، وأفل النجم : غاب . قال تعالى : «فلما أفل قال لا أحبّ الآفلين» . =

أَنْكَحْتُ صُمَّ حَصاها خُفَّ يَعْمَلَةٍ ... تَغَشْمَرَتْ بِي إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالجَبَلا (١)

لَوْ كُنْتَ حَشْوَ قَمِيصِي فَوْقَ نُمْرُقِها ... سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِي غِيطانِها زَجَلا (٢)

حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسٍ ماتَ أَكْثَرُها ... وَلَيْتَنِي عِشْتُ مِنْها بِالَّذِي فَضَلا (٣)

= المعنى — يريد : أنه كان ينظر إلى النجم نظرا متصلا ، خوفا من الضلال ، فجعله لدوامه كالعقد لطرفه . يريد : أنه لم يزل ينظر إلى النجم حتى كأنه قد عقد طرفه به ، و إذا غاب النجم عقد حرّ وجهه بحرّ الشمس . والمعنى : أنه سافر فيه ليلا ونهارا ، حتى بلغ ما أراد ، وجانس بحرّ الشمس حرّ الوجه .

١ — الإعراب — الضمير فى حصاها : عائد على المفازة :

الغريب — الصمّ : الشداد الصلاب من كلّ شىء . واليعملة : الناقة القوية التى يعمل عليها فى السير . والجمع : يعامل و يعملات . وتغشمرت : تعسفت . والسهل : ما سهل من الأرض . والجبل : الحزن ، وهو ما صعب قطعه من الأرض .

المعنى — يقول : أوطأت ناقتى الحصى من هذه المفاوز ، كما توطأ المرأة ، أى جمعت بينهما ، وركبت ناقتى على غير قصد تارة سهلا ، وتارة جبلا ، فلم تزل تعسف بى حتى وصلت إليك .

٢ — الإعراب — الضمير فى غيطانها للمفاوز (أيضا) .

الغريب — الغيطان : جمع غائط ، وهو الذى اطمأنّ من الأرض وانخفض والزجل : الصياح والصوت والجلبة . والنمرق : نمرق الكور ، وهو الذى يلقى عليه الراكب نخذه للاستراحة . وحشو الشىء : ما فى باطنه .

المعنى — يقول : لو كنت بدلى تحت ثيابى ، ، وفوق نمرق ناقتى ، لسمعت جلبة الجنّ وأصواتهم فى منخفض هذه المفاوز ، لأنها مأوى الجنّ ، لبعدها عن الإنس ، والعرب إذا وصفت المكان البعيد تجعله مسكن الجنّ ، كما قال الأخطل :

مَلاعِبُ جِنَّانٍ كَأَنَّ تُرابَها ... إِذَا اطَّرَدَتْ فِيهَا الرِّيَاحُ مُغَرْبَلُ

والمعنى مأخوذ من قول ذى الرمّة :

لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِى حافاتِها زَجَلٌ ... كَما تَجاوَبَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومُ

والعيشوم : ما يبس من الحماض :

٣ — المعنى — يقول : وصلت إلى الممدوح بنفس قد ذهب أكثرها ، أى ذهب لحمها ودمها من شدّة النصب والخوف ، لمقاساتها فى هذه الطريق البعيدة ، ثم تمنى أن يعيش بما بقى منها ليقضى حقّ الممدوح بخدمته له .

أَرْجُو نَدَاكَ وَلا أَخْشَى الْمِطَالَ بِهِ ... يا مَنْ إذَا وَهَبَ الدُّنْيا فَقَدْ بَخِلاَ (١)

وقال فى صباه

وقد أهدى له عبيد الله بن خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز فى عسل

وهى من المنسرح ، والقافية من المتراكب

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الأَمَلِ ... وَأَنْتَ بِالْمَكْرُماتِ فى شُغُلِ (٢)

تَمَثَّلُوا حاتِمًا وَلَوْ عَقَلُوا ... لَكُنْتَ فى الْجُودِ غايَةَ الْمَثَلِ (٣)

أَهْلاً وَسَهْلاً بِما بَعَثْتَ بِهِ ... إِيهاً أَبا قاسِمٍ وَبِالرُّسُلِ (٤)

---

١ — المعنى — يخاطب الممدوح ، ويقول له : أنا أطلب عطاءك الذى هو مباح لكل طالب لايخشى منك مطالا ، ويريد : أنه يستقل كثيرما يعطى ، وهمتك فى الجود فوق كل همة ، فإذا وهبت الدنيا كلها ، كنت بخيلا لعلو همتك ، فالدنيا حقيرة بالإضافة إلى همتك . وهو من قول حسان :

يُعْطِى الْجَزِيلَ وَلا يَرَاهُ عِنْدَهُ ... إِلاَّ كَبَعْضِ عَطِيَّةِ الْمَذْمُومِ

ومن قول أبى العتاهية :

إِنِّى لأَيْأَسُ مِنْها ثُمَّ يُطْمِعُنِى ... فِيها احْتِقارُكَ لِلدُّنْيا وَما فِيها

٢ — الغريب — المكرمات : جمع مكرمة ، وهوما يتكرم به الإنسان ، وشغل يجوز فيه التثقيل والتخفيف ، فثقله أهل الكوفة وابن عامر .

المعنى — يقول : الناس مشتغلون بكثرة الأمل والطمع بما يأخذونه من أموالك ، ولكنك مشغول بتحقيق آمالهم ، وتصديق أطماعهم ، فهذا شغلك بالمكرمات .

٣ — المعنى — يقول : تمثلوا بحاتم ، فحذف الجار ضرورة . يريد : أن الناس يتمثلون فى الجود بحاتم الطائى ، فيقال : هو أكرم من حاتم ، وأجود من حاتم ، ولو نظر الناس بعين العقل لضربوا بك المثل ، لأنك الغاية فى الجود .

٤ — الإعراب — الرسل : عطفه على الجار والمجرور ، فى قوله «بما بعثت» . «وأهلا وسهلا» منصوبان بفعل مضمر .

الغريب — يقال : إيها بالنصب : أى كف ودع ، وإيه بالخفض : الاستزادة من التكلم ، فإذا أردت أن تستزيده ، قلت إيه ، وإذا أردت أن تكفه قلت : إيها . =

هَدِيَّةٌ ما رَأَيْتُ مُهْدِيَها ... إلاَّ رَأَيْتُ العِبادَ في رَجُلِ (١)

أَقَلُّ ما في أَقَلِّها سَمَكٌ ... يَلْعَبُ في بِرْكَةٍ مِنَ العَسَلِ (٢)

كَيْفَ أُكافِى عَلَى أَجَلِّ يَدٍ ... مَنْ لا يَرَى أَنَّها يَدٌ قِبَلِي (٣)

= المعنى — يقول : أهلا وسهلا ومرحبا بالذى أرسلت به ، وهو كالتحية ، فكم عما تهدى إلىّ ، فقد غمرنى إحسانك ، وعمنى إفضالك .

١ — الإعراب — من نصب هدية ، نصبها على المصدر ، أى أهديت هدية ، أو أرسلت إلىّ هدية ، فتكون مفعولة ، ومن رفعها جعلها خبر ابتداء .

المعنى — يريد : هذه هديتك التى بعثت إلىّ بها ما رأيت مهديها . يعنى الممدوح إلا رأيت الناس كلهم فى شخص رجل واحد . يعنى : أن الله جمع ما فى الناس من معانى الفضل والكرم ، وهو من قول أبى نواس :

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العالَمَ فى واحِدِ

وقد كرّر أبو الطيب هذا المعنى فى مواضع كثيرة .

٢ — الغريب — البركة : الحوض . والجمع : برك .

المعنى — يقول : أقلّ شيء فى أقلّ هذه الهدية ، سمك بهذه الصفة ، وأراد بالبركة الإناء الذى كان فيه العسل ، ويريد أنها كانت عظيمة .

٣ — الإعراب — أكافى : أصله أكافئ ، إلا أنه أبدل الهمزة على غير قياس ياء ، وأجراها مجرى الوقف فى الوصل .

الغريب — اليد : النعمة . ومنه قوله تعالى : « بل يداه مبسوطتان » ، أى نعمتاه على عباده بالرزق فى الدنيا ، والرحمة فى الآخرة .

المعنى — يقول : كيف أكافئ من لا يعتقد فى أجلّ نعمة له عندى أنها نعمة استخفافا بها وتصغيرا ، والمكافأة : مقابلة الشيء بمثله . ومنه زيد كفء لهند ، أى مثلها .

وقال أيضاً فى صباه

وهى من الطويل ، والقافية من المتدارك

قِفا تَرَيا وَدْقِى فَهاتا المَخايِلُ ... وَلا تَخْشَيا خُلْفًا لِما أَنا قائِلُ(١)

رمانى خِساسُ النَّاسِ مِنْ صائِبٍ استِهِ ... وَآخَرُ قُطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنادِلُ(٢)

وَمِنْ جاهِلٍ بِى وَهْوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ ... وَيَجْهَلُ عِلْمِى أَنَّهُ بِىَ جاهِــــلُ(٣)

١ — الإعراب — هاتا : اسم إشارة إلى المخايل .

الغريب — المخائل : البرق ومايستدل به على المطر ، ويقال : المخيلة السحابة الخليقة بالمطر ، والودق : المطر . والخلف : الاسم من الإخلاف فى الوعد .

المعنى — : يقول لصاحبيه : اصبرا قليلا تريا من أمرى شأنا عظيما ، فقد ظهرت مخايله ، وما شهد لى بتحقيق ما كنت أعلم وأعدكما من نفسى من قتل الأعداء ، و بلوغ الآمال ، وأنى لا أخلف الوعد ولا القول ، فقد بان ما كنت أقول لكما .

٢ — الإعراب — من روى آخر بالرفع ، فهو عطف على الموضع من قوله صائب ، كقراءة الجماعة ، سوى على بن حمزة : « ما لكم من إله غيره » بالرفع ، ومن نصبه جعله عطفا على لفظ صائب ومن صائب ، كقولك : جاء القوم من ضاحك وباك ، فهى للتبعيض .

الإعراب — خساس الناس : أراذلهم . والصائب : بمعنى المصيب ، يقال : صابه يصيبه ، وأصابه يصيبه ، فهو صائب ومصيب ، فصائب من الثلاثى ، ومصيب من الرباعى ، وجاء من الثلاثى قول بشر بن أبى خازم :

تُسائِلُ عَنْ أَخِيها كُلَّ رَكْبٍ ... وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ السَّهْمَ صابَا

المعنى — يقول : رمانى ، أى عابنى أرذال الناس ، فمنهم من رمانى بعيب هو فيه ، وهو الأبنة ، فانقلب قوله عليه ، فأصاب استه بالعيب الذى رمانى به ، وآخر لم يؤثر فىّ كلامه لحقارته ، فهو كمن يرمينى بقطعة قطن لعدم التأثير .

وقال الربعى : من صائب استه . يريد : من ضعفه إذا رمى يصيب استه ، فحمله على قوله :

* وَآخَرُ قُطْنٍ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنادِلُ *

وهو قول فاسد ، لأنا لا نرى فى الموصوفين بالضعف من يرمى بحجر أو غير حجر ، مما ترمى به اليد ، فيصيب استه ، وإنما هو مثل ضربه لعائبه .

٣ — الإعراب — علمى مفعول يجهل . وقوله «أنه» مفعول علمى ، أى يجهل معرفتى بجهله بى .

المعنى — قال الواحدى : يريد ومن رجل آخر لا يعرفنى ، ولا يعرف جهله ، فهاتان جهالتان ، ويجهل أنى أعلم أنه جاهل بى . وهو من قول الحكيم : الذى لا يعلم بعلته ، لا يتوصل إلى برئها .

وَيَجْهَلُ أَنِّى مالِكَ الْأَرْضِ مُعْسِرٌ ... وَأَنِّى عَلَى ظَهْرِ السِّماكَيْنِ راجِلُ(١)

تُحَقِّرُ عِنْدِى هِمَّتِى كُلَّ مَطْلَبٍ ... وَيَقْصُرُ فى عَيْنِى الْمَدَى الْمُتَطاوِلُ(٢)

وَما زِلْتُ طَوْدًا لا تَزُولُ مَناكِبِى ... إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّيْمِ فِىَّ زَلازِلُ(٣)

فَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِى قَلْقَلَ الْحَشا ... قَلاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاقِلُ(٤)

---

١ — الإعراب — مالك الأرض نصب على الحال ، كقراءة محمد بن السميفع اليمانى : « انقلب على وجهه خاسر الدنيا والآخرة » بالنصب ، وعلى ظهر السماكين فى موضع الحال ، تقديره : راكبا ظهر السماكين .

الغريب — المعسر : القليل المال من العسر ، وهو خلاف اليسر . والسماكان : السماك الرامح ، والسماك الأعزل ، وهما ستة أنجم كل سماك ثلاثة .

المعنى — يقول : لا يعلم الجاهل أنى إذا ملكت الأرض كلها كنت فى حال العسر عند نفسى ومقتضى همتى ، و إذا علوت ظهر السماكين كنت راجلا لاقتضاء همتى ما فوق ذلك . ومثله للخليل بن أحمد :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِى ... أَوْ كُنْتُ أَجْهَلُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَا

لَكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتِى فَعَذَلْتَنِى ... وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَا

ومثله للآخر :

جَهِلْتَ وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّكَ جَاهِلٌ ... فَمَنْ لِى بِأَنْ تَدْرِى بِأَنَّكَ لَا تَدْرِى

٢ — المعنى — يقول : همتى تحقر عندى الأشياء النفيسة ، فتريني كل شىء أطلبه حقيرا ، والغاية البعيدة فى عينى قصيرة . وذلك لشرف همته وعلوها ، وهذا من حمقه المتزايد .

٣ — الغريب — الطود : الجبل العظيم . ومناكبه : أعاليه . والضيم : الذل . والزلازل : جمع زلزلة :

المعنى — يريد : أنه لم يزل ثابتا ذا وقار ، طودا لا يحركه شىء حتى ظلم ، فلم يصبر على الظلم ، فكأنه حرك لدفع الضيم عنه ، وهذا كله يعظم شأن نفسه .

٤ — الغريب — قلقل : حرك ، و يريد بالحشا : ما فى داخل جوفه . وقلاقل عيس : جمع قلقل ، وهى الناقة الخفيفة . وناقة قلقل ، وفرس قلقل : إذا كانا سريعى الحركة . والقلاقل الثانية : جمع قلقلة ، وهى الحركة .

قال أبو الفتح : الضمير فى كلهن للعيس لا للقلاقل . يقول : قلاقل القلاقل ، كما تقول : سراع السراع . وخفاف الخفاف ، وكقولك : أفضل الفضلاء ، وهو أبلغ فى الوصف من أن يعود على القلاقل .

المعنى — قال الواحدى : حركت بسبب الهم الذى حرك نفسى نوقا خفافا فى السير . يعنى : =

إِذَا اللَّيْلُ وَارانا أَرَتْنا خِفافُها ... بِقَدْحِ الْحَصَى ما لا تُرِينا الْمَشاعِلُ (١)

كَأَنِّى مِنَ الْوَجْناءِ فى ظَهْرِ مَوْجَةٍ ... رَمَتْ بِى بِحاراً ما لَهُنَّ سَوَاحِلُ (٢)

= سافرت ولم أعرج بالمقام الذى يلحقنى فيه الضيم . قال : ويجوز أن تكون القلاقل الثانية بمعنى الأولى ، فيقول : خفاف إبل كلهن خفاف ، ونقل ماقال أبو الفتح . وعاب الصاحب إسمعيل بن عباد أبا الطيب بهذا البيت ، وقال : ماله قلقل الله أحشاءه ، وهذه القافات الباردة . ولا يلزمه من هذا عيب ، فقد جرت العادة بذلك .

وقال أبو نصر بن المرزبان : ثلاثة من الشعراء رؤساء : شلشل أحدهم ، وسلسل الثانى ، وقلقل الثالث ، فالذى شلشل الأعشى ، وهو من رؤساء شعراء الجاهلية ، وهو الذى يقول :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

والذى سلسل مسلم بن الوليد ، وهو من رؤساء المحدثين :

سُلَّتْ وَسُلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا ... فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولاَ

وأما الذى قلقل . فالمتنبى قال الثعالبى ، فقال لى أبو نصر : فبلبل أنت . فقلت له أخشى أن أكون رابع الشعراء ، أعنى قول من قال :

* الشُّعَرَاءُ فَاعْلَمَنَّ أَرْبَعَهْ *

* فَشَاعِرٌ يَجْرِى وَلَا يُجْرَى مَعَهْ *

* وَشَاعِرٌ يُنْشِدُ وَسْطَ الْمَجْمَعَهْ *

* وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَسْمَعَهْ *

* وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَصْفَعَهْ *

قال : ثم قلت بعد مدة من الدهر :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا ... فَانْفِ الْبَلَابِلَ بِاحْتِسَاءِ بَلَابِلِ

وفى هذا الذى ذكرناه مايرد قول ابن عباد ، و يبطله ماجاء مثله عن رؤساء الشعراء .

١ — الغريب — واراه : ستره . والمشاعل : جمع مشعلة ، وهى النار الموقدة . والمشعلة (بكسر الميم) : الآلة التى تحمل فيها النار .

المعنى — يقول : إذا سترنا الليل بظلامه ، أسرعت هذه الإبل حتى تصطك الحجارة بعضها ببعض ، وتنقدح النار ، فنرى مالا نراه بضوء المشاعل ، وهذا من المبالغة .

٢ — الغريب — الوجناء : الناقة الغليظة الوجنات ، ويقال : هو من الوجين ، وهو ما غلظ من الأرض . =

يُخَيَّلُ لِي أَنَّ البِلَادَ مَسَامِعِي ... وَأَنِّيَ فِيهَا ما تَقُولُ العَوَاذِلُ(١)

وَمَنْ يَبْغِ ما أَبْغِي مِنَ المَجْدِ وَالعُلا ... تَسَاوَى المَحَايِي عِنْدَهُ وَالمَقَاتِلُ(٢)

أَلا لَيْسَتِ الحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسَكُمْ ... وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفَ وَسَائِلُ(٣)

= المعنى — جعل الناقة كالموج ، والمفازة لسعتها كالبحر ، وجعل نفسه إذا ركب الناقة فى ظهر هذه المفازة فى موجة ترميه فى بحر لاساحل له . والضمير فى « رمت » للموجة .

١ — المعنى — يقول : يشبه لى أن البلاد ، و يريد بالبلاد هنا : المفاوز ، أى لاتستقرّ بى بلد ، و إنما أدخل بلدا ، وأخرج إلى أخرى ، كما أن العذل لايستقرّ فى أذن ، و إنما يدخل فى أذن ، و يخرج من الأخرى . وأراد : مما تقول العواذل ، فحذف للعلم به . وقد نقله من قول الآخر :

* كَأَنِّي قَذًى فى عَيْنِ كُلِّ بِلَادِ *

وكقول البحترى :

تَقَاذَفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ ... كَأَنِّيَ بَيْنَهَا عَيْرٌ شَرُودُ

٢ — الإعراب — أراد : تتساوى ، فحذف تاء المضارعة دون الأصلية عند أصحابنا الكوفيين ، وعند البصريين المحذوف الأصلية . وحجتنا أن حذف الزائد أولى ، لأن الزائد أضعف ، فحذفه أولى من الأصلى . وحجة البصريين : أن الزائد دخل لمعنى ، وهو للمضارعة ، فحذف ما دخل لغير معنى أولى .

وقال سيبويه : الثانية هي التى تسكن فتدغم ، كما رأيت فى « فادّارأتم » ، وهى التى يفعل بها ذلك فى تذكرون ، فكما أنها اعتلت هنا كذلك تحذف هناك ، وتاء المضارعة لا تعلّ .

و « تساوى » : فى موضع جزم ، لأنها وقعت جوابا للشرط .

الغريب — العلا : تأنيث الأعلى ، كالكبر فى جمع الكبرى . والمحايى : جمع المحيا ، وهو مفعل من الحياة ، كقوله تعالى : « ومحياى ومماتى » .

المعنى — يقول : من يطلب ما أطلب من الشرف والرتب العالية ، استوى عنده الحياة والقتل ، لأنه علم أن الأمور العالية فيها المخاوف والمهالك ، فهو قد وطن نفسه على الهلاك ، فهو يصبر عليه ولا يبالى به .

ومن جعل « تساوى » فعلا ماضيا أثبت الياء ، وهو فى موضع جزم ، وهو روايتى عن شيخى أبى محمد ، ومن رواه بإسقاط الياء جعله مستقبلا كما ذكرنا ، وهو مجزوم بجواب الشرط .

٣ — الإعراب — نصب السيوف ، لأنها استثناء مقدم ، كبيت الكميت : —

فما وَرَدَتْ رُوحَ امْرِئٍ رُوحُهُ لَهُ وَلا صَدَرَتْ عَنْ باخِلٍ وَهْوَ باخِلُ(١)

غَثاثَةُ عَيْشِي أَنْ تَغِثَّ كَرَامَتِي وَلَيْسَ بِغَثٍّ أَنْ تَغِثَّ المَآكِلُ(٢)

وقال لصديق له فى صباه

وهو من الكامل ، والقافية من المتواتر

أَحْبَبْتُ بِرَّكَ إِذْ أَرَدْتَ رَحِيلا فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ ما وَجَدْتُ قَلِيلا(٣)

= وَمَا لِيَ إِلاَّ آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ وَمَا لِيَ إِلاَّ مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

الغريب — الوسائل : جمع وسيلة ، وهى مايتوسل به الإنسان .

المعنى — يريد : أنه لايترك قتال الأعداء ، ولا يطلب إلا أنفسهم ، ولا يتوسل إلى أحد ، بل يتوسل إلى بلوغ مراده بسيوفه .

وقال الواحدى : «يقول لملوك عصره: لا نطلب إلا أرواحهم ، ولا نتوسل إلا بسيوفنا. اهـ» . ولا يقول هذا القول إلا لدلالته على حقه .

١ — المعنى — يقول : ما وردت السيوف . والضمير فى « وردت وصدرت» راجع لها . يريد : إذا وردت روح امرئ كانت أملك بها منه وصار ، وإن كان بخيلا ، غير بخيل، لأن السيف ينال منه ما يطلب به ، أو أنه يفتدى بماله . وباخل وبخيل : بمعنى ، كذا قال أبو الفتح ، ونقله الواحدى حرفا لحرفا .

٢ — الإعراب — من نصب « غثاثة » نصبها بإضمار فعل ، تقديره : أرى ، أو نحوه ؛ ومن رفعها جعلها ابتداء ، والخبر : أن تغث .

الغريب — غثّ الشيء يغثّ غثاثة ، ويغثّ (بفتح الغين وكسرها فى المستقبل) : والمصدر غثا وغثوثة وغثاثة ، وأصله الهزال . وغثّ اللحم : إذا كان مهزولا ، فهو غثيث . وغثّ ، أى فسد . وأغثّ الرجل فى منطقه . وأغثت الشاة : هزلت .

المعنى — يقول : أرى غثاثة عيشى ، أى هزاله فى هزال كرامتى ، لافى هزال مطاعمى ، وهو من كلام الحكيم : عدم الغنى من النفس أشدّ من عدم الغنى من الملك والمال .

٣ — الغريب — البرّ : الإعطاء . برّه : إذا أعطاه . والرحيل : الاسم من الارتحال .

المعنى — يقول : أردت أن أبرّك وقت سفرك ، فوجدت أكثر ما عندى قليلا بالإضافة إلى عظم قدرك .

وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِى الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ صَبٌّ إِلَيْهَا بُكْرَةً وَأَصِيلا(١)

فَجَعَلْتُ ما تُهْدِى إِلَىَّ هَدِيَّةً مِنِّى إِلَيْكَ وَظَرْفَها التَّأْمِيلا(٢)

بِرٌّ يَخِفُّ عَلَى يَدَيْكَ قَبُولُهُ وَيَكُونُ تَحْمِلُهُ عَلَىَّ ثَقِيلا(٣)

---

١ — الغريب — الصبّ : العاشق المشتاق . وقد صببت يارجل (بالكسر) . قال الشاعر :

وَلَسْتَ تَصَبُّ إِلَى الظَّاعِنِينْ إِذَا مَا صَدِيقُكَ لَمْ يَصْبَبِ

ورغبت فى الشىء : طلبته وأردته رغبة ورغبا (بالتحريك) . ورغبت عن الشىء : إذا لم ترده . والبكرة : أوّل النهار . والأصيل : آخره .

المعنى — يقول : علمت أنك تريد المكارم ، وتطلبها وأنت مشتاق إليها تحبها ، وملازمها بكرة وأصيلا .

٢ — المعنى — قال أبو الفتح : ما ذكره يحتمل معنيين : أحدها ، أن يكون أهدى إليه شيئا كان أهداه إليه صديقه الممدوح ، والآخر أن يكون أراد أنى جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلىّ ، وتزوّدنيه وقت فراقك هدية ، منى إليك ، أى أسألك أن لاتتكلفه لى .

وقال العروضى فيما أملاه مما استدركه على ابن جنى : أراد أنك تحبّ أن تعطينى ، فجعلت قبول هديتك إلىّ هدية منى إليك ، لحبك ذاك .

قال الواحدى : وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته فى المكارم ، واشتياقه إليها . وقوله : «وظرفها التأميلا» . الظرف: وعاء الشىء . يقول : جعلت تأميلى مشتملا على قبول الهدية، كاشتمال الظرف على مافيه . والهدية مختلفة على الأقوال المذكورة ، فعلى الأوّل : هدية أهداها الممدوح فعادت إليه ، وعلى القول الثانى : الهدية أن لايهدى للممدوح إلى المادح شيئا ، وعلى القول الثالث أن لا يهدى إلى المتنبى شيئا ، فتكون كما لو أهدى إليه لحبه الإهداء للمتنبى .

٣ — المعنى — قال أبو الفتح : أى لا كلفة له عليك ، لأنى لم أتكلف لك شيئا من مالى ، وإنما هو من مالك عاد إليك ، و بقى بحاله عندك ،ويكون تحمل شكرى على قبوله ثقيلا علىّ، لتكامل صنيعك به .

وقال العروضى : هذا البيت تأكيد لما فسرته ، لأنه يقول : هذه الهدية برّ تحبه ، فيخف عليك قبوله ، لأنه فى الحقيقة إعطاء لى ، وأنت تخف إلى الإعطاء لى ، ولا منة عليك ، لأنك إذا أعطيتنى أثقلت رقبتى بالشكر .

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى

وهو من الطويل، والقافية من المتواتر

عَزِيزُ أَسًى مَنْ دَاؤُهُ الْحَدَقُ النُّجْلُ ... عَيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ(١)

١ — الإعراب — روى: أسى منوّنا، ونصبه بالتمييز، كما تقول: عزيز دواء. ومن: رفع بالابتداء، وعزيز: خبره مقدّم عليه إذا جعلت «من» معرفة، وإذا جعلت «من» نكرة، كان «عزيز» مبتدأ. وذهب بعض النحويين إلى أن المبتدأ والخبر إذا كانا نكرتين، فالمبتدأ هو الأوّل لاغير، وقد يكون المبتدأ والخبر نكرتين، وأحدهما أخصّ من الآخر، كقولك: ذهب خاتم فى أصبعه. فخاتم هنا أخصّ من ذهب، وهو ثان، فيكون مبتدأ أولى من ذهب، و«من» توصف على وجهين، بالجملة والمفرد، فوصفها فى قول عمرو بن قميئة بالجملة:

يَارُبَّ مَنْ يُبْغِضُ إِذْ وَأَدْنَا ... رُحْنَا عَلَى بَغْضَائِهِ وَاعْتَدْنَا

وبالمفرد فى قول حسان بن ثابت الأنصارى:

وَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرِنَا ... حُبُّ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا

فمن نكرة فى البيتين، لأن «ربّ» لايليها المعرفة وقول حسان «على من» أى على قوم أو ناس. ويجوز رفع «غيرنا» على أنه خبر محذوف. يريد: من هو غيرنا، كقراءة الأعمش «تماما على الذى أحسن» (بالرفع) فيجعل «من» موصولة. ويجوز لمن نوّن «أسى» أن يرفع «من» رفع الفاعل بفعله على رأى الكوفيين والأعمش، من إعمال اسم الفاعل والصفة المشبهة باسم الفاعل من غير اعتماد، كقولك: قائم غلامك. وروى قوم «أسى من داؤه» بالإضافة، ورفعه بالابتداء لتخصصه بالإضافة، و«عزيز» خبره، والتقدير: أسى من داؤه الحدق النجل عزيز. وقوله «عياء» فى رفعه ثلاثة أوجه: إن شئت جعلته خبرا بعد خبر، كقولهم: هذا حلو حامض، أى قد جمع الطعمين، وإن شئت أبدلته من «الحدق»، لأنها الداء فى المعنى، كأنك قلت: من داؤه عياء، وإن شئت أضمرت له ابتداء.

الغريب — عزيز، من عزّ: إذا قلّ وجوده، ويجوز أن يكون بمعنى شديد صعب غالب للصبر، من قولهم: عزّه يعزّه: إذا غلبه، وهو من قوله تعالى: «عزيز عليه ماعنتم». والأسى فيه وجهان: أحدهما، الحزن، وفعله أسى يأسى؛ والآخر؛ العلاج والإصلاح، وفعله أسا يأسو، ومنه: أسوت الجرح، إذا أصلحته، أسيا وأسوا. والحدق: جمع حدقة، وهى السواد الذى فى العين. والنجل: الواسعات؛ جمع نجلاء، وهى الواسعة. والعياء: الداء الذى لاعلاج له قد أعيا الأطباء.

المعنى — يقول: عزيز. يريد: صعب من داؤه الحدق، أى عزيز دواء من داؤه الحدق، أو عزيز مداواة من داؤه الحدق الواسعة، وداؤه قد أعيا الأطباء، ومات به المحبون من قبلنا. =

فَمَنْ شاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ فَمَنْظَرِى ... نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَى سَهْلُ(١)
وما هِىَ إلاَّ لَحْظَةٌ بَعْدَ لَحْظَةٍ ... إِذَا نَزَلَتْ فى قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ(٢)
جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِى فى مَفاصِلِى ... فَأَصْبَحَ لِى عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ(٣)
وَمِنْ جَسَدِى لَمْ يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرَةً ... فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ وَفِيهَا لَهُ فِعْلُ(٤)

= وقال «من قبل» ، لحذف المضاف و بناه رفعا على الغاية . وقوله : أسى ، أحسن مايقال فيه ، من : أسوت الجرح : إذا أصلحته . وعليه بيت الأعشى :

عِنْدَهُ الْبِرُّ وَالتُّقَى وَأَسَا الصَّدْ ... عِ وَحَمْلٌ لِمُضْلِعِ الأَثْقَالِ

١ — الغريب — النذير : المنذر . والنذير : الإنذار ، وهوالإبلاغ ، ولا يكون إلا فى التخويف ، والاسم : النذر . قال الله تعالى : «فكيف كان عذابى ونذر» ، أى إنذارى . والنذير العريان : هو رجل من خثعم ، حمل عليه يوم ذى الخلصة عوف بن عامر ، فقطع يده و يد امرأته . ونذر القوم بالعدوّ (بكسر الذال): علموا به . والسهل : ضدّ الصعب الشديد . ومنظرى : موضع النظر منى ، ويجوز أن يكون مصدرا مضافا إلى المفعول .

المعنى — يقول : من أراد أن يعشق فلينظر إلى حالى وما أنا فيه ، فمنظرى دليل له ، ونذير يبلغه أن الهوى صعب شديد، لاتطيقه الجبال ، لما فيه من مقاساة الأهوال ، فالنظر إلىّ نذير مبلغ لمن ظنّ أن الهوى سهل .

٢ — المعنى — يقول : نظرات المحبّ ، إذا نظر نظرة بعد أخرى ، وتمكنت فى قلبه ، زال عنه عقله ، لأن العقل والهوى لايجتمعان فى قلب .

٣ — الغريب — المفاصل، جمع : مفصل ، وهى الأعضاء . والشغل : مايشغل الإنسان عن غيره، ويخفف و يثقل ، وقد خففه أبو عمرو والحرميان .

المعنى — يقول : جرى حبّ هذه المحبوبة — وأضمرها ولم يجر لها ذكر ، وهو من عادة العرب ، الإضمار من غير الذكر ، كقوله تعالى : «فوسطن به جمعا» ، يريد به الوادى ، ولم يذكره — يقول : جرى حبّ هذه المحبوبة فى قلبى ومفاصلى ، وامتزج بلحمى ودمى ، فلست أنسى ذكرها ، ولا أسلو هواها ، لأن حبها امتزج بلحمى ودمى ، فأصبح لى بها عن كلّ ما أعانيه من إصلاح نفسى ومالى وأهلى ، شغل يشغلنى بها عمن سواه .

٤ — الغريب — السقم والسقم ، بالتحريك والتمكين وضمّ السين ، لغتان فصيحتان . وما فوقها، يجوز أن يكون ماهو أعظم منها ، ويجوز أن يريد مادونها فى الصغر . وقد قال المفسرون فى قوله تعالى « بعوضة فما فوقها » الوجهان اللذان ذكرنا .

المعنى — يقول : لم يترك السقم من جسدى قليلا ولا كثيرا إلا وله فيه فعل، لما أقاسى من =

إِذَا عَـــذَلُوا فِيها أَجَبْتُ بِأَنَّةٍ : حُبَيِّبَتا قَلْبًا فُؤَادًا هَيا جُمْــــلُ (١)

= حبها . وقد أخذ هذا المعنى من قول الآخر :

خَطَرَاتُ ذِكْرِكِ تَسْتَفِزُّ مَسَامِعِي فَأُحِسُّ مِنْهَا فِى الْفُؤَادِ دَبِيبَا

لا عُضْوَ لِي إِلاَّ وَفِيهِ صَـــبَابَةٌ فَـكَأَنَّ أَعْضَائِى خُلِقْنَ قُلُوبا

١ — الإعراب — حروف النداء : يا ، وأيا ، وهيا ، وأى ، والهمزة ، وحذف حرف النداء ، كقولك : زيد .

قال أبو الفتح : أبدل الياء من « حبيبتا » فى النداء ألفا ، تخفيفا . وقلبا بدل من قوله « حبيبتا » ، و « فؤادا » : بدل من « قلبا » ، كقولك : أخى سيدى مولاى ، نداء بعد نداء ، وقال : هو فى موضع نصب ، لأنه نداء مضاف . أراد : ياحبيبتى ، ياقلبى ، يافؤادى ، والقلب والفؤاد : هما الحبيبة .

وقال الواحدى : يجوز أن تـكون الألف فيـه للندبة . أراد : ياحبيبتاه ، ياقلباه ، يافؤاداه ، فحذف الهاء للدرج فى الكلام . قال : وكذا ذكر ابن فورجة ، وقال : قلبا ، وفؤادا ، يدعوها لأنه يتشكاها شكوى العليل ، كما قال ديسم بن شاذلويه الـكردى :

أَنِينِى أَنِيسِى وَشَجْوِى وِسادِى وَعَيْنِى كَحِيلٌ بِشَوْكِ الْقَتَادِ

إِذَا قِيلَ دَيْسَمُ ما تَشْتَــكِى ؟ أَقُولُ بِشَـــــجْوٍ فُؤَادِى فُؤَادِى

قال : وقال بعضهم : قلبى ، فؤادى ، فى موضع رفع ، والتقدير : حبيبتى قلبى فؤادى ، أى هى لى بمنزلة القلب والفؤاد ، وعلى هذا « جمل » اسم امرأة من العواذل تعذله ، يقول لها : ياجمل ، هى فؤادى ، أى فلا أسمع عذلك فيها ، ولا أفارقها .

الغريب — أراد حبيبة ، فصغرها للتقريب من قلبه ، كقول أبى زبيد :

يَا ابْنَ أُمِّى وَيَاحُبَيِّبَ نَفْسِى أَنْتَ خَلَّفْتَنِى لِدَهْرٍ شَدِيدِ

وتصغير التعظيم ، كقول لبيد :

وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْـــفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

وكقول الحباب بن منذر الأنصارى يوم السقيفة : أنا جذيلها المحكك ! أنا عذيقها المرجب ! وتصغير التحقير ، مثل أنيسان ونحوه . وجمل : من أسماء نساء العرب ، كهند ، وليلى ، وسلمى ، وسعدى ، وسعاد . وقوله « بأنة » هى فعلة من الأنين ، ويكون من شدة الوجع . أن يئن أنينا إذا اشتكى المرض .

المعنى — يقول : إذا عذلوا فى هذه المحبوبة لم ألتفت إلى كلامهم ، وإنما أجيبهم بالأنين ، =

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكِ سَدَّ مَسامِعِي عَنِ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُها الْعَذْلُ (١)
كَأَنَّ سُهادَ اللَّيْلِ يَعْشَقُ مُقْلَتِي فَبَيْنَهُما فِى كُلِّ هَجْرٍ لَنا وَصْلُ (٢)
أُحِبُّ الَّتِي فِى الْبَدْرِ مِنْها مَشابِهٌ وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لا يُصابُ لَهُ شَكْلُ (٣)

= أنة بعد أنة ، وأقول : ياحبيبتا ،ياقلبا ، يافؤادا ، ياجل ، فبهذا أجيب العذال فى هذه المحبوبة ، وقد فسره فى البيت الآتى بعده .

١ — الغريب — الرقيب : الحافظ . والرقيب : المنتظر . تقول : رقبت الشيء أرقبه رقوبا ، ورقبة ورقبانا(بكسر الراء فيهما) ، إذا رصدته . والرقيب : الموكل بالضرب . ورقيب النجم : الذى يغيب بطلوعه ، كالثريا رقيبها الإكليل : إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل ، و إذا طلع الإكليل عشاء غابت الثريا . والرقيب الثالث : من سهام الميسر .

المعنى — يقول لمحبوبته : لا أسمع فيك عذلا، فكأنّ حافظا لك على مسامعى يرصد مسامعى فلا يدخلها عذل عاذل فيك . وهو من قول العباس بن الأحنف :

أَقامَتْ عَلَى قَلْبِي رَقِيباً وَناظِرِي فَلَيْسَ يُؤَدِّى عَنْ سِواها إِلَى قَلْبِي

ولمحمد بن داود :

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكِ يَرْعَى خَواطِرِى وَآخَرَ يَرْعَى ناظِـــرِى وَلِسانِي

٢ — الإعراب — وصل ، ابتداء تقدّم خبره عليه ، وهو الظرف ، تقديره : فبين مقلتى والسهاد وصل فى كلّ هجرلنا .

الغريب — السهاد : الأرق ، وقد سهد الرجل (بالكسر) يسهد سهدا . والسهد (بضمّ السين والهاء) : القليل النوم . قال أبو كبير الهذلى :

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤادِ مُبَطَّنا سُهُدًا إِذَا مَانامَ لَيْلُ الْهَوْجَلِ

المعنى — يقول : إذاتهاجرنا ، لم أنم لشدّة الشوق والوجد ، فيواصل السهاد عينى لفقد من أحبه . قال الواحدى : هذا كقوله :

إِنِّى لَأُبْغِضُ طَيفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذْ كانَ يَهْجُرُنا زَمانَ وِصالِهِ

جعل الطيف يهجر عند الوصال ، كما يصل السهاد عند الهجر .

٣ — الغريب — الشكل : الشبيه والنظير . والمشابه : جمع شبه ، كالمحاسن فى جمع حسن .

المعنى — يريد : أن فى البدر أنواعا من شبه هـذه المحبوبة : منها الحسن والضياء ، والعلوّ والبعد عن الناس . وقال : وأشكو إلى رجل لايوجد له نظير ولا مثل ؛ يشكو إليه هواها ، ليعطيه مايصل به إليها ، وهذا مخلص حسن ، لأنه خرج من الغزل إلى المدح ، وفضله على المحبوبة بالكمال بقوله : لايصاب له نظير . والمحبوبة ، فى البدر منها أنواع مشابه .

إِلَى وَاحِدِ ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱبْنِ مُحَمَّدٍ ... شُجَاعِ ٱلَّذِي لِلّٰهِ ثُمَّ لَهُ ٱلْفَضْلُ(١)

---

١ — الإعراب — شجاع : بدل من ابن ، وحذف منه التنوين على مذهبه ، ومثله كثير فى الشعر القديم والحديث . ومنه ماذكره مسلم والبخارى وابن إسحاق فى المغازى ، من قول العباس ابن مرداس السلمى بالجعرانة للنبىّ صلى الله عليه وسلم حين أعطى الأقرع بن حابس التميمى ، وعيينة بن بدر الفزارى من أموال هوازن ، كلّ واحد منهما مائة من الإبل ، وأعطى العباس دونهما ، فقال :

أَتَجْعَلُ نَهْبِى وَنَهْبَ ٱلْعَبِيـدِ ... بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَٱلْأَقْرَعِ

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى مَجْمَعِ

وَمَا كُنْتُ دُونَ ٱمْرِئٍ مِنْهُمَا ... وَمَنْ تَخْفِضِ ٱلْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

فترك تنوين « مرداس » ، وهو اسم منصرف . ومثله قول الآخر :

عَمْرُو ٱلَّذِى هَشَمَ ٱلثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

فهذا حجة الكوفيين فى ترك صرف ماينصرف ضرورة . والقياسُ . إذا كان يجوز حذف الواو المتحركة للضرورة فى قول الشاعر ، وهو بيت الكتاب :

فَبَيْنَاهُ يَشْرِى رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ ... لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ ٱلْمِلَاطِ نَجِيبُ!

فجواز حذف التنوين للضرورة أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة ، والتقدير : فبينا هو ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرّك .

وحجة بعض نحاة البصريين أن الأصل فى الأسماء الصرف ، فلو جوّزنا لأدّى ذلك إلى ردّه عن الأصل إلى غير الأصل ، وإلا التبس ماينصرف بما لا ينصرف . والذين وافقوا الكوفيين من البصريين : الأخفش ، وأبو على الفارسى ، وأبو القاسم بن برهان ؛ والذين خالفوا : الخليل بن أحمد ، وعمرو بن عثمان المعروف « بسيبويه » ، وعبد الله بن إسحاق الحضرمى ، وعيسى بن إسحاق الثقفى ، وأبو عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، وأبو عمر صالح بن إسحاق الجرمى ، وأبو عثمان بكر بن محمد المازنى ، وأبو العباس محمد بن يزيد الثمالى ، وهو المبرد ، وأبو محمد عبيد الله بن جعفر ابن درستويه الفارسى ، وأبو إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج ، وأبو بكر محمد بن السراج ، وأبو الحسن على بن عيسى الرمانى ، وأبو سعيد الحسن السيرافى ، وأبو الفتح عثمان بن جنى ، وأبو الحسن على بن عيسى الربعى ، فهؤلاء أئمة النحو القائلون بمذهب أهل البصرة ، والناس اليوم على مذهب أهل البصرة ، قرأته على الشيخ أبى الحرم مكى بالموصل .

المعنى — يقول : أشكو هواها إلى واحد الدنيا ، وفريدها شجاعة وكرما ، إلى شجاع ابن محمد ، الذى لله الفضل وله ، لأنه تفرّد فى عصره ، فصار فريدا .

إِلَى الثَّمَرِ الْحُلْوِ الَّذِى طَيِّئٌ لَهُ ... فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهُ أَصْلُ (١)

إِلَى سَيِّدٍ لَوْ بَشَّرَ اللهُ أُمَّــــةً ... بِغَيْرِ نَبِيٍّ بَشَّرَتْنَا بِهِ الرُّسْـــلُ (٢)

إِلَى الْقَابِضِ الْأَرْوَاحِ وَالضَّيْغَمِ الَّذِى ... تُحَدِّثُ عَنْ وَقْفَاتِهِ الْخَيْلُ وَالرَّجْلُ (٣)

إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْـــلُهُ ... تَجَمَّعَ فِى تَشْتِيتِهِ لِلْعُلَا شَمْـــلُ (٤)

١ — الغريب — قحطان بن هود : هو أبو قبائل اليمن وعدنان : أبو قبائل العرب . يريد : أن قحطان هو أصل هذا الثمر ، والمراد به الممدوح .

المعنى — يقول : أشكو إلى الثمر الحلو ، يعنى الممدوح الذى طيىء له فروع ، والأصل قحطان بن هود ، جعله كالثمر الحلو الطيب فى جوده وحسن خلقه ، ومن روى «له أصل» أراد الثمر ، ومن روى «لها» أراد الفروع .

٢ — الغريب — البشارة ، بكسر الباء وضمها . تقول : بشرته بكذا ، و بشرته بمولود فأبشر إبشارا ، أى سرّ . و بشرت بكذا (بكسر الشين) ، أى استبشرت به . قال عطية بن زيد الجاهلى (١) :

فَأَعِنْهُمُ وَأَبْشِرْ بِمَا بَشِرُوا بِهِ ... وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فَانْزِلِ

و بشر يبشر ، قرأ حمزة والكسائى فى « آل عمران » ، وفى «الإسراء» و «الكهف» بالتخفيف ، ووافقهما أبو عمرو وابن كثير فى «الشورى» على التخفيف ، وقرأ حمزة جميع مافى القرآن بالتخفيف .

المعنى — يقول : لو كان الله مبشرا أمّة من الأمم بغير نبىّ ، لكان يبشرنا بك ، إلا أن الله لا يبشر إلا بالأنبياء ، على لسان كل نبىّ بشر أمّته بأنه يكون بعده نبىّ ، والله تعالى بشر جميع الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليهم ، وأوحى إليهم .

٣ — الإعراب — من روى «الأرواح» بالنصب ، نصبه باسم الفاعل ، ومن رواه بالخفض ، جعله مثل الحسن الوجه . ووقفاته : جمع وقفة ، وفعلة ، تجمع على : فعلات ، إذا كانت اسما ، و إذا كانت صفة جمعت على فعلات (بسكون العين) . قال أبو الفتح : سكن القاف للضرورة .

الغريب — الضيغم : من أسماء الأسد ، قيل : لأنه يضغم الناس ، أى يعضهم .

المعنى — يقول : أشكو إلى قابض الأرواح . يريد : لكثرة غزواته ووقائعه وقتله الأعداء . والخيل ، أى أصحاب الخيل . والرجل : جمع راجل . يريد : أنه شجاع كثير الوقائع .

٤ — الغريب — شتّ : تفرّق . والربّ : الصاحب والمالك ، ولا يقال لغير الله إلا بالإضافة ، لايقال : زيد الرّب ، وقد قالوه فى الجاهلية للملك . قال الحارث بن حلزة :

وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْ ... مِ الْحِيَارَيْنِ وَالْبَلَاءُ بَلَاءُ

المعنى — يقول : إلى مالك مال ، كلما تفرّق شمل ماله ، تجمع شمل معاليه . وطابق بين التفريق والجمع . يريد : كلما جمع مالا من غزواته ، وفرّقه على أوليائه ، تجمع له شمل المعالى .

(١) وقال ابن برى : هو لعبد القيس به خفاف البرجمى (عن لسان العرب) .

هُمامٌ إِذَا ما فارَقَ الْغِمْدَ سَيْفُهُ   وَعايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُما النَّصْلُ؟(١)
رَأَيْتَ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ   فَشا بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَانْقَطَعَ النَّسْلُ(٢)
عَلَى سابِحٍ مَوْجَ الْمَنايا بِنَحْرِهِ   غَداةَ كَأَنَّ النَّبْلَ فى صَدْرِهِ وَبْلُ(٣)

١ — الغريب — الغمد : جفن السيف وقرابه . والنصل: السيف. والهمام : الملك الرفيع الهمة ، إذا همّ بشىء لم يتركه .

الإعراب — من خفض « هماما » جعله بدلا عما تقدّم . يريد : إلى همام ، ومن رفعه قطعه عما قبله ، ورفعه بإضمار ابتداء .

المعنى — يقول : إذا أبصرته وقد جرّد سيفه من غمده ، لم تدر أيهما النصل، لمضائه وجرأته ، لأنه يمضى فى الأمور مضاء السيف . وهو من قول الطائى :

يَمُدُّونَ بِالبِيضِ القَوَاطِعِ أَيْدِيًا   وَهُنَّ سَوَاءٌ وَالسُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ

٢ — الغريب — ابن أمّ الموت : أخو الموت ، وجعله أخا الموت ، لكثرة ما يقتل ، وخصّ الأمّ لأن الأمّ أخصّ بالمولود من الأب ، ألا ترى أن عيسى عليه السلام ولد من غير أب ، ولم يولد أحد من غير أمّ ، فإن قيل : إن حوّاء من غير أمّ ، قلنا : حوّاء لم تولد ، وإنما خلقت كخلقة آدم من ضلعه ، وأكثر الحيوانات تعرف بالأمّ لا بالأب . والبأس : الشدّة . وفشا : ظهر . والنسل : ما ينسل من الأولاد .

المعنى — يقول : لو أن بأس هذا الممدوح ظهر فى الناس لكان يقتل بعضهم بعضا ، فلا يبقى أحد ينسل نسلا ، وفنى الخلائق بكثرة القتل .

٣ — الإعراب — أراد : فى موج المنايا ، فحذف حرف الجرّ ، وأوصل «سابحا» إلى « الموج» فنصبه ، كقول الآخر :

بِأَسْرَعِ الشدَّ مِنِّى يَوْمَ لا ثِقَةٍ   لَمَّا لَقِيتُهُمُ وَاهْتَزَّتِ اللِّمَمُ

أراد : بأسرع فى الشدّ منى ، فحذف ونصب ، وقوله : « غداة كأن » ، أضاف « غداة » إلى الجملة التى بعدها ، وظروف الزمان تضاف إلى الجمل ، تقول : رأيتك يوم جاء الحج ، ويوم ضربت زيدا ، ويوم قدم أبوك .

الغريب — السابح : الذى يسبح كأنه من حسن جريه يسبح . والموج : ما يكون فى البحر من شدّة الرياح ، وهو من : ماج يموج ، إذا تحرّك . والنبل: السهام . والوبل : المطر الشديد . يقال : وبل المطر يبل وبلا ، فهو وابل

المعنى — لما استعار لفرسه السباحة ، استعار للمنايا الموج ، وهى جمع منية . يقول : رأيت هذا الممدوح على فرس سابح شديد الجرى ، يسبح فى موج الموت فى وقت تأتيه السهام من كل مكان، وهو لإقدامه وشجاعته لا يرجع ، فكأنّ السهام فى صدره ، وبل لقلة فكرته به .

وَكَمْ عَيْنِ قِرْنٍ حَدَّقَتْ لِنِزَالِهِ ... فَلَمْ تُغْضِ إِلاَّ وَالسِّنَانُ لَهَا كُحْلُ(١)

إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ ... وَحِلْمُ الْفَتَى فِى غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ(٢)

---

١ — الغريب — القرن (بكسر القاف) : الكفء والمثل . وفلان قرن فلان ، أى كفؤه . والتحديق : شدة النظر . والنزال : القتال ، وهو من منازلة الأقران ، وكانوا إذا اشتدّ القتال نزل بعضهم إلى بعض بالسيوف ، وقيل : كانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل إذا غزوا ، فإذا وصلوا إلى العدوّ تداعوا : نزال ، فينزلون عن الإبل ، ويركبون الخيل . ومنه بيت الحماسة :

وَدَعَوْا نَزَالِ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ ... وَعَلاَمَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ ؟

ثم سمى القتال نزالا . والمقاتلة : منازلة ، وإن لم يكن هناك نزول . وأغضت العين : غمضت . والسنان : طرف الرمح ؛ والجمع : أسنة .

المعنى — يقول : كم شجاع ، يتعاطى شجاعته ، إذا رآه فى مأزق غضّ طرفه هيبة له ، فلم يغضها إلا وكان طرف السنان كحلا لها . والمعنى : كم من فارس قصد لقتاله ، فلم يغمض عينه إلا والسنان لها كحل ، جعل السنان لعينيه بمنزلة الكحل .

٢ — الإعراب — الأصل فى «قيل» : قول (بكسر الواو) كضرب ، فثقلت الكسرة على الواو ، والفعل أصله معتلّ وأعلوه ، فنقلوا كسرة الواو إلى القاف ، فسكنت الواو وانكسر ما قبلها ، فقلبت ياء ، ومن العرب من يشم الضمة تنبيها على الأصل ، ومنهم من يقول : قول [بالبناء للمجهول] بسكون الواو وضمّ القاف ، وهو ردىء . وقرأ علىّ بن حمزة وهشام عن ابن عامر ، بإشمام القاف الضمّ تنبيها على الأصل . ورفقا : مصدر رفق .

المعنى — يقول : إذا أمر بالرفق ، وقال له الأقران : ارفق رفقا . قال : موضع الحلم غير الحرب ، والرفق والحلم يستعملان فى السلم ، وأما الحرب فلا رفق فيها بالأقران ، والحليم فيها جاهل ، كواضع الشىء فى غير موضعه ، وهذا معنى مطروق ، وقد طرقه كثير من الشعراء . قال الفند الزمانى :

وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْـــلِ لِلـــذِّلَّةِ إِذْعَانُ

وقال سالم بن وابصة :

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلاًّ أَنْتَ عَارِفُهُ ... وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ

وقال الخزيمى :

أَرَى الْحِلْمَ فِى بَعْضِ الْمَوَاطِنِ ذِلَّةً ... وَفِى بَعْضِهَا عِزًّا يُسَوِّدُ صَاحِبَه

وقال الأعور الشنى :

خُذِ الْعَفْوَ وَاغْفِرْ أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّنِى ... أَرَى الْحِلْمَ مَا لَمْ تَخْشَ مَنْقَصَةً غُنْمَا

وَلَوْلا تَوَلِّى نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ ... عَنِ الأَرْضِ لانْهَدَّتْ وَناءَ بِها الْحِمْلُ (١)

تَباعَدَتِ الآمالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ ... وَضاقَ بِها إِلاَّ إِلَى بابِكَ السُّبْلُ (٢)

وَنادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ السُّرَى ... فَأَسْمَعَهُمْ هُبُّوا فَقَدْ هَلَكَ الْبُخْلُ (٣)

وَحالَتْ عَطَايا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ إِنْجازُ وَعْدٍ وَلا مَطْلُ (٤)

---

١ — الغريب — انهدّت: سقطت . وناء به الحمل ، أى أثقله . ومنه قوله تعالى: «لتنوء بالعصبة» ، أى تثقل . والحمل (بالكسر) : ما كان على ظهر ، (و بالفتح) : ما كان فى بطن أو شجرة أو نخلة ، و يقال فى النخل والشجر (أيضا) بالكسر . وناء : نهض . وناء (أيضا): سقط ، وهو من الأضداد .

المعنى — يقول : لولا أن الممدوح تولت نفسه حمل حلمه عن الأرض ، ونهضت به دونها ، لعجزت الأرض عن حمله وأثقلها ، ولم تطق حمله . ولما كان الحلم يوصف بالثقل ، والحليم بالرزانة و يشبه بالطود شاع هذا الكلام فى وصف الحليم . والمعنى : لو كان الحلم جسما ، لكان من الثقل بهذه الصفة .

٢ — الغريب — الآمال : جمع أمل ، وهو ما يرجو الإنسان من الخير والحياة . والسبل : جمع سبيل ، وهو الطريق .

المعنى — يقول : تباعدت آمال الناس عن جميع المقاصد ، لأنها توجهت إليك و إلى قصدك دون غيرك من الناس ، فلم تجد سبيلا إلا إلى قصدك وقصد بابك .

٣ — الغريب — هبّ الرجل من نومه ، إذا استيقظ . قال الشاعر :

إِلاَّ أَيُّها النُّوَّامُ مِنْ نَوْمِكُمْ هُبُّوا ... أُسائِلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ ؟

وهو فعل موضوع لقوّة الشيء ونشاطه ، فمنه : هبّ النائم من نومه ، لأنه يفارق السكون . وهبت الريح : إذا جاءت بعد سكون . وهبّ التيس : إذا نشط للسفاد . وهبّ السيف : إذا اهتزّ للقطع . والسرى ، مصدر سرى . والندى : الكرم .

المعنى — يقول : من كثرة عطاياه وكرمه قد شاع فى الآفاق ، فهى تنادى القاعدين عن طلبه : استيقظوا من نومكم ، وأسروا إليه ، فهو يغنى من قصده ، واعلموا أن البخل قد هلك بوجوده وجوده .

٤ — الغريب — الإنجاز ، من نجز الشيء (بالكسر) ينجز نجازا : انقضى وفنى . قال النابغة :

وَكُنْتَ رَبِيعاً لِلْيَتامَى وَعِصْمَةً ... فَمُلْكُ أَبِى قابُوسَ أَضْحَى وَقَدْ نَجَزْ

أى انقضى ، ونجز (بالفتح) حاجته ينجزها (بالضمّ) نجزا ، إذا قضاها . ونجز الوعد . وأنجز حرّ ماوعد . وفى المثل : المحاجزة قبل المناجزة .

=

فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ ... وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ (١)

وَمَا تَنْقِمُ الْأَيَّامُ مِمَّنْ وُجُوهُهَا ... لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ (٢)

وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ ... وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ (٣)

= المعنى — يقول : لاوعد له فينجزه ، ولا مطل يمطل به . والمطل : المدافعة ، فقد منعت عطاياه دون الوعد ، لحصولها عاجلا يمنع من الوعد ، و إذا لم يكن وعد لم يكن إنجاز ولا مطل ، كقول أشجع السلمى :

يَسْبِقُ الْوَعْدَ بِالنَّوَالِ كَمَا يَسْـبِقُ بَرْقَ الْغُيُوثِ صَوْبُ الْغَمَامِ

١ — المعنى — يقول : عطاياه كثيرة ، فلا يقدر أحد على تحديدها . بأن يجعل لها حدًّا إليه تنتهى ، كما لايقدر أحد على ردّ مافات ، بل ردّ الفائت أقرب من تحديدها ، ولا يقدر أحد على أن يحصى مكارمه ، وأيسر من إحصائها إحصاء المطر والرمل، وهما لايحصيان .

٢ — الإعراب — ما ، يجوز أن يكون استفهاما معناه الإنكار ، و يجوز أن يكون نفيا او إخبارا ، و «نعل» خبر «وجوهها» ، واللام تتعلق به ، و «فى كلّ نائبة» : متعلق بفعل محذوف ، تقديره : يطأ به ، و « ممن » يتعلق « بتنقم » .

الغريب — نقمت الشيء (بالفتح) أنقم (بالكسر) ، أى كرهته . ومنه قوله تعالى : «ومانقموا منهم» ، أى كرهوا وعابوا . والأخمص : باطن القدم .

المعنى — يقول : هو عزيز شديد البأس والقدرة ، فلا تقدر الأيام على مخالفته ، فقد ذلت له ذلّ من يطؤه بأخمص قدميه ، حتى تصير تحتهما كالنعل فى الذلّ ، ولاتقدر الأيام أن تعيبه ، ولا تردّ عليه مايفعل .

٣ — الغريب — عزّه : غلبه وقهره ، من قولهم : من عزّبزّ . ومنه قوله تعالى : « وعزّنى فى الخطاب» .

المعنى — يقول : لم يقهره مراد أراده ، ولاامتنع عليه فى طول الأيام، و إن كان قليل الوجود ، إلا أن يكون له نظير ، فإنه يمتنع عليه ، ولايوجد لعدم نظيره ، كقول البحترى :

كُلُّ الَّذِى تَبْغِى الرِّجَالُ تُصِيبُهُ ... حَتَّى تُبَغِّى أَنْ تَرَى شَرْوَاهُ

وكقوله أيضا :

وَلَئِنْ طَلَبْتُ شَبِيهَهُ إِنِّى إِذًا ... لَمُكَلِّفٌ طَلَبَ الْمُحَالِ رِكَابِى

وجمع أبو الطيب بين وجهين من المدح : الاقتدار ، والانفراد عن الأمثال .

كَفَى ثُعَلاً فَخْــراً بِأَنَّكَ مِنْهُمُ ‏ ‏ ‏ ‏ وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ(١)

١ — الإعراب — كفى ، إذا كان بمعنى أجزأ وأغنى تعدّى إلى مفعول ، كقولك : كفانى درهم : أى أجزأنى ، وكفانى قرص: أى أغنانى ، وإذا كان بمعنى المنع والكف، فهو يتعدّى إلى مفعولين ، نحو قولك : كفيت فلانا شرّ فلان ، أى منعته . ومنه : « فسيكفيكهم الله » ، وهما مختلفان معنى وعمــلا ، « وكفى » فى هذا البيت من النوع الأوّل وثعلا ، مفعــول كفى . وفخرا نصب على التمييز ، والفاعل:أن بصلتها ، والباء زائدة ،كزيادتها فى«كفى بالله». وفى دخولها قولان: أحدها، أن يكون بمعنى اكتفوا ، والثانى، لاتصال التأكيد ، لأن الاسم فى قولك : كفى الله، يتصل بالفعل اتصال الفاعلية ، وإذا قلت : كفى بالله اتصــل اتصال الإضافة ، واتصال الفاعلية . وفعلوا ذلك للإيذان بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره فى عظم المنزلة ، فضــوعف لفظها لتضاعف معناها ، فإذا قلت : كفى بزيد عالما حملتــه على معنى اكتفيت به . ويجوز فى « دهر » الرفع والنصب ، فالرفع رواية أبى الفتح ، وبه قرأت .

قال أبوالفتح : ارتفع «دهر» بفعل مضمردلّ عليه أوّل الكلام ، فكأنه قال : وليفخر دهر أهل ، فأهل : صفة لدهر ، ولاوجه له إلا هذا ، ولايجوز رفعه على الابتداء إلا على حذف الخبر .

وقال المعرى وغيره : و «دهرا» بالنصب، عطفاعلى قوله « ثعلا» ،ورفع «أهل » على تقدير: هو أهل .

وقال الربعى : نصب « دهرا » على اسم أنّ ، و « أهل » : خبر عنه . والمعنى : كفى ثعلا فخرا بأنك ، وأن دهرا لأن أمسيت من أهله أهل . وإن رفعته بالابتداء أضمرت له خبرا مدلولا عليه بأوّل الكلام ، فحسن وإن كان نكرة ، لأنه متخصص بالصفة ، تقديره : ودهر أهل فاخر بك . وقد يجوز رفع « دهر » عطفا على فاعل «كفى » ، وهو المصدر المقدّر ، لأنّ «أنّ» مع خبرها بمعنى الكون ، و لتعلق» منهم «باسم الفاعل المقدّر »الذى هو كائن ، تقديره : كفى ثعلا فخرا كونك منهم ، ودهر مستحق ، لأن أمسيت من أهله ، أى وكفاهم فخرا دهر أنت فيه ، أى أنهم فخروا بكونك منهم ، وفخروا بزمانك لنضارة أيامك ، كقول حبيب :

* كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمَعُ *

وعطف « دهرا » ، وهو اسم حدث على الكون المقدّر ، وهو اسم حدث ، ودهر ، موصــوف بصفة فيها ضمير عائد على اسم «أن» ، وهو التاء من أمسيت ، فهذا وجه فى الرفع صحيح ليس فيه تقدير محذوف ، والوجوه المذكورة ليس فيها وجه خال من حذف .

وقال الشريف هبة الله بن الشجرى : يجوز رفع «فخر» بإسناد كفى إليه ، وتخرج الباء عن كونها زائدة ، فتجعلها متعدّية متعلقة بالفخر ، وجرّ : الدهر، بالعطف على مجرور الباء ، ويرفع «أهل» بالابتداء ، فيصير اللفظ : كفى ثعلا فخر بأنك منهم وبدهر . والمعنى: أنهم اكتفوا بفخرهم به وبزمانه .

=

وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً وَطُوبَى لِعَيْنٍ ساعَةً مِنْكَ لاتَخْلُو(١)
فَمَا لِفَقِيرٍ شامَ بَرْقَكَ فاقَةٌ وَلا فى بِلادٍ أَنْتَ صَيِّبُها مَحْلُ(٢)

وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكى

وهى من الخفيف ، والقافية من المتواتر

صِلَةُ الهَجْرِ لِى وَهَجْرُ الوِصالِ نَكَسانِى فى السُّقْمِ نُكْسَ الهِلالِ(٣)

= الغريب — ثعل : بطن من طيء ، وهم قبيلة الممدوح .

المعنى — يريد : كفاهم الفخر على سائر العرب بكونك منهم ، وكذلك الدهر كفاه الفخر على الأزمنة التى قبله و بعده ، لكونك من أهله . وأهل (الأخير فى البيت) معناه : مستحق ومستأهل ، قاله الواحدى .

١ — الإعراب — ويل : ابتداء ، وخبره مابعده ، وهومن النكرات التى يجوز بها الابتداء ، كقولك : سلام عليكم .

الغريب — يقال : ويل له فى الدعاء ، وويح له فى الترحم والتحنن عليه ، كقوله صلى الله عليه وسلم : ويح عمار تقتله الفئة ، الباغية ! وحاولت : طلبت . وغرّة : غفلة .

المعنى — يقول : طوبى لعين لاتخلو من إبصارك ، وويل لنفس طلبت منك غفلة .

٢ — الغريب — شام البرق : تطلع إليه وإلى سحابه أين يمطر . وشمت مخايل الشىء ، إذا تطلعت إليه ببصرك منتظرا له . والفاقة : الحاجة . والصيب : المطر الشديد . قال تعالى : « أو كصيب من السماء » . والمحل : الجدب .

المعنى — يقول : من يرجو مواهبك و يقصدك لاتناله فاقة ، لأنك تحقق رجاءه ، وإذا كنت بمكان فلا جدب فيه ، لأن عطاياك تقوم لأهله مقام الغيث . وضرب البرق والمحل مثلا لقصد الآمل إليه ، كما يشام برق السحاب .

٣ — الغريب — السقم والسقم ، لغتان فصيحتان . والنكس (بضم النون) : الاسم ، (و بفتحها) : المصدر .

المعنى — يقول : كنت زائدا كما يزيد الهلال فى أوّل الشهر ، ثم نقصت كما ينقص إلى أن يلحقه السرار . والمعنى : كنت صحيح الجسم كامل الخلق ، فنكسنى وصل الهجر ، و بعد الوصال إلى أن أعادنى إلى السقم ، كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه ، ونكس المريض ينكس نكسا ، أى أعيد إلى المرض .

فغدا الجسمُ ناقصًا والذى ينـ ـقُصُ منـه يزيدُ فى بلبالى(١)
قفْ على الدمنتين بالدوِّ من ريّـا كخالٍ فى وجنـةٍ جنبَ خالِ(٢)
بطُـلولٍ كأنهنّ نجومٌ فى عِراصٍ كأنهنّ ليالى(٣)
ونُؤِىٍّ كأنهنّ عليهنّ خِدامٌ خُرسٌ بسُوقٍ خِدالِ(٤)

---

١ — الغريب — البلبال : شدة الهمّ والحزن .

المعنى — يقول : بقدر ماينقص من جسمى من الوجد ، يزيد فى همى وحزنى ، فبقدر زيادة الحزن نقصان الجسم ، وطابق بين الزيادة والنقصان .

٢ — الغريب — قوله الدمنتين : تثنية دمنة . وجمعها : دمن ، وهى آثار الدار . والدوّ : الأرض الواسعة المستوية القفرة . من ريا هى اسم امرأة ، والمراد : من دمن ريا ، فحذف للعلم به ، كقول زهير :

* أمِنْ أمِّ أوفى دِمْنةٌ لمْ تَكلَّمِ *

يريد من دمن أم أوفى . والخال : شامة تخالف لون الوجه . والشامة : تكون فى الوجه والجسم .

المعنى — يقول : قف بدمن هـذه المحبوبة لتنظر آثارها ، وتذكر ما كان فيها من أهلها ، فقد بقيت كأنها خالان فى خدّ ، فشبه آثار سواد الديار فى سعة الأرض بخالين فى خدّ .

٣ — الغريب — الطلول : ما بقى من آثار الدار ؛ واحدها : طلل ، وهو الذى بقى شخصه ؛ يقال : طلل ، وأطلال ، وطلول .

المعنى — يريد : أن الطلول الشاخصة الباقية ، تلوح فى العراص كالنجوم فى الليالى المظلمة ، والعراص لا تدرس ، بل هى وسط الدار . والمعنى : طلول الأحباب لائحات فى عراص خاليات ، فهى تلوح فيهنّ كما تلوح النجوم فى الليالى المظلمات .

٤ — الغريب — النؤىّ : جمع نؤى ، كدلو ودلىّ ، وحقو وحقىّ ، وأصلها : نؤوى ، فاجتمعت الواو والياء ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء ، وأدغمت فى لام الكلمة ، وكسرت الهمزة التى هى عين الكلمة لأجل الياء ، فجرى مجرى عصى وحلى ، ولو قيـل : نئىّ لجاز ، كما قيل فى نظائره . والنؤى : مايحفر حول البيت ليقيه أن يدخله ماء المطر ، كالخندق حول البلد . والخدام : جمع خدمة ، وأصله سير يشدّ فى رسغ البعير ، وبه سمى الخلخال خدمة ، لأنه ربما كان من سيور يركب فيه الذهب والفضة . والخدال : السمان ، وهى جمع خدلة ، وهى الممتلئة ، ومثلها خدلجة .

المعنى — شبههنّ حول البيت بالخلاخيل على الأسوق الغلاظ ، لأن الساق إذا غلظت لايتحرك عليها الخلخال ، ولم يسمع له صوت .

قال الواحدى : وهذا إخبار بأن النؤى لم يدفن فى التراب ، وأن ما أحدقت به ملأها ، كما =

لا تَلُمْنِي فَإِنَّنِي أَعْشَقُ الْعُشَّـ ـاقِ فيها يا أَعْـذَلَ الْعُذَّالِ (١)
ما تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَّةِ الذَّوَّاقِ حَـرَّ الْفَلا وَبَرْدَ الظِّلالِ (٢)
فَهْوَ أَمْضَى فى الرَّوْعِ مِنْ مَلَكِ المَوْ تِ وَأَسْرَى فى ظُلْمَةٍ مِنْ خَيالِ (٣)
وَلِحَتْفٍ فى الْعِزِّ يَدْنُو مُحِبٌّ وَلِعُمْرٍ يَطُولُ فى الذُّلِّ قالِى (٤)

= تملأ الساق العظيمة الخدمة . وهو من قول الطائى :

أثافٍ كالخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْنًا وَنُؤْىٌ مِثْلُ ما انْقَصَمَ السِّوَارُ

نقل السوار إلى الخدام ، وأصله من قول الأول :

نُؤْىٌ كما نَقَصَ الْهِلالَ مَحاقُهُ أَوْ مِثْلُ ما قَصَمَ السِّوارَ الْمِعْصَمُ

وجعل أبو الطيب الخدام خرسا ، لأن الساق إذا امتلأ لم تتحرك ، والخلخال كالنؤى يملأ ما أحدق به من الأرض ، وهو تشبيه حسن .

١ — الإعراب — الضمير فى قوله « فيها » راجع إلى « ريا » ، وهى المحبوبة .

المعنى — يقول : أنا أعشق العشاق فى هواها ، وأنت أعذل العذال لى . يريد كثرة لومه إياه ، فلا تعذلني ، واترك عنى عذلك ، فلست أرجع عنها .

٢ — الغريب — النوى : البعد والفراق . والحية الذوّاق : يريد نفسه ، وهو كالحية الذكر لايستقرّ فى موضع . والفلا : جمع فلاة ، وهى الأرض الواسعة . والظلال : جمع ظلّ . قال تعالى : « هم وأزواجهم فى ظلال» . وقرأ الأخوان ظلل : جمع ظلة .

المعنى — يقول : ماتريد النوى منى ، وقد ذقت الأشياء وجرّبتها ، وقد ضجرت منى الأسفار وتعوّدت حرّ فلواتها ، وبرد ظلالها . والمعنى : حرّ النهار وبرد الليل ، لأن الليل كله ظلّ ، وهذا شكاية من الفراق ، وأنه مبتلى به .

٣ — الغريب — الروع : الفزع والهول .

المعنى — يقول : لقيت الشدائد على اختلافها ، وأنا أشدّ إقداما فى الخوف من إقدام ملك الموت لأخذه الأرواح ، فأنا أخوض غمار الحروب من غير خوف ، والخيال يوصف بالسرى ، يقال أسرى من خيال ، لأن الخيال يقطع من الشرق إلى الغرب .

٤ — الغريب — الحتف : الهلاك . والقالى : المبغض . وقلاه أبغضه . قال الله تعالى : «ما ودّعك ربك وما قلى » ، أى وما أبغضك . ومنه بيت الحماسة :

كُلٌّ لَهُ نِيَّةٌ فى بُغْضِ صاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللّٰهِ نَقْلُوكُمْ وَتَقْلُونا =

نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنٌّ فِى زِىِّ نَاسٍ   فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجِمَالِ (١)
مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ تَمْشِى بِنَا فِى الْـبِيدِ مَشْىَ الْأَيَّامِ فِى الْآجَالِ (٢)
كُلُّ هَوْجَاءَ لِلدَّيَامِيمِ فِيهَا   أَثَرُ النَّارِ فِى سَلِيطِ الذُّبَالِ (٣)
عَامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضِّرْ   غَامَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ الْمِفْضَالِ (٤)

= المعنى — يقول : يريد أنه محبّ للهلاك الذى يدنيه من العزّ ، ومبغض للعمر الذى يطول فى الذلّ . والمعنى : هومحبّ للهلاك فى العزّ ، ومبغض للعمرالطويل فى الذلّ . وقوله «وحتف» ، أى وهو حتف .

١ — الغريب — يريد : من الجنّ ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام من الجنّ ، كما قالوا : بلعنبر فى بنى العنبر . والزىّ : الشكل والمثل .

المعنى — يقول : نحن ركب وهم ركاب الإبل ، يقال : ركب وركبان من الجنّ فى زىّ الناس فوق طير إلا أنها فى صورة الجمال . يريد : لسرعة سيرها كأنها تطير كما يطير الطير ، كقول الطائى:

فِى ثُبَةٍ إِنْ سَرَوْا فَجِنٌّ   أَوْ يَمَّمُوا شُقَّةً فَطَيْرٌ

٢ — الغريب — الجديل : فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الإبل الكرام . والبيد : الأراضى البعيدة ، وهى جمع بيداء ، وهى المفاوز . والآجال : جمع أجل .

المعنى — يقول : هذه الجمال التى هى كالطير فى السرعة من بنات هذا الفحل الكريم ، تسرع بنا فى المفاوز ، كمشى الأيام فى الآجال ، وهو من أبلغ الكلام وأفصحه . وهو من قول مسلم بن الوليد :

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِى يَوْمِ ذِى رَهَجٍ   كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلِ

٣ — الغريب — الهوجاء : الناقة التى ترمى بنفسها فى السير للنشاط ، ولا يوصف به الذكر ، فلا يقال : بعير أهوج . والدياميم : جمع ديمومة ، وهى الفلاة . والسليط : الدهن . والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة .

المعنى — يقول : كلّ ناقة سريعة السير قد أثرت فيها الفلوات كتأثير النار فى دهن الفتيلة . والمعنى : قد أفناها السير ، كما تفنى النار دهن الفتيلة .

٤ — الغريب — عامدات : قاصدات . والضرغامة : الأسد . وضرغم الأبطال بعضهم بعضا فى الحرب . والمفضال : مفعال من الفضل .

المعنى — هذه النوق عامدات ، تقصد جناب الممدوح الذى هو فى الحسن والشرف والعلوّ كالبدر ، وفى الجود والكرم كالبحر ، وفى البأس والشجاعة كالأسد ، وهو بفضله يعمّ الخلائق فهو مفضال .

مَنْ يَزُرْهُ يَزُرْ سُلَيْمَانَ فى المُلْــكِ جَــلالا وَيُوسُفًا فى الجَمالِ (١)
وَرَبيعًا يُضاحِكُ الغَيْثُ فيــهِ زَهَرَ الشُّكْرِ مِنْ رِياضِ المَعالِى (٢)
نَفَحَتْنا مِنْهُ الصَّــبا بِنَسيمٍ رَدَّ رُوحًا فى مَيِّتِ الآمالِ (٣)
هَمُّ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ نَفْعُ المَوالِى وَبَوارُ الأَعْــداءِ وَالأَمْوالِ (٤)
أَكْبَرُ العَيْبِ عِنْدَهُ البُخْلُ وَالطَّعْــنُ عَلَيْهِ التَّشْبِيــهُ بِالرِّئْبالِ (٥)

---

١ — المعنى — يقول : هذا الممدوح إذا زرته، فكأنما زرت سليمان فى كثرة ملكه، ويوسف فى جماله وبهائه ، لأنه ملك كبير الملك ، ذو جمال لايشاكله إلا جمال يوسف عليه الصلاة والسلام ، و « جلالا » : تمييز .

٢ — الإعراب — نصب «ربيعا» بالعطف على مفعول يزر .

الغريب — الربيع : الخصب ، وهو ما ينبت من كثرة المطر . والربيع (أيضا) : الشهر . والرياض : جمع روضة ، يقال : روضة وروض ورياض .

المعنى — أنه استعار لمعاليه رياضا لما جعله ربيعا ، وجعل إعطاءه غيث ذلك الربيع ، وجعل شكر الشاكرين زهرا يضاحكه الغيث ، لأن الزهر ينفتح ويحسن بعد مجىء الغيث ، كالشكر يكون بعد العطاء ، ولولا حبه للجود لما أثنى عليه الشاكرون ، فأقام النعمة مقام الروض ، وشكره مقام الزهر ، وهذا من أحسن الاستعارة .

٣ — الغريب — نفح المسك وغيره : إذا فاحت ريحه ، والضمير فى «منه» عائد على الربيع .

المعنى — يقول : نفحتنا من ذلك الربيع نفحة أحيت لنا آمالنا بعد موتها ، واستعار الصبا لذكر الناس محاسنه وكرمه ، وأنه يغنى من قصده ، فقال : من طيب أخباره نفحتنا نسمة دلتنا على إنجاح قصدنا له فأحيت آمالنا ، وهذا من البديع .

٤ — الغريب — الموالى : جمع مولى . والبوار : الهلاك . ومنه قوله تعالى : « دار البوار » ، أى الهلاك « وكنتم قوما بورا » ، أى هلكى .

المعنى — يقول : همته لم تزل مقصورة على دفع الإحسان إلى الأولياء ، والإساءة إلى الأعداء ، فهو يحيى بجوده أولياءه ، ويهلك ببأسه أعداءه .

٥ — الغريب — الرئبال : الأسد ، وهو مهموز . والجمع : رآبيل . وفلان يترأبل ، أى يغير على الناس ، ويفعل فعل الأسد ، وقد ترك الهمزة النميرى فى قوله :

وَنُلْفِى كَما كُنَّا يَدًا فى قِتالِنا رَيابيلَ مافينا كَهامٌ وَلاَ نِكْسُ

وَالْجِـــرَاحاتُ عِنْدَهُ نَغَماتُ   سَبَقَتْ قَبْلَ سَيْبِـــهِ بِسُؤَالِ (١)

ذَا السِّرَاجُ الْمُنِيرُ هٰـــذَا النَّقِيُّ الْـــجَيْبِ هٰذَا بَقِيَّـــةُ الْأَبْدَالِ (٢)

= المعنى — يقول : أكبر عيب يعيب به أحدا عنـده البخل ، لأنه كريم فلا يحب بخيلا ، فإذا عاب إنسانا قال هو بخيل ، والطعن عليـه أن تشبهه بالأسـد ، لأنه أكثر قوة و بأسا من الأسد ، وأقدم فى الهيجاء على الأعداء من إقدام الأسد .

١ — الغريب — الجراحات : جمع جراحة ، وهى ما يكون بسـيف أو رمح أو سهم أو مدى . والنغمات . جمع نغمة ، وهو الصـوت . والسيب : العطاء . والسيوب : الركاز . والسيب : مصدر ساب . والسيب (بكسر السين) : مجرى الماء .

المعنى — يقول : إذا سبق صـوت السائل قبل أن يعطيه ، فـكأنما هى جراح فى جسده .

وقال الواحدى : نغمة السائل تؤثر فى قلبه تأثير الجراحات تأسـفا ، كيف أن نواله لم يسبق إليه ، وتأخر حتى أتى يطلبه ، لأن عادته أن يعطى السؤال بغير سؤال ولا طلب ، فإذا بلغت نغمة سائل ، وسبقت قبل نواله ، بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح .

وقال الخطيب : يلتذ نغمات السائل كما يلتذ الجراح . والمعنى : أنه يشق عليه نغمة السائل قبل الإعطاء ، ويحكى أن الحسن بن على عليهما السلام أتاه مال من معاوية ، فقسمه فلم يبق إلا خمسمائة دينار ، فأراد أن يقوم بها من مجلسـه ، فالتفت وإذا أعرابى قد جاء على ناقة له ، فقال الحسن لغلامه: ادفع إليه هذه الدنانير، وقل له : إنك أتيت ولم يبق عندنا سواها ، فأخذها الأعرابى وقال له : يابن بنت رسول الله والله ما أتيتك إلا قاصدا ، فماذا أعلمك بحالى ؟ فقال له إنا أناس نعطى قبل السؤال ، شحا على ما رجاه السائل لنا . ثم أنشد :

نَحْنُ أُنَاسٌ جَنَابُنَا خَضِـــلٌ   يُشْرِعُ فِيـــهِ الرَّجَاءُ وَالْأَمَلُ

نَبْذُلُ قَبْلَ السُّـــــؤَالِ نَائِلَنَا   شُحًّا عَلَى مَارَجَاهُ مَنْ يَسَلُ

ومثل هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة ، يرثى به معن بن زائدة :

ثَوَى مَنْ كَانَ يَحْمِلُ كُلَّ ثِقْلٍ   وَيَسْبِقُ فَيْضُ رَاحَتِهِ السُّؤَالَا

٢ — الغريب — النقى الجيب : عبارة عن الطاهر من العيب ، وقيل الجيب: القلب . والأبدال: جمع بدل و بديل ، مثـل شريف وأشراف ، وطوى وأطواء ، وشرير وأشرار ، وشهيد وأشهاد ، وهـذا جمع فعيل على أفعال ، وهم العباد ، سموا أبدالا لأنهم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى إجابة دعواتهم ، ونصحهم للخلق ، وقيل: إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر ، فهم لا ينقصون حتى تقوم الساعة ، ويقال : هم أربعون رجلا فى أقطار الأرض .

المعنى — يقول: هو سراج منير يهتدى برأيه فى مشكل الخطوب ، وظلمات الأمور ، و بعلمه =

فَخُذَا ماءَ رِجْلِهِ وَانْضَحا فى الْـــمُدْنِ تأْمَنْ بَوَائِقَ الزِّلْزالِ(١)

وَامْسَحا ثَوْبَهُ الْبَقِــيرَ عَلَى دَا ئِكُما تُشْفَيا مِنَ الْأَعْلالِ(٢)

مالِئًا مِنْ نَوَالِهِ الشَّرْقَ وَالْغَرْ بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُلُوبَ الرِّجالِ(٣)

قابِضًا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْــيا وَلَوْ شاءَ حازَها بِالشِّمالِ(٤)

= يهتدى إلى ما أشكل من مسائل الدين، وهو نقىّ القلب لا غشّ عنده ، وهو بقية الأبدال . يريد: أهل الصلاح .

١ الغريب — نضح الماء : إذا رشه على الأرض أو الثوب ينضحه (بالكسر) . والنضح (أيضا) : الشرب دون الرىّ ، يقال : نضح عطشه ينضحه . والنضيح : الحوض ، والجمع : نضح ، وكذلك النضح (بالتحريك) . والجمع : أنضاح ، وإنما سمى بذلك لأنه ينضح عطش الإبل ، أى يبله . والنضيح : العرق . قال الراجز:

تَنْضَحُ ذِفْرَاهُ بِماءٍ صَبِّ مِثْلِ الْكُحَيْلِ أَوْ عَقِيدِ الرُّبِّ

والمدن : جمع مدينة ، وسميت مدينة ، لأن أهلها يقيمون بها . ومنه مدن بالمكان : أقام به . والبوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية ، يقال : باقتهم الداهية تبوقهم بوقا (بالفتح) ، وباقتهم بؤوقا على فعول ، وانباق عليهم : هجم عليهم بالداهية كما يخرج الصوت من البوق . وقوله عليه الصلاة والسلام : «لم يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه» ، أى ظلمه وغشمه ، وغوائله وشرّه . والزلزال (بالفتح) : الاسم ، (وبالكسر) : المصدر . ومنه قوله تعالى : «إذا زلزلت الأرض زلزالها» .

المعنى — يخاطب صاحبيه ، يقول لهما : خذا ماء رجل هذا الممدوح فرشاه فى البلاد ، فإنها تأمن الزلزلة ، لأنه رجل صالح من أهل الصلاح .

٢ — الغريب — البقير : ثوب لا كمّ له ، وهو الذى يلبسه الصبيان ، ويلبس للأموات عند التكفين .

المعنى — يقول : هو رجل مبارك ، يستشفى بثوبه من جميع الداء ، وذلك لما يرجون من بركته ، لأنه ثوب مبارك ، فهو يشفى من الأعلال .

٣ — الإعراب — مالئا : نصب على الحال ، و «الشرق والغرب» : مفعوله ، وكذا «قلوب» .

الغريب — النوال : العطاء .

المعنى — يقول : هو كريم شجاع ، فقد ملأ الشرق والغرب بجوده وكرمه ، وقلوب الرجال ببأسه وشدّته .

٤ — المعنى — يقول : هو يزهد فى الدنيا ، فلا يطلبها ولا يريدها ، ولو شاء ضمها إليه كلها فملكها ، ولكنه يزهد فيها لحقارتها عنده ،

نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْرُ وَأَلْحَاظُهُ الظُّبَا وَالْعَوَالِي(١)

وَلَهُ فِي جَمَاجِمِ الْمَالِ ضَرْبٌ وَقْعُهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَبْطَالِ(٢)

فَهُمُو لِاتِّقَائِهِ الدَّهْرَ فِي يَوْ مِ نِزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالِ(٣)

رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْ دِ وَطِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالِ(٤)

فَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لَاقَتِ الْمَا ءَ فَصَارَتْ عُذُوبَةً فِي الزُّلَالِ(٥)

١ — المعنى — يقول : شجاعته و بسالته تقوم له مقام الجيش ، وتدبيره بإصابته فى الرأى ، توجب له النصر ، ومن هيبته إذا نظر قام له نظره مقام السيوف والرماح ، والظبا : السيوف ، وهو جمع ظبة ، والعوالى : الرماح المستقيمة .

٢ — الغريب — الجاجم : جمع جمجمة ، وهى الرءوس . والأبطال : جمع بطل ، وهو الشجاع .

المعنى — قال الواحدى : قال ابن جنى يهب المال فيقتدر بذلك على ضرب رءوس الأبطال ، وهذا فاسد ، وكلام من لا يعرف المعنى ، والرجل يوصف بضرب رءوس الأعداء من حيث الشجاعة لا من حيث الجود والهبة . والمعنى : أنه يفرق ماله بالعطاء ، فإذا فنى المال أتى أعداءه ، فضرب جاجمهم ، وأغار على أموالهم ، كما يقال : هو مفيد متلاف ، فوقع ضربه فى رءوس أمواله يكون فى الحقيقة فى رءوس الأعداء ، لأنه لو لم يفرق ماله ما عاد إلى قتالهم ، واستباحة أموالهم . وهو كقوله :

فَالسِّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ

٣ — الغريب — النزال : المحاربة والنزول إلى لقاء الأعداء .

المعنى — قال الواحدى : قال ابن جنى ، أى فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضائه فيهم ، و إن لم يباشرهم بحرب ولا لقاء . قال : وهذا كلامه ، وليس لإعمال الرأى ومضائه ههنا معنى ، إنما يقول : هم أبدا يخافونه ، حتى كأنهم فى يوم حرب لشدة خوفهم ، وليس الوقت يوم حرب .

٤ — الغريب — العنبر : الورد ، وهو الذى يضرب لونه إلى الحمرة . والصلصال : الطين اليابس الذى له صوت ، وأصله الطين الحرّ ، خلط بالرمل فصار يتصلصل ، و إذا طبخ بالنار فهو الفخار .

المعنى — يقول : هذا الممدوح خلق من العنبر الأحمر ، فهو طيب طاهر ، و بقية الخلائق خلقوا من طين صلصال ، فله فضل على الخلق ، لأنه خلق من غير ما خلقوا منه .

٥ — الغريب — العذب : الطيب . والماء الزلال : البارد .

المعنى — يريد : أن ما بقى من الطين الذى خلق منه هذا الممدوح خالط الماء فأكسبه طيبا وعذوبة .

وَبقايا وَقارِهِ عَافَتِ النَّا سَ فَصارتْ رَكَانَةً فى الجْبالِ(١)
لَسْتُ مِمَّنْ يَغُرُّهُ حُبُّكَ السِّلْـــمَ وَأَنْ لا تَرَى شُهُودَ القِتالِ(٢)
ذَاكَ شَيْءٌ كَفاكَهُ عَيْشُ شانِيـــكَ ذَليلاً وَقِـــلَّةُ الأَشْكالِ(٣)
وَاغْتِفارٌ لَوْ غَيَّرَ السُّخْطُ مِنْـــهُ جُعِلَتْ هامُهُمْ نِعالَ النِّعالِ(٤)

---

١ — الغريب — البقايا : جمع بقية . وعفت الشيء : كرهته . والركانة : الشدّة والصلابة ، وسمى ركن ركنا ، لشدّته ولإسناد الشيء إليه .

المعنى — يقول : مابقى من حلمه الذى أعطاه الله كره الناس ، فلم يحلّ بهم ، فحلّ فى الجبال فصار ركانة فيها وثبوتا .

٢ — الغريب — اغترّ بالشيء : ركن إليه ووثق به . والسلم : الصلح ، وهو ضدّ الحرب ، ويكسر ويفتح ، ويذكر ويؤنث ، وقرأ الحرميان وعلىّ بن حمزة : «ادخلوا فى السلم كافة» بالفتح .

المعنى — يقول : لست ممن يغرّه مارأى من محبتك للصلح ، وأن لا تحضر القتال ، فأقول : إنما ذلك من الجبن ، وإنما أقول ذلك لأنك لا ترى لك قرنا فتنازله ، وقد بينه فيما بعده بقوله :

٣ — الإعراب — الإشارة بقوله : «ذاك» إلى القتال ، ونصب «ذليلا» على الحال .

الغريب — كفاه : أغناه ومنعه ، كما تقول : كفيت مكان فلان ، أى أغنيت عنه . وكفيته شرّ فلان : منعته . والشانئ : المبغض . قال الله تعالى : «إنّ شانئك هو الأبتر» . والأشكال : جمع شكل ، وهو النظير والمثل .

المعنى — يقول : ذاك القتال أغناك عنه ، ومنعك منه ، أنّ شانئك ، وهو العدوّ ، ذلّ فلم تحتج إلى قتاله ، لأنه أذعن بطاعتك ، وليس لك نظير يستحقّ أن تنازله فى حرب ، فقد أغناك عن الحرب قلة نظرائك ، لأن الإنسان إنما يحارب من يدانيه فى العزّ والشجاعة .

٤ — الإعراب — عطف « اغتفار » على قوله « قلة الأشكال » والكناية فى «هامهم» ترجع إلى الأعداء المرادة بقوله : «عيش شانيك» .

الغريب — الاغتفار : افتعال من الغفران ، غفر له واغتفر .

المعنى — يقول : كفاك القتال عفوك وتجاوزك ، ولو غيرك السخط دست رءوس الأعداء بحوافر خيلك حتى تصير نعالا لنعالها .

وقال أبو الفتح : لو أحفظوك وحملوك على ترك الاغتفار لأهلكتهم ، وأحسن فى كنايته عن الحفيظة بقوله « لو غير السخط » . ومثله :

وَلَوْ ضَرَّ خَلْقاً قَبْلَهُ ما يَسُرُّهُ لأَثَّرَ فيهِ بَأْسُهُ وَالتَّكَرُّمُ

كنى عن الضرر بأثر فيه ، وهذا لفظ عذب تقبله النفوس .

لِجِيادٍ يَدْخُلْنَ فى الْحَرْبِ أَعْـرَا ۞ وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فى جِـلالِ[1]

وَاسْتَعارَ الْحَدِيدُ لَوْنًا وَأَلْـقَى ۞ لَوْنَهُ فى ذَوائِبِ الْأَطْـفالِ[2]

---

١ — الإعراب — هذا تضمين لما قبله، تقديره : تعال لنعال الجياد، وقد عابه عليه قوم وقالوا : هو تضمين فاحش، لأن الأوّل لم يكن شديد الحاجة إلى الثانى، فاللام متعلقة بالأوّل.

الغريب — الجياد : جمع جواد على غير قياس، وهو مذكور فى مواضع من كتابنا، وأعراء : جمع عرى، وهو الذى لا سرج عليه. ومنه حديث أنس رضى الله عنه : «ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس عرى لأبى طلحة، يقال له مندوب»، وقيل فى بيت رؤبة بن العجاج :

* يَغْشَى قَرًا عارِيَةٍ أَعْرَاؤُهُ *

ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون جمع عراء، وهو المكان الخالى، كقوله تعالى : «فنبذناه بالعراء». والثانى : أن يكون جمع عرى. والثالث أن يكون جمع عرا، وهو الناحية، من قولهم : لا يقرب عراه. والجلال : جمع جل. قال سيبويه : الجلال واحد، وذكرها فى الآحاد، وقال جمعه : أجلة، فعلى هذا إذا كان جمعا كان مفرده : جلا، وإذا كان واحدا كان جمعه : أجلة.

وقال الجوهرى : الجلّ : واحد جلال الدواب. وجمع الجلال : أجلة. والجلّ : الورد، وهو فارسىّ معرب. قال الأعشى :

وَشاهِدُنا الْجُـلُّ وَالياسَمِيـنُ ۞ وَالْمُسْـمِعاتُ بِأَقْصابِها

يريد : الزامرات.

المعنى — يقول : جعلت رءوسهم نعالا لجياد صفتها أنها تدخل الحرب عارية من الجلال، ولا يحسن أن يقال : عارية من السروج واللبد، فيخرجن من الحرب وهنّ قد لبسن الدم عوضا من الجلال، لأن الدم لما جفّ عليهنّ صار كالجلال لهنّ، وهو منقول من قول جرير :

وَتُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنا ۞ مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ الجَوْنَ أَشْقَرا

٢ — الغريب — الذوائب : جمع ذؤابة، وهى شعر الرأس. والأطفال : جمع طفل، وهو الصغير، ويكون واحدا وجمعا. قال الله تعالى : «أو الطفل الذين لم يظهروا» الآية.

المعنى — يقول : إن السيوف والرماح توصف بالبياض، فلما باشرت القتل اكتست الدّم، ولم يكن عليها فصارت سوداء، فكأنها استعارت لونا غير ألوانها، وألقت ألوانها وهى البياض فى ذوائب الأطفال، لأنهم يشيبون من شدّة ما ينالهم من الفزع، وهو مأخوذ من الآية : «فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا».

أَنْتَ طَوْراً أَمَرُّ مِنْ نَاقِعِ السُّمِّ وَطَوْراً أَحْلَى مِنَ السَّلْسالِ (١)
إِنَّما النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَما النَّا سُ بِناسٍ فى مَوْضِعٍ مِنْكَ خالِى (٢)

وقال ارتجالا يصف كلبا أرسله أبو على الأوراجى على ظبي

هذه من الرجز ، والقافية من المتدارك

وَمَنْزِلٍ لَيْسَ لَنا بِمَنْزِلِ وَلا لِغَيْرِ الْغادِياتِ الْهُطَّلِ (٣)

---

١ — الإعراب — طورا ، نصبه على الظرف . يريد : فى طور .
الغريب — الطور : التارة والحين . قال النابغة :

تَنَاذَرَها الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّها تُطَلِّقُهُ طَوْراً وَطَوْراً تُرَاجِعُ

والسلسال : الماء العذب الذى يتسلسل فى الحلق .
المعنى — يقول : أنت تارة سمّ لأعدائك ، والسمّ يضمّ ويفتح ، ويجمع على : سمام ، وتارة أنت حلو لأوليائك ، وهذا المعنى قد طرقه كثير من الشعراء . قال أبو دؤاد :

فَهُمْ لِلْمُلَايِنِينَ أَنَاةٌ وَعُرَامٌ إِذَا يُرَامُ عُرَامُ

وقال بشار :

يَلِينُ حِيناً وَحِيناً فِيهِ شِدَّتُهُ لِلدَّهْرِ يَخْلِطُ إِيسارًا بِإِعْسارِ

وقال أبو نواس :

حَذَرَ امْرِئٍ نُصِرَتْ يَدَاهُ عَلَى العِدَا كالدَّهْرِ فِيهِ شَرَاسَةٌ وَلَيَانُ

ونقله أبو الشيص إلى السيف :

وَكالسَّيْفِ إِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خاشَنْتَهُ خَشِنانِ

٢ — المعنى — يقول : أنت الناس ، فإذا غبت عن موضع غاب عنه الناس .
٣ — الإعراب — ومنزل : مخفوض بواو ربّ ، وهى الخافضة بنفسها عندنا وعند محمد بن يزيد المبرد . وقال البصريون : العمل لربّ مقدّرة ، وحجتنا أنها نائبة عن ربّ ، فصارت تعمل عملها كواو القسم ، لأنها نابت عن الباء ، والدليل على أنها ليست عاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به ، ونحن نرى الشاعر يبتدئ بالواو فى أوّل القصيدة ، كقوله :

* وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِها أَنِيسُ *

نَدِى الْخُزَامَى ذَفِرِ الْقَرَنْفُلِ مُحَلِّ مِلْوَحْشِ لَمْ يُحَلَّلِ (١)

عَنَّ لَنا فِيهِ مُرَاعِى مُغْزِلِ مُحَيِّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ الْمَوْئِلِ (٢)

أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ لُبْسِ الْحُلِى وَعَادَةُ الْعُرْىِ عَنِ التَّفَضُّلِ (٣)

= ومثل هذا كثير ، وحجة البصريين أن الواو واو عطف ، وحرف العطف لا يعمل شيئا ، لأن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصا ، وحرف العطف غير مختص ، فوجب أن لا يكون عاملا ، وإذا لم يكن عاملا فالعامل ربّ مقدّرة ، ويدل على أنها واو عطف ، وأن ربّ مضمرة جوازا إظهارها معها ، نحو : وربّ بلدة .

الغريب — الغاديات : السحب . والهطل : جمع هاطلة ، وهى الكثيرة الماء .

المعنى — يقول : ربّ منزل نزلناه ليس هو لنا بمنزل فى الحقيقة لأنا نرتحل عنه ، ولم يكن منزلا لشىء سوى السحابات الباكرة الماطرة ، يصف روضا نزلوه ، وهو معنى قوله : [البيت بعده]

١ — الإعراب — ملوحش . يريد : من الوحش ، فحذف النون بسكونها وسكون اللام ، وقد بيناه فى قوله : نحن ركب .

الغريب — الخزامى والقرنفل : نبتان طيبان . والندى : الرطب . والذفر : الذكىّ الرائحة إذا كان بالذال المعجمة ، فهو للريح الطيبة والخبيثة ، وأكثر استعماله فى الطيبة ، وإذا كان بالمهملة فهو المنتنة لا غير . ومحلل : هو الذى كثر به الحلول .

المعنى — يقول : هذا الموضع هو محلل من الوحش ، غير محلل من الإنس . ومنه قول امرئ القيس :

كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الماءِ غَيْرَ مُحَلَّلِ

والمعنى : هذا الموضع قد حله الوحش ، ولم يحله الانس .

٢ — الغريب — المراعى : ظبى ، يقال راعت الظبية أختها : إذا رعت معها . والمغزل : التى معها غزالها . والمحين : مفعل من الحين ، وهو الهلاك والموئل : المنجى .

المعنى — يقول : ظهر لنا فى هذا المكان ظبى يرعى مع ظبية ذات غزال ، وهو محين للهلاك ، بعيد المنجى ، لأنه لا ينجو من صيدنا إياه .

٣ — الغريب — الجيد : العنق . وجمعه : أجياد . والحلى : ما تزين به المرأة من ذهب وفضة وجوهر ، وفيه ثلاث لغات : ضمّ الحاء ، وكسر اللام ، وبه قرأ الجماعة ، سوى حمزة والكسائى ، وكسرها ، وبه قرأ الكسائى وحمزة ، وفتح الحاء وسكون اللام ، وبه قرأ يعقوب الحضرمى . والتفضل : هو أن تلبس المرأة ثوبا للخدمة والتصرّف وتنام فيه . ومنه قول امرئ القيس :

وَيُضْحِى فَتِيتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَئُومَ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

كَأَنَّهُ مُضَمَّخٌ بِصَـــنْدَلِ مُعْتَرِضًا بِمِثْلِ قَرْنِ الأَيِّلِ[١]
يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّأَمُّلِ فَحَلَّ كَلَّابِي وَثَاقَ الأَحْبُلِ[٢]
عَنْ أَشْدَقٍ مُسَوْجَرٍ مُسَلْسَلِ أَقَبَّ سَاطٍ شَرِسٍ شَمَرْدَلِ[٣]
مِنْهَا إِذَا يُثْغَ لَهُ لَا يَغْزَلِ مُؤَجَّدِ الْفِقْرَةِ رِخْوِ الْمَفْصِلِ[٤]

=ومنه حديث امرأة أبى حذيفة « يارسول الله كنا نرى أن سالما ابن لنا وانه يدخل علىّ وأنا فضل وليس لنا إلا بيت واحد. فما تأمرنى فى شأنه ؟ فقال أرضعيه خمس رضعات » .

المعنى — يقول : هذا الظبى قد غنى بحسن عنقه عن أن يلبس حليا يتزين بها ، وقد تعوّد العرى ، فلا يحتاج إلى ثوب زينة أو ثوب خدمة ونوم ، وهو مزين بجلده لا بثوبه .

١ — الغريب — التضميخ : الطلاء . ضمخته بالطيب ، أى طليته به ، وشبهه بالصندل فى لونه ، وهو جنس من الطيب ، وبه تشبه الظباء . والأيل : الشاة الوحشية . وجمعه : أيايل وأيل ، وربما قالوا أجل (بالجيم) يبدلون الياء جيما . قال أبو النجم :

كَأَنَّ فِى أَذْنَابِهِنَّ الشُّـــوَّلِ مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونَ الإِجَّلِ

والأيل والأجل : الذكر من الأوعال .

المعنى — أنه شبه لونه بلون الصندل ، فيقول : اعترض لنا هذا الظبى بقرن طويل كقرن الذكر من الأوعال ، ونصب «معترضا» على الحال ، أى مزينا معترضا .

٢ — الغريب — الكلاب : الذى يسوق الكلاب ويصيد بها . والوثاق : جمع ، بكسر الواو ، و (بالفتح) : المصدر ، فمن كسر الواو قال وثيق ووثاق ، كطويل وطوال . والأحبل : جمع حبل فى أقلّ العدد ، وفى الكثير حبال .

المعنى — يحول بين الكلب . يريد : أنه لسرعته لايتمكن الكلب من النظر إليه ، فلم يقدر على تأمّله ، فحلّ الكلاب ماكان يشدّ به الكلب ، وأطلقه عليه .

٣ — الغريب — الأشدق : الواسع الشدق . والمسوجر : الذى فى رقبته ساجور . والمسلسل : الذى فى رقبته سلسلة ؛ والأقبّ : الضامر البطن . والساطى : الذى يسطو على الصيد ويصول عليه . وقال أبو الفتح : هو البعيد الأخذ من الأرض . والشرس : العضوض السيئ الخلق . والشمردل : الطويل .

المعنى — يريد : أنه حلّ الأحبل عن كلب بهذه الصفات على الظبى ليصيده .

٤ — الإعراب — الضمير فى قوله «منها» للكلاب ، و «يغزل» جعله جوابا لإذا ، لأنه شرط بها.
الغريب — يثغ : من الثغاء ، وهو الصياح . ولا يغزل : لا يلهى ولا يتحير . غزل يغزل غزلا : إذا لهى وفتر . والفقرة : خرزة الصلب . والجمع : فقر ، ومن قال «فقار» فواحدتها : فقارة ،=

لهُ إذَا أَدْبَرَ لَحْظُ الْمُقْبِـــلِ   كأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ سَجَنْجَلِ (١)
يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدْوَ الْمُسْهِلِ   إِذَا تَلا جاء الْمَدَى وَقَدْ تُلِى (٢)
يُقْعِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمُصْطَلِى   بِأَرْبَعٍ مَجْـــدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ (٣)
فُتْلِ الْأَيَادِي رَبِذَاتِ الْأَرْجُلِ   آثارُها أَمْـــثالُها فى الْجَنْدَلِ (٤)

= ومؤجد : قوىّ وموثق . ومنه ناقة أجد : إذا كانت شديدة الخلق . رخو المفصل ، أى شديد المتن ، لين المفاصل .

المعنى — يقول : هذا الكلب لايفرق من صوت الغزال ، ولا يفترّ عنه إذا ثغا ، وذلك أن من الكلاب ماإذا دنا من الغزال ، فصاح الغزال فى وجهه صياحا ضعيفا ، تحير ووقف مكانه ، فقال: هذا الكلب لا يفزع ، وهو قوىّ شديد الظهر ، لين المفاصل ، سريع الأخذ ، يصفه بالإقدام على الصيد .

١ — الغريب — السجنجل : المرآة .

المعنى — يقول : إذا أدبر يرى كما يرى المقبل قدّامه ، وذلك لسرعة نظره والتفاته ، وشبه صفاء حدقته بالمرآة .

٢ — الغريب — أحزن : وقع فى الحزن ، وهى الأرض الشديدة الصلبة ، وأسهل : إذاوقع فى السهل ، وهى الأرض اللينة . وتلا : تبع . والمدى : الغاية .

المعنى — يقول : هـذا الكلب إذا وقع فى الأرض الصلبة عدا كما يعدو فى الأرض السهلة ، وإذا تبع صيدا ومعه كلاب بلغ الغاية وهو متلوّ ، أى متبوع ، يصفه بالسرعة . يريد : أنه يقدم الكلاب ، وكان فى أوّل العدو تابعا ، ثم صار فى آخره متبوعا .

٣ — الغريب — الإقعاء : أن يجلس الكلب على إليته . والبدوى : الذى فى البادية ، وهو إذا اصطلى بالنار أقعى على استه ، ونصب ركبتيه لتصل الحرارة إلى بطنه وصدره ، وقوله «مجدولة» ، أى مفتولة لم تجدل . يريد : بقوائم محكمة من خلق الله ، لامن صنعة ولا تصنع .

المعنى — يريد : أنه يقعى لأخذ الصيدبقوائم مفتولة محكمة من خلق الله ، فهو شديدالقوائم.

٤ — الإعراب — الضمير فى « آثارها» لأيدى الكلب ورجليه .

الغريب — فتلاء جمعها : فتل ، وهى اليدالتى بانت عن الصدر ، فلم يمسها عند العدو ، وهو محمود فى الإبل . والأيادى : جمع أيد ، وأكثر مانستعملها العرب فى النعم ، يقال : لفلان عندى يد وأياد ، وذكر يديه بلفظ الجمع وهما يدان ، وكذلك رجليه ، والعرب تفعل مثل ذلك فى التثنية ، كقوله تعالى : «فقد صغت قلوبكما» ، وهما قلبان يدلّ عليه قوله : «إن تتوبا» .

وقال المفسرون: هماحفصة وعائشة . وفى الصحيح حديث ابن عباس «ما كنت أعلم من المرأتان =

يَكادُ في الْوَثْبِ مِنَ التَّفَتُّلِ ... يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكَلْكَلِ (١)
وَبَيْنَ أَعْلاهُ وَبَيْنَ الأَسْفَلِ ... شَبِيهُ وَسْمِيِّ الْحِضارِ بِالْوَلِي (٢)
كَأَنَّهُ مُضَبَّرٌ مِنْ جَرْوَلِ ... مُوَثَّقٌ عَلَى رِماحٍ ذُبَّلِ (٣)
ذِي ذَنَبٍ أَجْرَدَ غَيْرِ أَعْزَلِ ... يَخُطُّ في الأَرْضِ حِسابَ الْجُمَّلِ (٤)

= اللتان قال الله فيهما : إن تتوبا، حتى حججت مع عمر، فسألته» الحديث . والربذات : الخفيفات السريعات . والجندل : الصخر .

المعنى — يقول : قوائمه مفتولة سريعة فى العدو ، شديدة الوطء ، ولم يوصف كلب بمثل هذا فى ثقل الوطء ، وإنما جاء هذا فى الخيل والإبل ، فنقله أبو الطيب إلى الكلاب ، فقال : لقوّة وطئه على الحجارة ، أثرت فيها كأمثال مواطىء رجليه ، ومن روى « فتل » بالرفع كان على حذف الابتداء ، ومن خفض جعله نعتا لأربع . يريد : بأربع فتل .

١ — الغريب — التفتل : الانفتال . والكلكل : الصدر والمتن : عند العجز .

المعنى — يكاد من سرعة وثبه على الصيد يجمع بين صدره وعجزه فى حالة واحدة ، وهذا من أحسن الوصف ، وهو يشبه قوله فى صفة الأسد :

* حَتَّى حَبَا بِالْعَرْضِ مِنْهُ الطُّولا *

٢ — الغريب — الوسمىّ : أوّل المطر . والولىّ : ما يليه . والحضار : الاسم من الحضر، والإحضار المصدر : أحضر الفرس إحضارا ، كذا قال الخليل والجوهرى وابن دريد ، وأنكر أحمد بن يحيى ثعلب هذا ، وقال : هو الإحضار والحضر ، وأما الحضار فمن المحاضرة : إذا حاضر غيره .

المعنى — ضرب هذا مثلا لأوّل عدوه وآخره ، يعنى لا يتغير لضبارته وصلابته ، وأنه لا يفتر ولا يعيا . وهذا من أحسن الكلام وأبدعه .

٣ — الغريب — المضبر : المشدّد ، من إضبارة الكتب : إذا جمعت وشدّت . والجرول : الحجر قدر الكف ، ومنه سمى الحطيئة جرولا كما يسمون حجرا وصخرا وفهرا . والذبل : جمع ذابل ، وهى الرماح .

المعنى — يقول : كان خلقه أحكم من الحجارة ، وشبه قوائمه بالرماح لطولها وهو أمدح ، وهو محمود فى الإبل والخيل .

٤ — الإعراب — ذى ذنب ، خفضه على البدل ، من قوله أشدق ، أى خل كلابى عن أشدق ، ذى ذنب أجرد .

الغريب — الأجرد : القليل الشعر . والأعزل : الذى لا يكون ذنبه على استواء فقاره ، وذلك عيب فى الخيل والكلاب . ومنه قول امرئ القيس : =

كَأَنَّهُ مِنْ جِسْمِهِ بِمَعْزِلِ ... لَوْ كَانَ يُبْلِي السَّوْطَ تَحْرِيكٌ بَلِي (١)
نَيْلُ الْمُنَى، وَحُكْمُ نَفْسِ الْمُرْسِلِ ... وَعُقْلَةُ الظَّبْيِ ، وَحَتْفُ التَّتْفُلِ (٢)
فَانْبَرَيَا فَذَّيْنِ تَحْتَ الْقَسْطَلِ ... قَدْ ضَمِنَ الآخَرُ قَتْلَ الْأَوَّلِ (٣)

---

* بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ *

وإذا لم يكن أعزل كان أشدّ لمتنه . وحساب الجل : حساب يفهمه الحساب ، وهو حساب الجل الصغير ، والجل الكبير على حساب أبجد هوّز ، وأكثر مايستعمله المنجمون .

المعنى — يريد : أن كلاب الصيد تكون جرد الأذناب ، وأن آثار ذنبه فى الأرض كآثار الكاتب إذا خطّ حساب الجل ، لأنه يحكى حروفا غير حروف الكتابة يعلم بها العشور والمئين والألوف ، وهو خطّ قبطىّ ، ولقد أحسن فى هذا التشبيه .

١ — المعنى — قال الواحدى : جعل ابن جنى كأنه من جسمه من صفة الكاب على مافسر ، وهو من صفة ذنبه ، يقول: كأن الذنب متنحّ متباعد عن جسمه ، ألاترى أنه يقول يتلوّى فى عدوه أخفّ تلوّ ، فكأنه متصل بجسمه . وقوله « لوكان يبلى السوط » هذا من صفة الذنب ، وجعله ابن جنى من صفة الكاب (أيضا) ، فقال : هو كالسوط فى الصلابة ، فلا يؤثر فيه العدو ، كما لايؤثر فى السوط التحريك ، وليس على ماقال . والمعنى : أن الكاب يكثر تحريك ذنبه ، ثم لايبليه ذلك ، كما أن السوط يكثر تحريكه ولا يبليه التحريك ، وقد لاذ فى هذا بقول ذى الرمّة :

لاَ يَذْخَرَانِ مِنَ الْإِيغَالِ بَاقِيَةً ... حَتَّى تَكَادَ تَفَرَّى عَنْهُمَا الأُهُبُ

وبقول أبى نواس :

تَرَاهُ فِى الْحُضْرِ إِذَا هَاهَىٰ بِهِ ... يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ

٢ — الإعراب — نيل المنى ، يجوز أن يكون ابتداء حذف خبره ، أى به نيل المنى ، ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف .

الغريب — عقلة الظبى ، أى قيده يمنعه من العدو . والتتفل: ولد الظبى ، وقيل: ولد الثعلب . والحتف : الهلاك .

المعنى — يقول : به ينال المنى الصائد . والمرسل : الذى يرسله على الصيد ، يدرك به حكم نفسه ، فهو عقلة الظبى ، يقيده يمنعه له عن الفوت ، وهو هلاك التتفل . وقد نقله من صفة الفرس إلى صفة الكاب من قول امرئ القيس :

* بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ *

٣ — الغريب — انبريا : اعترضا . يريد : الكاب والظبى ، فذين فردين منفردين . والقسطل: الغبار . =

فى هَبْوَةٍ كِلاَهُما لَمْ يَذْهَلِ ... لا يَأْتَلِى فى تَرْكِ أَنْ لا يَأْتَلِى(١)
مُقْتَحِماً عَلَى المَكانِ الأَهْوَلِ ... يَخالُ طُولَ البَحْرِ عَرْضَ الجَدْوَلِ(٢)
حَتَّى إذَا قِيلَ لَهُ نِلْتَ افْعَلِ ... افْتَرَّ عَنْ مَذْرُوبَةٍ كالأَنْصُلِ(٣)
لا تَعْرِفُ العَهْدَ بِصَقْلِ الصَّيْقَلِ ... مُرَكَّباتٍ فى العَذَابِ المُنْزَلِ(٤)

= المعنى — يريد : أن الأوّل هو الظبى ، لأنه السابق بالعدو فرارا من الكلب ، وبالآخر الكلب ، وأراد أنهما اعترضا للناظر فى عدوهما ، وأن الكلب لم يكن معه كلب آخر ، وكذلك الظبى لم يكن معه ظبى آخر ، وضمان الآخر . يريد : شدّة جريه وعدوه خلفه ، فجعل ذلك ضمانا منه .

١ — الإعراب — لا فى « أن لا يأتلى » زائدة ، كزيادتها فى قوله تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب » ، وتقديره : ليعلم ، وهى تزاد فى مثل هذا للعلم بزيادتها ، وكزيادتها فى قوله تعالى : «وحرام على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون» على بعض الوجوه ، وكزيادتها فى قول العجاج :

فى بِئْرِ لا حُورٍ سَرَى وَما شَعَرْ ... بِإفْكِهِ حَتَّى رَأَى الصُّبْحَ جَشَرْ

تقديره فى بئر حور ، ولا زائدة .

الغريب — الهبوة : الغبرة . وما ألوت فى كذا : وما ائتليت . وما أليت ، أى قصرت . والذهول : الغفول عن الشىء .

المعنى — يقول : كلّ واحد منهما لم يشتغل عن صاحبه ، فالظبى يجدّ فى الهرب ، والكلب يجدّ فى الطلب ، والكلب لايقصر فى ترك التقصير .

٢ — الإعراب — مقتحما : حال من الكلب ، والعامل فيه « لا يأتلى » .

الغريب — الاقتحام : الدخول فى الأمر العظيم الشديد . والجدول : النهر الصغير .

المعنى — قال الواحدى : قال ابن جنى : أى حاملا نفسه على الأمر الشديد ، يعنى أخذ الظبى ، جعل المكان الأهول أخذ الظبى ، وليس على مازعم ، لأن أخذ الكلب الظبى ليس بالأمر الأهول ، بل هو ماذكره من قوله « يخال طول البحر » . يقول : هذا الكلب فى وثوبه وسرعة عدوه ، يقتحم فى الذى يستقبله من هول ، حتى لو استقبله بحر ظنّ طوله عرض جدول . والمعنى : أنه يثب إلى البحر ، كما يثب إلى قطع النهر .

٣ — الغريب — المذروبة . الأنياب المحدّدة . والأنصل : جمع نصل .

المعنى — يقول : إذا دنا الكلب من الصيد ، وقيل له أدركت فافعل ماتريد فعله من القنص ، كشر عن أنياب محدّدة ، كأنها نصول .

٤ — الإعراب — مركبات : فى موضع جرّ ، صفة للمذروبة .

المعنى — يقول : هذه الأنياب لاعهد لها بصقل صيقل ، وهى مركب فيها العذاب ، وأراد بالعذاب : خطم الكلب ، فإنه كالعذاب المنزل على الصيد .

كَأَنَّها مِنْ سُرْعَةٍ فى الشَّمْأَلِ ... كَأَنَّها مِنْ ثِقَلٍ فى يَذْبُلِ (١)
كَأَنَّها مِنْ سِعَةٍ فى هَوْجَلِ ... كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ (٢)
عَلَّمَ بُقْراطَ فِصَادَ الأَكْحَلِ (٣) ... فَحَالَ ما لِلْقَفْزِ لِلتَّجَدُّلِ (٤)
وَصارَ ما فى جِلْدِهِ فى الْمِرْجَلِ ... فَلَمْ يَضِرْنا مَعْهُ فَقْدُ الأَجْدَلِ (٥)
إِذَا بَقِيتَ سالِماً أَبا عَلِى ... فَالْمُلْكُ لِلّهِ الْعَزِيزِ ثُمَّ لِى (٦)

١ — الغريب — الشمال : ريح يهوز ولا يهوز ، وهى التى عن شمال القبلة . ويذبل : جبل عظيم فى الحجاز .

المعنى — يريد : كأنّ الأنياب مركبة فى ريح الشمال من خفة الكلب ، وسرعته فى العدو ، وكأنها من ثقل الكلب على الصيد كالجبل ، جعل الكلب فى خفة عدوه كالريح ، وفى ثقله كالجبل .

٢ — الغريب — الهوجل : الأرض الواسعة .

المعنى — يقول : كأنّ الأنياب من سعة فمه فى أرض واسعة ، وكأنه من علمه بالمقتل .

٣ — الغريب — بقراط : حكيم قديم ، وبه يضرب المثل فى الطبّ والحكمة . والأكحل : عرق فى الذراع من عروق الفصاد ، كالباسليق والقيفال .

المعنى — نقد الصاحب على المتنبي هذا البيت ، فقال : ليس الأكحل بمقتل لأنه من عروق الفصاد ، وهو يصف الكلب بالعلم بالمقتل ، وهذا خطأ ظاهر .

قال القاضى أبو الحسن : لم يخطئ ، لأن فصد الأكحل من أسهل أنواع الفصد ، فإذا احتاج بقراط إلى تعلم فصد الأكحل ، فهو إلى العلم بغيره أحوج ، وهذا — قال الواحدى — ليس بجواب شاف ، والجواب أن الكلب إذا كان عالما بالمقاتل كان عالما أيضا بما ليس بمقتل ، وإنما يحتاج بقراط إلى تعلم ما ليس بمقتل ، فلذلك ذكر أبو الطيب فصد الأكحل فى تعليم بقراط .

٤ — الغريب — حال : انقلب . والقفز: الوثوب . والتجدّل : السقوط على الأرض . والجدالة: الأرض . والمرجل : القدر ، يكون من نحاس .

المعنى — يقول : انقلب ما كان يقفز به ويثب ، وهو قوائمه إلى أن صار يفحص به الأرض لما أخذه الكلب ، وصار لحمه فى القدر .

٥ — الغريب — ضاره يضيره ، وهو من الضير ، وبه قرأ الحرميان وأبو عمرو ، وسكن مع الضرورة ، وقد تسكن ، والأفصح فتحه . والأجدل : الصقر .

المعنى — يقول : لم يضرّنا مع هذا الكلب فقدنا الصقر ، لأنه عمل عمله ، ودعا الممدوح بالسلامة ، فقال : [البيت بعده] .

٦ — المعنى — يقول: يا أبا علىّ إذا بقيت سالما فأنا ذو ملك ، فالملك لله الآن ، ثم لى بسلامتك .

وقال يمدح بدر بن عمار وقد فصد لعلة

وهى من المنسرح ، والقافية من المتراكب

أَبْعَدُ نَأْيِ المَلِيحَـــةِ البْخَلُ　　فى البُعْدِ ما لا تُــكَلَّفُ الإبِلُ(١)

مَـــلُولَةٌ ما يَدُومُ لَيْسَ لَهَا　　مِنْ مَلَلٍ دائِمٍ بِهَا مَلَلُ(٢)

---

١ — الغريب — النأى : البعد والفراق . والبخل والبخل : لغتان فصيحتان ، وبهـذه اللغة قرأ حمزة والـكسائى . والإبل : الجمال ، وهو اسم جنس لا واحد له من لفظه .

المعنى — يقول : أبعد بعد المحبوبة بخلها ، وهذا بعد لاتكلفه الإبل، ولا لها فيه عمل، لأنها لا يمكنها قطع مسافة البخل ، ولا تقدر أن تقرّب هذا البعد ، فالمليحة وهى مقيمة مع منعها و بخلها كأنها بعيدة . وقال فى البعد ، أى فى أنواع البعد ، وهذا منقول من قول حبيب :

لَا أَظْلِمُ النَّأْيَ ، قَدْ كَانَتْ خَلائِقُها　　مِنْ قَبْلِ وَشْكِ النَّوَى عِنْدِى نَوًى قُذُفا

ومن قول حبيب أيضا :

فَفِرَاقٌ جَرَّعْتُهُ مِنْ فِرَاقٍ　　وَفِرَاقٌ جَرَّعْتُهُ مِنْ صُـــدُودِ

ومن قول البحترى :

عَلَى أَنَّ هِجْرانَ الحَبِيبِ هُوَ النَّوَى　　لَدَيَّ وَعِرْفانَ المُسِيءِ هُوَ العَذْلُ

وكقول إبراهيم بن العباس :

وَإِنَّ مُقِيماتٍ بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى　　لَأَقْرَبُ مِنْ مَيٍّ وَهاتِيكَ دارُها

ومن قول البحترى أيضا :

دَنَتْ بِأُناسٍ عَنْ تَناءٍ زِيارَةٌ　　وَشَطَّ بِلَيْلَى عَنْ تَدَانٍ مَزَارُها

والأصل فيه قول المثقب العبدىّ :

أَفاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِيـــنِي　　وَمَنْعُكِ ما سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي

٢ — الإعراب — ملولة : خبر ابتـداء محذوف ، و « مايدوم » فى موضع نصب ، ومن روى ماتدوم بالتاء المثناة فوقها ، كانت «ما» نافية . والمعنى : ليست تدوم على حال ، « وملل » : اسم «ليس» ، والخبر تقدّم عليه فى الجارّ والمجرور . =

كَأَنَّمَا قَدُّها إِذَا انْفَتَلَتْ سَكْرَانُ مِنْ خَمْرِ طَرْفِها ثَمِلُ (١)

يَجْذِبُها تَحْتَ خَصْرِها عَجُزٌ كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِها وَجِلُ (٢)

بِي حَرُّ شَوْقٍ إِلَى تَرَشُّفِها يَنْفَصِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ (٣)

= الغريب — يقال : رجل ملول ، وامرأة ملول ، ودخول الهاء للمبالغة .

المعنى — يقول : هي تملّ كلّ شيء دام لها إلا ملالها الدائم فإنها لا تمله ، فلو ملته لتركته وعادت إلى الوصل ، فإنها تملّ الأشياء كلها إلا ملالها .

١ — الغريب — انفتلت : تثنت وتمايلت . والثمل : السكران . ثمل الرجل ثملا : إذا أخذ منه الشراب ، فهو ثمل ، وهو من الثميلة ، وهي البقية من الماء في الصحراء ، والغدير والثمل (بالتحريك) : ما بقى في أسفل الإناء من طعام أو شراب .

المعنى — يقول : إذا قامت تمايل في مشيها كتمايل النشوان ، فكأن قوامها نظر إلى طرفها ، فسكر كما يسكر طرفها محبيها .

٢ — الغريب — الوجل : الخائف . والعجز : يذكر ويؤنث . والعجز : أسفل كلّ شيء .

المعنى — قال الواحدى : إن عجزها ثقيل ، فهو يجذبها إذا همت بالنهوض ، هذا معنى يجذبها تحت خصرها . وقوله « كأنه من فراقها وجل » أخطأ في تفسيره ابن جنى وابن دوست .

قال ابن جنى : كأنّ عجزها وجل من فراقها ، فهو متساقط قد ذهبت منته وتماسكه ، هذا كلامه ، ولم يعرف وجه تشبيه العجز بالوجل ، ففسر بهذا التفسير ، وإنما يصير العجز بالصفة التى وصف عند الموت ، وما دامت الحياة باقية لا يصير ذاهب المنة .

وقال ابن دوست : عجزها يجذبها إلى القعود ، لأنه خائف من فراقها ، فيقعدها بالأرض . وهذا أفسد مما قاله ابن جنى ، ومتى وصف العجز بالخوف من فراقها ؟ وأين رأى ذلك ؟ ولكنه أراد وصف عجزها بكثرة اللحم ، فشبهه في ارتعاده واضطرابه بخائف من فراقها ، والخائف يوصف بالارتعاد ، وكذلك العجز إذا كثر لحمه كقوله :

* إِذَا مَا مَشَتْ رَأَيْتَ لَهَا ارْتِجَاجًا *

فهما متشابهان من هذا الوجه ، وتقديره : كأنه إنسان وجل من فراقها ، فلذلك ارتعد . وفى قول ابن جنى وابن دوست : الوجل : العجز .

٣ — المعنى — يريد : ترشف فمها ، وهو المصّ ، فيقول : لى نار شوق إلى ترشفها ، ينفصل صبرى عنى إذا اتصلت بى . يريد : أن صبره يفارقه إذا اتصل به ذلك الشوق ، وطابق بين الانفصال والاتصال .

فَالثَّغْرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخَلْخَلُ وَالْـــمِعْصَمُ دَائِى وَالْفَاحِمُ الرَّجِلُ(١)

وَمَهْمَهٍ جُبْتُـــــهُ عَلَى قَدَمِى تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الذُّلُلُ(٢)

بِصَارِمِى مُرْتَدٍ، بِمَخْـــبُرَتِى مُجْـــتَزِئٌ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلُ(٣)

إِذَا صَدِيقٌ نَـكِرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعْيِنِى فِى فِرَاقِهِ الْحِيَلُ(٤)

---

١ — الغريب — المخلخل : موضع الخلخال . والمعصم من اليد : موضع السوار . والفاحم : الأسود . والرجل : الشعر ، يقال : شعر رجل ورجل ، وسبط وسبط .

المعنى — يقول : هذه الأشياء دائى وأنا أحبها ، فهى دائى ودوائى ، وهى تلفى وحياتى .

٢ — الغريب — المهمه : ما بعد من الأرض واتسع . جبته : قطعته . ومنه : « جابوا الصخر بالواد » . والعرامس : النوق الصلاب الشديدة . والذلل : المذللة بالعمل، المروضة بالسير ، وهى جمع ذلول . ناقة ذلول ، ونوق ذلل ، وعجز عن الأمر يعجز عجزا ، ومعجزة ومعجزة ، ومعجزا ومعجزا (بالكسر والفتح) . وعجزت المرأة تعجز (بالضم) عجوزا : صارت عجوزا ، وعجزت (بالكسر) تعجز عجزا ، وعجز (بالضم) : عظمت عجيزتها .

المعنى — أنه يصف شدة سيره ، فيقول : ربّ أرض بعيدة قطعتها على قدمى ، تعجز عن قطعها النوق الصلبة المعتادة السير ، وجبت على قدمى الفلاة المقسمة الطويلة .

٣ — الإعراب — مرتد ومجتزئ ومشتمل : كلها أخبار ، حذف ابتداؤها ، تقديره : أنا مرتد بسيفى ، وحروف الجرّ متعلقة باسم الفاعل .

الغريب — فلان جيد المخبرة: إذا كان خبيرا بالشىء ، والاشتمال ، هذا من شمله الشىء: إذا عمه.

المعنى — يقول : أنا مرتد بسيفى ، أى متقلد به ، مكتف بعلمى : لم أحتج إلى دليل يدلنى ويهدينى الطريق ، لابس ثوب الظلام ، مشتمل كما يشتمل الرجل بثوبه أو كسائه .

٤ — الغريب — نكرت وأنكرت : لغتان . وعييت بأمرى : إذا لم أهتد إليه . وأعيانى هو. قال عمرو بن حسان :

فَإِنَّ الْكُثْرَ أَعْيَانِى قَدِيمًا وَلَمْ أُقْتِرْ لَدُنْ أَنِّى غُلَامُ

وأعيا الرجل فى المشى ، فهو معىّ ، ولا يقال : عيان ، وأعيا عليه الأمر . وتعيا وتعايا : بمعنى .

المعنى — يقول : إذا تغير علىّ صديق ، وحال عن ودّى ، وأنكرت أحواله ، لم تعجزنى الحيلة فى فراقه ، بل أفارقه ولم أقم عليه .

فى سَعَةِ الخافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ   وَفى بِلادٍ مِنْ أُخْتِها بَدَلُ (١)
وَفى اعْتِمادِ الأَمِيرِ بَدْرِ بْنِ عَمّا   رٍ عَنِ الشُّغْلِ بِالْوَرَى شُغُلُ (٢)
أَصْبَحَ مالاً كَمالِهِ لِذَوِى الْـ   ـحاجَةِ لا يُبْتَدَى وَلا يُسَلُ (٣)
هانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمانُ فَما   يَبِينُ فِيهِ غَمٌّ وَلا جَذَلُ (٤)

---

١ — الغريب — الخافقين : الشرق والغرب ، لأن الريح تخفق فيهما ، ويقال : قطر الهواء . والمضطرب : موضع الاضطراب ، وهو الذهاب والمجىء .

المعنى — يقول : البلاد كثيرة ، والأرض واسعة ، فإذا لم يطب موضع كان لى غيره بدلا ، وهذا معنى مطروق . وقد قال الشاعر :

إِذَا تَنَكَّرَ خِلٌّ فاتخِذْ بَدَلاً   فالْأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ وَالنّاسُ مِنْ رَجُلِ

وقال البحترى :

وَإِذَا مَا تَنَكَّرَتْ لِي بِلَادٌ   أَوْ صَدِيقٌ فَإِنَّنِي بِالْخِيارِ

وقال عبد الصمد بن المعذل :

إِذَا وَطَنٌ رَابَنِي   فَكُلُّ بِلادٍ وَطَنْ

٢ — الغريب — من روى «اعتمار» بالراء ، فهو الزيارة ، أى فى زيارته . ومنه قول العجاج :

لَقَدْ سَما ابْنُ مَعْمَرٍ حِينَ اعْتَمَرْ   مَغْزًى بَعِيداً مِنْ بَعِيدٍ وَضَبَرْ

وقال أعشى باهلة :

وَجاشَتِ النَّفْسُ لَمّا جاءَ فَلُّهُمُ   وَراكِبٌ جاءَ مِنْ تَثْلِيثَ مُعْتَمِرُ

ومن روى بالدال ، فمعناه الاعتماد إليه بالقصد والسير .

المعنى — يقول : قصدى إليه شغلنى عن كلّ قصد ، لأنى علقت رجائى وأملى به .

٣ — المعنى — قال أبو الفتح : يريد أن كلّ من ورد عليه أخذ من ماله بلا ابتداء ، ولا مسئلة من الوارد فكما أنّ ماله لا يستأذن فى أخذه ، فكذلك هو لا يستأذن فى الدخول عليه ، ونقله الواحدى وابن القطاع حرفا حرفا . والمعنى : أنه أصبح للناس نافعا يردّ عنهم العدوّ ويحميهم ، كما أصبح ماله نافعا لذوى الحاجات ، فهو نافع الناس كلهم ، وماله نافع ذوى الحاجات إليه ، وإذا عرضت حاجة نهض لها .

٤ — الغريب — الجذل : الفرح .

المعنى — يقول : لصحة عقله هان على قلبه فعل الدهر ، لعلمه أن الفرح لا يدوم والغمّ لا يدوم ، فلا يبطر عند السرور ، ولا يجزع عند الحزن ، وهذه صفة العاقل اللبيب .

يَكادُ مِنْ طاعَةِ الحِمامِ لَهُ ... يَقْتُلُ مَنْ ما دَنا لَهُ أَجَلُ (١)
يَكادُ مِنْ صِحَّةِ العَزِيمَةِ ما ... يَفْعَلُ قَبْلَ الفَعالِ يَنْفَعِلُ (٢)
تُعْرَفُ فِى عَيْنِهِ حَقائِقُهُ ... كَأَنَّهُ بِالذَّكاءِ مُكْتَحِلُ (٣)
أُشْفِقُ عِنْدَ اتِّقادِ فِكْرَتِهِ ... عَلَيْهِ مِنْها أَخافُ يَشْتَعِلُ (٤)
أَغَرُّ أَعْداؤُهُ إِذا سَلِمُوا ... بِالْهَرَبِ اسْتَكْثَرُوا الَّذِى فَعَلُوا (٥)
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سابِحَةٍ ... أَرْبَعُها قَبْلَ طَرْفِها تَصِلُ (٦)

---

١ — الغريب — الحمام : الموت .
المعنى — يقول : إن الموت طائع لأمره ، فلو أراد أن يقتل من لم يتمّ أجله ، لساعده على ذلك لطاعته إياه .
٢ — المعنى — يقول : فعله يكاد يسابقه لصحة تقديره ، ونفاذ عزيمته ، فما يفعله ينفعل قبل فعله ، وهو من قول الشاعر :

سَدِكَتْ بِهِ الأَقْدارُ حَتَّى إِنَّها ... لَتَكادُ تَفْجَؤُهُ بِما لَمْ يُقْدَرِ

٣ — المعنى — يقول : المعانى التى خلقها الله فيه تعرف بالنظر إلى عينه ، فكأنّ ذكاءه وحدّة ذهنه وفطنته موجودة فى عينه كالكحل .
٤ — الإعراب — حذف أن ، ورفع الفعل ، وكان التقدير : أن يشتعل .
المعنى — يقول : إذا اضطرمت فكرته واحتدّ ذهنه ، أشفقت عليه أن يشتعل بنار فكرته ، فتصير نارا متوقدة ، كقول ابن الرومى :

* أَخْشَى عَلَيْكَ اضْطِرامَ الذِّهْنِ لا حَذَرَا *

٥ — الإعراب — هو أغرّ ، و « أعداؤه » ابتداء ، وما بعده الخبر .
الغريب — الأغرّ : السيد الكريم . وفلان غرّة قومه ، أى سيدهم . والأغرّ : الشريف .
المعنى — يقول : هو سيد شريف ، وأعداؤه إذا سلموا من القتل بهربهم من بين يديه ، يستكبرون ويستكثرون فعلهم ، لأن الهرب من بين يديه شجاعة لهم .
٦ — الغريب — أقبلت إليه وجهى ، أى حوّلته إليه ، وقبلته إليه .
المعنى — يستقبلهم بكلّ سابحة ، وهى الفرس التى تسبح فى جريها . والمعنى يقول : إن أربع هذه الفرس تسبق الطرف .
قال أبو الفتح : أسرف فى المبالغة حتى خرج إلى ما يستحيل وقوعه ، لأن القوائم إذا وصلت =

جَرْدَاءَ مِلْءِ الحِزَامِ مُجْفَرَةٍ ⠀⠀⠀ تَكُونُ مِثْلَيْ عَسِيبِها الخُصَلُ(١)

إنْ أَدْبَرَتْ قُلْتُ لا تَلِيلَ لَها ⠀⠀⠀ أَوْ أَقْبَلَتْ قُلْتَ ما لَها كَفَلُ(٢)

وَالطَّعْنُ شَزْرٌ وَالأَرْضُ وَاجِفَةٌ ⠀⠀⠀ كأَنَّما فى فُؤَادِها وَهَلُ(٣)

قَدْ صَبَغَتْ خَدَّها الدِّماءُ كما ⠀⠀⠀ يَصْبُغُ خَدَّ الخَرِيدَةِ الخَجَلُ(٤)

= قبل الطرف ، فقد وصف النظر بالضعف . وهو من قول أبى نواس :

* يَسْبِقُ طَرْفَ العَيْنِ فى التِهابِهِ *

١ — الغريب — الجرداء : القليلة الشعر ، وقيل متجرّدة من الخيل لتقدمها ، ومجفرة : واسعة الجوف ، فهى تملأ الحزام لسعة جنبيها ، وعظم بطنها . والخصل : جمع خصلة . والعسيب : عظم الذنب ، ويستحبّ قصره ، وطول شعره .

المعنى — يقول : بكلّ جرداء تملأ الحزام ، لعظم جنبيها ، وسعة بطنها ، وعسيبها قصير طويل الشعر ، وهو وصف جيد فى الخيل .

٢ — الغريب — التليل : العنق . والكفل : الردف ، ويستحبّ فيها الإشراف ، أى من حيث تأمّلتها رأيتها مشرفة عند إقبالها بعنقها ، وعند إدبارها بعجزها ، فتهتزّ مقبلة ، وتنصبّ مدبرة .

المعنى — يقول : هذه الفرس من حيث تأمّلتها رأيتها حسنة فى إقبالها و إدبارها . وهو من قول على بن جبلة :

تَحْسَبُهُ أَقْعَدَ فى اسْتِقْبالِهِ ⠀⠀⠀ حَتَّى إذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قُلْتَ أَكَبّْ

٣ — الغريب — أصل الشزر : أن يقبل يده فى الطعن ، وهو ما أدير به عن الصدر . واجفة : مضطربة . والوهل : الفزع .

المعنى — يقول : الطعن شزر ، يقبل الفارس يده عن يمين وشمال ، وهو أشدّ الطعن ، فيرى أن الأرض تميد كأنّ فى قلبها فزعا ، فهى ترتعد من الخوف ، وجعل الأرض متحركة ، فاستعار لها قلبا ، والطعن واو الحال ، أى تقبلهم كلّ سابحة فى هذه الحال .

٤ — الإعراب — الضمير فى «خدّها» يعود على الأرض .

الغريب — الخريدة : المرأة الحيية . وجمعها : خرد وخرائد .

المعنى — يقول : الدماء قد صبغت خدّ الأرض ، فشبه خدّ الأرض ملطخا بالدم بخدّ الجارية الحيية إذا خجلت واحمرّ وجهها ، واستعمل ألفاظ النسيب فى وقت الشدّة والحماسة ثقافة منه ، واقتدارا فى الكلام .

وَالْخَيْلُ تَبْكِى جُلُودُها عَرَقًا ... بِأَدْمُـــعٍ ما تَسُحُّها مُقَلُ(١)

سارٍ وَلا قَفْرَ فى مَوَاكِبِهِ ... كَأَنَّما كُلُّ سَبْسَبٍ جَبَلُ(٢)

يَمْنَعُها أَنْ يُصِيبَها مَطَرٌ ... شِـــدَّةُ ما قَدْ تَضايَقَ الأَسَلُ(٣)

يا بَدْرُ يا بَحْرُ يا غَمامَـــةُ يا ... لَيْثَ الشَّرَى يا حِمامُ يا رَجُلُ(٤)

---

١ — المعنى — يريد : أن الخيل من شدّة الطراد قد عرقت ، فجعل جلودها باكية بالعرق ، وهو مثل الدمع ، إلا أنه لم ينزل من عيون ولا جفون .

٢ — الإعراب — سار : صفة لأغرّ فى أوّل الأبيات .

الغريب — القفر ، جمعه : قفار ، وهى الأرض المقفرة من الناس . والسبسب : المتسع المستوى من الأرض .

المعنى — يقول : قد عمّ القفار والأماكن الخالية بجيوشه ، فلم يبق قفر ولا سبسب إلا ملأه فكأنّ السباسب جبال ، وشبهه بالجبل لكثافة جيوشه ، وارتفاعها بالأسلحة والرماح .

٣ — الغريب — الأسل : رماح تصنع من شجر الأسل ، وقيل : كلّ شجر له شوك طويل ، فشوكه أسل ، ومنه : سميت الرماح الأسل .

المعنى — يقول : يمنع خيله وجيوشه أن ينالها المطر ما قد عمها من تضايق الرماح . وهو مأخوذ من قول قيس بن الخطيم :

لَوَ أَنَّكَ تُلْقِى حَنْظَلًا فَوْقَ هامِنا ... تَدَحْرَجَ عَنْ ذِى سامِهِ الْمُتَقارِبِ

يريد بذى سامه : بيضه المطلى بالذهب . والسام : عروق الذهب . وقال ابن الرومى :

فَلَوْ حَصَبْتَهُمْ بِالْفَضاءِ سَحابَةٌ ... لَظَلَّتْ عَلَى هاماتِهِمْ تَتَدَحْرَجُ

وأخذه السرىّ الموصلى ، فقال :

تَضايَقَ حَتَّى لَوْ جَرَى الماءُ فَوْقَهُ ... حَماهُ ازْدِحامُ الْبِيضِ أَنْ يَتَسَرَّبا

فنقله ابن الرومى من الحنظل إلى البرد ، ونقله المتنبى عن البرد إلى المطر ، ونقله السرى إلى الماء ، والمطر أبلغ ، وجعل مانعه من الوصول إليهم تضايق الأسل وتكاثفه عليهم .

٤ — الغريب — الشرى : هو طريق فى سلمى كثير الأسد ، تنسب إليه الأسود . والحمام : الموت .

المعنى — يقول : أنت فى جمالك بدر ، وفى جودك بحر وسحاب ، وفى إقدامك وشجاعتك ليث ، وفى إقدامك على قتل الأعداء موت ، وقد جمعت هذه الصفات وأنت رجل .

إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِى تُقَلِّبُهُ عِنْدَكَ فِى كُلِّ مَوْضِــعٍ مَثَل (١)
إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا (٢)
قُلُوبُهُمْ فِى مَضَاءِ ما امْتَشَقُوا قَامَاتُهُمْ فِى تَمَامِ ما اعْتَقَلُوا (٣)
أَنْتَ نَقِيضُ اُسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفَتْ قَوَاضِبُ الْهِنْدِ وَالْقَنَا الْذُّبُلُ (٤)
أَنْتَ لَعَمْرِى الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَلَـــكِنَّكَ فِى حَوْمَةِ الْوَغَى زُحَلُ (٥)

١ — الغريب — البنان : الأنامل ، ويقال : بنان وبنام (بالنون والميم) . قال رؤبة :

* وَكَفِّكِ الْمُخَضَّبِ الْبَنَامِ *

يقال : بنان وبنانة . وجمع القلة : بنانات ، وقد يستعار بناء أكثر العدد لأقله . قال ابن أحمر :

قَدْ جَعَلَتْ مَيٌّ عَلَى الطِّرَارِ خَمْسَ بَنَانٍ قَانِئَ الأظفار

يريد : خمسا من البنان .

المعنى — يقول : كفك الذى تقلبه وأنت فى بلدك ، به يضرب المثـل فى الجود ، وروى فى بعض النسخ « نقبله » من التقبيل ، أى نقبله نحن والناس أجمعون .

٢ — المعنى — قال أبو الفتح : بخلوا عنـد أنفسهم ، لأنهم لم يفعلوا الواجب عليهم عنـدهم ، ويجوز أن يكون بخلوا: نسبهم الناس إلى البخل ، لاقتصارهم على مادون أعمارهم ، أى من عادتهم بذل أعمارهم ، والأوّل أقوى ، ونقل الواحدى الأوّل . قال :

٣ — الغريب — امتشق : افتعل من المشق ، وهو أن يسلّ السيف بسرعة . والاعتقال : أن تجعل الرمح بين الساق والركاب .

المعنى — يريد : أن قلوبهم فى مضاء سـيوفهم وقدودهم فى طول رماحهم ، والعائد إلى الموصولين محذوف . يريد : ماامتشقوا به واعتقلوه . وقال ابن وكيع : أخذ هذا من قول أبى محلم عوف بن محلم :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَـــــا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِى إِلَى تُرْجُمَانِ
وَبَدَّلَتْنِى بِالشَّـــــطَاطِ انْحِنًا وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السِّنَانِ

٤ — الغريب — قواضب : جمع قاضب ، وهى القواطع ، منسوبة إلى حديد الهنـد . والذبل : الطوال الصلاب .

المعنى — يقول : أنت بدر ، ولـكنك فى الحرب نقيض اسمك ، وفسره بمـا بعده ، فقال :

٥ — الغريب — حومة الوغى : شدّة الحرب . وزحل : نجم من الـكواكب السبعة المدبرات ، =

كَتِيبَةٌ لَسْتَ رَبَّهَا نَفَلٌ وَبَلْدَةٌ لَسْتَ حَلْيَهَا عُطُلُ (١)

قُصِدْتَ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا حَتَّى اشْتَكَتْكَ الرِّكَابُ وَالسُّبُلُ (٢)

= وهو كوكب نحس ، والقمر سعد .

المعنى — يقول : أنت سعد لأن القمر سعد ، ولكنك إذا اشتدّ الحرب كنت على أعدائك زحل ، لأنك هلاك لهم ، فأنت بدر ، وهو القمر ، والقمر سعد ، وزحل نحس ، فلهذا قال : أنت نقيض اسمه. والمنجمون يزعمون أن القمر سعد ، وزحل نحس ، وهو لا ينصرف ، كعمر وزفر . والمعنى : يوصف بالنور ، فيهتدى به فى الأسفار ، وأنت فى الحرب نقيض اسمك ، تقتل الناس ، وتثير الغبار بالخيل ، فتظلم الأرض ، ففعلك فى الحرب نقيض فعلك فى السلم ، وزحل يوصف بإبطاء السير ، فأنت فى الحرب كزحل لا يسرع السير ، وفى غيرها كالقمر ، وقيل : زحل ملك الموت ، لأنه كوكب كثير الهلكة .

١ — الغريب — الكتيبة : الجماعة من الخيل . والنفل : الغنيمة . والعطل : التى لا حلى عليها .

المعنى — يقول : كلّ جماعة لست أميرها ، فهى غنيمة لمن وجدها ، وكلّ بلدة لست زينتها فهى عاطل .

٢ — الغريب — الركاب : الإبل التى يسار عليها . الواحدة : راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . والجمع : الركب ، مثل الكتب . والسبل : جمع سبيل ، وهى الطرق . قال الله تعالى : «ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله» .

المعنى — يقول : قصدك الناس من مشارق الأرض ومغاربها ، طمعا فى عطائك ، وحرصا على لقائك ، حتى إن الإبل اشتكت لكثرة ما امتطيت إليك ، والطرق بكثرة ما وطئت ، وذللت بالخفاف والحوافر والأقدام .

قال الواحدى : قال ابن دوست لأنها ضاقت بكثرة القاصدين والسالكين ، وليس بشىء .

وقال أبو الفتح : أما شكوى الركاب فكثير ، وأما شكوى الطرق فأظنه لم يسبق إليه ، فاشتكاء المطى ، كقول أبى العتاهية :

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَاسِبًا وَرِمَالًا

وكقول البحترى :

* تَشَكَّى الْوَجَى وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدُّجَى *

وقوله «شرقها ومغربها» . يريد : الأرض ، ولم يجر لها ذكر ، وذلك للعلم به ، وهو كثير فى القرآن والشعر .

لَمْ تُبْقِ إلاَّ قَليلَ عَافِيَةٍ ... قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَها العِلَلُ (١)
عُذْرُ المَلُومَيْنِ فيكَ أَنَّهُما ... آسٍ جَبانٌ وَمِبْضَعٌ بَطَلُ (٢)
مَدَدْتَ فى رَاحَةِ الطَّبِيبِ يَدًا ... وَما دَرَى كَيْفَ يُقْطَعُ الأَمَلُ (٣)
إِنْ يَكُنِ النَّفْعُ ضَرَّ باطِنَها ... فَرُبَّما ضَرَّ ظَهْرَها القُبَلُ (٤)

---

١ — الغريب — تجتديكها : تطلبها وتستوهبها . والعلل : جمع علة .
المعنى — يقول : قد أذهبت مالك بالعطاء ، فلم يبق إلا قليل من العافية ، فقد قدمت عليك العلل تستوهبه ، وهو كقوله :

وَبَذَلْتَ ما مَلَكَتْهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ ... حَتَّى بَذَلْتَ لِهٰذِهِ صِحَّاتِها

٢ — الغريب — الآسى : الطبيب . والمبضع : حديدة الفاصد . والبطل : الشجاع .
المعنى — أراد أن الطبيب لما فصده أخطأ فى فصده ، فنفذت حديدته فى يده ، وأصابه لذلك مرض ، وجعل الطبيب والمبضع ملومين للخطأ الذى كان منهما ، ثم بين عذرها فقال : كان الطبيب جبانا ، والمبضع شجاعا ، فتولدت بينهما هذه العلة ، ثم أقام للطبيب عذرا آخر ، فقال :
٣ — المعنى — قال الواحدى : قال أبو الفتح : يريد أن عروق كفك تتصل بها اتصال الآمال فكأنها آمال ، وهذا كلام فاسد ، وكلام من لا يعرف المعنى ، وإنما المعنى : إنما وقع له الخطأ ، لأن يدك أمل كلّ أحد ، ومنها يرجون الإحسان والعطاء ، ولم يدر الطبيب كيف يقطع الأمل ، وإنما تعوّد قطع العروق لا قطع الآمال ، وقد أكثر الناس فى هذا المعنى . قال عبد الله بن المعتزّ للقاسم بن عبيد الله :

يَاقاصِداً لِيَدٍ جَلَّتْ أَيادِيها ... وَنالَ مِنْها الَّذِى يَرْجُوهُ رَاجِيها
يَدُ الْغِنَى هِىَ فارْفُقْ لاَ تُرِقْ دَمَها ... فَإِنَّ أَرْزاقَ طُلاَّبِ الْغِنَى فِيها

وقال أيضا للمعتمد :

يادَمًا سالَ مِنْ ذِراعِ الْإِمامِ ... أَنْتَ أَذْكَى مِنْ عَنْبَرٍ وَمُدامِ
قَدْ حَسِبْناكَ إِذْ جَرَيْتَ إِلَى الطَّسْتِ دُمُوعًا مِنْ مُقْلَتَىْ مُسْتَهامِ
إِنَّما غَيَّبَ الطَّبِيبُ شَبا الْمِبْضَعِ فى نَفْسِ مُهْجَةِ الْإِسْلامِ

وقال آخر :

لَقَدْ غَدا الصَّارِمُ فى حَيْرَةٍ ... يَعْجَبُ مِمَّا صَنَعَ الْمِبْضَعُ

٤ — الغريب — القبل : جمع قبلة . وهى اللثم بالفم .

يَشُقُّ فى عِرْقِها الْفِصادُ وَلا　　يَشُقُّ فِى عِرْقِ جُودِها الْعَذَلُ(١)

= المعنى — يقول : إن كان النفع وهو القصد ، وروى قوم البضع ، وهو جيد ظاهر .

المعنى — يقول : إن كان الفصد ضرّ باطنها ، فهى يد كريمة متعوّدة التقبيل ، فربما كثرة التقبيل تضرّ ظهرها ، ولم يذكر أحد أن التقبيل يضرّ اليد إلا هو .

وقال أبو الفتح : هذا من مبالغاته ، وقد أكثر الناس من ذكر تقبيلها . قال ابن الرومى :

فامْدُدْ إِلَىَّ يَدًا تَعَوَّدَ بَطْنُها　　بَذْلَ النَّوالِ وَظَهْرُها التَّقْبِيلا

وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سهل :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ　　تَقاصَرَ عَنْها الْمَثَلْ

فَباطِنُها لِلنَّدَى　　وَظاهِرُها لِلْقُبَلْ

وقال أبو الضياء الحمصى :

وَما خُلِقَتْ كَفَّاكَ إِلاَّ لِأَرْبَعٍ　　وَما فى عِبادِ اللهِ مِثْلُكَ ثانِ

لِتَجْرِيدِ هِنْدِىٍّ ، وَإِسْداءِ نائِلٍ ،　　وَتَقْبِيلِ أَفْواهٍ ، وَأَخْذِ عِنانِ

وقد أحسن القائل بقوله :

يَدٌ تَراها أَبَداً　　فَوْقَ يَدٍ وَتَحْتَ فَمْ

ما خُلِقَتْ بَنانُها　　إِلاَّ لِسَيْفٍ أَوْ قَلَمْ

قال أبو الفتح : ماعلمت أن أحدا جعل القبل تضرّ إلا المتنبى فى المبالغة . قال ابن المعتز :

وَيْحَ الطَّبِيبِ الَّذِى بِالْجَهْلِ مَسَّ يَدَكْ　　ما كانَ أَجْهَلَهُ فِيما بِهِ اعْتَمَدَكْ

لَوْ أَنَّ أَلْحاظَهُ كانَتْ مَباضِعَهُ　　ثُمَّ انْتَحاكَ بِها مِنْ رِقَّةٍ فَصَدَكْ

واللحظ دون القبل ، وأبلغ من هذا كله :

وَمَرَّ بِفِكْرِى خاطِراً فَجَرَحْتُهُ　　وَلَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ

١ — الغريب — الفصاد والفصد : سواء . والشقّ : التأثير . والعذل والعذل : لغتان كالسقم والسقم .

المعنى — يقول : ينفذ فى عرقها ، فلهذا عداه بفى ، واستعار لجوده عرقا لما ذكر عرق الفصاد ، ليعطى الشعر حقه . والمعنى : ينفذ فيها الفصد ، ولا ينفذ فيها كلام العذال ، وقد نظر فيه إلى قول حبيب بن أوس الطائى :

خَلائِقُ كَالزَّغْفِ الْمُضاعَفِ لَمْ يَكُنْ　　لِيَنْفُذَها يَوْمًا شَباةُ اللَّوائِمِ

خامَرَهُ إذْ مَدَدْتَها جَزَعٌ كَأَنَّهُ مِنْ حَذاقَةٍ عَجِلُ(١)

جازَ حُدُودَ اجْتِهادِهِ فَأَتَى غَيْرَ اجْتِهادٍ لأُمِّهِ الْهَبَلُ(٢)

أَبْلَغُ ما يُطْلَبُ النَّجاحُ بِهِ الطَّبْعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ(٣)

ارْثِ لَها إِنَّها بِما مَلَكَتْ وَبِالَّذِي قَدْ أَسَلْتَ تَنْهَمِلُ(٤)

مِثْلُكَ يا بَدْرُ لا يَكُونُ وَلا يَصْلُحُ إِلاَّ لِمِثْلِكَ الدُّوَلُ(٥)

---

١ — الغريب — خامر : خالط . والجزع : الفزع . وحذاقة وحذق : مصدران .

الإعراب — من روى «عجِل» (بكسر الجيم) أراد أنه عجِل من حذقه ، ومن روى (بفتح الجيم) أراد ذا عجَل ، فحذف المضاف .

المعنى — لما مددت يدك أصابه جزع من هيبتك ، فعجل فى الفصد ولم يتأن ، كأنه عجل من حذاقته .

٢ — الغريب — الهبل : الثكل ، وهو مصدر هبلته أمه ، أى ثكلته . والإهبال: الإثكال . والهبول من النساء : الثكول .

المعنى — يقول : بالغ فى الاجتهاد حتى جاز حدّه ، ففعل ماهو غير اجتهاد ، لأن الخطأ من فعل المقصرين ، ثم دعا عليه، فقال : لأمّه الثكل .

٣ — الغريب — الطبع : العادة . والتعمق : بلوغ عمق الشيء ، وهى كلمة غريبة فصيحة .

المعنى — يقول : إذا فعل الإنسان الشيء بعادته وجد النجاح فيه . و إذا بالغ وتعمق وتكلف أخطأ وزلّ ، وهذا من أحسن الأمثال . وهو من قول عبد القدّوس :

فَدَعِ التَّعَمُّقَ فى الأُمُورِ فَإِنَّما قُرْبُ الْهَلاكِ بِكُلِّ مَنْ يَتَعَمَّقُ

٤ — الغريب — ارث لها : أى رقّ . ورثيت الميت : بكيت عليه . وأسلت الماء ، وسال الماء . والانهمال : الانسكاب .

المعنى — يقول : ارفق بها ، فإنها تجود بما تملك ، ورقّ لها .

٥ — الغريب — الدول : جمع دولة . وقال قوم : الدولة (بالفتح والضم) سواء فى الحرب ، وهو من تداول الشيء .

المعنى — يقول : يابدر لايخلق الله مثلك ، ولا تصلح الدّولات إلا لك ، ومثله صلة فى الكلام ، لأنك فرد فى جودك وشجاعتك و إحسانك إلى الناس ، وصاحب الدولة يصلح أن يكون فيه خصالك ، لينتفع بدولته الناس .

وقال يمدحه أيضاً

وهى من الوافر ، والقافية من المتواتر

بَقائى شاءَ لَيْسَ هُمُ ارْتِحالاً وَحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُّوا لا الجِمالا(١)
تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنًا تَهَيَّبَنِى فَفاجَأَنِى اغْتِيالا(٢)
فَكانَ مَسِيرُ عِيسِهِمُ ذَمِيلاً وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمالا(٣)

١ — الإعراب — قال أبو الفتح : اسم ليس مضمر فيها ، و «هم» ابتداء ، وخبره محذوف ، أى ليس الأمر ، والخبر هم شاءوا ، فحذف شاءوا لتقدمه فى أوّل الكلام . قال : ويجوز أن يكون « هم » اسم ليس إلا أنه استعمل الضمير المنفصل موضع المتصل ضرورة ، والتقدير : بقائى شاء الارتحال ليسوا شاءوه ، وكقول الراجز :

* إِلَيْكَ حَتَّى بَلَغَتْ إِيَّاكا *

أى حتى بلغتك .

الغريب — زموا الجمال : خطموها بالأزمة ، وزمّ : تقدّم فى السير ، وأصله من زموها : إذا قادوها بالأزمة للسير .

المعنى — يقول : لما رحلوا إنما ارتحل بقائى ، فكأنّ بقائى شاء ارتحالا لاهم شاءوه ، وكأنهم زموا صبرى للسير لاجمالهم ، لأنى فقدت الصبر لما ارتحلوا. إنما نفى الارتحال عنهم ، لأن ارتحال بقائه أهمّ وأعظم ، فكأنّ ارتحالهم عند ارتحال بقائه ليس ارتحالا لأنهم ربما عادوا ، والبقاء إذا ارتحل لم يعد ، ومسيرصبره أعظم من مسير الجمال ، فلم يعتدّ بسيرجمالهم مع سير صبره .

وقال ابن القطاع : بقائى شاء ، أى سبق ارتحالهم . يقال شاءه وشاءه : إذا سبقه ، ولولاذلك لمتّ أسفا ، وهذا على المبالغة ، وقيل : معناه بقائى أراد رحيلهم ، فشاء من المشيئة ، فليتنى متّ ، ولم أره يتأسف إذا لم يمت عند رحيلهم ، وقيل : معناه بقائى أراد أن يرحل عنى ، وهم لم يشاءوا الرحيل .

٢ — الغريب — غاله واغتاله : إذا أهلكه .

المعنى — يقول : كأنّ البين هابنى ففاجأنى باغتياله . يريد : أنه اغتاله اغتيال مفاجأة .

٣ — الغريب — الذميل : سير وسط . والعيس : الإبل . والانهمال : الانسكاب .

المعنى — قال الواحدى : قال ابن جنى : سبقت دموعى عيسهم .

وقال ابن فورجة : ظنّ أبو الفتح أنه يريد دمعى كان أسرع من سير العيس ، وليس كما ظنّ =

كَأَنَّ الْعِيسَ كانَتْ فَوْقَ جَفْنِي   مُناخاتٍ فَلَمَّا ثُرْنَ سالا(١)

وَحَجَّبَتِ النَّوَى الظَّبَياتِ عَنِّي   فَساعَدَتِ الْبَرَاقِعَ وَالْحِجالا(٢)

لَبِسْنَ الْوَشْيَ لا مُتَجَمِّلاتٍ   وَلٰكِنْ كَيْ يَصُنَّ بِهِ الجَمالا(٣)

= ولكن جمع ذكر سيرهم ، وسيلان دمعه على أثرهم فى بيت واحد توجعا وتحسرا ، وليس يريد السبق ولا التأخر ، ومثله لابن الرومى :

لَهُمْ عَلَى الْعِيسِ إِمْعانٌ يَشُطُّ بِهِمْ   وَلِلدُّمُوعِ عَلَى الْخَدَّيْنِ إِمْعانُ

١ — المعنى — يقول : كنت لا أبكى قبل فراقهم ، فكأنّ إبلهم ببروكها كانت تمسك بكائى ودمعى عن السيل . فلما أثاروها للرحيل سالت دموعى ، فكأنها كانت مناخة فوق جفنى .

قال أبو الفتح : وما قيل فى سبب البكاء أظرف من هذا ، وأدخل كأنّ لتخليص اللفظ من الكذب .

٢ — الغريب — النوى : الفراق . والظبيات : جمع ظبية . والبراقع : مايجعل على الوجه كالنقاب ، وهى جمع برقع . والحجال : الخدر .

المعنى — يقول : لما ارتحلوا حجبتهم النوى عن عينى ، فساعدت النوى ما كان يحجبهنّ عنى قبل من البراقع والخدور .

٣ — الغريب — الوشى : ضرب من الثياب . والجمع : وشاء ، على فعل وفعال . وشى به الى السلطان : سعى . والوشى : كلام الواشى بين المحبين . والواشى : ضراب الدنانير . وجمعه : وشاة . وأنشد أبو عمرو الزاهد عن ثعلب :

وَمَا هِبْرِزِيٌّ مِنْ دَنانِيرِ أَيْلَةٍ   بِأَيْدِى الْوُشاةِ ناصِعٌ يَتَأَكَّلُ

بِأَحْسَنَ مِنْهُ يَوْمَ أَصْبَحَ غَادِيًا   وَنَفَّسَنِى فِيهِ الْحِمامُ الْمُعَجَّلُ

المعنى — يقول : مالبسن الديباج لحاجة الى التزين به ، ولكن لصون جمالهنّ به قيل للصاحب : أغرت على أبى الطيب فى قولك :

لَبِسْنَ بُرُودَ الْوَشْيِ لاَ لِتَجَمُّلٍ   وَلٰكِنْ لِصَوْنِ الْحُسْنِ بَيْنَ بُرُودِ

فقال نعم ، كما أغار هو فى قوله :

مابالُ هَــذِى النُّجُومِ حائِرَةً   كَأَنَّهَا الْعُمْىُ مالَها قائِدْ

على بشار فى قوله :

وَالشَّمْسُ فى كَبِدِ السَّماءِ كَأَنَّها   أَعْمَى تَحَيَّرَ مالَدَيْهِ قائِدُ

وَضَفَّرْنَ الْغَدَائِرَ لا لِحُسْنٍ وَلَـكِنْ خِفْنَ فى الشَّعَرِ الضَّلالا(١)
بِجِسْمِي مَنْ بَرَتْهُ فَلَوْ أَصارَتْ وِشاحِي ثَقْبَ لُؤْلُؤَةٍ لَجَالا(٢)
وَلَوْلا أَنَّنِي فى غَيْرِ نَوْمٍ لَبِتُّ أَظُنُّنِي مِنِّي خَيالا(٣)

١ — الغريب — الضفر : فتل الشعر . والغدائر : الذوائب .
وقال الخطيب : الضلال أراد أن يغبن فى الشعر من قوله تعالى : « أئذا ضللنا فى الأرض » ، أى غبنا .

المعنى — يقول : ماضفرن الشعور إلا وخفن ضلالهن فيها لو أرسلنها ، وقد زاد فى هذا على امرئ القيس ،

* تَضِـلُّ الْعِقاصُ فى مُثَنًّى وَمُرْسَلِ *

لأنه جعلهن يضللن . قال أبوالفتح : قد وصفت الشعراء الشعر بالكثرة ، ولكن لم تفرط فى ذلك مثل هذا . قال ابن المعتز :

دَعَتْ خَلاخِيلَهـا ذَوائِبُهـا فَجِئْنَ مِنْ قَرْنِهـا إِلَى الْقَدَمِ

٢ — الإعراب — من : فى موضع رفع ، لأنه ابتداء تقدم خبره ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب ، بتقدير : أفدى بجسمى من برته .

الغريب — يقال : إشاح ، ووشاح . والجمع : وشح وأوشحة ، كحمار وأحمرة .

المعنى — يقول : أفدى بجسمى من هزلتـه . حتى لو جعلت قلادتى فى ثقب لؤلؤة لجالت ، يصف شدة نحوله ودقته ، وهذا من قول الآخر :

قَدْ كَانَ لِى فِيمَا مَضَى خاتَمٌ وَالْآنَ لَوْ شِـئْتُ تَمَنْطَقْتُـهُ

٣ — الغريب — تقول العرب : ظننتنى وخلتنى وعلمتنى ، ولم يرو عنهم : ضربتنى ، لأن الفعل لما كان يتعدى إلى مفعولين اتسعوا فى أحدهما ، لقوة تعديته ، وعدمتنى جاءت شاذة . قال جران العود :

لَقَدْ كَانَ لِى فِى ضَرَّتَيْنِ عَدِمْتُنِى وَما أَنا لاَقٍ مِنْهُما مُتَزَحْزَحُ

الإعراب — قال الواحدى : قوله «منى» متعلق بقوله «خيالا» ، كقولك : جاءنى خيال من المحبوب ، والياء فى «أظننى» كناية عن جسمه ، وفى«منى» كناية عن نفسه ، فكأنه قال : أظن جسمى خيالا من نفسى ، ويجوز أن الياء كناية عنهما .

المعنى — يقول : لولا أنى يقظان لكنت أظن نفسى خيالا ، يعنى أنه كالخيال فى الدقة ، إلا أن الخيال لايرى فى اليقظة ، وقوله : « منى » أى من دقتى ، و يبعد أن يقال : من نفسى ، لأنه قال : أظننى ، ومعناه : أظن نفسى . ولايقال : أظن نفسى من نفسى خيالا .

بَدَتْ قَمَرًا ، وَمالَتْ خُوطَ بانٍ، وَفاحَتْ عَنْبَرًا ، وَرَنَتْ غَزالَا[1]
كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْعُوفٌ بِقَلْبِي فَساعَةَ هَجْرِها يَجِدُ الْوِصالَا[2]
كَذَا الدُّنْيا عَلَى مَنْ كانَ قَبْلِي صُرُوفٌ لَمْ يُدِمْنَ عَلَيْهِ حالَا[3]
أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صاحِبُهُ انْتِقالَا[4]
أَلِفْتُ تَرَحُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي قُتُودِي وَالْغُرَيْرِيَّ الْجُلالَا[5]

---

١ — الإعراب — هذه الأربعة أحوال تتأوّل بمشتقات ، فيقال : بدت مشرقة ، وماست متثنية ، وفاحت طيبا ، ورنت مليحة ، ويجوز أن تكون ، وهو الأوجه بتقدير مثل ، والدليل على هذا وقوع المعرفة بعد «لا» النافية للجنس . مثاله : لاهيثم الليلة المطى ، وقضية ولا أباحسن وتقديره : ولامثل هيثم ، ولا مثل أبي حسن .

الغريب — الخوط: القضيب . وجمعه : خيطان ،كـكوز وكيزان والعنبر: ضرب من الطيب.

المعنى — يقول : بدت هذه المحبوبة قمرا فى حسنها ، ومالت مشبهة غصنا فى تثنيها ، وحسن مشيها ، وفاحت مشبهة عنبرا فى طيب ريحها ، ورنت مشبهة غزالا فى سواد مقلتها ، وهذا من أحسن التشبيه لأنه جمع أربع تشبيهات فى بيت واحد ومثله :

سَفَرْنَ بُدُوراً ، وَانْتَقَبْنَ أَهِلَّةً ، وَمِسْنَ غُصُوناً ، وَالْتَفَتْنَ جَآذِرا

وهذا من باب التدبيج فى الشعر ، وهو من البديع .

٢ — الغريب — شعف فؤاده : أحرقه . وشعفت البعير بالقطران : إذا طليته به . ومنه قول امرئ القيس :

أَيَقْتُلُنِي وَقَدْ أَشْعَفْتُ فُؤَادَها كَما شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي

وقرأ ابن عباس : «قد شعفها حبا» ، أى بطنها ، وقيل : أحرق قلبها .

المعنى — يقول : كأن الحزن يعشق قلبي ، وإنما يجد الوصال إذا هجرتني ، فكلما هجرتني واصل الحزن قلبي .

٣ — المعنى — يقول : الدنيا كانت على من كان قبلي كما أراها الآن ، ثم بين ذلك فقال : هى صروف لاتدوم على حالة واحدة .

٤ — المعنى — يحثّ على الزهد فى الدنيا ، لمن رزق فيها سرورا ومكانة ، لعلمه أنه زائل عنها . يقول : السرور الذى تيقن صاحبه الانتقال عنه هو أشدّ الغمّ ، لأنه يراعى وقت زواله ، ولايطيب له ذلك السرور ، وهذا من أبلغ الكلام وأوعظه .

٥ — الغريب — قتودى : جمع قتد ، وهوخشب الرحل . والغريرى : فحل كان فى الجاهلية =

فَمَا حاوَلْتُ فى أَرْضٍ مُقامًا　　وَلا أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوالاَ(١)

عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي　　أُوَجِّهُها جَنُوبًا أَوْ شَمالاَ(٢)

إِلَى الْبَدْرِ بْنِ عَمَّارِ الَّذِي لَمْ　　يَكُنْ فى غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهِلالا(٣)

= تنسب إليه كرام الإبل كما تنسب إلى الجديل وشذقم والجلال: الجليل، كطوال وطويل، والأنثى: جلالة، وقيل الجلال: الضخم.

المعنى — يقول: تعوّدت الارتحال، فجعلت ظهر هذا البعير بمنزلة الأرض لا أفارقه، فأرضى ظهر بعيرى، لأنى أبدا على ظهره، كالأرض للمقيم الذى لا يفارقها.

١ — الغريب — حاولت: طلبت. أزمعت على أمر فأنا مزمع عليه: إذا ثبت على عزمك. وقال الكسائى: يقال أزمعت الأمر، ولا يقال أزمعت عليه. قال الأعشى:

أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكارا　　وَشَطَّتْ عَلَى ذِى هَوًى أَنْ تُزَارا

وقال الفراء: أزمعته وأزمعت عليه: بمعنى، كأجمعته وأجمعت عليه.

المعنى — قال الواحدى: قال ابن جنى: إذا كان ظهره كالوطن لى، فأنا، وإن جبت البلاد، كالقاطن فى داره. هذا قوله، ويجوز أن يكون المعنى: ماطلبت الإقامة فى أرض، لأنى أبدا على السفر، ولا عزمت على الزوال عنها، ولست أقيم حتى أزول. ويدلّ على صحة هذا المعنى قوله فيما بعده.

٢ — المعنى — يقول: أسيره على قلق، ويروى قلق (بكسر اللام) صفة لبعير، كأنه ريح تحتى لسرعة مروره، أوجهها مرّة إلى جانب الجنوب، ومرّة إلى جانب الشمال، فعبر بالريحين عن الجانبين، ويروى يمينا أو شمالا. يريد: تارة إلى صوب اليمين، وتارة إلى صوب الشمال، عن يمين القبلة وشمالها.

٣ — الغريب — الغرّة: الوجه. وأوّل كلّ شيء: غرّته، وأراد: أوّل الشهر، ويسمى الهلال هلالا إلى ثلاث ليال.

الإعراب — البدر، يروى بغير لام التعريف، لأنه علم، ومن روى بلام التعريف أراد بدر السماء، لا الاسم العلم، يعنى: إلى الرجل الذى هو كالبدر، ثم نسبه إلى أبيه، لأنه لم يكن بدرا فى الحقيقة، وترك التنوين من عمار ضرورة، لسكونه وسكون اللام.

المعنى — يقول: أسير وأقطع البلاد يمينا وشمالا، إلى هذا الرجل الذى هو كالبدر، وليس هو فى الحقيقة بدرا، لأن البدر يلحقه المحاق حتى يصير هلالا، وهذا البدر لم يزل كاملا، ولا بدر إلا وهو هلال، وهذا لم يكن قط هلالا. وقد فسر هذا بقوله: [البيت بعده].

وَلَمْ يَعْظُمْ لِنَقْصٍ كَانَ فِيهِ ... وَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرُ وَلَنْ يَزَالَا(١)

بِلاَ مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ ... لِكُلِّ مُغَيَّبٍ حَسَنٍ مِثالا

حُسامٌ لِابْنِ رائِقٍ الْمُرَجَّى ... حُسامِ الْمُتَّقِى أَيَّامَ صالا(٢)

سِنانٌ فى قَناةِ بَنِى مَعَدٍّ ... بَنِى أَسَدٍ إِذَا دَعَوُا النِّزالا(٣)

١ — المعنى — يقول : بلا مثل لم يجدله نظيرا ، أى لم يجتمع فى أحد ما اجتمع فيه ، وإن كانت أشباهه متفرّقة فى أشياء كثيرة ، كفه كالبحر ، وعضده وقلبه كالأسد ، ووجهه كالبدر .

٢ — الإعراب — «حسام الثانى» : بدل من «ابن رائق» .

الغريب — صال : إذا تسلط وقهر .

المعنى — يقول : هو حسام لأبى بكر بن رائق ، وهو حسام أمير المؤمنين المتقى ، الذى صال به على بنى اليزيدى حين حاربهم المتقى به .

٣ — الإعراب — بنى أسد : بدل من قوله « بنى معد » .

المعنى — قال الواحدى : بنومعدّ هم العرب ، لأن نسبهم يعود إلى معد بن عدنان واختلفوا فى بنى أسد ههنا ، فرواه قوم بنى أسد على أنه جمع أسد ، وقالوا : يعنى أن بنى معد بنو أسود يصفهم بالشجاعة . قال : وذكر ابن جنى وجهين آخرين . وقال « بنى أسد » منصوب لأنه منادى مضاف . ومعناه : أن بنى معد إذا نازلوا الأعداء قالوا : يابنى أسد ، فيقوم لهم قولهم فى الغناء والدفع عنهم ، مقام سنان مركب فى قناتهم ، لأنهم إذا دعوهم أغنوا عنهم . هذا كلامه فى أحد الوجهين . ومعناه على ماقال : أن قول بنى معد عند نزال الأقران : يابنى أسد ، كالسنان فى قناتهم . قال : ويجوز أن يكون بدلا من قناة بنى معد ، كأنه قال : سنان فى قناة بنى أسد الذين هم قناة بنى معد . يريد : نصرتهم إياهم ، وهذا كله تكلف وتمحل ، وكلام من لم يعرف وجه المعنى . والمتنبى يقول: الممدوح سنان فى قناة العرب،الذين هم بنومعد ، ثم خصص بعض التخصيص، وأبدل من بنى معد بنى أسد ، فكأنه قال : هو سنان قناة بنى أسد عند الحرب ، و بنو أسد هم (أيضا) من بنى معد، ولهذا جاز إبدالهم من بنى معد،لاشتمالهم عليهم ، كما تقول : هذا من قريش، بنى هاشم ، وهذا من بنى هاشم ، بنى أبى طالب ، والممدوح كان أسديا ، لذلك خصّ بنى أسد . والنزال : منازلة الأقران بعضهم إلى بعض من الخيل عند شدّة القتال . يقول : هو رئيسهم ، وصدرهم الذى به يقاتلون ، واختار ابن فورجة الوجه الثانى من الوجهين اللذين ذكرها ابن جنى. قال : وقد قصر أبو الطيب فى هذا البيت عن السامى حيث قال :

إِذَا فاخَرَتْ بِالْمَكْرُماتِ قَبِيلَةٌ ... فَتَغْلِبُ أَبْناءَ الْعُلاَ بِكَ تَغْلِبُ

قَناةٌ مِنَ الْعَلْياءِ أَنْتَ سِنانُها ... وَتِلْكَ أَنابِيبٌ إِلَيْكَ وَأَكْعُبُ

أَعَـــزُّ مُغالِبٍ كَفًّا وَسَيْفًا ... وَمَقْـــدُرَةً وَمَحْمِيَةً وَآلا(١)

وَأَشْرَفُ فاخِرٍ نَفْسًا وَقَوْمًا ... وَأَكْرَمُ مُنْـــتَمٍ عَمًّا وَخالا(٢)

يَكُونُ أَحَقُّ إِثْناءٍ عَلَيْهِ ... عَلَى الدُّنْيا وَأَهْلِيها مُحالا(٣)

وَيَبْقَى ضِعْفُ ما قَدْ قِيلَ فِيهِ ... إِذَا لَمْ يَتَّرِكْ أَحَـــدٌ مَقالا(٤)

فَيابْنَ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَدْنٍ ... مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطَلُ السُّعالا(٥)

---

١ — الإعراب — نصب المنصوبات الخمس على التمييز .

المعنى — يقول : هو أعزّ من يغالب الأقران كفا ، لأن يده فوق كلّ يد ، وسيفه أغلب السيوف ، وقدرته فوق قدرة الناس ، وحمايته للجار والحليف ، ومن يجب عليه الذبّ عنه زائدة على حماية غيره ، وآله وأصحابه أغلب آل ، وأعزّ عترة به .

٢ — الغريب — الانتماء : أن يرفع فى نسبه . والاعتزاء : أن يقول : أنا ابن فلان .

المعنى — يقول : هو شريف ، إذا انتسب كان له الشرف من أبيه وأمّه .

٣ — المعنى — يقول : المدح الذى يستعظم للدنيا وأهليها ، حتى يكون لإفراطه محالا ، إذا أطلق عليه كان حقا لاستحقاقه غاية الثناء . قاله أبو الفتح ، ونقله الواحدى حرفا لحرفا . والمعنى : كلّ الناس يستحقون أدنى ما يستحقه هو من الثناء .

٤ — الغريب — ضعف الشىء : مثله . والجمع : أضعاف . وتركت الشىء واتركته ، كما يقال : قرأت القرآن واقترأته .

المعنى — يقول : إذا بالغ الناس فى مدحه ، ولم يتركوا مقالا يصلون إليه ، فقد خفى عنهم ضعف ما فيه من المحاسن التى لم يهتد إليها الواصفون . والمعنى : أن المادح والمثنى لايبلغ فى مدحه مايستحقه . وهو من قول الخنساء :

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً ... وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلاَّ وَمَا فِيكَ أَفْضَـــلُ

وكقول أبى نواس :

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ ... فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِى نُثْنِي

٥ — الغريب — اللدن : اللين المهزّ . والسعال : من وجع يكون فى الصدر ، من بلغم يجتمع على قصبة الرئة .

المعنى — يقول : يابن الطاعنين صدور الأبطال ، وقيل : الرئة ، وقيل : أراد المواضع التى لايجسر البطل فيها على السعال . وأخذه من قول البحترى :

وَأَتْبَعْتُها أُخْرَى فَأَضْلَلْتُ نَصْلَها ... بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ

وَيا بْنَ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ عَضْبٍ ... مِنَ الْعَرَبِ الْأَسافِلَ وَالْقِلالَا[١]
أَرَى الْمُتَشاعِرِينَ غَرُوا بِذَمِّي ... وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضالَا[٢]
وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرًّا بِهِ الْماءَ الزُّلالَا[٣]
وَقالُوا هَلْ يُبَلِّغُكَ الثُّرَيَّا ... فَقُلْتُ نَعَمْ إِذا شِئْتُ اسْتِفالَا[٤]
هُوَ الْمُفْنِي الْمَذاكِي وَالْأَعادِي ... وَبِيضَ الْهِنْدِ وَالسُّمْرَ الطِّوالَا[٥]

١ — الغريب — الأسافل : الأرجل . والقلال : الرءوس . واحدها : قلة ، وهى أعلى الرأس ، تشبيها بقلة الجبل ، وهى أعلاه .

المعنى — يقول : يا بن الضاربين بكل سيف قاطع رءوس العرب وأرجلها .

وقال أبو الفتح : وذلك لأنهم إذا ضربوا الفارس فى قلة رأسه نزل السيف إلى أسفل جسده ، وقيل : أراد بالقلال الكرام ، وقيل : يريد بالأسافل اللئام ، فيضربون الشريف والدنىء حتى لا يتركون أحدا .

٢ — الغريب — المتشاعرون : المتشبهون بالشعراء . والداء العضال والعقام : الذى لادواء له .

المعنى — يقول : المتشبهون بالشعراء وليسوا منهم ، أولعوا بذمى ، يذموننى وليس العيب فىّ ، وإنما هو فيهم ، لأنهم يجهلون مقدارى فيهم ، فهم يحسدوننى .

٣ — الغريب — الزلال : الذى يزل فى الحلق لعذوبته ، مثل السلسال .

المعنى — هذا مثل ضربه ، يقول : مثلهم كمثل المريض الذى يجد الماء الزلال مرًّا من مرارة فمه . يقول : هم يذموننى لنقصهم ، وقلة معرفتهم بى ، و بفضلى و بشعرى ، فالنقص فيهم لافىّ ، ولو صحت حواسهم لعرفوا فضلى ، ولقد جوّد فى هذا المعنى ، لأن المريض يجد كل حلو وطيب فى فمه مرًّا نغصا ، فالمرارة من فمه لامن الشىء يدخله ، و إنما العيب منه لا من الدواء ، فأبو الطيب والأعداء كذلك ، وهو من قول الحكيم : النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة .

٤ — الغريب — الثريا ، يقال : هى ستة أنجم . ومنه قول العطوى :

خَلِيلَىَّ إِنِّى لِلثُّرَيَّا لَحاسِدٌ ... وَإِنِّى عَلَى رَيْبِ الزَّمانِ لَواجِدُ
أَيُجْمَعُ مِنْها شَمْلُها وَهْىَ سِتَّةٌ ... وَأُفْقَدُ مَنْ أَحْبَبْتُهُ وَهْوَ واحِدُ

المعنى — يقول : قال الحاسدون حسدا له علىّ ، وحسدا لى عليه : هل يرفعك إلى الثريا إنكارا ؟ فقلت نعم إذا شئت أن أنحط ، لأنى بخدمته فوق الثريا ، فإن استفلت عن منزلتى صرت عند الثريا ، لأنى أعلى منها درجة ورفعة .

٥ — الغريب — المذاكى : الخيل المسنة ، واحدها : مذكّ ، وهو الذى أتى عليه بعد القرح سنة =

وَقائِدُها مُسَوَّمَـــةً خِفافا عَلَى حَيٍّ تُصَبِّحُـــهُ ثِقالا(١)

جَوَائِلَ بِالْقُـــنِيِّ مُثَقَّفاتٍ كَأَنَّ عَلَى عَوَامِلِها الْذُّبالا(٢)

إِذَا وَطِئَتْ بِأَيْدِيها صُخُوراً يَفِئْنَ لِوَطْءِ أَرْجُلِها رِمالا(٣)

جَوَابُ مُسائِلِي أَلَهُ نَظِيرٌ وَلا لَكَ فى سُؤَالِكَ لا ، أَلا ، لا(٤)

= أو سنتان . و بيض الهند : السيوف . والسمر : الرماح .

المعنى — يقول : هو مفنى الخيل والأعادى ، يفنى الخيل بالطراد فى الحروب ، وقيـل بالهبة والسيوف والرماح بالضرب والطعن ، و يجوز بالهبة .

١ — الغريب — المسوّمة : المعلمة . ومنه قوله تعالى : «مسوّمين» (فتح الواو) فى قراءة نافع وابن عامر وحمزة وعلىّ . وقيل : هى المرسلة ، وقرأ الباقون (بكسر الواو) ، ومعناه : سوّموا خيلهم ، أى علموها بعـلامة . والحىّ : واحد أحياء العرب ، وهو الجماعة من الناس ، ينزلون فى البادية .

المعنى — أنه يقود الخيل المسوّمة خفافا سراعا ، إلا أنها ثقال على من تصبحه من الأعادى ، فتحلّ بساحته صباحا .

٢ — الغريب — جوائل : بدل ، من قوله «مسوّمة» . وجمع القنا : قنىّ ، يقال : قنا وقنوات . وقنى . وجوائل : جمع جائلة . وعوامل : جمع عامل ، وهو عامل السـنان ، وهو ماقرب منـه . والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة .

المعنى — يقول : تحرّك بالقنا فرسانها ، وهى مثقفة ، أى مقوّمة بالثقاف ، وشبه أسنتها فى اللمعان بالفتائل التى فى السرج ، وهو تشبيه حسن .

٣ — المعنى — روى الواحدى : يفين ، بالفاء والياء المثناة تحتها . ومعناه : يعدن ويرجعن . يقول : هـذه الخيل إذا وطئت الصـخور لشدّة وطئها تصير رملا ، وأراد : إذا وطئت بأيديها وأرجلها ، فدلّ المحذوف فى آخر البيت على المحذوف فى أوّله . ومثله كثير .

٤ — الإعراب — هذا من باب التقديم والتأخير ، وأراد : لا ولا لك ، ضرورة ، كقول الآخر :

* عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّـــلامُ *

ومثله قوله تعالى : «أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما» ، والتقدير : قيما ، ولم يجعل له عوجا . وقوله : « ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى » ، والتقدير : لولا كلمة وأجل مسمى ، وأنشد سيبويه للفرزدق :

وَما مِثْـــلُهُ فى النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّـكاً أَبُو أُمِّـــــهِ حَىٌّ أَبُوهُ يُقارِبُهْ =

لَقَدْ أَمِنَتْ بِكَ الْإِعْدَامَ نَفْسٌ ... تَعُدُّ رَجاءَها إِيَّاكَ مالا(١)

وَقَدْ وَجِلَتْ قُلُوبٌ مِنْكَ حَتَّى ... غَدَتْ أَوْجالُها فِيها وِجالا(٢)

سُرُورُكَ أَنْ تَسُرَّ النَّاسَ طُرًّا ... تُعَلِّمُهُمْ عَلَيْكَ بِهِ الدَّلالا(٣)

إِذَا سَأَلُوا شَكَرْتَهُمُ عَلَيْهِ ... وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ السُّؤالا(٤)

وَأَسْعَدُ مَنْ رَأَيْنا مُسْتَمِيحٌ ... يُنِيلُ الْمُسْتَماحَ بِأَنْ يَنالا(٥)

= تقديره : وما مثله فى الناس حى يقاربه إلا مملكا أبو ذلك المملك أبوه . ومثله قول الآخر :

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمِلْ ... إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَّكِلْ

وأنشد أيضا سيبويه :

وَكَرَّارِ خَلْفَ الْمُجْحَرِينَ جَوَادَهُ ... إِذَا لَمْ يُحَامِ دُونَ أُنْثَى حَلِيلُهَا

المعنى — يقول : إذا سألنى سائل ، فقال : هل له نظير ؟ فجوابه لا ، ولا لك نظير فى سؤالك عن هذا ، لأن أحدا لا يجهل هذا غيرك ، فإذا أنت فى جهلك بلا نظير ، وكرّر النفى بقوله «ألا ، لا» إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه .

١ — المعنى — يقول : كل نفس رجتك وأملت عطاءك ، فعدّت ذلك مالا ، فقد أمنت الإعدام ، لأنك تبلغها أملها ، وفوق ما تأمل .

٢ — الغريب — الوجل : الخوف . والوجال : جمع وجل ، كوجع ووجاع .

المعنى — يقول : قلوب أعدائك خائفة منك ، حتى خاف خوفها ، ووجلت أوجالها ، وهذا كقولهم : جنّ جنونه ، وشعر شاعر ، وموت مائت ، وهذا من المبالغة .

٣ — المعنى — يقول : سرورك وفرحك إنما يحصل لك بأن تسرّ جميع الناس ، فأنت تعلمهم الدلال عليك بهذا ، حتى لو قال قائل : أنا غير مسرور ، اجتهدت حتى تسرّه وترضيه ، فهم قد عرفوا هذا من طباعك الكريمة ، فهم يدلون عليك .

٤ — المعنى — يقول : أنت من كرمك تحبّ السؤال ، فإذا سألوك العطاء شكرتهم عليه ، وإن هم سكتوا عن مطالبتك بالعطاء سألتهم السؤال .

٥ — الغريب — الاستماحة : طلب العطاء . والسماحة : الجود . ورجل سمح وسميح . وجمعه : سمحاء . ومساميح : جمع مسماح . وينيل : يعطى .

المعنى — يقول : أسعد الناس سائل يعطى مسئوله بأن يسأل منه . والمعنى : يفرح بأخذ عطائه ، والتقدير : أسعد الناس من أخذ من معط يعتقد أن الأخذ منه نيل ، فيراه حقا عليه ، وهو مسرور بالعطاء له وقد نقل هذا المعنى من البحترى حيث يقول : =

يُفارِقُ سَهْمُكَ الرَّجُلَ المُلاقِي ... فِرَاقَ القَوْسِ مالاقَى الرِّجالا[1]

فَما تَقِفُ النِّصالُ عَلَى قَرَارٍ ... كَأَنَّ الرِّيشَ يَطَّلِبُ النِّصالا[2]

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَما تُجارَى ... وَجاوَزْتَ العُلُوَّ فَما تُعالَى[3]

وَأُقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ ... لَمَا صَلَحَ العِبادُ لَهُ شِمالا

= فَيَكُونُ أَوَّلَ سُنَّةٍ مَأْثُورَةٍ ... أَنْ يَقْبَلَ المَمْدُوحُ رِفْدَ المَادِحِ

١ — الإعراب — قال أبو الفتح «مالاقى» موضع نصب على الظرف ، تقديره : الأمر كذلك مدّة ملاقاة الرجال ، كما تقول : لا أكلك ماطار طائر ، أى مدّة هذا .

المعنى — يقول : إذا وقع سهمك فى رجل يلقاه فارقه ونفذ عنه ، كما يخرج عن كبد القوس فى الشدّة ، يصفه بشدّة نزع القوس ، وقوّة الرمى ، فإذا رمى رجلا بسهم خرج منه بعد النفاذ فيه والمرور ، وفيه قوّة كقوّته حين خرج عن كبد القوس .

قال الواحدى : وقد نقل كلام أبى الفتح ، ويجوز أن تكون « ما» نافية .

٢ — الغريب — النصال : جمع نصل ، وهو الحديدة التى تكون فى السهم .

المعنى — يقول : إذا رميت بسهامك لاتستقرّ ، لأنها تخلص من رجل إلى رجل ، فكأن ريشها يطلب نصالها حتى يلحقها ونصالها تفرّ منه . قال الواحدى : هذا منقول من قول الخنساء :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْنا الخَيْلَ قُبْلاً ... تُبارِي بِالخُدُودِ شَبَا العَوالِي

نقله عن الخيل والخدود والعوالى إلى السهام والريش والنصال ، والبيت لليلى الأخيلية لا للخنساء قالته ليلى فى فائض بن أبى عقيل ، وقد كان فرّ عن توبة يوم قتل ، ولم ينشده الواحدى على الصحة ، وصوابه ولما أن رأيت تخاطب فائضا ، و بعده :

نَسِيتَ وِصالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ ... كَما صَدَّ الأَزَبُّ عَنِ الضِّلالِ

٣ — المعنى — سبقت الأوّلين فما تجارى ، ويجوز سبقت السابقين إلى المكارم فما تجارى ، أى تلحق وجاوزت العلوّ ، فما يقدر أحد أن يعاليك و يساميك . ومعنى البيت الثانى ، يقول : إنه أفضل الناس ، فلو كان يمين شيء ماصلح الناس كلهم أن يكونوا شمال ذلك الشيء ، وهذا من باب المبالغة . وهو مأخوذ من قول أبى النجم :

لَوْ كَانَ خَلْقُ اللهِ جَنْبًا وَاحِدًا ... وَكُنْتَ فِي جَنْبٍ لَكُنْتَ زَائِدَا

* نَباهَةً ، وَنَائِلاً ، وَوَالِدَا *

أُقَلِّبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالا(١)
وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَا وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمَهْدِ الْكَمَالا(٢)

وقال يمدحه ويذكر الأسد، وقد أعجله فضربه بسوطه

وهى من الكامل، والقافية من المتواتر

فِي الْخَدِّ إِنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلا مَطَرٌ يَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولا(٣)

---

١ — المعنى — يقول: أنت فى علوّ قدرك، وحسن خصالك سماء، وإن كانت كواكبها خصالا، فجعله فى الشهرة كالسماء، وخصاله نجومها؛ وهو من قول البحترى:

وَبَلَوْتُ مِنْكَ خَلَائِقًا مَحْمُودَةً لَوْ كُنَّ فِي فَلَكٍ لَكُنَّ نُجُوما

ونصب «خصالا» على الحال.

٢ — الإعراب — وأعجب: فعل مضارع عطفه على مثله، وهو قوله «أقلب»، والكمال: مفعول ثان.

المعنى — يقول: أنت قد أعطيت الكمال صغيرا، فكيف ازددت بعد الكمال.

٣ — الإعراب — إن عزم: إذ عزم، وقيل لأن عزم ولأجل، ومثله: زرتك أن تكرمنى، أى لأن تكرمنى، ومن أجل. ومثله: «أن كان ذا مال وبنين» فى قراءة الحرميين، وعلىّ، وأبى عمرو، وحفص، لأنهم قرءوا بهمزة واحدة مفتوحة، وقرأ حمزة وأبو بكر بهمزتين محققتين، وقرأ ابن عامر فى روايته بهمزة ومدّة. قال المفسرون من أجل ذلك: «كفر بآياتنا»، وأما قول عمرو بن كلثوم:

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَعَجَّلْنَا الْقِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا

فقيل: معناه لئلا، فحذف لا وحسن له ذلك أن المعنى معروف، وقيل: بل تقديره مخافة أن تشتمونا، إلا أنه حذف المضاف.

الغريب — الخليط: هو الذى يخالطك، وأراد به ههنا الحبيب. والخليط: المخالط، كالجليس والمجالس، والنديم والمنادم، وهو واحد وجمع. قال الشاعر:

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدُّوا الْبَيْنَ فَانْجَرَدُوا وَأَخْلَفُوكَ عِدَ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا

ويجمع أيضا على خلطاء وخلط. قال وعلة الجرمى:

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ هَلْ جَنَيْتُ لَهُمْ حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجِيرَةِ الْخُلُطِ

يا نَظْرَةً نَفَتِ الرُّقادَ وَغادَرَتْ ... فى حَدِّ قَلْبِي ما حَيِيتُ فُلُولا(١)

كانَتْ مِنَ الْكَحْلاءِ سُولِي إِنَّما ... أَجَلِي تَمَثَّلَ فِي فُؤَادِيَ سُولا(٢)

أَجِدُ الْجَفاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً ... وَالصَّبْرَ إِلاَّ فى نَوَاكِ جَمِيلا(٣)

وَأَرَى تَدَلُّلَكِ الْكَثِيرَ مُحَبَّباً ... وَأَرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولا(٤)

= المعنى — يقول : فى الخدّ لأجل رحيل الحبيب مطر يزيد الدموع ، إلا أنه لاينبت بل يمحل ، ومحول الخدود : هو ذهاب نضارتها وشحوبها ، والمطر من شأنه الإخصاب ، ولكن هذا المطر بخلاف المطر المعهود ، فشبه دموعه لغزارتها بالمطر السائل ،والمطر ينبت الربيع ويخصب . وهذا يمحل الخدود ويخددها ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

لَوْ نَبَتَ الْعُشْبُ مِنْ دُمُوعٍ ... لَكَانَ فى خَدِّيَ الرَّبِيعُ

١ — الغريب — نفت : أذهبت . الرقاد : النوم . والفلول : مايلحق حدّ السيف من كثرة الضرب .

المعنى — يقول : النظرة التى نظرت إلى الحبيب عند الفراق ، نفت رقادى ، وأذهبت حدّة عقلى وقلبى . يريد : أنها أثرت فى عقله وقلبه ، ويجوز أن تكون النظرة الأولى التى نظر الحبيب واستدام العشق بها .

٢ — الإعراب — فى « كانت » ضمير عائد على النظرة ، تقديره : كانت النظرة ، وفى الكلام حذف ، تقديره : كانت نظرة غير نافعة ، مثلت لى أجلى .

الغريب — الكحلاء : التى بعينيها كحل من غير تكحل . والسول : أصله الهمزة ، إلا نه خففه . والأجل : المدّة التى يؤخرها الإنسان حتى تنفد .

المعنى — يقول : كانت هذه النظرة من المحبوبة سؤلى وطلبى ، وإنما طلبت قرب أجلى النظر إليها . لأنه أسقمنى وقرّبنى من الأجل ، فكانت فى الحقيقة أجلى تصوّر مرادا فى قلبى سؤلا ، والسؤل مايطلبه الإنسان ويتمناه .

٣ — الغريب — أراد بالجفاء : الامتناع ، فلهذا عداه بعلى . والمروءة : الكرم والفعل الحسن. النوى : البعد .

المعنى — يقول : أجد الامتناع مروءة عندى إلا عليك ، والصبر جميلا إلا فى بعدك ، كقول البحترى :

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِلاَّ عِنْدَ فُرْقَةِ مَنْ ... بِبَيْنِهِ صِرْتُ بَيْنَ الْبَثِّ وَالْحَزَنِ

٤ — المعنى — يقول : أنا أبغض قليل تدلل من غيرك ، وأحبّ دلالك الكثير ، كقول جرير :

إِنْ كَانَ شَأْنُكُمُ الدَّلالَ فَإِنَّهُ ... حَسَنٌ دَلاَلُكِ يا أُمَيْمَ جَمِيلُ

تَشْكو رَوَادِفَكِ المَطيَّةُ فَوْقَها ... شَكْوَى الَّتِي وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيلا(١)

وَيُغِيرُنِي جَذْبُ الزِّمامِ لِقَلْبِها ... فَمَها إلَيْكِ كَطالِبٍ تَقْبِيلا(٢)

حَدَقُ الحِسَانِ مِنَ الغَوَانِي هِجْنَ لِي ... يَوْمَ الفِرَاقِ صَبَابَةً وَغَلِيلا(٣)

---

١ — الإعراب — شكوى : مصدر يشكو ، وقيل : التقدير مثل شكوى .

الغريب — الروادف : الكفل ، وماحوله : جمع رادفة ، لأنه يردف الإنسان ، أى يكو خلفه ، وهو من الردف خلف الراكب .

المعنى — يقول : تشكو المطية ثقل روادفك فوقها شكوى النفس التى وجدت هوا مداخلها ، لأن روادفك على المطية ثقال ، وهواك على العاشق أثقل .

٢ — الغريب — يقال : غار الرجل على أهله ، وأغرته ، وأغار أهله: تزوّج عليها . وهو من ؛ النهار : إذا اشتدّ حرّه . والغارة : الغيرة . قال أبو ذئب : يشبه غليان القدور بصخب الضرائر

لَهُنَّ نَشِيجٌ بالنَّشِيلِ كَأَنَّها ... ضَرَائِرُ حِرْمِيٍّ تَفَاحَشَ غَارُها

وقوله «حرمى» : نسبة إلى الحرم ، لأن أوّل من اتخذ الضرائر أهل الحرم .

المعنى — يقول لمحبوبته : يحملنى على الغيرة جذبك الزمام إليك ، لأن الناقة تقلب ف إليك ، كأنها تطلب قبلة ، والفم أكثر مايستعمل بغير الميم مع الإضافة ، فاذا أضيف قلت : ف وفاك وفوك ، إلا أنه قد جاء بالميم مضافا عن العرب . قال الشاعر :

كالحُوتِ لاَ يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهْ ... يُصْبِحُ عَطْشَانَ وَفى الْبَحْرِ فَمُهْ

وإذا أفرد فهو بالميم لاغير . ومعنى البيت من قول مسلم بن الوليد :

والعِيسُ عاطِفَةُ الرُّءوسِ كَأَنَّما ... يَطْلُبْنَ سِرَّ مُحَدِّثٍ فى الْأَحْلسِ

وقد قالت الشعراء وأكثروا فى الغيرة . وأحسن ماقيل قول ابن الخياط :

وَمُحْتَجِبٍ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مُعْرِضٍ ... وَفى الْقَلْبِ مِنْ إعْرَاضِهِ مِثْلُ حُجْبِهِ

أَغَارُ إذَا آنَسْتُ فى الْحَيِّ أَنَّةً ... حِذَاراً وَخَوْفاً أَنْ يَكُونَ لِحُبِّهِ

٣ — الغريب — الغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بزوجها ، ويقال: بجمالها عن التجمل والصبابة : رقة الشوق ، والغليل والغلة : حرارة العطش .

المعنى — يقول : حدق الحسان . الواحدة : حسناء ، هجن لى بفراقهن رقة الشوق وحرارة فى القلب ، لبعدهن عنى.

حَدَقٌ يُذِمُّ مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا ... بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلَا(١)
الْفَارِجُ الْكُرَبَ الْعِظَامَ بِمِثْلِهَا ... وَالتَّارِكُ الْمَلِكَ الْعَزِيزَ ذَلِيلَا(٢)
مَحِكٌ إِذَا مَطَلَ الْغَرِيمُ بِدَيْنِهِ ... جَعَلَ الْحُسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلَا(٣)
نَطِقٌ إِذَا حَطَّ الْكَلَامُ لِثَامَهُ ... أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولَا(٤)

١ — الغريب — يذمّ: يجير ويعطى الذمام. وأذمّه: أجاره. وأذمّه: وجده مذموما. وأذمّ به: تهاون. وأذمّ الرجل: أتى بما يذمّ عليه.

المعنى — يقول: يذمّ بدر بن عمار، أي يجير ويمنع منى كلّ مايقتل سوى هذه الأحداق، فإنه لايقدر على الإجارة منها، وهو كقوله:

وُقِيَ الْأَمِيرُ هَوَى الْعُيُونِ فَإِنَّهُ ... مَالَا يَزُولُ بِبَأْسِهِ وَسَخَائِهِ

قال أبو الفتح: ونقله الواحدى حرفا حرفا، وقد تجاوز هذا فى مدح عضد الدولة بأمن بلاده حيث قال.

فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا ... لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحِسَانِ

أثبت فى هذا مااستثنى فى مدح بدر بن عمار.

٢ — الإعراب — الكرب وما بعده (بالنصب) فى روايتنا، وهو منصوب بإعمال اسم الفاعل، وروى جماعة (بالخفض) تشبيها بالحسن الوجه.

الغريب — فرج عنه يفرج، وأفرج يفرج، وفرج يفرج تفريجا: إذا كشف عنه الغمّ.

المعنى — يقول: هو يفرّج الكرب عن أوليائه، بمثلها ينزلها بأعدائه؛ يعنى أنه يقتل الأعداء، ليدفعهم عن أوليائه، ويفقرهم ليغنى أولياءه، فيزيل عنهم الفقر.

٣ — الغريب — المحك: اللجوج، وسمع الأصمعى امرأة ترقص ابنها وتقول:

إِذَا الْخُصُومُ اجْتَمَعَتْ جُثِيَّا ... وُجِدْتَ أَلْوَى مَحِكًا أَبِيَّا

والمحك: اللجاج، محك يمحك فهو محك ومماحك، وتماحك الخصمان.

المعنى — يقول: هو يطلب الحقّ ويلج فى طلبته، فمن مطله به جعل سيفه كفيلا له بقضائه، وهذا مثل. والمعنى: إذا مطل الغريم، ولم يقض دينه، طالبه بسيفه مطالبة الكفيل، وإذا كان السيف متقاضيا، صار الغريم قاضيا بغير رضاه.

٤ — الغريب — النطق: جيد النطق والقول. والمنطيق: البليغ. واللثام: مايجعل على الوجه من العمامة، كانت العرب تفعله لأجل حرّ الشمس، وإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام.

المعنى — إذا حطّ لثامه ليتكلم بالأمر، فإنه يعطى من يسمع كلامه عقلا، لأنه يتكلم بالحكمة وبما يهتدى به الضالون، ويعلم الناس بمنطقه حسن الكلام، وصحة الرأى.

أَعْدَى الزَّمانَ سَخاؤُهُ فَسَخابِهِ   وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمانُ بَخِيلا(١)

وَكَأَنَّ بَرْقًا فى مُتُونِ غَمامَةٍ   هِنْدِيُّهُ فى كَفِّهِ مَسْلُولا(٢)

---

١ — الغريب — السخاء: الكرم والجود سخا يسخو، وسخى يسخى. ومنه قول عمرو بن كلثوم:

مُشَعْشَعَةً كأَنَّ الحُصَّ فِيها   إِذَا مَا المَاءُ خالَطَها سَخِينا

على بعض الأقوال، من سخا يسخى. وقال قوم: هو من السخونة، ونصبه على الحال.

المعنى — قال أبو الفتح: تعلم الزمان من سخائه فسخابه، وأخرجه من العدم إلى الوجود، ولولا سخاؤه الذى استفاده منه، لبخل به على أهل الدنيا، واستبقاه لنفسه. قال: فإن قيل السخاء لا يكون إلا فى موجود، وهذا معدوم، فالجواب أن الزمان كأنه علم ما يكون فيه من السخاء إذا وجد، فكأنه استفاد منه ما تصور كونه فيه بعد وجوده، ولولا ما تصوره من السخاء لبقى أبدا بخيلا، والشىء إذا تحقق كونه لامحالة أجرى عليه فى حالة عدمه كثير من الأوصاف التى يستحقها بعد وجوده.

قال ابن فورجة: هذا تأويل فاسد، وغرض بعيد، والسخاء بغير الموجود لا يوصف بالعدوى، وإنما المعنى سخا به علىّ، وكان بخيلا به علىّ، فلما أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه، وهدانى نحوه، وهذا المعنى كثير. قال الطائى:

هَيْهاتَ أَنْ يَسْخُو الزَّمانُ بِمِثْلِهِ   إِنَّ الزَّمانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

وللحبيب أيضا:

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّماحَ فَما   أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَىَّ مِنْ صِلَتِكْ

ولابن الخياط:

لَمَسْتُ بِكَفِّى كَفَّهُ أَبْتَغِى الغِنَى   وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِى

فَلا أَنا مِنْهُ مَا أَفادَ ذَوُو الغِنَى   أَفَدْتُ، وَأَعْدانِى فَأَتْلَفْتُ ما عِنْدِى

٢ — الإعراب — جعل اسم كأنّ نكرة، وخبرها معرفة، وقد جاء فى باب إنّ فى قول الفرزدق:

وَإِنَّ حَرَامًا أَنْ أَسُبَّ مُقاعِسًا   بِآبائِىَ الشُّمِّ الكِرَامِ الخَضارِمِ

ونصب «مسلولا» على الحال.

الغريب — الغمامة: السحابة. وهنديه: سيفه المصنوع من حديد الهند.

المعنى — يقول: كأنّ برقا سيفه، وهو من المعكوس، لأن السيف يشبه بالبرق، وهذا شبه البرق بالسيف، فقال: كأنّ برقا فى ظهور الغمام سيفه إذا سله فى يده.

وَمَحَلُّ قائِمِهِ يَسِيلُ مَوَاهِبًا ... لَوْ كُنَّ سَيْلاً ما وَجَدْنَ مَسِيلا(١)

رَقَّتْ مَضارِبُهُ فَهُنَّ كَأَنَّما ... يُبْدِينَ مِنْ عِشْقِ الرِّقابِ نُحُولا(٢)

أَمُعَفِّرَ اللَّيْثِ الهِزَبْرِ بِسَوْطِهِ ... لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ المَصْقُولا(٣)

وَقَعَتْ عَلَى الأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ ... نَضَدَتْ بِها هامَ الرِّفاقِ تُلُولا(٤)

---

١ — الإعراب — الضمير فى «قائمه» يعود على السيف ، و «مواهبا» . قال الخطيب وأبو الفتح هو مفعول «يسيل» .

وقال الشريف هبة الله بن على الشجرى فى أماليه : لا يجوز أن يكون مفعولا ، لأن يسيل لا يتعدّى إلى مفعول به بدلالة أنه لا ينصب المعرفة ، فتقول : سال الوادى رجالا ، ولا تقول : سال الوادى الرجال ، وسالت الطرق خيلا ، ولا تقول الخيل ، فلما لزمه نصب النكرة خاصة ، والمفعول يكون نكرة ومعرفة ، والمميز لا يكون إلا نكرة ثبت أن « مواهبا » تمييز ، ويوضح هذا أنك إذا أدخلت همزة النقل على سال تعدّى إلى مفعول واحد . تقول : أسال الوادى الماء ، فلو كان قبل الهمزة يتعدّى إلى مفعول لتعدّى بعد النقل إلى مفعولين ، فان قيل من شأن المميز أن يكون واحدا . قلنا : هذا هو الأغلب ، ويكون جمعا . قال الله تعالى : «بالأخسرين أعمالا» ، «ونحن أكثر أموالا وأولادا» .

المعنى — يقول : محلّ قائمه : يعنى قائم السيف ، وهى يد الممدوح تسيل مواهبا للناس ، فلو أنها كانت سيلا لم تصب موضعا تسيل فيه لكثرتها . وهو من قول حبيب :

أَفادَ مِنَ العَلْيا كُنُوزًا لَوَ انَّها ... صَوامِتُ مالٍ ما دَرَى أَيْنَ يَجْعَلُ

٢ — الغريب — رقت : خفت . ومضاربه : حدّاه ، وهو ما يضرب به الرقاب .

المعنى — أراد : أن سيوفه ملازمة للرقاب ، فوصفها بالعشق لأنه أدعى الأشياء إلى اللزوم ، فيقول : كأنما هى لرقتها تبدين نحولا من عشق الرقاب ، كما ينحل العاشق من عشق حبيبه .

٣ — الغريب — عفره : إذا رماه فى العفر (بالتحريك) ، وهو التراب ، يعفره عفرا . وعفره تعفيرا ، أى مرغه والهزبر الأسد . ورجل هزبر وهزنبران ، أى سيئ الخلق . والصارم : السيف القاطع .

المعنى — أن بدر بن عمار أهاج أسدا عن بقرة افترسها ، فوثب الأسد على كفل دابته فأعجله ، فضربه بسوطه ، ودار به الجيش ، فقتل الأسد ، فقال : إذا كنت تلقى هذا الأسد وهو أقوى الحيوانات وأشجعها بسوطك ، فلمن خبأت سيفك ؟

٤ — الغريب — الأردن : موضع بالشام ، وهو نهر يقال له نهر الأردن . والرفاق : جمع رفقة . والتلول : جمع تلّ ، وهو الجبل الصغير . والبلية : هو الأسد . =

وَرْدٌ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شارِبًا　　وَرَدَ الْفُرَاتَ زَئِيرُهُ وَالنِّيلا(١)

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لابِسٌ　　فى غِيـــلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلا(٢)

ما قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إِلاَّ ظُنَّتَا　　تَحْتَ الدُّجَى نارَ الْفَرِيقِ حُلُولا(٣)

= المعنى — يقول : وقعت على أهل هذا النهر بلية ، وهوالأسد . تضدت : وقعت بعضها على بعض بهذه البلية ، وهوالأسد، هام ، أى رءوس الرفاق تلالا . والبلية : هو الأسد ، فلهذا أسند الفعل إليه .

١ — الغريب — الورد : ذواللون الذى يضرب إلى الحمرة ، فكأنّ لون الأسد هذا يضرب إلى الحمرة . والبحيرة : بحيرةطبرية . والفرات : نهرالشام الذى يجرى إلى العراق . والنيل : نيل مصر .

المعنى — يقول : هــذا الأسد من شدّته وعظم زئيره ، إذا ورد البحيرة شاربا ، ورد ، أى وصل صوته إلى الفرات و إلى النيل . وجانس بين ورد وورد .

٢ — الغريب — الغيل : الأجمة ، وهى شجر ملتفّ بعضه على بعض . وقوله «لبدتيه» . يريد: الشعر الذى على كتفيه ، لعظم كثافته عليهما .

المعنى — يقول لكثرة ما افترس من الفوارس قد تلطخ بدمائهم ، ولكثرة ما على كتفيه من الشعر ، كأنه فى غيله فى غيل من لبدتيه .

٣ — الإعراب — «حلولا» : حال من الفريق ، والحال من المضاف إليــه قليل ضعيف ، و إن كان قد جاء فى شعر العرب القديم ، كقول تأبط شرا :

سَلَبْتَ سِـــلاَحِى بائِساً وَشَتَمْتَنِى　　فَيَاخَيْرَ مَسْــلُوبٍ وَيَاشَرَّ سالِبِ

وكقول النابغة الجعدى يصف فرسا :

كَأَنَّ حَوَامِيَـــهُ مُدْبِراً　　خُضِـــبْنَ وَإِنْ كانَ لَمْ يُخْضَبِ

وقال أبو على فى المسائل الشيرازيات : أنشد أبو زيد :

عَوْدٌ وَبَهْثَةُ حاسِـــدُونَ عَلَيْهِمُ　　حِلَقُ الْحَـــدِيدِ مُضاعَفاً يَتَلَهَّبُ

قال : ويجوز أن يجعل «يتلهب» فى موضع الحال ، و «مضاعفا» حال من المضمر فى « يتلهب » و يتلهب : حال من الحلق ، فكأنه قال : عليهم حلق الحديد يتلهب مضاعفا .

الغريب — الفريق : الجماعة ، وهو أكثر من الفرقة ، وحلولا حالين به ، أى نازلين .

المعنى — يقول : عين هذا الأسد لحمرتها إذا رأيتها فى الليل ظننتها نارا أوقدت بجماعة نزلوا موضعا ، و يقال عين الأسد ، وعين السنور ، وعين الحية تتراءى فى ظلمة الليل بارقة كأنها نار .

في وَحْـــدَةِ الرُّهْبانِ إلاَّ أنَّهُ ... لا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلا(١)
يَطَأُ البَرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تِيهِهِ ... فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلا(٢)
وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ إلَى يا فُوخِهِ ... حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلا(٣)
وَتَظُنُّهُ مِما يُزَمْجِـــرُ نَفْسُهُ ... عَنْها لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولا(٤)
قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى فَكَأَنَّما ... رَكِبَ الْكَمِيُّ جَوَادَهُ مَشْكُولا(٥)

١ — الغريب — الرهبان : جمع راهب ، وهم زهاد النصارى ، وهم يوصفون بالوحدة والانقطاع عن الناس ، وهم الذين قال الله فيهم : « عاملة ناصبة تصلى نارا حامية » .

المعنى — يقول : هو فى وحدة لشجاعتــه ، لأنه لايخاف شـيئا ، فهو فى غيله منفرد انفراد الرهبان فى متعبداتهم ، إلا أنه لايعرف حلالا ولاحراما ، والأسد إذا كان قويا لم يسكن معه فى غيله غيره من الأسود .

٢ — الغريب — البرى : التراب . قال مدرك بن حصن :

* بفيكَ مِنْ سارٍ إلَى الْقَوْمِ الْبَرَى *

ومنه البرية فى قراءة من ترك همزه ، وهم الأكثر، وهمزها نافع وابن ذكوان . والتيه : التعجب . والآسى : الطبيب .

المعنى — يقول : هو لعزته فى نفســه وقوّته لايسرع فى مشيه ، لأنه لايخاف شيئا ، فكأنه فى لين مشيته طبيب يجسّ عليلا ، يرفق به ولا يعجل .

٣ — الغريب — الغفرة : الشعر اجتمع على قفاه . واليافوخ : الرأس . والإكليل : التاج الذى يكون على رءوس الملوك .

المعنى — يقول : يردّ شعرالغفرة إلى رأسه حتى يصير له كالإكليل ، يصف عظم شعرمنكبيه ، يردّ ذلك الشعر فيجتمع على هامته ، وإنما يفعل ذلك إذا غضب يجمع قوّته إلى أعلى بدنه .

وقال ابن دوست : الغفرة شعر الناصية ، يعنى : أن هذا الأسد رفع رأسه فى مشيته حتى يردّ ناصيته إلى أعلى رأسه .

وقال الواحدى : القول هو قول أبى الفتح ، لأنه وصف بعده غيظ الأسد بقوله : [بعده] .

٤ — الغريب — الزمجرة : تردّد الصوت ، وكذا التزمجر ، وهو شدّة الصياح .

المعنى — يقول : تظنهنفسه عنها مشغولا من صياحه .

قال ابن القطاع : وقع فى بعض الروايات نفسه بالنصب ، أى يزمجر لنفسه ، والرواية الصحيحة بالرفع ، أى تظنه نفسه من كثرة صياحه مشغولا عنها .

٥ — الغريب — قصرههنا : ضدّ الطول . ومنه قصرالصلاة فى قوله تعالى : «أن تقصروا من=

أَلْقَى فَرِيسَتَهُ وَبَرْبَرَ دُونَهَا ... وَقَرُبْتَ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلَا(١)

فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِى إِقْدَامِهِ ... وَتَخَالَفَا فِى بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا(٢)

أَسَدِيُّهُ عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا ... مَتْنًا أَزَلَّ وَسَاعِدًا مَفْتُولَا(٣)

= الصلاة ». والمخافة : مصدر أضيف إلى المفعول . والكمى : الشجاع المستتر فى سلاحه ، من كمى الشهادة : إذا كتمها .

المعنى — يقول : قال الواحدى : ذو الحافر إذا رأى الأسد وقف وفحج وبال . يقول : كأنّ الشجاع ركب فرسه مشكولا ، حيث لا يقدر على الحركة خوفا منه ، هذا تفسير الناس لهذا البيت . قال: وقال ابن فورجة: معناه لما خاف منك الأسد ، تقاصرت خطاه ، ونازعته نفسه إليك جراءة ، فخلط إقداما بإحجام ، فكأنه فارس كمىّ ، ركب فرسه مشكولا ، فهو يهيجه للاقدام بجرأة ، والفرس يحجم عجزا عما يسوّمه ، لمكان شكاله . وهو من قول امرىء القيس : « وقيد الأوابد . . . . » الخ .

١ — الغريب — الفريسة : صيد الأسد ، وهى البقرة التى أهاجه عنها . والبربرة : الصياح . والصوت . والجمع : برابر .

المعنى — يقول : لما قصدته ألقى فريسته ، وصاح دونها فعاد عنها ، لأنه ظنّ أنك تطفل عليه لتأكل صيده ، فغضب من ذلك .

قال الواحدى : التطفل من كلام أهل العراق . يقولون : هو يتطفل فى الأعراس .

٢ — الغريب — الخلقان : الفعلان والطبعان والإقدام : الشجاعة .

المعنى — يقول : تشابهتما فى الشجاعة ، وتخالفتما فى الشحّ ، لأنّ الأسد يشحّ بمأكوله ، وأنت تجود بمأكولك وما هو لك . وهو من قول البحترى :

شَارَكْتَهُ فِى الْبَأْسِ ثُمَّ فَضَلْتَهُ ... بِالْجُودِ مَحْقُوقًا بِذَاكَ زَعِيمَا

وللبحترى أيضا :

هِزَبْرٌ مَشَى يَبْغِى هِزَبْرًا وَأَغْلَبُ ... مِنَ الْقَوْمِ يَبْغِى بَاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبَا

٣ — الغريب — الأزل : الممسوح القليل اللحم . وامرأة زلاء : إذا كانت ممسوحة العجيزة .

وقال الجوهرى : الأزل : الضيق والحبس . وأزلوا مالهم ، أى حبسوه . والمفتول القوىّ الشديد .

المعنى — يقول : هذا الأسديّ قوّته وشجاعته فيك ، فمتنه ممسوح شديد ، وساعد مفتول قوىّ .

فى سَرْجِ ظامِئَةِ الفُصُوصِ طِمِرَّةٍ ... يَأْبَى تَفَرُّدُها لَها التَّمْثِيلا[١]
نَيّالَةِ الطَّلِباتِ لَوْلا أَنَّها ... تُعْطِى مَكانَ لِجامِها ما نِيلا[٢]
تَنْدَى سَوالِفُها إِذا اسْتَحْضَرْتَها ... وَتَظُنُّ عَقْدَ عِنانِها مَحْلُولا[٣]
ما زالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِى زَوْرِهِ ... حَتَّى حَسِبْتَ العَرْضَ مِنْهُ الطُّولا[٤]

١ — الغريب — الطمرة : الفرس الوثابة ؛ وقيل: المرتفعة . وظامئة الفصوص : عطاش ، ليست برهلة رخوة ، وكذا خيول العرب .

المعنى — يقول : لقيته فى سرج ظامئة، أى فرس مضمرة دقيقة المفاصل من خيول العرب . وتفرّدها بالكمال يأبى أن يكون لها نظير ومثل .

٢ — الغريب — الطلبات : جمع طلبة ، وهى الحاجات .

المعنى — قال أبو الفتح : هـذه الفرس تطلب ما أرادت فتدركه ، وهى مع هـذا طويلة العنق ، لولا أن تحط رأسها للجام مانيل.

وقال الخطيب : هذه الفرس إذا طلبت عدوّا أو وحشا نالته ، وهى مع هذا عزيزة النفس ، تذلّ للراكب ماقدر عليها . وفيه نظر إلى قول زهير :

وَمُلْجَمُنا ما إِنْ يَنالُ قَذالَهُ ... وَلا قَدَماهُ الأَرْضَ إِلاَّ أَنامِلُهْ

٣ — الغريب — السوالف : جمع سالفة ، وهى صفحة العنق . استحضرتها ، من الحضر ، وهو العدو .

المعنى — يصف هذه الفرس بلين الرأس ، إذا جذبت عنانها جاء معك، كأنه محلول العقد . والمعنى: يعرق عنقها وماحوله إذا ركضتها ، و إذاجذبت وافقت وطاوعت ، ولان عنقها، حتى تظنّ العنان محلول العقد ، لأنها لا تجاذبك العنان .

قال الواحدى : هـذا وصف بطول العنق ، يعنى : إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال ، فيصير كأنه محلول .

وقال ابن دوست : إنها تدير عنقها ورأسها كيف شاءت ، وتغلب فارسها . فلا يقدر على ردّ رأسها بالعنان ، فـكأنّ عقـد العنان محلول غير مشدود ، لأنه لو كان مشدودا قدر الفارس على ضبطها . قال : وما أبعد ماوقع إذ فسر بغير المراد، ووصف الفرس بالجماح .

٤ — الغريب — الزور : عظم الصدر .

المعنى — عاد إلى وصف الأسد ، فقال : مازال هذا الأسد لما لقيك يجمع نفسه ، و ينضمّ بعضه إلى بعض، حتى صار عرضه فى قدر طوله ، وكذا يفعل الأسد إذا أراد الوثوب على الفريسة .

وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجارَ كَأَنَّهُ يَبْغِي إِلَى مافِي الْحَضِيضِ سَبِيلا(١)
فَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّنَى لايُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلا(٢)
أَنَفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ تارِكٌ فِى عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلا(٣)
وَالْعارُ مَضَّاضٌ وَلَيْسَ بِخائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خافَ مِمَّا قِيلا(٤)
سَبَقَ الْتِقاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هاجِمٍ لَوْ لَمْ تُصادِمْهُ لَجازَكَ مِيلا(٥)

١ — الغريب — تقول : حجر وأحجار ، وحجارة وحجار . والحضيض : قرار الأرض عند منقطع الجبل . وكتب يزيد بن المهلب إلى الحجاج : «إنا لقينا العدوّ ففعلنا، واضطررناهم إلى عرعرة الجبل ونحن بحضيضه» .

المعنى — يقول : كأنه من غيظه وغضبه يدقّ بصدره الحجارة ، فكأنه يطلب سبيلا إلى قرار الأرض .

٢ — الغريب — فادّنى : افتعل ، من الدنوّ .

المعنى — يقول : كأنّ هذا الأسد غرّته عينه فلم يبصر، لإقدامه عليك ، ولم تصدّقه عينه النظر ، ولو تصوّر الأمر بصورته ، لفرّ من هيبتك ، ولكنه مغرور، ظنّ ماجلّ وعظم من الأمر غير جليل وعظيم .

٣ — الغريب — الأنف : الاستنكاف ، أنف يأنف أنفا وأنفة ، أى استنكف . ومارأيت أحمى أنفا ، ولا آنف من فلان .

المعنى — يقول : الكريم يأنف من الدنية ، فلهذا لايهرب بل يقدم ، وهذا عذر الأسد . يقول : لم يهرب الأسد ، وأنفته جعلت فى عينه العدد الكثير قليلا ، حتى كأنه فى عينه قليل .

قال أبو الفتح : من عادته أن يعترض ماهوفيه بمثل يضربه، إذ أراد أنه مسدد لما هو فيه ، كقول الآخر :

وَقَدْ أَدْرَكَتْنِي ـ وَالْحَوادِثُ جَمَّةٌ ـ أَسِنَّةُ قَوْمٍ لاضِعافٌ وَلا عُزْلُ

فالحوادث جمة ، جملة اعترض بها بين الفاعل وفعله ، وهو تسديد لما هو فيه .

٤ — الغريب — مضاض : موجع ومحرق ، مضنى الأمر وأمضنى . والحتف : الهلاك .

المعنى — يقول : العار محرق موجع ، ومن خاف العار لم يخف من الهلاك . وفى المثل : « من أنف من الدنية لم يحجم عن المنية » ، وهو مثل البيت الذى قبله فى الاعتراض .

٥ — الغريب — المصادمة : مفاعلة ، من الصدم ، وهو الصكّ . والميل : ثلاث فراسخ .

وقال أبو الفتح : المسافة من الأرض المتراخية ، ليس له حدّ معروف . =

خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلا(١)
قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وَعُنْقَه فَكَأَنَّمَا صَادَفْتَــهُ مَغْلُولا(٢)
سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَنَجَا يُهَرْوِلُ مِنْكَ أَمْسِ مَهُولا(٣)
وَأَمَرُّ مِمَّا فَرَّ مِنْــهُ فِرَارُهُ وَكَقَتْلِهِ أَنْ لا يَمُوتَ قَتِيلا(٤)
تَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلا(٥)

= المعنى — يقول : عجل الأسد بوثبة على ردف فرسك قبل التقائك ، فهجم عليك بوثبة ، فلو لم تصادمه لجازك بمقدار ميل .

١ — الغريب — الخذلان : ضدّ النصر . والتجديل ، من قولهم : جدله ، إذا صرعه .

المعنى — يقول : لما لاقيته وواجهته خذلته قوّته ، أى خانته وقعدت عنه ، فطلب النصر من التسليم وهو الانقياد ، وترك الخصومة والجدل ، فكأنه رأى النصر فى ذلك . وطابق بين الخذلان والنصر .

٢ — المعنى — قال الواحدى : أساء أبو الطيب فى هذا البيت ، حيث لم يجعل أثرا للممدوح ، وقال : كأنه كان مغلول اليد والعنق بقبض المنية عليه .

٣ — الغريب — ابن عمته أسد من جنسه ، ولم يرد تحقيق نسب . والهرولة : الاضطراب فى العدو . والمهول : المخوف ، وهو من الخوف .

المعنى — يقول : لما سمع ابن عمته بقتلك له ، و بما فعلت به ، نجا برأسه هاربا من بين يديك خائفا .

٤ — الإعراب — فى البيت تقديم وتأخير ؛ تقديره : فراره أمرّ مما فرّ منه . «وأمرّ» فى أول البيت خبر مقدّم .

المعنى — يقول : فراره أمرّ من هلاكه الذى فرّ منه وخاف ، ومثل قتله أن لم يقتل ، لأن المقتول بالسيف خير من المقتول بالذمّ والعيب . وهو من قول الطائى :

أَلِفُوا الْمَنَايَا ، فَالْقَتِيــــلُ لَدَيْهِمُ مَنْ لَمْ يُخَلِّ الْعَيْشَ وَهْوَ قَتِيـــلُ

وله أيضا :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذًا لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ

٥ — الغريب — الجراءة . الشجاعة والإقدام . والخلة : الخليل ، يستوى فيه الذكر والمؤنث ، لأنه فى الأصل مصدر . قولك : خليل بين الخلة والخلولة . قال أوفى بن مطر المازنى :

أَلا أَبْلِغَــا خُلَّــتِى جَابِراً بِأَنَّ خَلِيــلَكَ لَمْ يُقْتَــلِ

المعنى — يقول : الأسد الذى اجترأ عليك هلك ولم تنفعه الجراءة ، ووعظ الذى فرّ وجبن =

لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلٰهِ مُقَسَّماً ... فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ الْإِلٰهُ رَسُولا(١)
لَوْ كَانَ لَفْظُكَ فِيهِمُ مَا أَنْزَلَ الْـ ... ـقُرْآنَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلا(٢)
لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ ... تُعْطِيهِمِ لَمْ يَعْرِفُوا التَّأْمِيلا(٣)
فَلَقَدْ عُرِفْتَ وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً ... وَلَقَدْ جُهِلْتَ وَمَا جُهِلْتَ خُمُولا(٤)

= إليه الفرار ، فالذى اختار الفرار واتخذه صاحبا ، خير من الذى اجترأ عليك .

١ — المعنى — يقول : لوكان الناس كلهم يعرفون الله مثل معرفتك ، لم يبعث الله رسولا يدعوهم إليه ، و يعلمهم دينهم . وقد قال بعض الأصولية : لم يحتج الناس إلى الرسول فى معرفة الله ، وإنما الحاجة إليه فى تعليم الشرائع والحلال والحرام . وقد أخطأ أبو الطيب فى هذا الإفراط وتجاوز الحدّ .

٢ — المعنى — يقول : لوكان لفظك فى الناس لم يحتاجوا إلى هذه الكتب ، وكان كلّ ملة يغنون بلفظك عن كتبهم ، وأراد أنه يعرف الحلال من الحرام والحكم ، وكان اليهود يغنون بك عن التوراة ، والنصارى عن الإنجيل ، والمسلمون عن القرآن . وهذه مبالغة تدخل النار ، نعوذ بالله من هذا الإفراط ، وهذا الغلوّ .

٣ — الإعراب — أسكن الياء من الفعل المنصوب ضرورة ، وهذا كثير إذا كان فى حرفى العلة الواو والياء . ومثله بيت الكتاب :

* كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقْ *

وخبر كان والمفعول الثانى من مفعولى «تعطيهم» محذوفان ، وتقدير خبر كان «لهم» ، والعائد إلى الموصول من «تعطيهم» الأوّل محذوف ؛ والتقدير : لوكان لهم الذى تعطيهموه من قبل أن تعطيهم إياه لم يعرفوا التأميل .

المعنى — يقول : لو وصل الناس وتقدّم إليهم عطاؤك قبل أن تعطيهم لما جرت الآمال فى قلوبهم ، ولما أملوا ، لأنك تعطى فوق الأمل ، فكانوا يستغنون بما نالوا منك عن الأمل ، فلا يحتاجون إلى تأميل ، وقد أخذه أبو نصر بن نباتة فقال :

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَـيْئاً أُؤَمِّلُهُ ... تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

وقال أبو الفرج الببغاء ، وكان فى عصر أبى نصر بن نباتة .

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَـيْئاً أُؤَمِّلُهُ ... دَهْرِي لِأَنَّكَ قَدْ أَفْنَيْتَ آمَالِي

٤ — الإعراب — حقيقة : مصدر حقّ يحقّ . قيل : وخمولا : مصدر ، وقيل : هو مفعول لأجله ، أى لأجل الخمول . =

نَطَقَتْ بِسُودَدِكَ الْحَمَامُ تَغَنِّيًا ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلا[١]

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِى نافِذًا ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ فِيهَا وَلاَ كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولا[٢]

وقال وقد نظر إلى خلعة مطواة ولم يرها عليه لعلة منعته

هذه القطعة من الوافر والقافية من المتواتر

أَرَى حُلَلاً مُطَوَّاةً حِسَانًا ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ عَدَانِى أَنْ أَرَاكَ بِهَا اعْتِلاَلِى[٣]

= الغريب — الخامل : الساقط الذى لانباهة له . وخمل يخمل خمولا ، وأخملته أنا .

المعنى — يقول : ماعرفوك حق معرفتك ، وذلك لأنهم لايقدرون على ذلك ، ولا لهم معرفة بكنه قدرك ، وهم إذا لم يعرفوك حق المعرفة . فقد جهلوك ، وما جهلوك لأجل سقوطك .

١ — الإعراب — الضمير فى «تجشمها» للجياد، وهى فاعله، أى تجشم نفسها و«تغنيا، وصهيلا» مصدران فى موضع الحال :

الغريب — السودد : السيادة والرفعة . وتجشمت الأمر : تكلفته على مشقة . وجشمت الأمر (بالكسر) جشما . وجشمته الأمر تجشيما . وأجشمته : إذا كلفته إياه . قال عبد المطلب :

* مَهْمَا تُجَشِّمْنِى فَإِنِّى جَاشِمٌ *

المعنى — يقول : إذا غنت الحمام، فإنما تغنى بسيادتك ورفعتك ، وكذلك الخيل إذا صهلت، وهذا من المبالغة لأن البهائم لاتعقل، فقد عقلت فضلك وسيادتك، فنطقت بهما، وهذا من أبلغ المدح.

٢ — الإعراب — « نافذا وفحولا » : منصوبان بما، على لغة الحجاز ، كقوله تعالى : « ماهذا بشرا » ، وبها جاء القرآن ، ولم يأت بغير الحجازية إلا فى قراءة المفضل عن عاصم : « ماهن أمهاتهم» بالرفع ، فإنه أتى بها على التميمية .

الغريب — نفذ الشيء : إذا خرقه و بلغ غايته، ونفذ السهم فى الرمية نفاذا ، ونفذ الكتاب نفاذا ونفوذا . وفلان نافذ فى أمره : ماض . وأمره نافذ ، أى مطاع .

المعنى — ليس كل من طلب العلو والرفعة بلغها ، ولا كل الرجال أبطال شجعان ، وإنما الرفعة والسيادة خص الله تعالى بها أقواما .

٣ — الغريب — الحلل : جمع حلة . والحلة عند العرب : ثوبان . وعدانى : منعنى .

المعنى — يريد : أنه رأى الخلع مطواة إلى جانبه ولم يره فيها ، لأنه كان ذلك اليوم الذى لبس فيه الخلعة عليلا . وقوله « أراك بها » أى أراك وهى عليك ومعك ، كما يقال : ركب بسلاحه ، وخرج بثيابه .

وَهَبْكَ طَوَيْتَهَا وَخَرَجْتَ عَنْهَا ... أَتَطْوِى مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ(١)
وَإِنَّ بِهَا وَإِنَّ بِهِ لَنَقْصًا ... وَأَنْتَ لَهَا النِّهَايَةُ فِى الْكَمَالِ
لَقَدْ ظَلَّتْ أَوَاخِرُهَا الْأَعَالِى ... مَعَ الْأُولَى بِجِسْمِكَ فِى قِتَالِ(٢)
تُلَاحِظُكَ الْعُيُونُ وَأَنْتَ فِيهَا ... كَأَنَّ عَلَيْكَ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ(٣)
مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فِى كَلَامٍ ... فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَّاتِ الرِّمَالِ(٤)

وقال فيه أيضاً

وهى من الكامل، والقافية من المتدارك

عَذَلَتْ مُنَادَمَةُ الْأَمِيرِ عَوَاذِلِى ... فِى شُرْبِهَا وَكَفَتْ جَوَابَ السَّائِلِ(٥)

---

١ — المعنى — يقول: احسب أنك طويتها لم تلبسها، أتقدر أن تزيل جمالك إذا زالت ثيابك، لأنه لايتجمل بثيابه، وإنما يتجمل بجماله، فله جمال لايطوى ولا يزال.

٢ — الغريب — ظلت — دامت وأقامت. وظلت بالمكان: أقمت عليه. وظلتم تفكهون، أى أقمتم. ومنه «فيظللن رواكد على ظهره». والأعالى: التى تظهر للناس. والأولى: التى تباشر جسده.

المعنى — يقول: أقامت أعالى ثيابك التى تظهر للناس تحسد الأقرب من جسدك، وهى التى تباشر جسدك، فبينهما قتال لذلك.

٣ — المعنى — قال أبو الفتح: هم يحبونك كما يحب الرجل فؤاده.

وقال ابن فورجة: يعنى استحسان القلوب وتعلقها به من حيث الاستحسان.

وقال الواحدى: يديمون النظر إليك، فإن العين تبع للقلب تنظر إلى حيث يميل القلب إليه، فالعيون إنما تنظر إليك، لأن القلوب تحبك، كما قال ابن جنى، أو تستحسن الخلع كما قال ابن فورجة:

٤ — المعنى — يقول: فضائلك لاتحصى، وإن قلت: إنى أحصيها فكأنى أقول: أنا أحصى الرمل، وهذا لاتقبله العقول، لأنه محال.

٥ — الإعراب — الضمير فى «شربها» للخمرة أو الراح، وأضمرها قبل ذكرها، وهو جائز لدلالة المنادمة عليها.

الغريب — المنادمة: مقلوب من المدامنة، لأنه يدمن شرب المدام مع نديمه، والقلب فى كلامهم كثير، كجذبه وجبذه، وما أطيبه وأيطبه. وخزن اللحم وخنز. ونادمنى فلان على الشراب، فهو نديمى وندمانى. قال النعمان بن عدى:

مَطَرَتْ سَحابُ يَدَيْكَ رِيَّ جَوانِحِي ... وَحَمَلْتُ شُكْرَكَ واصْطِناعُكَ حامِلِي (١)

فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ ما أَوْلَيْتَنِي ... وَالقَوْلُ فِيكَ عُلُوُّ قَدْرِ القائِلِ (٢)

وقال يمدحه

وهى من الكامل ، والقافية من المتدارك

بَدْرٌ فَتًى لَوْ كانَ مِنْ سُؤَّالِهِ ... يَوْمًا تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مالِهِ (٣)

= فَإِنْ كُنْتَ نَدْمانِي فَبِالأَكْبَرِ اسْقِنِي ... وَلاَ تَسْقِنِي بِالأَصْغَرِ المُتَثَلِّمِ

وجمع النديم : ندام ، وجمع الندمان : ندامى ، والمرأة ندمانة ، والنسوة ندامى .

المعنى — يقول : منادمة الأمير : إذا وصلها الإنسان وصحت له ، فقد وصل إلى رتبة عظيمة ، فلما وصلتها عذلت عواذلى الذين يعذلوننى على شرب المسكر ، وكفتنى منادمته جواب السائل الذى قال : لم شربت المسكر ؟ . وقالت له : منادمة الأمير شرف ، والشرف مطلوب ، وليس للعاذل أن يعذل فيما يكسب الشرف ، وإنما منادمته قد حصلت لى الشرف .

١ — الغريب — الجوانح : الأضلاع التى تحت الترائب ، وهى مما يلى الصدر . الواحدة : جانحة. والاصطناع : المعروف .

المعنى — كانت جوانحى ظامئة ، فأروتها سحاب يديك ، وقد حملت شكرك ، وهو عظيم ثقيل ، واصطناعك قد حمانى مع شكرك ، فدل ذلك على أن اصطناعك يزيد فى القوة ، لأنه قد حمانى وحمل شكرك . والمعنى : حملت شكرك على إنعامك، واحسانك حملنى لأنه يحمل أثقالى.

٢ — الغريب — قوله «متى» : هو سؤال عن الزمان ، فكأنه قال: أىّ زمان أقوم بشكرك .

المعنى — يقول : أىّ زمان أقوم بشكر ما أعطيتنى ، أى لا أقوم به ، لأنى كلما أثنيت عليك وشكرتك حصلت على نعمة جديدة ، و إذا شكرتك فإنما أرفع قدرى بشكرك ، وكيف أصل إلى مكافأتك إذا كان شكرك يوجب لى إحسانا منك . وقد نقله من قول محمود الورّاق :

إِذَا كانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً ... عَلَيَّ لَهُ فى مِثْلِها يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلاَّ بِعَوْنِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الدَّهْرُ

٣ — المعنى — يقول : هو يأخذ من ماله أقلّ مما يأخذ السائل ، لأن السائل يأخذ من مال بدر أكثر مما يخصّ بدرا ، فلو كان من سؤال نفسه ، لكان حظه أوفر من ماله .

تَتَحَيَّرُ الْأَفْعالُ فى أَفْعالِهِ   وَيَقِلُّ ما يَأْتِيهِ فِى إِقْبالِهِ (١)

قَمَرًا نَرَى وَسَحابَتَيْنِ بِمَوْضِعٍ   مِنْ وَجْهِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمالِهِ (٢)

سَفَكَ الدِّماءَ بِجُودِهِ لا بَأْسِهِ   كَرَمًا لِأَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيالِهِ (٣)

إِنْ يُفْنِ ما يَحْوِى فَقَدْ أَبْقَى بِهِ   ذِكْرًا يَزُولُ الدَّهْرُ قَبْلَ زَوالِهِ (٤)

---

١ — المعنى — يريد : أن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عنه ، وزيادة ما يفعله على فعلهم ، ويقلّ ذلك فى دولته لاقتضائها الزيادة على مافعل .

٢ — قال أبو الفتح : يمينه تسحّ العطاء ، وشماله تسح الدماء .

قال ابن فورجة : الرجل لايقاتل بشماله ، والفعل يكون لليمين فى كلّ شىء ، وإنما يكون عمل الشمال كالمعاونة لليمين ، وإنما يريد أن يديه جميعا كالسحابتين عطاء وسح دماء .

٣ — المعنى — يقول : إنما قتل الأعداء كرما لابأسا ، لتأكل الطير لحومهم ، لأنه ضمن أرزاق الطير ، فقتلهم للطير لا للحاجة إليهم ، وزاد بالجود والعيال على ماقاله الشعراء من إطعام لحوم الأعداء الطير .

قال أبو الفتح : أبلغ من هذا فى المدح أنه ينحر ويذبح ليأكل الطير مما يجده من اللحم ، فكأنه سفك الدماء بجوده لا ببأسه .

٤ — المعنى — قال أبو الفتح : لو قال دون زواله لكان أحسن ، وكان مثل قول الآخر :

بِقَلْبِى غَرَامٌ لَسْتُ أَبْلُغُ وَصْفَهُ   عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ فَهْوَ شَدِيدُ

تَمُرُّ بِهِ الْأَيَّامُ تَسْحَبُ ذَيْلَها   فَتَبْلَى بِهِ الْأَيَّامُ وَهْوَ جَدِيدُ

قال : وله أن يحتجّ عنه ، فيقال : إن الأيام بعض الدهر ، وليست هذه الأيام جميعه ، وقد يجوز أن يذهب بعض الدهر ويبقى بعضه ، فيبقى الغرام بحاله مع بقاء المحبّ ، فقال : إن الغرام باق بقلبى ، فإذا ما زال زال معه الذكر ، وقول أبى الطيب بقى الذكر له إنما يصحّ ببقاء الناس ، فإذا زال الناس والدهر عدم الذكر .

وسأله حاجة فقضاها له فقال

وهى من السريع ، والقافية من المتدارك

قَدْ أُبْتُ بِالْحَاجَةِ مَقْضِيَّةً وَعِفْتُ فِى الْجِلْسَةِ تَطْوِيلَهَا(١)

أَنْتَ الَّذِى طُولُ بَقاءٍ لَهُ خَيْرٌ لِنَفْسِى مِنْ بَقَائِى لَهَا(٢)

وقال يمدح القاضى أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكى

وهى من الكامل ، والقافية من المتدارك

لَكِ يا مَنازِلُ فى الْقُلُوبِ مَنازِلُ أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ(٣)

---

١ — الغريب — أبت : رجعت . ومنه قوله تعالى : « فباءوا بغضب من الله » ، أى رجعوا . وعفت : كرهت .

المعنى — يقول : لم أطول فى جلوسى عنده ، وكرهت التطويل ، لأنى رجعت وقد قضيت حاجتى .

٢ — المعنى — يقول : طول حياتك لى خير من حياة نفسى لنفسى ، لأنك تعيننى على الزمان والشدائد .

٣ — الغريب — أقفرت : خلوت . وأقفر الربع : إذا رحل عنه أهله . والأواهل : العامرة التى بها الأهل .

المعنى — يقول فى مخاطبة المنازل : لك فى قلبى منازل أنت خالية ، ومنازلك فى القلب ذات أهل عامرة . يريد : لم تذكرين منازلك التى فى القلوب وأنت قد أقفرت . يريد : تجدد ذكرها فى قلبه ، وهو معنى قول أبى تمام :

وَقَفْتُ وَأَحْشَائِى مَنَازِلُ لِلْأَسَى بِهِ وَهْوَ قَفْرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُهْ

ومثله للبحترى :

* عَفَتِ الدِّيَارُ وَمَا عَفَتْ أَحْشَاؤُهُ *

ولابن المعتز :

بُؤْساً لِدَهْرٍ غَيَّرَتْكَ صُرُوفُهُ لَمْ يَمْحُ مِنْ قَلْبِى الْهَوَى وَمَحَا كَا

قال أبو الفتح : بيت المتنبى أرجح من بيت الطائى ، لأنه ذكر منازل الحزن فخص ، والمتنبى ذكر المنازل فعم ، فهو أرجح من بيت الطائى ، ولقد أحسن ابن المعتز بقوله :

* لَمْ يَمْحُ مِنْ قَلْبِى الْهَوَى وَمَحَا كَا *

جمع المعنى فى كلمتين .

يَعْلَمْنَ ذَاكِ وَما عَلِمْتِ وَإِنَّما ... أَوْلاَ كُما يُبْكَىٰ عَلَيْهِ الْعَاقِلُ(١)

وَأَنا الَّذِى اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ ... فَمَنِ الْمُطالَبُ وَالْقَتِيلُ الْقاتِلُ(٢)

تَخْلُوا الدِّيارُ مِنَ الظِّباءِ وَعِنْدَهُ ... مِنْ كُلِّ تابِعَةٍ خَيالٌ خاذِلُ(٣)

---

١ — الغريب — الأولى : الأحقّ . والعاقل يريدبه الفؤاد، ويروى «يبكى» على مالم يسمّ فاعله ، وروى أبو الفتح «يبكى» على المصدر ، وبها قرأت على شيخى .

المعنى — يقول : منازلك التى فى الفؤاد يعلمن بحالك وحالهنّ ، فهنّ أواهل بذكرك ، وأنت مقفرة من ذكر أهلك ، ولست تذكرين منازلك التى فى الفؤاد ، فأولا كما بالبكاء عليه العاقل . يعنى منازل القلب . يريد : أن قلبى أولى بالبكاء ، لأنك جاد لاتعلمين ماحلّ بك من فرقة أهلك.

وقال أبو الفتح : منازل الحزن بقلبى تعلم مايمرّ بها من ألم الهوى ، وأنت لاتعلمين ذاك .

٢ — الغريب — اجتلب : افتعل من الجلب . وجلبت الشىء أجلبه جلبا وجلبا ، وجلبت واجتلبت : بمعنى ، وأصله فيما يجلب للبيع من بلد إلى بلد ، وهو فى البيت بمعنى سقته إلى نفسى . والمنية : من أسماء الموت .

المعنى — يقول : طرفى جلب موتى بالنظر ، فمن أطالب بدمى وأنا قتلت نفسى ، وهو منقول من قول قيس بن ذريح :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِى ... بِكَفِّىَ إِلاَّ أَنَّ مَنْ حانَ حَائِنُ

وقد أحسن دعبل بن على الخزاعى بقوله :

لاَ تَعْجَبِى يَاسَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ... ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَىٰ

لا تَأْخُذَا بِظُلاَمَتِى أَحَداً ... قَلْبِى وَطَرْفِى فى دَمِى اشْتَرَكَا

٣ — الإعراب — الضمير فى الظرف عائد إلى قوله « الذى اجتلب » ، وهو وصلته يراد به الشاعر المجتلب .

الغريب — الظباء: جمع ظبية فى الكثرة ، ويجمع ظبى،على فعول وظبيات . والتابعة : التى تتبع أمّها فى المرعى ، فكأنه أراد الصغيرة من الظباء . والخاذل : المتأخر . ومنه : ظبية خاذل وخذول : إذا تأخرت عن المرعى .

المعنى — يقول : تخلو ديارهم من حسانها وتفارقها ، وخيال من أهواه لا يفارقنى .

وقال الواحدى : تخلو الديار من الحسان ، وعندى من كلّ تابعة ، أى صغيرة منهنّ، خيال يأتينى ، فكأنه تأخر عنهنّ . وقال تابعة ، لأنه أراد صغر سنها .

اللَّاءِ أَفْتَكُها الْجَبانُ بِمُهْجَتِي ... وَأَحَبُّها قُرْبًا إِلَيَّ الْباخِلُ (1)
الرَّامِياتُ لَنا وَهُنَّ نَوافِرٌ ... وَالْخاتِلاتُ لَنا وَهُنَّ غَوافِلُ (2)
كافَأْنَنا عَنْ شِبْهِهِنَّ مِنَ الْمَها ... فَلَهُنَّ فِي غَيْرِ التُّرابِ حَبائِلُ (3)

---

١ — الإعراب — اللاء : قال أبو الفتح : يجوز أن يكون نعتا للظباء ، ولا يمتنع أن يكون محمولا على قوله «من كلّ تابعة» لأن كلّ قد دلت على معنى الجمع ، فإذا حمله على الظباء كان فى موضع خفض ، لأنه نعت ، و إذا حمله على كلّ فهو بدل معرفة من نكرة . قال : ولو أمكنه أن يقدّم بمهجتى على الجبان لكان أوجه ، والباء متعلقة بأفتك ، وأفعل إذا كان للتفضيل لا يعمل شيئا ، وهذا البيت مثل قولك : مررت بالذين أحبهم فلان إلىّ ، فالوجه تقديم إلىّ على فلان ، لئلا يفصل بينه و بين أحبّ .

وقال الخطيب : الباء متصلة فى المعنى بأفتكها ، إلا أنه لا يمكن تعلقها به ، لأنه قد أخبر عنه بقوله « الجبان» ، ومحال أن يخبر عن الاسم ، وقد بقيت منه بقية ، فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف ، دلّ عليه أفتكها ، فكأنه أضمر بعد ذكر الجبان فتكت بمهجتى .

الغريب — اللاء : جمع فى المؤنث ، كالذين فى المذكر ، وقد اختلف القرّاء فى يائها ، فقرأ قنبل عن ابن كثير ، وقالون عن نافع ، بالهمز من غير ياء ، وقرأ ورش بياء مختلسة ، بدلا من الهمز ، و إذا وقف صيرها ياء ساكنة ، وقرأ البزى وأبو عمرو بن العلاء بياء ساكنة ، بدلا من الهمز فى الحالين ، وقرأ الباقون بالهمز ، و بياء بعدها فى الحالين . والفاتك : الجرىء . والجمع : الفتاك . والفتك : أن يأتى الرجل صاحبه وهو غافل ، فيشدّ عليه فيقتله ، وفيه ثلاث لغات : فتك (بفتح الفاء وضمها) مع سكون التاء فيهما ، و بكسر الفاء مع سكون التاء. والجبان: خلاف الشجاع.

المعنى — يقول : أفتك هؤلاء الظباء بمهجتى ، هى النافرة التى أنا مغرم بها ، والبخيلة منهنّ بالوصل أحبهنّ قربا إلىّ .

٢ — الغريب — نوافر : جمع نافرة ، وأراد بها البعيدة . وأصل النفور : الخروج إلى طلب الشىء . والختل : الخدع . وختله وخاتله ، أى خدعه . والتخاتل : التخادع .

المعنى — يقول : ترمينا بلحاظهنّ وهنّ بعيدات عنا لا يقصدننا ، وتخدعننا بحسنهنّ وهنّ غافلات لا يعلمن ذلك .

٣ — الغريب — المها: بقر الوحش ، تشبه النساء بهنّ لسواد أعينهنّ . والحبائل: جمع حبالة الصائد.

المعنى — يقول : نحن نصيد بقر الوحش ، وهؤلاء المشبهات لبقر الوحش كافأننا ، وأخذن بثأرهنّ فى صيدنا لمشابههنّ ، فصدننا بأعينهنّ من غير حبائل فى التراب .

مِنْ طاعِنِي ثُغَرِ الرِّجالِ جآذِرٌ ... وَمِنَ الرِّماحِ دَمالِجٌ وَخَلاخِلُ(١)
وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُها ... مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوامِلُ(٢)
كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرَتْكَ شَوْقاً بَعْدَ ما ... غَرِىَ الرَّقِيبُ بِنا وَلَجَّ الْعاذِلُ(٣)
دُونَ التَّعانُقِ ناحِلَيْنِ كَشَكْلَتَيْ ... نَصْبٍ أَدَقَّهُما وَضَمَّ الشّاكِلُ(٤)

١ — الغريب — الثغر: جمع ثغرة . وهى نقرة النحر التى بين الترقوتين . والجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية . والدملج والدملوج : المعضد . وجمعه : دماليج . والخلخال : ما يكون من ذهب أو فضة فى الساق .

الإعراب — جآذر، يجوز أن يكون فاعل « كأفاننا » ، ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره مقدم عليه ، « ودمالج وخلاخل » : مبتدأ ، « ومن الرماح » الخبر . يريد : لهن دمالج وخلاخل يكتفين بها عن الرماح .

المعنى — قال أبو الفتح : نساء مثل الجآذر بحليهن يفعلن ما يفعل الطاعن بالرمح ، ونقله الواحدى حرفا لحرفا . وفى معناه :

هَلْ يَغْلِبَنِّى وَاحِدٌ أُقاتِلُهْ ... رِيمٌ عَلَى لَبَّاتِهِ سَلاسِلُهْ
* سِلاحُهُ يَوْمَ الْوَغَى مَكاحِلُهْ *

ونقله من قول مسلم بن الوليد :

بارَزْتُهُ وَسِلاحُهُ خَلْخالُهُ ... حَتَّى فَضَضْتُ بِكَفِّيَ الْخَلْخالا

٢ — المعنى — يقول: إنما سميت أغطية العيون جفونها، لأنها ضمنت أحداقا تعمل عمل السيوف.

٣ — الغريب — يروى : سجرتك (بالسين المهملة والجيم) ، يريد : ملأتك . ومنه « البحر المسجور » . ويجوز أوقدتك ، فقد قيل فى الآية : إنه الموقد . ويروى شجرتك (بالشين المعجمة والجيم) ، أى حبستك وصرفتك ، ومنه : شجرت الدابة : إذا أصبت بشجرها اللجام ، وهو ما بين اللحيين ، لتكفها وتمنعها ، ويروى بالسين المهملة والحاء ، أى جعلتك مسحورا بالشوق ، حتى صرت كالواله المجنون ، أو أنها أصابت سحرك ، أى رئتك . ومنه حديث عائشة : « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى » .

المعنى — كم لك من وقفة سجرتك ، ملأتك شوقا ، أو كفتك ، أو منعتك ، أو سحرتك حتى صرت والها لا تعقل ، وقد ولع بك الوشاة ، وهم جمع واش يشى بك إلى من تريده ، ويصلح بك حاله ، وتمام الكلام فيما يأتى ، أى كم وقفة دون التعانق .

٤ — الإعراب — ناحلين : حال من «وقفة» ، أى كم وقفة وقفناها ناحلين . =

إنْعَمْ وَلَذَّ فَلِلأُمُورِ أَوَاخِـــرٌ ... أَبَدًا إِذَا كانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ(١)

مادُمْتَ مِنْ أَرَبِ الْحِسانِ فَإِنَّما ... رَوْقُ الشَّبابِ عَلَيْكَ ظِلٌّ زَائِلُ(٢)

لِلَّهْوِ آونَةٌ تَمُـــرُّ كَأَنَّها ... قُبَلٌ يُزَوَّدُها حَبِيبٌ رَاحِلُ(٣)

= وقال الخطيب : هى حال من الضمير فى «بنا» . يريد : به و بالمحبوبة .

الغريب — الشكلة : أراد الشكلة التى تكون فى الاعراب ، وهى الفتحة ، وهى من قولهم: شكلت الدّابة ، أى ضبطتها ، والشكلة تضبط الحروف ، وضمّ الشاكل الكاتب ، يريد بالضمّ : القرب ، ولم يرد الضمّ الذى فى الاعراب المسمى رفعا .

المعنى — يقول : وقفنا دون التعانق ، قرب بعضنا من بعض ولم نتعانق ، فكأننا لقربنا شكلتان دقيقتان ، جمع الكاتب بينهما ، وهو تشبيه حسن ، شبه تقاربهما بتقرب الشكلتين ، ونحولهما بنحول الشكلة ، ووصفها بالنحول مثله ، لأن بها مابه من الوجد ، ومثل هـذا فى قرب التعانق لأبى إسحاق الفارسى :

ضَمَمْتُها ضَمَّةً عُدْنا بِها جَسَـــداً ... فَلَوْ رَأَتْنا عُيُونٌ ما خَشِـــيناها

ومثله لآخر :

إِنِّى رَأَيْتُكَ فى نَوْمِى تعانِقُـــنِى ... كما تُعانِقُ لَامُ الْكاتِبِ الْأَلِفا

١ — المعنى — يقول : تمتع بالنعمة واللذّة مادام لك الشباب ، فكلّ ماكان له أوّل لابدّ له من آخر ، فانه يفنى حتى يأتى آخره ، وهـذا منقول من كلام الحكيم : كلّ ما كان له أوّل تدعو الضرورة إلى أنّ له آخرا .

٢ — الغريب — الأرب : الحاجة ، وكذلك الإربة . وروق الشباب وريقه : أوّله .

المعنى — يقول : مادام للحسان فيك حاجة وطلب ، يعنى: مادمت شابا انعم ولذّ ، فإنه ظلّ زائل عنك .

٣ — الغريب — آونة : جمع أوان . ومنه بيت الكتاب :

أَبُو حَنَشٍ يُؤَرِّقُـــنِى وَطَلْقٌ ... وَعَمَّـــارٌ وَآوِنَةً أُثالَا

وذكر هـذا البيت سيبويه على ترخيم أثالة ، فى غير النداء ضرورة ، على قول من قال : ياحار . وقبل : جمع قبلة .

المعنى — يقول : للهو واللعب أوان يمرّ سريعا ، كتزويد الحبيب الراحل من عندك قبلا ، فهى لذيذة ، ولكنها وشيكة الذهاب ، كذلك ساعات اللهو وأيام السرور قصار .

جَمَحَ الزَّمَانُ فَمَا لَذِيذٌ خَالِصٌ مِمَّا يَشُوبُ وَلاَ سُرُورٌ كَامِلُ(١)

حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ ٱللَّهِ رُؤْ يَتُهُ الْمُنَى وَهْىَ الْمَقَامُ الْهَائِلُ(٢)

مَمْطُورَةٌ طُرُقِى إِلَيْهَا دُونَهَا مِنْ جُودِهِ فِى كُلِّ فَجٍّ وَابِلُ(٣)

مَحْجُوبَةٌ بِسُرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ تَثْنِى الْأَزِمَّةَ وَالْمَطِىُّ ذَوَامِلُ(٤)

---

١ — الغريب — الجاح : الإسراع . ومنه قوله تعالى : « لولوا إليه وهم يجمحون » ، أى يسرعون . والجوح من الرجال : الذى يركب هواه ، فلا يمكن ردّه . قال الشاعر :

خَلَعْتُ عِذَارِى جَامِحًا مَا يَرُدُّنِى عَنِ الْبِيضِ أَمْثَالِ ٱلدُّمَى زَجْرُ زَاجِرِ

وجمح الفرس : اذا غلب فارسه . وجمحت المرأة : إذا خرجت من بيت زوجها إلى أهلها بغير طلاق . قال الراجز :

إِذَا رَأَتْنِى ذَاتُ ضِغْنٍ حَنَّتِ وَجَمَحَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَأَنَّتِ

والمشوب : المختلط .

المعنى — يقول : جمح الزمان ، أى قهر وغلب ، فما تخلص اللذة من أذى يشوبها به الدهر ، فلا يكمل سرور للانسان . وهو من قول الآخر :

* وَكَذَاكَ لاَ خَيْرٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا وَلاَ شَرٌّ يَدُومُ *

٢ — الغريب — الهائل : المهيب المخيف . والمنى : جمع منية .

المعنى — يقول : كلّ شيء لاتخلص اللذة فيه ، ولا بدّ من شيء ينغصه ، حتى أبو الفضل ، هـذا الممدوح رؤيته أمانى الناس ، فاذا وصلوا إليها نغصتها عليهم هيبته ، وهو منظره . قال أبو الفتح : هذا خروج ماروى أغرب منه .

٣ — الإعراب — الهاء فى «إليها ودونها» للرؤية ، فى رواية أبى الفتح ، وبها قرأت ، وروى غيره « اليه ، دونه » راجع الى الممدوح .

الغريب — الفجّ : الطريق الواسع . والوابل: المطر الكثير . قال الله تعالى : «فإن لم يصبها وابل فطلّ» .

المعنى — يقول : طرق إلى رؤية الممدوح ، أو إلى الممدوح ممطورة بآثار إحسانه ، فالناس يصلون إلى إحسانه قبل الوصول إليه .

٤ — الغريب — السرادق : ما كان حول الشيء يمنعه و يمنع مافيه . والسرادق : الذى يمدّ فوق صحن الدار ، وكلّ بيت من كرسف ، فهو سرادق . قال رؤبة بن العجاج : =

لِلشَّمْسِ فِيهِ وَلِلرِّيَاحِ وَلِلسَّحا ... بِ وَلِلْبِحارِ وَلِلْأُسُودِ شَمائِلُ (١)

وَلَدَيْهِ مِلْعِقْيانِ وَالْأَدَبِ الْمُفا ... دِ وَمِلْحَياةِ وَمِلْمَماتِ مَناهِــــلُ (٢)

لَوْ لَمْ يُهَبْ لَجَبُ الْوُفُودِ حَوَالَهُ ... لَسَرَى إِلَيْهِ قَطا الْفَلاةِ النَّاهِلُ (٣)

= يَاحَكَمَ بْنَ الْمُنْــــذِرِ بْنَ الْجَارُودْ ... سُرَادِقُ الْمَجْــــدِ عَلَيْكَ مَمْدُودْ

والأزمّة : جمع زمام . والذوامل : السائرات سير الذميل ، وهو المرتفع عن العنق ، ومثله الرسيم .

المعنى — يقول : رؤيته محجوبة بسرادق من هيبة .

قال الواحدى : أى الطرق إليه محجوبة ، والبيت يدلّ على أنه يتعذر اليه الوصول لهيبته ، وان هيبته تردّ عنه المطى الذوامل اليه . وهذا إلى الهجاء أقرب منه الى المدح .

وقال أبو الفتح : كأنّ على الطرق اليه سرادقا يمنع من العدول عنه الى غيره ، والناس أبدا ينحون نحوه .

وقال ابن فورجة : ألا يعلم أبو الفتح أن الهيبة تثنى لوائر عن الالتقاء به ، ولا تثنى زائر غيره اليه ، وما قيل فى هذا البيت يدلّ على هذا . يقول : رؤيته محجوبة بالهيبة التى لو أن مطيا ذملت فى سيرها ، واعترضتها هذه الهيبة لانثنت وعدلت ، ولم تقدم إشفاقا من الإقدام ، واستعظاما للهجوم .

١ — الغريب — الشمائل : جمع شمال ، وهى الخلائق .

المعنى — يقول : فيــه إضاءة الشمس ومنفعتها و بهاؤها ، وعموم الرياح وتصرّفها ، وجود السحاب ، وهو السخاء ، و إقدام الأسود . والمعنى : يريد عموم نفعه .

٢ — الإعراب — يريد : من العقيان ، وكذا من الحياة ، ومن الممات ، فحذف النون لسكونه وسكون اللام .

الغريب — العقيان : الذهب . والمناهل : المشارب .

المعنى — يقول : كان الناس يردون منه على هــذه الأشياء ، كما يردون المناهل ، وقوله : من الحياة ، أى لأوليائه ، ومن الممات ، أى لأعدائه . وقد زاد على بيت أبى تمام :

نَرْمِي بِأَشْــــباحِنا إِلَى مَلِكٍ ... نَأْخُـــذُ مِنْ مالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

لأنه ذكر الموت والحياة .

٣ — الغريب — لجب : أصوات الوفود ، وهم الذين يفدون عليه يطلبون العطاء . و يقال : حوله وحواليه ، وحواله وحوليه . والناهل : الشارب الأوّل دون العالّ .

المعنى — يقول : قال أبو الفتح : لولم تخف القطا أصوات الوفود ، لسرت إليه لتشرب منه .

وقال ابن فورجة : يعنى أن القطا يراه ماء معينا فيهمّ بوروده ، و يشفق من لجب الوفود ، على عادة الطير . =

يَدْرِي بِمَا بِكَ قَبْلَ تُظْهِرُهُ لَهُ … مِنْ ذِهْنِهِ وَيُجِيبُ قَبْلَ تُسَائِلُ(١)
وَتَرَاهُ مُعْتَرِضًا لَهَا وَمُوَلِّيًا … أَحْدَاقُنَا وَتَحَارُ حِينَ يُقَابِلُ(٢)
كَلِمَاتُهُ قُضُبٌ وَهُنَّ فَوَاصِلٌ … كُلُّ الضَّرَائِبِ تَحْتَهُنَّ مَفَاصِلُ(٣)
هَزَمَتْ مَكَارِمُهُ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا … حَتَّى كَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ قَبَائِلُ(٤)
وَقَتَلْنَ دَفْرًا وَالدُّهَيْمَ فَمَا تُرَى … أُمُّ الدُّهَيْمِ وَأُمُّ دَفْرٍ هَابِلُ(٥)

= قال الواحدى لعموم : نفعه تهمّ الطير بالوفود عليه لتنقع غلتها ، وليس هو ماء يشرب أو يراه الطير ، كما ذكر الشيخان .

١ — الإعراب — أراد : «قبل أن» فى الموضعين ، فلما حذف حرف النصب ردّ الفعل إلى الرفع.
المعنى — يقول : هو لذكائه يدرى ما تطلب قبل أن تظهره له ، ومن حدّة ذهنه ، يجيب قبل أن تسائل .

٢ — الغريب — حار يحور حورا وحئورا : إذا رجع .
المعنى — تراه أحدا قنا ، إذا اعترض وتولى ، وإذا واجهته ترجع متحيرة ، ولم تسوّف النظر إليه ، وإنما تراه فى حال اعتراضه ، وتوليه لانحرافه عنها ، يعنى أن الأبصار إذا قابلته حارت لنوره فلم تره .

٣ — الغريب — قضب : جمع قاضب . فواصل: تفصل كما يفصل بين الخصوم . والمفاصل: جمع مفصل.
المعنى — يقول : كلماته سيوف فواصل ، أينما أصابت فصلت ، كالسيوف التى تقضب المفاصل .
يريد : أنها تفصل بين الخصوم فى الأحكام ، كما تفصل السيوف إذا ضربت على المفاصل .

٤ — المعنى — يريد : أن مكارمه هزمت مكارم الناس ، فكأنّ المكارم قبائل غلبت قبائل .
يريد : أن مكارمه كثيرة تغلب مكارم الناس كلها .

٥ — الغريب — دفر والدهيم : اسمان من أسماء الداهيـة . والدفر : النتن ، وسميت الداهية به لخبثها ؛ ويقال للدنيا : «أمّ دفر» لخبثها . وأصل الدهيم : أن ناقة كان اسمها الدهيم، حملت رءوس قوم ، فقالوا : أثقل من حمل الدهيم ، فصارت مثلا . وكانت الدهيم لعمرو بن زبان، وكان له جماعة بنين ، فقتلوا وحملت رءوسهم على الدهيم ، وخليت فذهبت إلى بيت أبيهم عمرو ، فرأت الناقة أمة له وفوقها الرءوس، وهى لا تعلم ماهى فقالت : لقد جنى بنوك الليلة بيض النعام ، فضربت العرب بها المثل . وتقول : أمّ الدهيم ، والعرب تقول : صبحتهم الدهيم . وهابل : ثاكل . وهبلت المرأة ولدها : ثكلته ، فهى هابل . والهبل : الثكل . وقيل سميت الدنيا : أمّ دفر ، لأجل ريحها ، فتكون من كراهة الرائحة . يريدون : أنها خبيثة ، ويجوز أن يكون من الدفع من دفرت ، أى تدفع الناس فتخرجهم منها .
=

عَلاَّمَةُ الْعُلَماءِ وَاللُّجُّ الَّذِى لاَيَنْتَهِى وَلِكُلِّ لُجٍّ سَاحِلُ(١)
لَوْطَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ وَلَدَ النِّسَاءُ وما لَهُنَّ قَوَابِلُ(٢)
لَوْبَانَ بِالْكَرَمِ الْجَنِينُ بَيَانَهُ لَدَرَتْ بِهِ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى الْحَامِلُ(٣)

الإعراب — قال أبو الفتح : أراد فما تريان ؟ فاكتفى بضمير الواحد من الاثنين ، وقال صدر البيت يتمّ به الكلام ، و « أمّ الدهيم » ابتداء ، و « هابل » : خبر لأم دفر ، وأمّ الدهيم ، وتقديره : أمّ الدهيم هابل ، وأمّ دفر كذلك ، ويجوز أن يكون اكتفى بضمير الواحد كما قال الآخر :

لِمَنْ زُحْلُوفَةٌ زَلُّ بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُّ

ولم يقل : تنهلان ، لاكتفائه بأحد الضميرين دون الآخر . وقول الخطيب أوجه من قول أبى الفتح أن يكون النصف الثانى متعلقا بالأوّل ، و « أمّ الدهيم » مرفوع ما لم يسمّ فاعله ، والواو فى « وأم دفر » واو عطف جملة على جملة ، « وأمّ دفر » مرفوعة بالابتداء . والمعنى : فما ترى أمّ الدهيم . يعنى : أنها نفدت وليست ترى وأمّ دفر هابل ، وقد استغنينا عن تكلفه فى الموضعين .

المعنى — يقول : مكارمه أفنت وأذهبت الأمور الشدائد والدواهى حتى نفدت ، فكأنّ أمّها صارت ثاكلة ، فلا تعرف الخطوب ، لأنّ مكارمه أعدمتها وأنفدتها .

١ — الغريب — اللجّ : معظم الماء . والساحل : المرسى الذى يرسى عليه .

المعنى — يقول : هو أعلم الناس والعلماء ، وهو فى جوده لجّ ليس له منتهى ، وكلّ لجّ له منتهى ينتهى إليه إلا هذا ، ليس له منتهى .

٢ — الغريب — القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تشارف المرأة عند الولادة .

المعنى — لو طاب مولد كلّ حىّ ، مثل طيب مولد هذا الممدوح ، لولد النساء ولا قوابل لهنّ يشاهدنهنّ . يعنى : لأنه أراد مثل مولده فى الطيب والطهارة ، ولهذا نصب مثله . يريد : لو طاب مولد كلّ حىّ مثل طيب مولد هذا .

٣ — الإعراب — أراد : أذكر أم أنثى ؟ فحذف همزة الاستفهام لدلالة « أم » عليها ، كقول عمر بن أبى ربيعة :

فَوَاللهِ ما أَدْرِى وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ ؟

الغريب — الجنين : الولد إذا كان فى البطن . والجمع : أجنة . قال الله تعالى : « وإذ أنتم أجنة فى بطون أمّهاتكم » .

المعنى — يقول : لو بان الجنين بيانه بالكرم ، لعرف الذكر من الأنثى . والمعنى : لما بان كرمه حين كان جنينا ظاهر الكرم ، عرف أنه مولود كريم ، فلو بان حال الجنين تبيان كرمه ، لعرف الذكر من الأنثى .

لِيَزِدْ بَنُو الْحَسَنِ الشِّرَافُ تَوَاضُعًا ... هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِى الظَّلَامِ مَشَاعِلُ(١)

سَتَرُوا النَّدَى سَتْرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ ... فَبَدَا ، وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ؟(٢)

جَفَخَتْ وَهُمْ لَايَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ ... شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغَرِّ دَلَائِلُ(٣)

مُتَشَابِهِي وَرَعِ النُّفُوسِ: كَبِيرُهُمْ ... وَصَغِيرُهُمْ عَفُّ الْإِزَارِ حُلَاحِلُ(٤)

---

١ — الإعراب — يقول : زادالشيء وزدته أنا ، قال الله تعالى : «وزدناهم هدى» . وأراد ليزدد.
الغريب — المشاعل: جمع مشعل ، وهو مايضرم فيه النار ، ليهتدى به فى الأسفار وغيرها .
المعنى — قال الواحدى : يأمرهم بأن يزدادوا تواضعا ، فإنّ فضائلهم لاتكتم بالتواضع ، وضرب بذلك مثلا بكتمان المشاعل فى الظلام ، فإنها لاتخفى ، ومتى كان الظلام أشدّ كانت أظهر، كذلك متى كان تواضعهم أكثر ، كانت فضائلهم أكثر .

وقال الخطيب : كان لهذا الممدوح نسب فى ولد الحسن بن علىّ عليهما السلام ، فأمرهم بالتواضع، لأنهم كلما ازدادوا فى التواضع ظهر شرفهم ، وإن أخفوا نسبهم لاينكتم ، كما أنّ المشاعل لاتنكتم فى الظلام .

٢ — الغريب — سفد (بالكسر) يسفد سفادا ، وهو نزو الذكر على الأنثى ، يقال ذلك فى التيس والبعير والثور والطير والسباع . وحكى أبو عبيدة : سفد (بالفتح) وأسفده غيره . والرباب : غيم يتعلق بأسافل السحاب إذا كثر ماؤه .

المعنى — يقول : هم يكتمون معروفهم ، كما يكتم الغراب سفاده ، ثم ذلك لايكتم كما لايخفى السحاب الهاطل .

٣ — الغريب — الجفخ : الفخر ، جفخ : تكبر وفخر ، مثل جخف وجمح ، فهو جفاخ وجماح ، وذو جفخ . والشيم : جمع شيمة ، وهي الخليقة والعلامة . والأغرّ : الأبيض الواضح .

المعنى — هذا على التقديم والتأخير ، تقديره : جفخت بهم شيم ونفرت ، وهم لايفخرون بها ، وشيمهم دلائل على حسبهم الظاهر ، وهو مايعدّ من مآثر الآباء . وقال ابن وكيع فى معنى البيت الأوّل ، وهذا من قول حبيب :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ ... وَطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

٤ — الغريب — يقال : عفّ وعفيف . والحلاحل : السيد العظيم .

المعنى — يقول : هم ورعون ، يشبه ورعهم ورع بعض ، وشابهم عفيف الإزار، كناية عن ترك الزنا ، وعف مثل طب ، وعفيف مثل طبيب . والمعنى: أنهم أهل ورع، كبارهم وصغارهم عفيفون .

يا أُفْخَرُ فإِنَّ النَّاسَ فيكَ ثَلاثَةٌ ... مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلُ(١)
وَلَقَدْ عَلَوْتَ فَمَا تُبَالِي بَعْدَ مَا ... عَرَفُوا: أَيَحْمَدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ(٢)
أُثْنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتَ لِي ... قَصَّرْتَ فَالْإِمْسَاكُ عَنِّي نَائِلُ(٣)
لاَتَجْسُرُ الْفُصَحَاءُ تُنْشِدُ هَهُنَا ... بَيْتاً وَلَكِنِّي الْهِزَبْرُ الْبَاسِلُ(٤)
مَانَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ ... شِعْرِي،وَلاَ سَمِعَتْ بِسِحْرِي بَابِلُ!(٥)

---

١ — المعنى — يريد : ياهذا، افخر ، فحذف المنادى ، كقراءة علىّ بن حمزة: « ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء » ، ويجوز أن يكون جعله تنبيها بمنزلة ألا ، كقول ذى الرمّة :

أَلاَ يا أُسْلَمِي يا دَارَ مَيَّ عَلَى الْبِلَى ... وَلاَ زَالَ مُنْهَلاًّ بِجَرْعائِكِ الْقَطْرُ

ومثله فى الشعر كثير :

المعنى — يقول الناس : فيك ثلاثة أقسام ، إما مستعظم يستعظمك لما يرى من عظمتك ، أوحاسد يحسدك على فضلك ، أو جاهل يجهل قدرك .

٢ — المعنى — يقول : شرفك وعلوّ قدرك قد ظهر ، وعرفه الناس ، فلا تبالى بذمّ الحاسد ، فإنه لايزيدك علوّا ، ولاينقصك من قدرك ؛ ولا بحمد الحامد ، فإنه لايزيدك شرفا . وهومأخوذ من قول الخطيب :

وَما زِلْتَ تُعْطِي النَّفْسَ حَتَّى تَجَاوَزَتْ ... مُنَاهَا ، فَأَعْطِ الْآنَ إِنْ شِئْتَ أَوْ دَعِ

٣ — المعنى — يقول : إمساكك عن إسكاتى نائل منك عندى ، بعد ماعرفت تقصيرى .

٤ — الغريب — الهزبر : الأسد . والباسل : الشديد .

المعنى — يقول : من هيبتك ومعرفتك ، وانتقادك الشعر جيده من رديئه ، لايهجم أحدمن الشعراء الفصحاء على الإنشاد بين يديك ، ولكنى لجودة شعرى أجسر على الإنشاد بين يديك .

قال الواحدى : أجود ماقيل فى هذا قول أبى نصر بن نباتة :

وَيَلُمُّهَا عِنْدَ السُّرَادِقِ هَيْبَةً ... لَوْ سالَمَتْ قَصَبَ الْعِظامِ خَصَائِلِي
نَفَضَتْ عَلَيَّ مِنَ الْقَبُولِ مَحَبَّةً ... قامَتْ بِضَبْعِي فِى الْمَقامِ الْهَائِلِ

٥ — الغريب — بابل : موضع بالعراق، بين الكوفة و بغداد ، وإليه ينسب السحر ، وفيه كان نزول الملكين اللذين ذكرهما الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة .

المعنى — يقول : مانال شعراء الجاهلية شعرى ، كامرئ القيس ، وزهير ، وطرفة ، ولبيد ، وغيرهم ،ولاسمع أهل بابل بسحرى . يصف نفسه بالفصاحة .

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّيَ كَامِلُ[1]

مَنْ لِي بِفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدَّعِي ... أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيَّ فِيهِم بَاقِلُ[2]

---

١ — المعنى — يقول: مذمّة الناقص دلالة على كمالي وفضلي، وذلك لأنّ الناقص أبدا ضدّ الفاضل، وبينهما تباين، وأصل هذا المعنى من قول الطرماح:

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِيَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ

وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللِّئَامِ وَلَا تَرَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

وأخذه مروان بن أبي حفصة، فقال:

مَا ضَرَّنِي حَسَدُ اللِّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ... ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ

وأخذه أبو تمام، فقال:

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ فَضْلُ ابْنِ يُوسُفٍ ... وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُولَعُ

وأخذه ابن المعتزّ، فقال:

مَا عَابَنِي إِلَّا الْحَسُو ... دُ وَتِلْكَ مِنْ إِحْدَى الْمَنَاقِبْ

فأتى أبو الطيب في المعنى بلفظ مخالف للفظ مروان، وأتى أبو تمام بالمعنى في جزء من لفظ مروان، وتمّمه بلفظ من عنده، وأتى ابن المعتزّ بالمعنى في لفظ سوى لفظيهما.

٢ — الغريب — باقل: رجل يوصف بالعيّ من العرب، يضرب به المثل، وذلك أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما، فمرّ بقوم، فقيل له: بكم اشتريته؟ فعيي عن الجواب، ففتح يديه، وفرّق أصابعهما، وأخرج لسانه. يريد: أحد عشر درهما، فأفلت الظبي، فصار مثلا في العيّ. قال حميد الأرقط يهجو ضيفا:

أَتَانَا وَمَا دَانَاهُ سَحْبَانُ وَائِلٍ ... بَيَانًا وَعِلْمًا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ

فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَأَنَّهُ ... مِنَ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بَاقِلُ

المعنى — قال أبو الفتح: باقل لم يؤت من سوء حسابه، وإنما أتى من سوء عبارته، ولو قال: أن يفحم الخطباء فيهم باقل، أو نحو هذا، لكان أسوغ.

قال الواحدي: وليس كما قال، فإن باقلا كما أتى من البيان أتى من الحساب، فإنه لو بنى من سبابته وإبهامه دائرة، ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الظبي، فصحّ قول أبي الطيب في نسبته إلى جهل الحساب. ومعنى البيت يقول: من يكفل لي بفهم أهل عصر يدّعون أن باقلا كان يعلم حساب الهند، مع سوء علمه بالحساب؟ يريد: أنهم جهال، لا يعرفون الجاهل من العالم، ولا الناقص من الفاضل، وصغر الأهل تحقيرا لهم.

وَأَمَا وَحَقِّــكَ وَهْوَ غايَةُ مُقْسِمٍ   لَلْحَقُّ أَنْتَ وَما سِوَاكَ الْباطِلُ[١]

الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصابَكَ طِيبُهُ   وَالْمَاءَ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغاسِلُ[٢]

ما دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسانُ وَقَلَّبَتْ   قَلَماً بِأَحْسَنَ مِنْ نَثاكَ أَنامِــلُ[٣]

---

١ — **الغريب** — مقسم (بكسر السين) : الحلف ، و (بفتحها) : القسم .
المعنى — يقول له و يقسم : إنك الحقّ ، وما سواك الباطل .

٢ — **الإعراب** — روى أبو الفتح (بنصب) الماء ، وهى روايتنا ، وتقديره : أنت إذا اغتسلت الغاسل الماء ، إلا أن انتصابه على هذا ليس على الغاسل ، لأن الصلة لاتعمل فيما قبل الموصول ، كما لا يجوز زيدا أنت الضارب ، ولكنه منصوب بفعل دلّ عليه الغاسل ، أى وتغسل الماء إذا اغتسلت ، وصار قوله : أنت إذا اغتسلت بدلا منه ، ودالا عليه ، ومثله قوله تعالى : «إنه على رجعه لقادر يوم تبلى» ، لأنه إن نصبه بالرجع فهو من صلته ، ولا يفصل بين الصلة والموصول بالخبر ، و إذا لم يمكن حمله فى الإعراب عليه ، وكان المعنى مع ذلك يقتضيه ، أضمر له فعل ينصبه ، دلّ عليه الرجع ، تقديره : يرجعه يوم تبلى السرائر ، يقدّر بعد الخبر . وروى غير أبى الفتح برفع الماء ، عطفا على الطيب . وقال : «أنت» مبتدأ ، «والغاسل» خبره ، والتقدير : الغاسله ، بإرادة الهاء ، إذا اغتسلت ، وإعراب البيت : الطيب مبتدأ ، و «أنت» : مبتدأ ثان ، و «طيبه» : خبر أنت ، وتقديره الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت الغاسله إذا اغتسلت .

المعنى — يريد : أنك أطيب من الطيب ، وأطهر من الماء إذا اغتسلت ، وهو من قول ابن الجويرية :

تَزِينُ الْحَلْيَ إِنْ لَبِسَتْ سُــلَيْمَى   وَتَحْسُــنُ حِينَ تَلْبَسُهَا الثِّيابُ

وكقول الآخر :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْــنَ وُجُوهٍ   كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكِ زَيْناَ

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيبِ طِيباً   أَنْ تَمَسِّيهِ . أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْناَ !

٣ — **الإعراب** — النثا (بتقديم النون) : هو الخبر ، وهو مقصور .
قال أبو الفتح : هو يستعمل فى المدح والذّمّ ، والممدود فى المدح لاغير ، ونثوت الخبر : أظهرته . ونثوا الشىء : أظهروه .
المعنى — يقول : ماتكلم ولا كتب بأحسن من أخبارك . وهذا غاية المدح .

وقال يهجو قوما توعدوه

وهى من الطويل ، والقافية من المتواتر

أَماتَكُمُ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمُ الْجَهْلُ ... وَجَرَّكُمُ مِنْ خِفَّةٍ بِكُمُ النَّمْلُ (١)
وُلَيْدَ أُبَيِّ الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مالَكُمْ ... فَطِنْتُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَما لَكُمُ عَقْلُ (٢)
وَلَوْ ضَرَبَتْكُمْ مَنْجَنِيقِي وَأَصْلُكُمْ ... قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ فَكَيْفَ وَلا أَصْلُ (٣)

---

١ — المعنى — يريد : أنكم موتى بجهلكم قبل مفارقتكم الدنيا ، وإن كنتم أحياء ، ولاقدر لكم ولازنة . فلخفة أحلامكم ، وقلة قدركم وعددكم ، يجركم النمل ، والسفيه : الخفيف العقل ، يوصف بخفة الوزن ، كما أن الحليم الرزين يوصف بثقل الوزن بالجبال وشبهها .

٢ — الإعراب — نصب «وليدا» لأنه نداء مضاف .

الغريب — وليد : تصغير ولد ، وهو هاهنا بمعنى الجماعة . والولد : يقع على الواحد والجماعة ، الذكور والإناث . قال الله تعالى : «فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه» الآية ، ولهذا اختلف القراء فى قوله تعالى فى سورة مريم : « مالا وولدا ، للرحمن أن يتخذ ولدا » ، وفى الزخرف : «ولد» ، فقرأهن حمزة والكسائى (بضم الواو) على الجمع ، وقرأ الباقون (بفتح الواو) ، والمعنى واحد ، واختلفوا فى سورة نوح فى قوله تعالى : « ماله وولده » ، فقرأه (بضم الواو) ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحمزة والكسائى ، والباقون (بفتح الواو) . والولد : جمع ولد ، كأسد وأسد ، ووثن ووثن .

المعنى — يقول : ياوليد أبى الطيب الكلب ، وهو صفة له ، كيف فطنتم إلى الدعوى ، وهو الادعاء فى النسب ، إلى نسب لستم من ذلك النسب ، وأنتم لاعقل لكم تفطنون به ، فكيف فطنتم إلى الادعاء ؟

٣ — الإعراب — رفع «أصلا» لأنه جعل «لا» بمعنى ليس ، كبيت الكتاب قول سعد بن مالك :

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرانِها ... فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لاَ بَرَاحُ

الغريب — المنجنيق : يذكر ويؤنث ، وتفتح ميمها وتكسر ، وهى معربة ، وأصلها بالفارسية «من جى نيك» أى ما أجودنى . قال زفر بن الحرث :

لَقَدْ تَرَكَتْنِي مَنْجَنِيقُ ابْنِ بَحْدَلٍ ... أَحِيدُ مِنَ الْعُصْفُورِ حِينَ يَطِيرُ

قال الفراء : من الناس من يقدرها مفعليل ، لقولهم : كنا نجنق مرة ، ونرشق أخرى . والجمع : منجنيقات .

وقال سيبويه : هى فنعليل ، الميم من نفس الكلمة ، لقولهم فى الجمع : مجانيق ، وفى التصغير : مجينيق ، ولأنها لو كانت زائدة والنون زائدة ، لاجتمعت زائدتان فى أول الاسم ، وهذا لا يكون =

وَلَوْ كُنْتُمُ مِمَّنْ يُدَبِّرُ أَمْرَهُ ... لَمَا كُنْتُمُ نَسْلَ الَّذِى ما لَهُ نَسْلُ(١)

وقال

وقد جعل أبو محمد بن طغج يضرب بكمه البخور ويقول سوقا إلى أبى الطيب

وهى من البسيط ، والقافية من المتواتر

يا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْفَعالِ ... وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْمَقَالِ(٢)

إِنْ قُلْتَ فى ذَا الْبَخُورِ سَوْقًا ... فَهٰكَذَا قُلْتَ فِي النَّوَالِ(٣)

وقال

وقد بلغه أن إسحاق بن كَيَغْلَغَ يتهدّده وهو ببلاد الروم ، وكان أبو الطيب بدمشق

وهى من الطويل ، والقافية من المتواتر

أَتانِى كَلامُ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيَغْلَغٍ ... يَجُوبُ حُزُونًا بَيْنَنا وَسُهُولا(٤)

= فى الأسماء ولا الصفات التى ليست على الأفعال المزيدة ، ولوجعلت النون من نفس الكلمة صار الاسم رباعيا ، والزيادات لا تلحق بنات الأربعة أوّلا إلا الأسماء الجارية على أفعالها ، نحو مدحرج .

المعنى — لوضربتكم منجنيق . يريد : هجاءه ، أى لوضربتكم بهجائى ، وأصلكم قوىّ لكسرتكم وأهلكتكم ، فكيف تكونون ولا أصل لكم معروف !

١ — المعنى — يقول : لو أنكم تعقلون وتفهمون ، لما كنتم تنتسبون إلى من يعرف أنه لا نسل له ولا عقب ، فقد ظهرت دعواكم بهذا الانتساب ، وأنكم كذبتم فيما ادّعيتم ، وهو يهجو قوما يزعمون أنهم شرفاء .

٢ — المعنى — يقول : أنت أكرم الناس فى كلّ ماتفعل ، وأفصحهم فى كلّ ماتقول ، لأنك أفضلهم .

٣ — الغريب — قلت بمعنى أشرت ، يقال : قال بكمه ، أى أشار ، وقال برأسه نعم ، أى أشار . والنوال : العطاء .

المعنى — إن أشرت إلىّ بالبخور ، وهى الرائحة الطيبة تسوقها إلىّ ، فهكذا تفعل فى العطاء لى . والبخور (بفتح الباء) لاغير ، والعامّة تضمها وهو خطأ ، وفى جمعه : أبخرة ، كما يقال فى جمع البخار : أبخرة ، فهما يجتمعان فى الجمع ، ويفترقان فى الإفراد .

٤ — الغريب — الحزن : الأرض الصعبة الوعرة . والسهول : جمع سهل ، وهى الأرض الطيبة اللينة . يجوب : يقطع الأرض .

المعنى — يقول : أتانى وعيده من مسافة بعيدة بيننا .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ ... وَبَيْنِي سِوَى رُمْحِي لَكَانَ طَوِيلا(١)

وَإِسْحٰقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ ... وَلَكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلا(٢)

وَلَيْسَ جَمِيلاً عِرْضُهُ فَيَصُونَهُ ... وَلَيْسَ جَمِيلاً أَنْ يَكُونَ جَمِيلاً(٣)

وَيَكْذِبُ، مَا أَذْلَلْتُهُ بِهِجَائِهِ ... لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهِجَاءِ ذَلِيلا(٤)

وقال يمدح أبا العشائر الحمدانى

وهى من المنسرح، والقافية من المتراكب

لَا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلَا طَلَلَهْ ... أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ(٥)

---

١ — الغريب — صفراء : اسم أمّه . وقال ابن فورجة : صفراء ، كناية عن الاست ، والعرب تنسب الرجل إلى الاست .

المعنى — هو على البعد يوعدنى ، ولو كان بينى و بينه قدر رمحى لكان مابيننا طويلا ، لأنه لايتمكن من الوصول إلىّ لجبنه ، ولا يقدر على الإقدام علىّ .

٢ — المعنى — يقول : إسحاق بن كيغلغ مأمون على من أهانه ، ولكنه يتسلى بالبكاء عن إهانة من أهانه ، ولا يأوى فى الحرب لنا إلى غير البكاء ، فهو لم يزل يتسلى بالبكاء .

٣ — المعنى — يقول: الجيل يصلح أن يجمل و يصان، وعرضه ليس بجميل ، فلا يحسن أن يجمل.

٤ — المعنى — يقول : إن قال إنه ذل بالهجاء لقد كذب ، بل كان من قبل هجائى له ذليلا حقيرا.

٥ — الغريب — الربع : المنزل صيفا وشتاء . والطلل : ماشخص من آثار الديار . والحىّ : الجماعة النازلون والراحلون . وحسب : مستقبله يجوز (الكسر والفتح) فى سينه ، والأفعال السالمة التى قد جاءت فى الماضى (بكسر العين) تكون فى المستقبل (بالفتح) نحو علم يعلم، إلا أربعة أفعال، فإنها جاءت نوادر ، مثل حسب يحسب ، و يبس ييبس ، و يئس ييئس ، ونعم ينعم . فإنها جاءت من السالم (بالكسر والفتح) . وجاء من المعتلّ الماضى والمستقبل (بالكسر): ومق يمق ، ووفق يفق ، ووثق يثق ، وورع يرع ، وورم يرم ، وورث يرث ، وورى الزند يرى، وولى يلى . وحسب يحسب (بالفتح) لغة فصيحة ، و بها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة كلّ فعل مستقبل فى القرآن .

المعنى — يقول : لاتحسبوا ربعكم أوّل قتيل قتله فراقكم ، فإنكم قد قتلتم نفوسا كثيرة ، وأطلالا كثيرة ، إذ رحلتم عنها، وخلت منكم، فجعل رحيلهم عن الربع موتا له، لأنه زال جماله عنه بزوالهم ، والأمكنة إنما حياتها بالعمارة ، فإذا خلت من العمارة ، فهى ميتة ، ولهذا قيل : من =

قَدْ تَلِفَتْ قَبْـــلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ ... وَأَكْثَرَتْ فِى هَوَاكُمُ الْعَذَلَهْ(١)

خَلاَ وَفِيهِ أَهْـــــلٌ وَأَوْحَشَنَا ... وَفِيـــهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ إِبلَهْ(٢)

لَوْ سَارَ ذَاكَ الْحَبِيبُ عَنْ فَلَكٍ ... مَارَضِىَ الشَّـــمْسَ بُرْجُهُ بَدَلَهْ(٣)

أُحِـــبُّهُ وَالْهَوَى وَأَدْؤُرَهُ ... وَكُلُّ حُبٍّ صَـــبَابَةٌ وَوَلَهْ(٤)

أحيا مواتا . يريد : أرضا خرابا فعمرها، وسمى الداثر الخراب مواتا، فلقد أحسن أبوالطيب فى هذا المعنى ، بذكره قتل الربع بالخلوّ عنه .

١ — الغريب — العذلة : جمع عاذل وعذول .

المعنى — يقول : قبل قتلكم الربع أتلفتم نفوس العشاق بالبعد والهجر ، وأكثر العاذلون العذل فى هواكم ، لما رأوا من التهالك فيكم .

٢ — الغريب — الصرم : الجماعة من البيوت بمن فيها . وجمعه : أصرام . والصرمة (بالهاء) : القطعة من الإبل . ومروح إبله : من المرعى .

المعنى — يقول : ربعهم قد خلا منهم ، وإن كان قد حله ناس بعدهم ، فهو موحش خال ، لارتحال الأحبة عنه ، فهو خال فى حقّ المحبّ وموحش له ، وإن كان فيه جماعة من الناس تروح عليهم الإبل ، فكأنه قفر لاأحد فيه .

٣ — الإعراب — الضمير فى « برجه » للحبيب ، تقديره : لو سار الحبيب عن برج من بروج السماء ، لم يرض برجه الشمس تحله بدلا منه ، ورضى : بمعنى اختار وأحبّ ، فلذلك عداه بغير حرف الجر.

المعنى — يقول : هذا الحبيب بجماله لو سار عن فلك ، لما اختار الشمس عوضا عنه ، لأنه لايقوم فى المنزل مقامه غيره .

٤ — الإعراب — والهوى ، يجوز أن يكون فى موضع نصب ، عطفا على الضمير المنصوب فى قوله : «أحبه» ، ويجوز أن يكون فى موضع خفض على القسم ، كقول الآخر :

* أَمَا وَالْهَوَى النَّجْدِىِّ أَعْظَمِ حِلْفَةٍ *

وأدؤره ، عطف على الضمير المنصوب فى « أحبه » ، وهى جمع دار ، واختار المازنى الهمز ، لأجل ضمة الواو .

الغريب — الصبابة : رقة الشوق . والوله : ذهاب العقل .

المعنى — يقول : أنا أحبه ، يعنى الحبيب الراحل عن الربع ، وأحبّ دوره . والحبّ : هو رقة شوق ، وذهاب عقل .

يَنْصُرُهَا الْغَيْثُ وَهِىَ ظَامِئَةٌ ... إلى سِوَاهُ وَسُحْبُهَا هَطِلَهْ(١)

وَاحَرَبَا مِنْكِ يَا جَدَايَتَهَا ... مُقِيمَةً فَاعْلَمِى وَمُرْتَحِلَهْ!(٢)

لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا ... وَلَسْتِ فِيهَا لَخِلْتُهَا تَفِلَهْ(٣)

أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْـ ... ـبَاحِثِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ(٤)

---

١ — الغريب — أرض منصورة : إذا أصابها المطر . قال كثير :

* نَصَرَ الْغَيْثُ مُنْتَأَى أُمِّ عَمْرٍو *

وأنشد الفراء :

مَنْ كَانَ أَخْطَأَهُ الرَّبِيعُ فَإِنَّمَا ... نُصِرَ الْحِجَازُ بِغَيْثِ عَبْدِ الْوَاحِدِ

والهطل والهطال والهاطل : واحد ، وهو الكثير السكب .

المعنى — يقول : السحب تسقيها ، وهى عطشانة إلى الحبيب الذى سار عنها ، فعطشها إلى غير المطر ، وهو الحبيب الذى كان يحلها .

٢ — الإعراب — نصب «مقيمة» على الحال .

الغريب — الجداية (بكسر الجيم وفتحها) : ولد الظبى . والحرب : الهلاك ، فإذا وقع الرجل فى الهلاك قال : واحربا !

المعنى — يقول : واحربا منك ياظبية هذه الدار ، أقمت أو رحلت . فرحيلك حائل بينى وبينك . وإذا أقمت منعت من الوصول إليك . فمقامك كرحيلك ، فأنت تهجرين عند الإقامة ، وتفارقين عند الرحيل ، فقربك وبعدك سيان .

٣ — الإعراب — الضمير المذكور فى البيت الثالث قبل هذا .

الغريب — العبير : يقال للزعفران ، وقيل أخلاط تجمع من الطيب . والتفلة : المتغيرة الريح . وامرأة متفال ، وهى ضد العطرة .

المعنى — يقول : لم تطب الديار إلا بالمحبوب ، فإذا خلت منه ، ولو خلطت بأصناف الطيب ، كانت عندى كريهة الريح ، لبعده عنها ، وإنما تطيب إذا كان الحبيب بها ، والسجن مع الحبيب طيب :

* سَمُّ الْخِيَاطِ مَعَ الْأَحْبَابِ مَيْدَانُ *

٤ — الغريب — بحثت عن الشىء ، وابتحثت عنه ، أى فتشت عنه . وفى المثل : كالباحث عن الشفرة . والنجل : الولد والنسل . ونجله أبوه ، ويقال : قبح الله ناجليه . وفرس ناجل : إذا كان كريم النجل .

=

وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيَلَهُ (١)
فَخْرًا لِعَضْبٍ أَرُوحُ مُشْتَمِلَهْ وَسَمْهَرِيٍّ أَرُوحُ مُعْتَقِــلَهُ (٢)

= المعنى — يقول : إنه فوق أبى الذى يفتش عن نسبه ، إلا أن صنعة الشعر لإقامة الوزن ألجأته إلى هذا النظم . ومثله فى النظم :

قَالَتْ مَنَ أَنْتِ عَلَى ذُكَرٍ ؟ فَقُلْتُ لَهَا : أَنا الَّتِى أَنْتِ مِنْ أَعْدَائِهَا زَعَمُوا

والمعنى : أنا فوق قوم يفتشون عن نسبى ، وأراد ببعضه الولد ، لأن الولد بعض الوالد .

١ — الغريب — نافرنى فنفرته ، وأصل المنافرة : أن الرجلين من العرب كانا يحتكمان فى الجاهلية إلى من عرف بالرياسة والفضل والصدق ، فيقولان له : أىّ نفرينا أفضل ؟ ، فاذا فضل أحدهما الآخر ، فالمغلوب منفور ، والغالب نافر ، ونافره ينفره (بالضم) لاغير . قال الأعشى يمدح عامر ابن الطفيل فى منافرة علقمة بن علاثة إلى هرم بن سنان المرّى :

بانَ الَّذِى فِيــهِ تَمَارَيْتُمَا وَاعْــتَرَفَ الْمَنْفُورُ لِلنَّافِــرِ

وقوله «أنفدوا» ، أى أفنوا . والنفاد : الفناء . قال الله تعالى : « لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى . ماعندكم ينفد وما عند الله باق » .

المعنى — يقول : إنما يذكر الأجداد والآباء للمفاخرين من غلبوه بالفخر ، ولم يجد حيلة ، فافتخر بالآباء ، فيحتاج الى الفخر بجدوده من لافخر له ، ولا فضيلة فى نفسه ، فيحتاج إلى فضيلة آبائه ، وقد كرّر هذا المعنى . أنه يفخر بنفسه لابقومه ، لأن فضله كان مشهورا ، ولم يكن له شرف من قومه ، فلهذا كرّر هذا المعنى .

٢ — الإعراب — فخرا : نصبه على المصدر ، أى أفخر فخرا ، ويجوز أن يكون بإضمار «فعلت» من غير لفظه ، وصرع فى البيت ، وقال «مشتمله» ، والأجود لوكان قال مشتملا به ، إلا أنه حذف حرف الجرّ كبيت الكتاب :

* أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ *

وكقوله تعالى : «واختار موسى قومه» ، أى من قومه .

الغريب — العضب : السيف . والسمهرى : الرمح . والاشتمال : أن يتقلد السيف ، فتكون حمائله على منكبه ، كالثوب الذى يشتمل به .

وقال أبو الفتح : أخذه فى الشمال ، لأن السيف يقلد من ناحيتها . واعتقل الرمح : إذا ضمه إليه ، وربما جعله تحت فخذه ، وهو مأخوذ من عقلت الشىء : إذا حبسته .

المعنى — يقول : سيفى ورمحى يفخران بى ، لا أفخر بهما ، والفخر تحتى وفوقى ، فكأنى مرتد ومنتعل به . وقد بينه فيما بعده ، وأراد أنه منغمس فى الفخر وحده .

وَلْيَفْخَرِ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ مُرْتَدِيًا خَــيْرَهُ وَمُنْتَعِلَه (١)
أَنَا الَّذِى بَيَّنَ الْإِلٰهُ لَهَ الْـــأَقْدَارَ وَالْمَرْءُ حَيْثُمَا جَعَــلَه (٢)
جَوْهَرَةٌ يَفْرَحُ الْـكِرَامُ بِهَا وَغُصَّةٌ لا تُسِيغُهَا السَّفَــلَه (٣)
إِنَّ الْـكِذَابَ الَّذِى أُكَادُ بِهِ أَهْوَنُ عِنْدِى مِنَ الَّذِى نَقَلَه (٤)

١ — المعنى — يريد : أن الفخر يفخر به ، حيث صار فوقه وتحته ، فصار رداء على منكبه ونعلا فى رجله .

٢ — المعنى — يريد : أنه بين الله له مقادير الناس فى الفضل ، فهو يصف كلّ أحد بما فيه قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى فى بيان الأقدار له أن من أحسن إليه وأكرمه دل على مروءته ، وميله إلى ذوى الفضـل ، ومن استخفه ولم يبال به، دلّ ذلك على خبثه ، وخسة قدره ولؤمه ، كما قال البحترى :

وَإِنَّ مُقَامِى حَيْثُ خَيَّمْتَ مِحْنَــةٌ تَدُلُّ عَلَى فَهْمِ الْـكِرَامِ الْأَجَاوِدِ

ويدلّ على صحة هذا المعنى قوله «والمرء حيثما جعله» ، أى حيث جعل نفسه ، فمن صان نفسه، ورفع قدرها، رفع الناس قدره ، ومن تعرضّ للهوان هين ، كما قال :

إِذَا مَا أَهَانَ امْرُؤٌ نَفْسَــهُ فَلَا أَكْرَمَ اللهُ مَنْ أَكْرَمَهْ

ويجوز أن يكون «والمرء حيثما جعله الله» ، أى لا يقدم أحد منزلته التى وضعه الله بها .

٣ — الإعراب — جوهرة ، يجوز أن يكون بدلا من الذى بعد تمام صلته ، ويجوز أن يكون خبر مبتدإ محذوف ، أى أنا جوهرة .

الغريب — الغصة : ما يغصّ به الإنسان فلا يسيغه . والسفلة : جمع سافل، وهو الدنىء من الناس ، ككاتب وكتبة . والسفلة : السقاط .

المعنى — يقول : أنا جوهرة يفرح بى كرام الناس ، لأنى أمدحهم بما فيهم من الفضائل وأنا غصة فى حلوق اللئام، لا يقدرون على إساغتى ، لأنى أقول فيهم ما أذلهم به عند الناس .

٤ — الغريب — الكذاب : مصدر كذب ، يقال : كذبه كذبا وكذبا وكذابا ، فهو كاذب وكذّاب ، وكذوب وكيذبان ومكذبان ، ومكذبانة وكذبة ، وكذبذب ، مخففة ومشدّدة . قال حريبة بن الأشيم :

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّنِى قَدْ بِعْتُهَــا بِوِصَالِ غَانِيَةٍ فَقُلْ كُذَّبْذَبْ

والكذب : جمع كاذب ، مثل راكع وركع . قال أبو دواد :

فَلاَ مُبَالٍ ، وَلاَ مُدَاجٍ ، وَلاَ فَانٍ ، وَلاَ عَاجِزٌ ، وَلاَ تُكَلَه[١]
وَدَارِعٍ سِفْتُهُ فَخَرَّ لَقًى فِى الْمُلْتَقَى وَالْعَجَاجِ وَالْعَجَلَه[٢]
وَسَامِعٍ رُعْتُهُ بِقَافِيَةٍ يَحَارُ فِيهَا الْمُنَقِّحُ الْقُوَلَه[٣]

مَتَى يَقُلْ تَنْفَعِ الْأَقْوَامَ قَوْلَتُهُ إِذَا اضْمَحَلَّ حَدِيثُ الْكُذُبِ الْوُلَعَهْ

والكذب : جمع كذوب ، مثل صبور وصبر ، وقرأ الحسن : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب » نعتا للألسنة . وقوله : « وكذّبوا بآياتنا كذّابا » : هو أحد المصادر المشددة ، لأن مصدره قد يجىء على تفعيل مثل التكليم ، وعلى فعال مثل كذاب ، وعلى تفعلة مثل توصية ، وعلى مفعل مثل : « ومزّقناهم كلّ ممزّق » . وقد شدّده القراء كلهم ، ولم يختلفوا فيه إلا الثانى ، فإن الكسائى خففه .

المعنى — يقول لقوم وشوابه إلى أبى العشائر : ذلك الكذب أهون عندى من راويه وناقله ، لا أبالى به ، ولا بمن رواه ونقله . وأكاذبه : أقصد به على وجه الكذب .

١ — الغريب — المداجى : الساتر الخادع ، وهو مفاعل من الدجى ، وهى الظلمة . والفانى : الكبير السنّ الذى أفنته الأيام ، ويروى «وان» ، أى مقصر فى أمرى . والتكلة : الذى يكل أمره إلى غيره ، وأصله وكلة ، فقلبت الواو تاء ، وأصله الضعيف ، وذمّت امرأة من العرب زوجها فقالت : وكلة تكلة .

المعنى — يقول : لا أبالى ، ولا أداجى ، ولا أتوانى فى أمرى ، ولا أضعف ، ولا أعجز عن مكافأة من كافأنى بخير أو شرّ ، ولا أنا ضعيف أكل نفسى إلى غيرى .

٢ — الغريب — سفته : ضربته بالسيف . واستاف القوم وتسايفوا : إذا تضاربوا بسيوفهم . والمسيف : الذى معه السيف ، فإذا ضرب به فهو سائف ، سافه يسيفه ، فهو سائف . والدارع : لابس الدرع . واللقى : الشىء المطروح : والعجلة : من الاستعجال الذى يكون من الضارب ، والطاعن فى الضرب والطعن ، ويجوز أن يكون بمعنى الثكل ، من قولهم : ناقة عجول ، إذا فقدت ولدها . ومنه قول الشاعر :

إِذَا مَادَعَا الدَّاعِى عَلِيًّا وَجَدْتُنِى أُرَاعُ كَمَا رَاعَ الْعَجُولَ مُهِيبُ

ويجوز أن يكون بمعنى الطين . قال قطرب وثعلب : « خلق الإنسان من عجل » ، أى من طين .

المعنى — يقول : ربّ دارع ضربته بالسيف ، فتركته مطروحا كالشىء الملقى فى وقت التقائنا .

٣ — الغريب — رعته : أخفته . ويحار : يتحير . والقافية : القصيدة . والمنقح : الذى يهذّب القول ويختاره . والقولة : الجيد القول . رجل قؤول ومقوال وتقوالة : إذا أجاد القول .

المعنى - يقول : ربّ سامع أخفته بقافية من شعرى ، يتحير من حسنها المهذّب ألفاظه ، القؤول الفصيح ، فلا يدرى ما يقول إذا سمعها .

وَرُبَّمَا يَشْهَدُ الطَّــــعامَ مَعِي مَنْ لا يُساوِي الْخُبْزَ الَّذِي أَكَلَهُ[١]
وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَهُ[٢]
مُسْتَحْيِياً مِنْ أَبِي الْعَشَائِرِ أَنْ أَسْحَبَ فِي غَـــيْرِ أَرْضِهِ حُلَلَهُ[٣]
أَسْحَبُهَا عِنْـــدَهُ لَدَى مَلِكٍ ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيسِهِ وَجِلَهْ[٤]
وَبِيضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ أَوَّلُ مَحْمُولِ سَيْبِهِ الْحَمَلَهْ[٥]
مَالِيَ لا أَمْدَحُ الْحُسَــيْنَ وَلاَ أَبْذُلُ مِثْلَ الْوُدِّ مِثْــــلَ مَا بَذَلَهْ[٦]

---

١ — الإعراب — روى الخوارزمى : أشهد ، فيكون على هذه الرواية . « ومعى » ، وهى واو الحال حذفها ، كما تقول : مررت بزيد على يده باز ، ومن روى «يشهد» فهو أحسن وأجود .

المعنى — يقول : هــذا فى رجل أوصله يعرف بالمســعودى إلى أبى العشائر ، فصار نديما له ، وصار يتناوله عند أبى العشائر ، ويقع فيه ، فهذا كله تعريض به .

٢ — هذا من قول جميل :

إِذَا مَا رَأَوْنِي طَالِعًا مِنْ ثُنَيَّةٍ يَقُولُونَ مَنْ هَــذَا وَقَدْ عَرَفُونِي

٣ — الإعراب — يقول : إنما أفعل ذلك مستحييا ، فهو حال ، العامل فيها مقدّر .

الغريب — حلله : جمع حلة . وأصل الحلة أن تكون ثوبين .

المعنى — يقول : إنما أقمت مع الأعداء فى بلد ، لأنى أستحيي من أبى العشائر أن ألبس خلعته فى غير بلده ، وفيه نقص عن مدح غيره ، كقوله :

* إِنَّ الْبِلاَدَ وَإِنَّ الْعَالَمِينَ لَـكَا *

لأنه جعل البلاد والناس لذاك ، وجعل لأبى العشائر أرضا محدودة .

٤ — الغريب — الوجل : الخائف الفزع .

المعنى — يقول : ثيابه فزعة خائفة أن يعطيها جليسه ، فهى لاتشتهى أن تفارقه لشرفها به .

٥ — الغريب — السيب : العطاء . والنائل : العطاء (أيضا) .

المعنى — يقول : هو يهب معروفه ، ومن يحمله من غلمانه ، فيقول : أوّل ما حمله إليك من العطاء الذين يحملونه ، وجعلهم محمولين وإن كانوا حاملين ، لأنهم اشتملت عليهم الهبة مع المحمول ، فصاروا كأنهم محمولون .

٦ — الإعراب — يريد : من الودّ ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام ، «وما» ههنا : بمعنى التقرير والتوبيخ .
=

أَأَخْفَتِ الْعَيْنُ عِنْدَهُ خَبَرًا أَمْ بَلَغَ الْكَيْذَبانُ مَا أَمَلَه؟[1]
أَلَيْسَ ضَرَّابَ كُلِّ جُمْجُمَةٍ مَنْخُوَّةٍ سَاعَةَ الْوَغَى زَعِلَه[2]
وَصَاحِبَ الْجُودِ مَا يُفَارِقُهُ لَوْ كَانَ لِلْجُودِ مَنْطِقٌ عَذَلَه[3]
وَرَاكِبَ الْهَوْلِ مَا يُفَتِّرُهُ لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزَمٌ هَزَلَه[4]
وَفَارِسَ الْأَحْمَرِ الْمُكَلَّلِ فِى طَيِّئٍ الْمُشْرِعِ الْقَنَا قِبَلَه[5]

المعنى — يعاتب نفسه و يوبخها . يقول : مالى لا أمدح أبا العشائر الحسين ، ومالى لا أبذل له من الودّ مثل الذى بذل لى ، وجعله يودّه كالصديق تفخيما لنفسه .

١ — الغريب — يقال : أمل خيره يأمله أملا ، وكذا التأميل ، أى رجاه . قال الشاعر :

أَمَّلْتُ خَيْرَكَ يَأْتِينِى مَوَاعِدُهُ فَالْآنَ قَصَّرَ عَنْ تِلْقَائِكَ الْأَمَلُ

وقال ذوالرمّة :

إِذَا الْبَيْنُ أَخْلَى مِنْ شِتَاءٍ عَنِ النَّوَى أَمَلْتُ اجْتِمَاعَ الْحَىِّ فِى صَيْفِ قَابِلِ

والكيذبان : الكذاب ، وقد بيناه قبل هذا ، ويجوز أن يكون العين الرقيب،وأنث على اللفظ .

المعنى — يقول : أكذبتنى عينى فيما أدّت إلىّ من محاسنه ، أم وجد الكاذب فرصة ؟ فغير مابيننا ؟ وإن أراد الرقيب فالمعنى : هل أخفى الرقيب خبرا من أخبارى فى حبى له وميلى إليه ؟ وهو استفهام إنكار . يريد : ليس الأمر على هذا ، ودلّ عليه قوله بعده : [أليس] .

٢ — الإعراب — ضراب : خبر ليس ، والاسم مضمر فيها ، أى أليس هو .

الغريب — الجمجمة : الرأس . والمنخوة : التى لها نخوة . نخا الرجل ينخو : إذا تكبر وأخذته النخوة ، ولا يقال : نخوت زيدا، إنما يسند الفعل إلى المفعول دون الفاعل . والزعلة : البطرة الأشرة . والزعل : النشاط والبطر . وأزعلت الرجل : أبطرته .

المعنى — يقول : أليس أبو العشائر ضراب كلّ رأس متكبر بطر فى يوم الوغى ؟

٣ — المعنى — يقول:هوجواد،فكأن الجود رفيقه لايفارقه ، فلوقدر على النطق لعذله على إسرافه.

٤ — الغريب — الهول : الأمر العظيم الشديد . والجمع : أهوال . وهزله : أفناه .

المعنى — يقول الهول لايفنيه ، وإن كثر ركوبه إياه ، فقد تعوّد الخوض فى الأهوال .

٥ — الإعراب — المشرع : نعت للمكال . «والقنا» فى موضع خفض بالإضافة إليه ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع ، كقولك : مررت بالرجل المكرم الأب ، وكقولك بالرجل الحسن الوجه (بالرفع والخفض) والبصريون يقدّرون مع الرفع له أومنه ، والكوفيون يقدّرونه المكرم أبوه ، والحسن وجهه، ويجوز النصب فى الأب والوجه على التشبيه به بالمفعول ، لأنه معرفة لايجوز حمله=

لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خُيُولُهُمُ   أَقْسَمَ بِاللهِ لا رَأَتْ كَفَلَه[1]

فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وَأَصْغَرَهُ   أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الَّذِى فَعَلَه[2]

= على التميز ، وجاز أن يكون نعتا للمكال لرجوع الهاء إليه ، وذكر القنا لأن كل جمع بينه وبين واحده الهاء ، يجوز تذكيره وتأنيثه ، كتمرة وتمر ، وشعيرة وشعير ، ونخلة ونخل ، وشجرة وشجر ، وقناة وقنا .

الغريب — الأحمر : فرسه الذى ركبه فى وقعة أنطاكية . والمكال : الجاد ، يقال حمل فكال ، أى مضى قدما ولم يحجم، وأنشد الأصمعى :

خَشْمُ عِرْقِ الدَّاءِ عَنْهُ فَقَضَبْ   تَكْلِيلَهُ اللَّيْثَ إِذَا اللَّيْثُ وَثَبْ

وقد يكون كال بمعنى جبن ، يقال : حمل فما كال ، أى فما كذب ولا جبن ، كأنه من الأضداد . وأنشد أبو زيد لجهم بن سبل :

وَلا أُكَلِّلُ عَنْ حَرْبٍ مُجَاحَةٍ   وَلا أُخَدِّرُ لِلْمُلْفِينَ بِالسَّلَمِ

وانكلّ الرجل انكلالا : تبسم . قال الأعشى :

وَتَنْكَلُّ عَنْ غُرٍّ عِذَابٍ كَأَنَّها   جَنَى أُقْحُوَانٍ نَبْتُهُ مُتَنَاعِمُ

المعنى — يريد : أليس هو فارس الفرس الأحمر ، الجادّ النشيط فى جماعة طيء ، وقد أشرعت القنا نحوه ؟

١ — المعنى — لما قابلهم بوجهه فى حومة الوغى، أقسم أنه لا يرجع عنهم، حتى لا يبقى منهم أحد . وهو من قول الآخر :

حَتَّى يَظُنُّوهُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ قَفًا   وَأَنَّهُ رَاكِبٌ طِرْفًا بِلاَ كَفَلِ

٢ — الإعراب — قال أبو الفتح : تمّ الكلام عند قوله «وأصغره» . واستأنف : أكبر، أى هو أكبر .

الغريب — أكبرت الشىء : إذا استكبرته . قال الله تعالى : «فلما رأينه أكبرنه» .

المعنى — قال الواحدى : قال أبو الفتح : استكبروا فعله ، واستصغره هو، ثم استأنف فقال : أكبر من فعله الذى فعله ، أى هو أكبر من فعله .

قال العروضى فيما أملاه على هذا التفسير : لا يكون مدحا ، لأن من المعلوم أن كلّ فاعل أكبر من فعله ، والخالق تعالى ذكره فوق المخلوقين ، وقالوا : إن خيرا من الخير فاعله ، وإن شرّا من الشرّ فاعله . ومعنى البيت : أن الناس استكبروا فعله، واستصغره هو، فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله ، كما تقول : أعطانى فلان كذا وكذا واستقله ، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه ، ثم العجب أنه غلط فى صناعة هو إمامها المقدّم فيها ، وذلك أن الذى يصلح أن يكون =

الْقَائِلُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلاَ ... بَعْضُ جَمِيلٍ عَنْ بَعْضِهِ شَغَلَه (١)

فَوَاهِبٌ وَالرِّمَاحُ تَشْجُرُهُ ... وَطَاعِنٌ وَالْهِبَاتُ مُتَّصِلَه (٢)

وَكُلَّمَا آمَنَ الْبِلاَدَ سَرَى ... وَكُلَّمَا خِيفَ مَنْزِلٌ نَزَلَه (٣)

وَكُلَّمَا جَاهَرَ الْعَدُوَّ ضُحًى ... أَمْكَنَ حَتَّى كَأَنَّهُ خَتَلَه (٤)

يَحْتَقِرُ الْبِيضَ وَاللِّدَانَ إِذَا ... شَنَّ عَلَيْهِ الدِّلاَصَ أَوْ نَثَلَه (٥)

= بمعنى من ، و بمعنى ما ،كما تقول : رأيت الذى دخل، ورأيت الذى فعلت ، وكان يجب أن يذهب فى هذا إلى «ما» ، فذهب إلى «من» ففسد المعنى . وروى الخوارزمى:وأصغره (بالرفع) . يريد : وأصغر فعله أكبر مما استعظموه .

١ — الغريب — الكميل : الكامل . أنشد سيبويه :

عَلَى أَنَّنِى بَعْدَ مَاقَدْ مَضَى ... ثَلاَثُونَ لِلْهَجْرِ حَوْلاً كَمِيلا

وكمل(بفتح العين وضمها) يكمل (بالضم) فى مستقبلهما ، وكمل (بكسر العين) يكمل (بالفتح) لاغير.

المعنى — يقول : هو القائل القول الصواب المطاع ، الواصل بالعطاء الكامل الفعال ، لايشغله فعل جميل عن فعل غيره .

٢ — الغريب — تشجره : تنفذ فيه وتخالطه . ومنه بيت الحماسة :

يُذَكِّرُنِى «حَامِيمَ» وَالرُّمْحُ شَاجِرٌ ... فَهَلاَّ تَلاَ « حَامِيمَ » قَبْلَ التَّقَدُّمِ

والهبات : جمع هبة .

المعنى — قال أبو الفتح : هو واهب ، والرماح تدخل فيه ، وأصحاب الرماح تطعنه ، ويجوز أن يكون الفعل للرماح على المجاز ، كقولك : ليل نائم ، ينام فيه . ورمح طاعن ، يطعن به ، أى لايشغله الحرب عن الجود ، والهبات عن القتال .

٣ — المعنى — يقول : إذا خيف مكان نزله لبأسه ، وقوّته وشجاعته .

٤ — الغريب — الختل : الأخذ خدعة على بغتة .

المعنى — يقول : كلما حارب أعداءه جهارا ، تمكن منهم ، وظفر بهم ، حتى كأنه خادعهم ، وأتاهم بغتة .

٥ — الغريب — البيض : جمع بيضة ، وهى المغافر والخوذ التى تجعل على الرءوس . واللدان : جمع لدن ، وهى الرماح اللينة . وشنّ : صبّ . ومنه: شنوا علىّ التراب شنا ، أى صبوه، فى حديث =

قَدْ هَذَّبَتْ فَهْمَهُ الْفَقَاهَةُ لِى ... وَهَذَّبَتْ شِعْرِىَ الْفَصَاحَةُ لَه (١)

فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِدًا يَدَهُ ... لا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلُّ مَنْ حَمَلَه (٢)

= عمرو بن العاص . والدلاص : الدروع البرّاقة . وشنّ درعه : صبها . ونثل درعه : ألقاها عنه ، وهو مأخوذ من نثلت تراب البئر نثلا ، أى استخرجته منها .

المعنى — هو يحتقر المغافر والرماح على رواية من روى البيض (بفتح الباء) ، وهى الخود ، وليست برواية جيدة ، والصحيح كسر الباء ، وهى السيوف ، وإنما ذكرناها حتى لانخلّ برواية صالحة كانت أو فاسدة . والمعنى : يحتقر السيوف والرماح ، دارعا كان أو حاسرا .

قال أبو الفتح : ذكر الدروع بقوله « نثله » ضرورة ، أو يكون ذهب إلى البدن .

وقال الواحدى : لو قال نسله بمعنى نزعه لكان أمدح ، لأن المعنى : يحتقر السيوف والرماح حاسرا ودارعا . يعنى : رواية البيض (بفتح الباء) أنه يحتقرها أن يلبسها فى الحرب ، وكذا الدروع والرماح ، فلا يقاتل بها لشجاعته وإقدامه ، وإنما يقاتل بالسيوف ، فهو يحتقر هذه الأشياء أن يستعملها فى حروبه .

١ — الغريب — الفقه : الفهم . قال أعرابى لعيسى بن عمر : شهدت عليك بالفقه . تقول : فقه الرجل (بكسر العين) ، وفلان لايفقه (بالفتح) ، وأفقهتك الشىء ، ثم خصّ به علم الشريعة ، والعالم به : فقيه . وقد فقه (بالضمّ) فقاهة ، وفقهه الله ، وتفقه : إذا تعاطى ذلك ، وفاقهته : إذا باحثته فى العلم .

المعنى — يقول : فهمه وفقاهته هذبت لى فهمه ، فهو يفهم شعرى ، ويعرف جيده ؛ وفصاحتى هذبت شعرى له ، فأنا أحمله إليه فصيحا ، لأنى فصيح قادر على الفصاحة .

٢ — المعنى — يقول : أنا أحمده كما يحمده السيف ، لأنه لايضرب إلافى مضرب قاتل ، والسيف ليس يحمد كلّ حامل ، فصرت أحمده حمد سيفه له .

وقال أبو الطيب

واستأذن كافوراً فى المسير إلى الرملة ليخلص مالا ، فقال : نحن نبعث فى خلاصه ونكفيك .

وهى من الوافر ، والقافية من المتواتر

أَتَحْلِفُ لا تُكَلِّفُنِي مَسِيراً إِلَى بَلَدٍ أُحاوِلُ فِيهِ مالاَ (١)

وَأَنْتَ مُكَلِّفِي أَنْبَى مَكاناً وَأَبْعَدَ شُقَّةً ، وَأَشَدَّ حالا (٢)

إِذَا سِرْنا عَلَى الْفُسْطاطِ يَوْماً فَلَقِّنِي الْفَوارِسَ وَالرِّجالا (٣)

---

١ — الغريب — أحاول : أطلب .

المعنى — يقول : له أتحلف لاتكلفنى مسيرا ، كأنه حكى قوله : لاوالله لانكلفك ، وذلك أن أبا الطيب استأذنه فى المسير إلى الشام ، وأراد أن يعلم ماعنده ، فأجابه لاوالله لا نكلفك، نحن نبعث رسولا قاصدا يقبضه لك ، ولانكلفك مشقة السير والسفر .

٢ — الإعراب — أراد : أنبي منه مكانا ، وأبعد منه شقة ، وأشدّ منه حالا ، فحذف للعلم به ، وهذا كقولك : نظرت إلى زيد وعمرو ، فكان عمرو أحسن وجها، أى أحسن وجها من زيد ، فحذف للعلم به ، ولا يجوز زيد أحسن وجه ، لأنه ليس بعض الوجه .

الغريب — أنبي : أجفى . نبا الشيء ينبو : تجافى وتباعد . ونبا السيف : إذا لم يعمل فى الضريبة . ونبا بصرى عن الشيء .

المعنى — يقول : أنت تكلفنى أصعب من هذا وأجفى ، وذلك أنك تكلفنى الإقامة عندك ، وهى أشدّ علىّ من السفر البعيد .

٣ — الغريب — الفسطاط : مصر، وفيه لغات : فسطاط، وفستات (بالتاءين) ، وفساط بإدغام الطاء فى السين وتشديدها . وفسطاط (بكسر الفاء) ، وهذه لغات ذكرها الأزهرى . والرجال : الرجالة ، لقوله تعالى : «فرجالا أو ركبانا» ، ويقال : أراجل وأراجيل ، ورجلى ورجالى، ورجلان ورجل ورجالى ، فهذا كله خلاف الفارس ، فرجل مثل صاحب وصحب ، ورجالة ورجال. والرجلان (أيضا) الراجل ، والجمع : رجلى ورجال ، مثل عجلان ، وعجلى وعجال ، ويقال : رجل ورجالى ، مثل عجل وعجالى . وامرأة رجلى ، مثل عجلى . ونسوة رجال، مثل عجال . ورجالى، مثل عجالى ، والرجل: خلاف المرأة . وجمعه : رجال ورجالات ، مثل جمال وجمالات ، وأراجل . قال أبو ذؤيب: =

لِتَعْلَمَ قَدْرَ مَنْ فارَقْتَ مِنِّي وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْمِي مُحالاَ(١)

وقال يمدح أبا شجاع فاتكا سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة

وهى من البسيط ، والقافية من المتواتر

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيها وَلا مالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الحَالُ(٢)

= أَهَمَّ بَنِيهِ صَيْفُهُمْ وَشِتاؤُهُمْ وَقالُوا تَعَدَّ وَاغْزُ وَسْطَ الْأَرَاجِلِ

هذا استشهد به الجوهرى فى جمع رجل . وقال غيره فى معنى البيت : إنما هو جمع راجل ، فقال فى جمعه : أراجيل ، وأصله أن يجمع على أرجال ، مثل صاحب وأصحاب ، ثم يجمع أرجال على أراجيل ، مثل أعراب وأعاريب ، وإنما حذف أبو ذؤيب الياء للضرورة . وأنشدوا :

يا صَخْرُ وَرَّادَ ماءٍ قَدْ تَتابَعَهُ سَوْمُ الْأَرَاجِيلِ حَتَّى ماؤُهُ طَحِلُ

ويقال للمرأة : رجلة . قال الشاعر :

كُلُّ جارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطًا غَيْرَ جِيرانِ بَنِي جَبَلَهْ

خَرَقُوا جَيْبَ فَتاتِهِمُ لَمْ يُبالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلَهْ

وقوله : «فلقنى» . يريد : فأبن لى وأرنى .

المعنى — يقول : إذا سرت عن مصر أرنى الفوارس والرجالة ، بأن تبعثهم خلفى ليردونى إليك. يريد : أنه لايقدر على ردّه ، وكذلك كان لأنه انهزم عن مصر .

١ — الغريب — الضيم : الظلم . وضامه يضيمه ، واستضامه ، فهو مضيم . ومستضام، أى مظلوم . وضيم ، فيه ثلاث لغات : ضيم وضيم (بالإشمام) ، وضوم ، وقد بيناه فيما قبل هذا .

المعنى — يقول : إنك ستعلم من فارقت ، وأنك عاجز عن ردّه ، وفوارسك ورجالتك لايقدرون على ردّه . يريد : أنه شجاع بطل ، ولايقدر أحد على ظلمه ، ولا هو قابل للظلم .

٢ — الإعراب — نصب الخيل بلا ، لأنها تنصب النكرات بغير تنوين .

وقال سيبويه والخليل : يجوز أن ترفع النكرات بالتنوين . وأنشد للعجاج :

تَاللهِ لَوْلاَ أَنْ تَحُشَّ الطُّبَّخُ بِيَ الْجَحِيمَ حَيْثُ لاَ مُسْتَصْرَخُ

وما ارتفع بعدها عند بعض النحاة على الابتداء ، وفى قراءة من قرأ : « فلا رفث ولافسوق ولا جدال » برفع الثلاثة أنه على الابتداء ، والخبر فى الحج ، وهى قراءة يزيد بن القعقاع ، وقرأ أبو عمرو وابن كثير برفع «الرفث» و«الفسوق» ، ونصب «الجدال» ، وهو كقول أمية بن أبى الصلت: =

وَاجْزِ الْأَمِيرَ الَّذِى نُعْماهُ فاجِئَةٌ ... بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ(١)

فَرُبَّمَا جَزَتِ الْإِحْسانَ مُولِيَهُ ... خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الْحَىِّ مِكْسالُ(٢)

= فَلَا لَغْوٌ وَلَا تَأْثِيمَ فِيهَا ... وَمَا فَاهُوا بِهِ أَبَداً مُقِيمُ

وقرأ أبو رجاء العطاردى ، بنصب الأوّلين ، ورفع الثالث ، وهو كبيت أبي الطيب . ومثله :

هٰذَا وَجَدِّكُمُ الصَّغارُ بِعَيْنِهِ ... لَا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

وهذا محمول على الموضع ، لأن موضع الأوّل رفع بالابتداء ، و يكون « لا » بمعنى «ما» ، فكأنك قلت : مارجل ولا غلام فى الدار .

المعنى — يقول مخاطبا لنفسه : ليس عندك من الخيل والمال ماتهديه إلى الممدوح تجازيه به على إحسانه إليك ، فإذا لم يكن عندك هذا فليسعدك النطق . يريد : فامدحه وجازه بالثناء عليه إن لم يعنك الحال على مجازاته بالمال . وهذا معنى قول يزيد بن المهلب :

إِنْ يُعْجِزِ الدَّهْرُ كَفِّى عَنْ جَزَائِكُمُ ... فَإِنَّنِى بِالثَّنَا وَالشُّكْرِ مُجْتَهِدُ

وكقول الحطيئة :

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَالٌ يُثَابُ فَإِنَّهُ ... سَيَأْتِى ثَنَائِى زَيْداً بْنَ مُهَلْهِلِ

وهـذا من الابتداء الذى يكرهه السامع ، بأن يقول للممدوح : لاخيل عندك تهديها ولا مال ، وهو أوّل مايقول له .

١ — الغريب — النعمى، إذا كانت على فعلى قصرت ، و إذا كانت على فعلاء مدّت ، وهى اليد والصنيعة ، وما أنعم الله به عليك .

المعنى — أجزه بالثناء والمدح والشكر ، وذلك أن إنعامه يأتيك فجأة من غير أن تقدّم سؤالا وانتظارا ، وغيره من الناس اقتصر على قول دون فعل ، كقول حبيب :

* أَلْجُودُ عِنْدَهُمُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ *

وكقول المهلبى :

وَكَمْ لَكَ نَائِلاً لَمْ أَحْتَسِبْهُ ... كَمَا يُلْقَى مُفَاجَأَةً حَبِيبُ

٢ — الغريب — جزاه بما صنع جزاء . وجازيته (أيضا) ، وجازيته فجزيته ، أى غلبته . وجزى عنى هذا ، أى قضى . ومنه قوله تعالى : « لاتجزى نفس عن نفس شيئا » . وفى حديث أبى بردة بن نيار « تجزى عنك ولا تجزى عن غيرك فى الأضحيـة » ، أى تقضى ، و بنو تميم يقولون: أجزأت عنك (بالهمز)، وتجازيت دينى على فلان ، أى تقاضيته. والمتجازى :المتقاضى . =

وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي ظُهُورَ جَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ(١)

وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ الْمَالَ فَرَّحَنِي سِيَّانِ عِنْدِيَ إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ(٢)

لٰكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحاً أَنْ يُجَادَ لَنَا وَأَنَّنَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَّالُ(٣)

فَكُنْتُ مُنْبِتَ رَوْضِ الْحَزْنِ بَاكَرَهُ غَيْثٌ بِغَيْرِ سِبَاخِ الْأَرْضِ هَطَّالُ(٤)

= والخريدة : الجارية الحيية . والجمع : خرائد وخرّد. والعذارى : جمع عذراء ، وهى الجارية التى لم تفتض . والمكسال : الفاترة القليلة التصرّف .

المعنى — يقول: ربما جازت على الإحسان إلى من يوليه جارية ضعيفة الحركة، عاجزة عن كلّ شيء، وهذا كله حثّ لنفسه على الجزاء، وترك التقصير فيما يمكن. ثم ضرب لهذا مثلا فقال [البيت بعده]

١ — الغريب — الصهيل والصهال للفرس ، مثل النهيق والنهاق للحمير . وصهل يصهل (بالكسر) صهيلا ، فهو صهال . وقد ضرب المثل لنفسه فى عجزه عن المكافأة بالفعل بفرس أحكم شكاله ، فعجز عن الجرى ، لكنه يصهل .

المعنى — يقول : إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور ، فإنى أمدحك وأشكرك إلى أوان قدرتى على النصرة ، فإن الجواد إذا شكل عن الحركة صهل شوقا إليها .

وقال أبو العلاء : إن كانت حالى ضيقة عن مكافأتك فعلا جازيتك قولا ، وجعل التصهال مثلا لثنائه على الممدوح ، وكان فاتك هذا الممدوح ، ينطوى على بغض كافور ومعاداته ، وكان أبو الطيب يحبه ، ويميل إليه ، ولا يمكنه إظهار ذلك خوفا من الأسود .

٢ — الغريب — السيان : المثلان . وإكثار وإقلال : بمعنى الكثير والقليل .

المعنى — قال أبو الفتح : مارأيت أبا الطيب أشكر لأحد منه لفاتك ، وكان يقول : حمل إلىّ فى وقت واحد ماقيمته ألف دينار . والمعنى يقول : ما شكرتك عن فرح بما أهديته لى ، لأن القليل والكثير عندى سواء .

٣ — الغريب — البخال : جمع باخل ، ككاتب وكتاب ، وصائم وصيام ، وحاسب وحساب .

المعنى — يقول : أنا أشكر ، لأنى أستقبح البخل بقضاء الحق ، وكيف أسكت عن شكر من يجود لى بماله ووده ، والبرّ والنعمة ، وأنا فى إنعامه .

٤ — الغريب — روض الحزن : هى الأرض البعيدة ، وخصها لبعدها عن الغبار . وسباخ الأرض : هى الأرض التى لاتنبت لملوحتها ؛ واحدها : سبخة .

المعنى — يقول : زكت عندى صنيعته ، كما يزكو المطر الكثير فى الأرض الطيبة . والمعنى : أن مطر جوده لايصادف منى سبخة لاتنبت .

غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَوْقِعَهُ ... إِنَّ الْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَّالُ(١)
لا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلاَّ سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَّالُ(٢)
لا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ ما وَهَبَتْ ... وَلا كَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَئَّالُ(٣)
قالَ الزَّمانُ لَهُ قَوْلاً فَأَفْهَمَهُ ... إِنَّ الزَّمانَ عَلَى الْإِمْسَاكِ عَذَّالُ(٤)
تَدْرِى الْقَنَاةُ إِذا اُهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ ... أَنَّ الشَّقِيَّ بِها خَيْلٌ وَأَبْطالُ(٥)
كَفاتِكٍ وَدُخُولُ الْكافِ مَنْقَصَةٌ ... كالشَّمْسِ قُلْتُ وَما لِلشَّمْسِ أَمْثالُ(٦)

---

١ — المعنى — قال الواحدى : يقول موقع إحسانه منى ، بين للمحسنين أنهم يخطئون مواقع الصنائع ، ومن نصب «موقعه» ، فمعناه : أنت غيث يبين موقعه للناظرين ، لأنه أتى على مكان أثر فيه أحسن تأثير ، ثم قال مبتدئا إن الغيوث . يريد : أنها تأتى على الأرض السبخة .

وقال أبو الفتح والخطيب : الغيث كالجاهل ، فهو يمطر المكان الطيب والقبيح ، وهذا يعطى من هو أهل للعطاء ، وهو ضدّ قوله فى سيف الدولة :

وَشَرُّ مَاقَنَصَتْهُ رَاحَتِى قَنَصٌ ... شُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخَمُ

٢ — المعنى — يقول : لايدرك السيادة وعلوّ القدر إلا من يفعل مايشقّ على الكرماء الفضلاء .

٣ — الغريب — يمناه : يمينه .

المعنى — لايدرك المجد وارث ورث أباه مالا ، لأن الممدوح لم يرث أباه ، لأنه كان جوادا ، فلم يخلف مالا ، و يمناه جهلت ماوهبت لكثرته ، وليس هو سآلا ولا كسوبا بغير سيفه ، لا يطلب حاجته إلا بالسيف .

٤ — الإعراب — الضميران فى « له وأفهمه » يعودان على السيد الفطن .

المعنى — يقول : عرّفه الزمان أن المال لايبقى ، ففهم ذلك عن الزمان ، ففرق ماله فيما يورث المجد ، ولم يكن ثم قول ، ولكنه اتعظ ، واعتبر بتصاريف الزمان .

وقال أبو الفتح : أكرم الناس من تعب فى جمع الأموال بالسيف ، ثم يهبها بعد .

وقال الخطيب : من رأى المسكين وموتهم عن الأموال ، وتخليتها للأعداء فقد أراه الزمان فيهم العبر ، فكأنه حذره عن الإمساك ، والزمان لم يقل قولا حقيقة ، و إنما رأى تصاريفه فاتعظ ، فكان كمن قال له [البيت بعده] :

٥ — المعنى — يقول : تعلم القناة إذا هزّها أن بها أشقياء خيل وأبطال ، لكثرة ماقد عوّدها.

٦ — المعنى — قال أبو الفتح : إذا قيل : كفاتك ودخول الكاف منقصة ، جعل له شبيه ، فانتقص بذلك ، و إنما قولى كالشمس ، و إن كانت لاشبيه لها ، والكاف زائدة ، كقول رؤبة : =

القائِدُ الْأُسْــــدَ غَذَّتْها بَرَاثِنُهُ ... بِمِثْلِها مِنْ عِـــداهُ وَهْىَ أَشْبالُ(١)

القاتِلُ السَّيْفَ فى جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ ... وَلِلسُّـــيُوفِ كما لِلنَّاسِ آجالُ(٢)

تُغِيرُ عَنْــهُ عَلَى الْغاراتِ هَيْبَتُهُ ... وَما لَهُ بِأَقاصِى الْـــبِرِّ أَهْمالُ(٣)

= * لَوَاحِقُ الْأَقْرابِ فِيها كالْمَقَقْ *

أى فيها مقق ، وهوالطول ، ولا يقال فيها كالطول، إلا على زيادة الكاف ، وأنكره الواحدى ، وقال: لم يعرف ابن جنى معناه . وقال : الكاف زائدة ، وجميع البيت مبنى على الكاف ، فكيف يمكن زيادتها ، ألا يرى أنه قال «ودخول الكاف منقصة » ، أى أنها توهم أن له شبيها ، وليس كذلك ، لأنه قال « كالشمس » ، ولا مثل للشمس .

وقال الخطيب : لايدرك المجد إلارجل صفاته هذه التى ذكرت ، ثم شبهه بفاتك ، ثم استدرك ذلك بقوله «ودخول الكاف منقصة» إذا قلت هوكفلان ، فقد جعلت له مثلا ، و إنما ذلك مجاز وتوسع كالشىء المستحسن ، يشبه بالشمس على الظاهر ، وليس لها مثل ، وجعل أبوالفتح الكاف زائدة ، وليس المعنى كذلك ، إنما هو بضده .

١ — الإعراب — الرواية الصحيحة ، و بها قرأت، نصب الأسد بإعمال اسم الفاعل .

الغريب — البراثن : من السباع والطير، بمنزلة الأصابع من الإنسان. والمخلب : ظفر البراثن . والأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد .

المعنى — يقول : هو الذى يقود إلى الحرب رجالا كالأسود ، غذتهم براثنه ، أى سيوفه وسلاحه ، فهنّ كالبراثن له ، و يشير إلى غلمانه الذين رباهم وضرّاهم بأسلاب أعدائه ، منذ كانوا أشبالا إلى أن صاروا أسدا .

٢ — المعنى — يقول : لجودة ضربه يقتل المقتول ومايقتله به ، وهو السيف . يريد : أنه يكسره فى جسمه ، فجعل ذلك قتلا للسيف ، وجعل للسيوف آجالا كالناس وغيرهم .

٣ — الغريب — الأهمال والهمال : الإبل بلا راع ، مثل النفش ، إلا أن النفش لا يكون إلا ليلا . والهمل : ليلا ونهارا . و إبل همل وهاملة ، وهمال وهوامل . وتركتها هملا ، أى سدى : إذا أرسلتها ترعى ليلا ونهارا بلا راع . وفى المثل : اختلط المرعىّ بالهمل . والمرعىّ : الذى له راع .

المعنى — يقول : يهابه أهل الغارات أن يتعرّضوا له ، فكأنّ هيبته تغير على غاراتهم ، وماله همل : لاراعى له ، ولا يغار عليه لهيبته .

وقال الواحدى : يجوز أن يكون المعنى : أن الأقوام يغيرون على الأموال ، فيحملونها إليه هيبة له ، فكأنّ هيبته تغير على غارة غيره . والمعنى : أنه لجلالة قدره ، وعلوّ ذكره ، تتهيبه الفرسان فى غاراتها ، فتحجم عن مقاتلة أهماله .

لَهُ مِنَ الْوَحْشِ ما اُخْتارَتْ أَسِنَّتُهُ   عَـــيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنْسَاءٌ وَذَيَّالُ(١)

تُمْسِي الضُّيُوفُ مُشَهَّاةً بِعَقْوَتِهِ   كَأَنَّ أَوْقاتَها فِي الطِّيبِ آصالُ(٢)

لَوِ اُشْتَهَتْ لَحْمَ قارِيها لَبادَرَها   خَراذِلٌ مِنْهُ فِي الشِّيزَى وَأَوْصالُ(٣)

لا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مالٍ وَلا وَلَدٍ   إِلَّا إِذا اُحْتَفَزَ الضِّيفانَ تَرْحالُ(٤)

---

١ — الغريب — العير : حمار الوحش . والهيق : ذكر النعام . والخنساء : البقرة الوحشية . والخنس : انخفاض قصبة الأنف وعرض أرنبته . والذيال : الثور الوحشى .

المعنى — يقول : ماطلب من الوحش قدر عليه . والمعنى : أنه كان ملازم الحروب فى الفلوات، وكان يتقوت بلحوم الوحش ، وكان عارفا بصيد الوحش والاقتدار على جميع صنوفه ، فما اختاره واعتمد عليه ، لايفوت رغبته ، ولا يسبق أسنته ، بل ينال جميع أصنافه بركضه وكرم خيله .

٢ — الغريب — المشهى : الذى يعطى ما اشتهى . والعقوة : ماحول الدار . والآصال : العشايا ، وهى جمع : أصيل ، كيتيم وأيتام ، وهو آخر النهار ، وإنما يستطاب لشدة الحر قبله ، وأنه وقت هبوب الريح ، وانقطاع الحر بأفول الشمس .

المعنى — يقول : إذا أمست الضيوف بأفنية داره ، باتوا مكرمين لا يشتهون شهوة إلا جاءتهم ، كأن أوقاتهم آصال لطيبها ، وبرد نسيمها ، وما يتصل بهم من شهواتها ونعيمها . وفيه نظر إلى قول حبيب :

أَيَّامُنا مَصْـــقُولَةٌ أَطْرافُها   بِكَ ، وَاللَّيالِي كُلُّها أَسْـــحارُ

٣ — الغريب — القارى : المضيف . بادرها : عاجلها . خراذل (بالذال والدال) : القطع . والأوصال : جمع وصل ، وهو كل عظم لا يكسر ولا يخلط به غيره . والشيزى : جفان تصنع من خشب أسود ، وقيل من الجوز .

المعنى — يريد : لواشتهت أضيافه لحمه ، لما بخل عليهم به ، ولبادرهم به لحرصه على مسرتهم ، وهذا من الإفراط الذى يجسر فيه بما لا يكون إشارة إلى استيفاء الغاية فيما يمكن .

٤ — الغريب — الرزء : المصيبة . وحفزه واحتفزه : دعاه ودفعه . حفزه يحفزه حفزا : إذا دفعه . قال الراجز :

تُرِيحُ بَعْدَ النَّفَسِ الْمَحْفُوزِ   إِراحَـــةَ الْجِدايَةِ النَّفُوزِ

المعنى — يقول : المصيبة عنده ترحل الضيف عنه ، لا توجعه المصيبة فى ماله وولده ، ولا يوحشه ذلك كإيحاش الضيف إذا ترحل عنه . والمعنى : إذا رحل الضيف عنه ناله من ذلك ماينال من فقد ماله وولده .

يُرْوِي صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فَضْلاتِ ما شَرِبُوا
مَحْـــــضُ اللِّقاحِ ، وَصافِي اللَّوْنِ سَلْسالُ(١)

يَقْرِي صَوارِمَهُ السَّاعاتِ عَبْطَ دَمٍ
كَأَنَّما السَّاعُ نُزَّالٌ وَقُفَّالُ(٢)

تَجْرِي النُّفُوسُ حَوالَيْهِ مُخَلَّطَةً
مِنْها عُـــــداةٌ وَأَغْنامٌ وَآبالُ(٣)

لاَ يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نائِلَهُ
وَغَيْرُ عاجِـــزَةٍ عَنْهُ الْأُطَيْفالُ(٤)

---

١ — الغريب — الصدى : العطش . والمحض : الذى لم يشب بماء . واللقاح : جمع لقحة ، وهي الناقة الحلوب . والسلسال : الذى يسهل جريه فى الحلق .

المعنى — قال أبو الفتح : إذا انصرف أضيافه ، أراق بقايا ماشربوه ، ولم يدّخره لغيرهم ، لأنه يلقى كلّ وارد بقرى جديد من اللبن والخمر ، وأراد بصافى اللون : الخمر .

وقال ابن الإفليلى : يروى عطش الأرض بفضلات مايسقيه أضيافه من اللبن والخمر ، ومايتابع لهم من الألطاف والبرّ ، فيفضل عنهم من ذلك مايقوم للأرض مقام السقى ، ومايحلّ لها محلّ المطر.

٢ — الغريب — القرى : الضيافة . وعبط دم : أراقته عبيطا . والعبيط والعبط : الطرىّ من الدم واللحم . والساع : جمع ساعة . والنزال والقفال : الأضياف ، منهم من يرحل ، ومنهم من ينزل.

المعنى — قال الواحدى : كلّ ساعة تأتى عليه تجدّد ذبحا ، كأنّ الساعات قفال ونزال . يريد : أنه لايطعم أضيافه اللحم الغبّ ، بل يجدّد لهم النحر والذبح كلّ ساعة .

وقال أبو الفتح : كلّ ساعة يريق دما طريا من أعدائه ، فكأنه يقرى الساعات ، وكأنها قوم ينزلون عليه ، فجعل أبو الفتح الدم من الأعداء . والمعنى : أنه يعمّ ساعات زمانه بدماء يسفكها فيها.

٣ — المعنى — يريد «بالنفوس» : الدماء . ومنه : سالت نفسه . ومنه بيت الحماسة للسموءل :

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاةِ نُفُوسُـــنا
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّباةِ تَسِـــيلُ

وأغنام : جمع غنم . وآبال : جمع إبل على التكثير .

المعنى — تجرى النفوس حوله مختلطة ، ويكثر إتلافه لها ممتزجة ، منها نفوس أعداء يبلغها بالقتل ، وأغنام وإبل يذهبها بالعقر والذبح ، فمنها نفوس تذهب بالإكرام والضيافة ، وأنفس تذهب بالإيقاع والمخافة ، فساعاته مشمولة بالحالتين ، مغمورة بهذين الأمرين . وهو من قول البحترى :

ما أَنْفَكَّ مُنْتَضِياً سَيْفَيْ وَغًى وَقِرًى
عَلَى الْكَواهِلِ تَدْمَى وَالْعَراقِيبِ

٤ — الغريب — النائل : العطاء. والأطيفال : جمع طفل ، وهم صغار الصبيان . وصغر الجمع على اللفظ .

المعنى — يصف عموم برّه ، وأنّ البعيد والقريب فيه سواء ، والطفل الذى لايقدر على النهوض والتعريض لمعروفه ، فهو يعمّ القريب والبعيد ، والكبير والصغير ، فهو يعمّ عموم الغيث ، =

أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَةً وَالْبِيضُ هادِيَةٌ وَالسُّمْرُ ضُلَّالُ(١)
يُرِيكَ مَخْـبَرُهُ أَضْعافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرِّجالِ وَفِيها الْماءُ وَالْآلُ(٢)
وَقَدْ يُلَقِّبُهُ الْمَجْنُونَ حاسِـدُهُ إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الْعَقْلِ عُقَّالُ(٣)

ويفيض كفيض البحر، فهو يدرك النائى البعيد، كما يشمل الدانى القريب، وليس يعجز صغار الأطفال عن الاشتمال به، ولا يخرجها الصغر عن التناول له، لأنه عامّ لا خصوص فيه.

١ — الغريب — الفريقان: الجيشان. والأقران: جمع قرن، وهو العدوّ المكافئ. والبيض: السيوف. والظبة: حدّ السيف.

المعنى — هو أمضى الجيشين سيفا فى أقرانه عند المصادمة إذا ضلت الرّماح، وهدت السيوف، لأنها تمضى على استواء، والرّماح تذهب يمينا وشمالا، وأراد أنّ البيض هادية تهتدى فى ظلمة النقع، لأن النهار قد استتر بالغبار، واستعار الهدى للسيوف، والضلال للرّماح، وأحسن فى المقابلة، وأراد أن القوم دنا بعضهم من بعض يتجالدون بالسيوف، فكأنّ الرماح ضالة فى الرجال، فقصرت الرماح، وضلت عن مقاصدها، وضاق المجال عن التطاعن بها، وصار الأمر إلى المجالدة بالسيوف، ومباشرة الحتوف، فصارت السيوف هادية مبصرة، والرماح ضالة مقصرة، فحينئذ يكون أمضى الفريقين من أصحابه وأعدائه.

٢ — الغريب — الآل: السراب، وقيل: هو الذى يتخيل فى قيعان الأرض عند شدّة الحرّ، وقيل: الآل: الذى يرفع الأشخاص، ويرقصها أوّل النهار وآخره.

المعنى — يقول: إن كان قد جمع البهاء والوسامة، والجلال والجمال، فإنه يريك ما تخبره من فضله، وتؤدّيه المحبة إليك من كرمه وبأسه أضعاف ما يؤدّيه ظاهره فى الرجال، وما ترى فيه من البهاء والجمال، وفى الرجال من هو كالماء، وفيهم من هو كالآل، من له حقيقة ورجوع إليه كالماء، ومن لا حقيقة له كالآل يكذب ولا يصدق، ويخدع ولا ينفع، فهو يشبه الماء، وليس بماء، وهو يشبه الرجال صورة، وليس برجل.

٣ — الغريب — العقال: داء يأخذ الدوابّ فى أرجلها، يمنعها من المشى.

المعنى — قال أبو الفتح: يجوز: اختلطت السيوف والرّماح عند الحرب، ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا، ولو بالغ فى التصريح، بأن لقبه المجنون، خلص من ذلك أحسن تخلص، وأصله من قول الفند الزمانى:

وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْـدَ الْجَهْـلِ لِلذِّلَّةِ إِذْعانُ

وفى معناه لحبيب:

وَإِنْ يَبْنِ حِيطانًا عَلَيْهِ فَإِنَّما أُولئِـكَ عُقَّالاتُهُ لا مَعاقِلُهْ

انتهى كلامه. كان فاتك يلقب بالمجنون، ففسره أبو الطيب تفسيرا أذهب قبحه، وحسن عند النكر

يَرْمِى بِهَا الْجَيْشَ لا بُدَّ لَهُ وَلَها ... مِنْ شَقِّهِ وَلَوَ انَّ الْجَيْشَ أَجْبالُ(١)

إِذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخالِبُهُ ... لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمُ حِلْمٌ وَرِيبالُ(٢)

يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَدًا ... مُجاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تغْتالُ(٣)

أَنا لَهُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ ... فَمَا الَّذِى بِتَوَقِّى ما أَتَى نالُوا(٤)

= له أن يتلقب بمثله ، وأصل البيت من قول الكلابى :

أَلا أيُّها الْمُغْتَـابُ عِرْضِى تَعِيبُنِى ... تُسَمِّينِى الْمَجْنُونَ فى الْجِدِّ وَاللَّعْبِ

أنا الرَّجُلُ الْمَجْنُونُ وَالرَّجُلُ الَّذِى ... بِهِ تُتَّقَّى يَوْمَ الْوَغَى غِرَّةُ الْحَرْبِ

١ — الإعراب — الضمير فى «بها» للخيل ، ويجوز أن يكون لنفسه .

المعنى — قال الواحدى : يرمى بخيله الجيش ، ولابدّ لهما من شقّ ذلك الجيش ولو كانوا أجبالا.

وقال ابن الإفليلى : يرمى بالسيوف الذى قدّم ذكرها الجيش الذى يناصبه ، والجمع : الذى يتعرض له ، ولابدّ له ولتلك السيوف المطيفة به من شقّ ذلك الجيش .

٢ — الغريب — الرئبال : الأسد .

المعنى — يعتذر لمن لقبه بالمجنون، بأنه إذا قاتل الأعداء ، ونشبت فيهم مخالبه ، وأظهر سطوته عليهم ، لم يجتمع لهم فى ذلك الوقت أسد تحذر عاديته ، وحلم تؤمن بادرته ، وهذا إشارة إلى أن الاستبهال للموت ، والاقتحام للحرب ، ليس من طريق الحلم ، ولا يحمل عليهما أحكام العقل ، والأسد لا يوصف بالحلم ، كذلك الرجل الذى يبعد عنه الحلم إذا قاتل الأعداء .

وقال ابن القطاع : إذا نشب مخالبه فى قوم ذهب عنهم التدبير والشجاعة .

٣ — الغريب — يروعهم: يفزعهم. وصروف الدهر: حوادثه والمجاهرة: الإعلان . والاغتيال: الإهلاك على غفلة .

المعنى — يقول : هـذا دهر يغول الأعداء جهارا ، وصروف الدهر تهلكهم من حيث لا يعلمون ، وجعله كالدهر تعظيما لشأنه . والمعنى : يروعهم ملك ، وهو كالدهر فى قدرته عليهم ، ونفاذ ما يريده بهم إلا أنه يبعث صروفه مجاهرة ، وقدرته عليهم مغالبة ، والدهر يغتال بصروفه ، ولا يؤذن بخطوبه ، فجعل لفاتك على الدهر مزية بينة ، وزيادة ظاهرة .

٤ — المعنى — يقول : انتهى به تقدّمه وجرأته إلى نيل الشرف الأعلى ، واحترم أعداؤه أن يصلوا إلى ما وصل إليه بتوقيهم ما ارتكبه من الأهوال ، فغنم هو ، وخابوا هم، فبلغ من الشرف أعلى منازله ، ومن السلطان أرفع مراتبه بإقدامه وجرأته ، واقتحامه المهالك ، فما الذى نال أعداؤه بتوقيهم لما قدم عليه ، وإبطائهم عما تسرع إليه .

إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتَهُ ... مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ الْكَعْبِ عَسَّالُ (١)

أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةً ... هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الْهَيْجَاءِ أَهْوَالُ (٢)

تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ ... فِي الْحَمْدِ حَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالُ (٣)

عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَابِيلٌ مُضَاعَفَةٌ ... وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَاذِيِّ سِرْبَالُ (٤)

وَكَيْفَ أَسْتُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... وَقَدْ غَمَرْتَ نَوَالاً أَيُّهَا النَّالُ (٥)

---

١ — الإعراب — من رفع «حليته» جعل «كان» فيها ضمير الشان والقصة، و «حليته» ابتداء، وما بعدها الخبر.

وقال الخطيب: اسم كان مضمر فيها، أى كان هو هذه حالته، والجلة فى موضع خبر كان، ومن نصب «حليته» جعل اسم كان «مهندا» وعطف عليه، وكأنه أراد وصفه، فقرّبه من المعرفة:

الغريب — المهند: السيف القاطع. وأصمّ الكعب: الرمح. والعسال: المهتز.

المعنى — يريد: إذا تزين الملوك بالتاج وغيره، تزين هو بالسيف المهند، والرمح العسال. والمعنى: أنه احتاز الرياسة مغالبة بسيفه، واستحقها بشجاعة نفسه.

٢ — الغريب — قاطبة: جميعا. والهول: ماأخاف وأفزع. وجمعه: أهوال. ونمته: غذته وربته.

المعنى — يقول: أبو شجاع كنيته، وهى له صفة ثابتة، وحقيقة ظاهرة، لأنه أبو شجاع برياسته فيهم، وعلوّه عليهم، وهو قدوتهم وسيدهم، وهو هول فى الحرب فى أعين الأعداء، فالحروب قد ربته، لأنه ربى فيها من وقت أن كان صغيرا، وقد نمته منها أهوال لايعهد مثلها، لايشارك فى شرفها وفضلها، فالشجعان كلهم دونه، وفى كلّ هول يتقون به ويقدّمونه.

٣ — المعنى — الحمد كله ينصرف إليه، وليس لأحد جزء منه، فهو المحمود فى أقواله وأفعاله، وليس يحمد دونه أحد. والمعنى: تملك الحمد، وأحاط به واختاره، وأصبح خالصا له، فما لأحد فيه نصيب يعلم، وجعل ذكر الحروف إشارة إلى انفراده بجملته.

٤ — الغريب — الماذى: الدروع اللينة، شبه لينها بلين العسل الماذى. والسربال: الثوب. والجمع: سرابيل.

المعنى — يقول: عليه من الحمد سرابيل كثيرة لأنه يتوقى الذّم بأكثر مما يتوقى الحرب، فعليه منه سرابيل مضاعفة، وحلل متتابعة، يشير إلى رغبته فيه، وليس عليه من الدروع إلا واحد، فأشار إلى أنه مكثر مما يشتمل عليه، من كرم الذكر، ومقلّ مما يدفع به عنه عادية الحرب، فوصفه بالرغبة بالإحسان، وقلة التوقى عند لقاء الأقران.

٥ — الغريب — النوال: العطاء. والنال: الكثير العطاء. ورجل نال: إذا كان كثير النوال، =

لَطُفْتَ رَأْيَكَ فِي بِرِّي وَتَكْرِمَتِي إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ(١)
حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفَّيْكَ آمَالُ(٢)
وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولُ لَابِسِهِ إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى التِّنْبَالِ تِنْبَالُ(٣)
إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِي بَشَرٍ فَإِنَّ قَدْرَكَ فِي الْأَقْدَارِ يَخْتَالُ(٤)
كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالُ(٥)

= كما يقال : رجل مال : إذا كان كثير المال. قاله يعقوب. وكبش صاف : كثير الصوف . ويوم طان: كثير الطين ورجل صات: شديد الصوت. ويوم راح: كثير الريح ورجل خاف: كثير الخوف.

المعنى — يقول : لا أقدر أستر انعامك ، هو أشهر من أن يستر : فكيف أقدر على ستر ما أوليتنى ؟ وقد أفضت علىّ بحورا غمرتنى من جودك ، وحملتنى أعباء أثقلتنى من برّك ، أيها النال الذى لا ينقطع نواله . ولا يتأخر تطوّله وافضاله .

١ — الغريب — لطفت : بلغت الغاية من اللطف ، وتوصلت إلى إكرامى بالبرّ والصلة ، بلطف رأى وتدبير ، والكريم يحتال أبدا حتى يحصل لنفسه العلوّ ، وكان يراسل أبا الطيب ، ولا يجاهر بإكرامه وبرّه خوفا من الأسود، فاتفق لقاؤهما بسفر ، فأحسن إليه ، وأكرمه إكراما عظيما، فقال: إن الكريم يحتال لا تعجز حيلته ، ويجتهد لا تضعف نيته .

٢ — المعنى — يقول : لم تزل تحتال على الإكرام وطلب العلوّ ، حتى غدوت ، والأخبار تجول فى الآفاق بحسن ذكرك ، والثناء عليك ، ولكلّ أحد أمل فى كفيك ، حتى الكواكب تأملك ، ويجوز لو تمنينا الوصول إليها لأوصلتنا .

٣ — الغريب — التنبال : القصير ، والجمع : تنابلة وتنابل .

المعنى — قال الواحدى : مدح الشريف يشرف الشعر ، ومدح اللئيم يؤدى إلى لؤم الشعر . والمعنى : أن شعرى قد شرف بشرف الممدوح . والمعنى : قد أطال لسانى بالثناء ، وفتح لى باب المدح، والإطراء جلالة قدر من مدحته ، وكثرة فضائل من وصفته ، وإنما أنا فى ذلك ذاكر لما عاينت، ومخبر عما شاهدت ، والثناء إنما يقصر عن القصير الحال الراغب عن الكرم والإفضال .

٤ — الغريب — اختال الرجل : إذا مشى الخيلاء ، وهو إظهار العجب .

المعنى — يقول : إن كنت لتواضعك وفضلك لا تختال فى بشر أنت فيهم ، فإن قدرك يختال فى قدرهم من حيث لا تعلم . والمعنى : إن كنت تكبر عن استعمال الكبر والزهو ، وهو تكلف التعظم فى قوم أنت فيهم، فقدرك فى أقدار الملوك المتشبهين بك، يختال بجلالته، وينفرد برفعته وفخامته.

٥ — المعنى — يقول : وكأنّ نفسك. يريد: همتك ومناقبك الشريفة، التى فيك لا ترضى بك =

وَلاَ تَعُدُّكَ صَـــوَّانًا لِمُهْجَتِها … إلاَّ وَأَنْتَ لَها فى الرَّوْعِ بَذَّالُ (١)

لَوْلاَ المَشَقَّةُ سادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ … الجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدامُ قَتَّالُ (٢)

وَإِنَّما يَبْلُغُ الْإِنْسانُ طاقَتَهُ … ما كُلُّ ماشِيَةٍ بِالرَّجْلِ شِمْلالُ (٣)

إنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ … مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسانٌ وَإِجْمالُ (٤)

= صاحبا، حتى تزيد على كلّ كثير الفضل فضلا . والمعنى : كأنّ نفسك لاترضاك . وتألفك راضية بفعالك ، ولاتصحبك شاكرة لسعيك حتى يكون كلّ مفضال، وهو كثير العطاء ، والفضل إنما يفضل لما تهبه له ، ويجود بما تعطيه له ، وتبذله .

١ — الغريب — الروع : الفزع . والبذال : خلاف الصائن .

المعنى — يقول : وكأنّ نفسك لاتعدّك صائنا لها ، ولا تعتقدك ساعيا فى مسرّتها إلا إذا ابتذلتها فى الروع تقتحم المهالك ، وعرضتها فى الحرب لمواجهة المتالف .

٢ — المعنى — يقول : لولا المشقة تمنع من السيادة ، لساد الناس كلهم ، ثم بين العلة فيها ، فقال: الجود يورث الإقلال والفقر ، والشجاعة توجب التلف والقتل ، وذلك أن المجد والسيادة يصعبان، ولولا الصعوبة ساد الناس بأسرهم ، وهو من قول النمرى :

الجُودُ أَخْشَنُ مَسًّا يا بَنِى مَطَرٍ … مِنْ أَنْ تَبُزَّكُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلِبِ

ما أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَكْسَبَةٌ … لِلْمَجْدِ لٰكِنَّهُ يَأْتِى عَلَى النَّشَبِ

٣ — الغريب — الشملال : الناقة القوية ، السريعة من النوق .

المعنى — يقول : كلّ أحد يجرى فى السيادة على قدر طاقته ، وليس كلّ من يمشى على رجله شملا لا يقدر على السرعة . والمعنى : ليس كلّ كريم يبلغ غاية الكرم ، ولا كلّ شريف يبلغ غاية الشرف ، وليس كلّ من سعى من الرؤساء يبلغ مبلغ فاتك الذى لايعادل فى فضله ، ولايماثل فى جلالة قدره .

٤ — المعنى — يقول : إنا فى زمان من فيه إن لم يعاملنا بالقبيح ، فقد أحسن إلينا ، وأجمل لكثرة من يعامل فيه بالقبيح . والمعنى : أنه نبه على انفراد فاتك فى دهره ، وانفراده بالكرم عن أبناء عصره ، وهذا من إدبار الزمان ، وزهد أهله فى الرياسة والإحسان ، فقال : إنا لفى زمن إمساك أهله عن قبيح الفعل ، وتأخرهم عن مذموم السعى فضل يؤثر ، وإحسان يحمد ويشكر ، فكيف اتفق فيه فاتك ، وهو رئيس المحسنين ، وزعيم الكرماء المنعمين . والمعنى : أخذه أبو فراس فقال : =

ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحاجَتُهُ ما قاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغالُ(١)

= وَصِرْنَا نَرَى أَنَّ الْمُتارِكَ مُحْسِنٌ وَأَنَّ خَلِيلاً لاَ يَضُرُّ وَصُولُ

وأصله من قول الحكيم : من لم يقدر على فعل الفضائل ، فليكن فضائله ترك الرذائل .

١ — الغريب — قال ابن القطاع : صحف الرواة هـذا البيت ، فرووه فاته (بالفاء) والصواب (بالقاف) ، وعليه فسر الواحدى . فقال : إذا ذكر الإنسان بعد موته ، كان ذلك حياة ثانية له ، وما يحتاج إليه فى دنياه قدر القوت ، ومافضل من القوت فهو شغل ، كقول سالم بن وابصة :

غِنَى النَّفْسِ ما يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقْرَا

وقال أبو الفتح : ينبغى أن يلحق بالأمثال ، لأنه قد أوجز . فيه وجمع ، ومثله مايحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : أنه رؤى يستقى ماء . فقيل له بعد الخلافة ؟ فقال : إنما فقدنا الفضول ، انتهى كلامه .

المعنى — يشير إلى ماخلده فاتك من الفضل وأبقى له من جميل الذكر ، وأن التوفيق فى ذلك موصول برأيه ، والصواب مقصور على فعله يقول : ذكر الفتى جميل مساعيه ، ومايخلده من كرمه ومعاليه ، عمره الثانى لعمره ، وخلقه من الدنيا المبقى لذكره ، وحاجته فيما عدا هذا قوت يبلغه ، وكفاف من العيش يستره ، ومن طلب من الدنيا غير ذلك ، فإنه يتعلق بفضول شغله ، وأباطيل تموله ، والمطلوب من الدنيا العفاف والكفاف ، وهـذا مأخوذ من كلام الحكيم : تخليد الذكر فى الكتب عمر لايبيد ، وهو كل يوم جديد .

وقال يمدح أبا الفوارس دلير بن لشكروز سنة ثلاث وخمسين وثلاثِ مِئة

وقد كان جاء إلى الكوفة لقتال الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب ، وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دِلّيْر إليها

وهي من الطويل ، والقافية من المتواتر

كَدَعْوَاكِ كُلٌّ يَدَّعِي صِحَّةَ الْعَقْلِ ... وَمَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلِ (١)
لِهَنَّكِ أَوْلَى لاَئِمٍ بِمَلاَمَـــــةٍ ... وَأَحْوَجُ مِمَّنْ تَعْذُلِينَ إِلَى الْعَذْلِ (٢)
تَقُولِينَ مَا فِي النَّاسِ مِثْلَكَ عَاشِقٌ ... جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ تَجِدِي مِثْلِي (٣)
مُحِبٌّ كَنَى بِالْبِيضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ ... وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ (٤)

---

١ — المعنى — يقول للعاذلة : كلّ أحد يدّعي دعواك من صحة العقل، ويظنّ ماتظنينه في عذلك من صواب الفعل ، فيدّعيه كلّ ذي رأي سواك ، ومن ذا الذي يشعر بمقدار جهله ، وينظر بعين الحقيقة في نفسه ؟

٢ — الغريب — لهنك : كلمة تستعمل عند التوكيد ، وأصله لأنك ، فأبدلوا الهمزة هاء ، لئلا يجتمع حرفا توكيد : اللام وإنّ .

المعنى — يقول : أنت أولى بالملام ، وأنت أحوج إلى العــذل مني ، لأنّ من أحببت لايلام على حبه ، وقد بينه بعد هذا .

٣ — الإعراب — نصب « مثلك » على الحال من عاشق ، لأن وصف النـكرة إذا قدّم عليها نصب على الحال .

المعنى — يقول : إن وجدت لمحبوبي مثلا في الحسن، وجدت لي مثلا في العشق ، فإن حبيبي بغير مثل ، كذلك أنا . والمعنى يقول لها : تقولين مافي الناس عاشق ، على مثل بصيرتك ، ولا محبّ يحتمل على طريقتك ، وقولك في ذلك لايدفع عن الصدق ، ورأيك لايعدل عن الحقّ ، فجدى مثل حبيبي في جلالة القدر ، تجدى مثلي فيما بلغته من الحبّ .

٤ — الغريب — البيض : النساء . والمرهفات : السيوف .

المعنى — يقول : أنا محبّ كنى بالبيض ، يريد النساء ، عن السـيوف والمرهفات لا النساء ، وبالحسن في أجسامهنّ : عن الصقل للسيوف .

وَبِالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ الْقَنا غَيْرَ أَنَّنِي جَـناها أَحِبَّائِى وَأَطْرَافُها رُسْلِى (١)

عَدِمْتُ فُؤَادًا لَمْ تَبِتْ فِيهِ فَضْلَةٌ لِغَيْرِ الثَّنايَا الْغُرِّ وَالْحَدَقِ النُّجْلِ (٢)

فَما حَرَّمَتْ حَسْناءُ بِالْهَجْرِ غِبْطَةً وَلا بَلَّغَتْها مَنْ شَكا الْهَجْرَ بِالْوَصْلِ (٣)

ذَرِينِي أَنَلْ ما لا يُنالُ مِنَ الْعُلا

فَصَعْبُ الْعُلا فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ (٤)

تُرِيدِينَ لِقْيانَ الْمَعالِى رَخِيصَةً وَلا بُدَّ دُونَ الشُّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ (٥)

---

١ — المعنى — يريد : وأكنى (أيضا) بالسمر عن الرماح السمر ، و يعنى بجناها : مايجتنى بها من المعالى ، التى يرتقى إليها بالعوالى . يقول : فالمعالى هى أحبائى ، ورسلى التى تتردّد بينى و بينها الأسنة ، فأنا خاطب للمعالى بالرماح. والمعنى : أنه يجعل مايظهره من الضعف والمحبة خالصا للرماح ، و يعتقد أن مايجتنيه بها ، كالأحباب الذين ينحو نحوهم ، و يجعل كعاب أطرافها إليهم الرسل .

٢ — الغريب — الغرّ : البيض . والنجل : الواسعة .

المعنى — يقول : أعدمنى الله قلبا لايكون فيـه فضلة عن الاشتغال بالحبيب ، والتصرّف فى أسـباب العشق ، والكلف بحسان النساء ، ذوات الثنايا الواضحة ، والعيون النجل الفاترة ، وأعدمنى الله قلبا لاينزع من الأمور إلى أرفعها ، و يحلّ من منازل الشرف فى أجلها وأكرمها .

٣ — الغريب — حسناء : امرأة نكرة هنا ، والهاء فى «بلغتها» تعود على الغبطة .

المعنى — قال الخطيب : نهى عن الحرص فى طلب النساء . يقول : إذا هجرتها ثم وصلتها ، كنت أحسن موقعا عندها ، وأنشط لها ، فزادت الغبطة ، و إذا شكوت إليها الهجر ، وتذللت لها ، هنت فى عينها ، فحرمتك وصلها ، فضلا عن تبليغك الغبطة .

وقال الواحدى : المرأة الحسناء إذا هجرت لم تحرم المهجور غبطة ، لأنها لو أنعمت له بالوصل مابلغتـه الغبطة ، و « من شكا الهجر » ، وهو العاشق : مفعول ثان لبلغت . يريد : إن وصلته لم تبلغه غبطة .

٤ — المعنى — يقول للعاذلة : دعينى من لومك أنل من العلا ، مالم ينل قبلى ، والعلا الصعبة ، وهى التى لم يبلغها أحد فى الأمر الصعب الذى لم يدركه أحد ، والأمر السهل الذى يدركه كلّ أحد فى السهل الوصول إليـه . والمعنى : لايدرك من المعالى ماتجلّ قيمته ، إلا بتكلف ماتعظم مشقته ، وما كان منها يقرب تناوله ، فبحسب ذلك يكون تسافله .

٥ — الإعراب — الرواية المشهورة : « لقيان » (بضم اللام) ، وقد خطىء أبو الطيب فيه . وقالوا : =

حَذِرْتِ عَلَيْنا الْمَوْتَ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي ... وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَيِّ عاقِبَةٍ تُجْلِي (١)
فَلَسْتُ غَبِيناً لَوْ شَرَيْتُ مَنِيَّتِي ... بِإِكْرامِ دِلَّيْرَ بْنِ لَشْكَرْوَزَّ لِي (٢)
تُمِرُّ الْأَنابِيبُ الْخَواطِرُ بَيْنَنا ... وَنَذْكُرُ إِقْبالَ الْأَمِيرِ فَتَحْلَوْلِي (٣)

= قد ذكره سيبويه فى المصادر . قال : هومثل العرفان والحرمان ، والإتيان والوجدان . تقول : لقيته لقية ، ولقيا ولقيانا ، ولقى ولقاء ، وهى ضعيفة ولقيانة .

الغريب — الشهد : العسل . والنحل : جمع نحلة ، وهى زنابير العسل .

المعنى — يقول للعاذلة : تريدين أن أملك المعالى رخيصة ، ومن اجتنى الشهد قاسى لسع النحل ، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة اللسع ، وهو من قول العتابى :

وَإِنَّ جَسِيماتِ الْأُمُورِ مَشُوبَةٌ ... بِمُسْتَوْدَعاتٍ فِى بُطُونِ الْأَساوِدِ

١ — **الغريب** — تجلى : تكشف . والإجلاء : الكشف ، وروى والخيل تدعى ، يريد : وأصحاب الخيل ، وهم الفرسان ، يدعون بالانتساب على طريق الفخر ، وطلب الاشتهار .

المعنى — يقول للعاذلة : تحذرين علينا الموت ، والحرب تستعر ، والفرسان فى غمراتها تفتخر ، ولم تعلمى ماتجلى عنه من الظهور والغلبة ، وما تعقب من الكرامة والرفعة ، ولم تعلمى أن الدائرة علينا أو عليهم . وهذا يشير إلى الوقعة التى شهدها فى الكوفة مع الخارجى قبل ورود هذا الممدوح إليها .

٢ — **الإعراب** — جعل الاسمين اسما واحدا ، ففتح الراء ، وصرف الاسم ضرورة .

الغريب — دلير ولشكروز : اسمان من أسماء الديلم ، وهما الشجاع بالعربية . والغبين : المغبون ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، كما تقول : قتيل بمعنى مقتول . وشريت الشىء : إذا بعته . وشريته : ابتعته ، وههنا أراد الابتياع .

المعنى — يقول : إذا حصلت لنفسى إكرام هذا الممدوح بمهجتى ، لم أغبن ، وكنت رابحا . والمعنى : لو ابتعت المنية مغتبطا بها ، ولقيتها غير كاره لها ، جزاء لما أولانى هذا الممدوح من كرامته ، لما غبنت فى ذلك ، وكنت أربح الناس بهذا .

٣ — **الغريب** — الأنابيب : جمع أنبوب ، وهو مابين كعوب القناة ، وحلا واحلولى ، واستحليته واحلوليته : بمعنى . وأمرّ الشىء يمرّ إمرارا .

المعنى — يريد : أن الحرب شديد المرارة ، وهذا إشارة إلى الوقعة التى جرت بالكوفة ، ولم يشهدها الممدوح ، وكانت سبب قدومه إلى الكوفة . والمعنى : يقول تمرّ الرماح التى تخطر بيننا ، ثم نذكر إقبال الممدوح ، وماندعو ذلك إليه عند قدومه ، فيحلو لنا القتال ، فنقدم على الأعداء ، وقد عاب قوم عليه «فتحلولى» مع قوله «تجلى» ، وقالوا : كيف جمع بينهما فى القافية ، ولا صحة للواو ، وليس الأمر كذلك ، لأن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ماقبلهما ، جرتا مجرى الصحيح ، =

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِى أَنَّهَا سَبَبٌ لَهُ ... لَزَادَ سُرُورِى بِالزِّيَادَةِ فِى الْقَتْلِ (١)

فَلا عَدِمَتْ أَرْضُ الْعِرَاقَيْنِ فِتْنَةً ... دَعَتْكَ إِلَيْهَا كَاشِفَ الْخَوْفِ وَالْمَحْلِ (٢)

ظَلِلْنَا إِذَا أَنْبَى الْحَدِيدُ نُصُولَنَا ... نُجَرِّدُ ذِكْرًا مِنْكَ أَمْضَى مِنَ النَّصْلِ (٣)

مثل القول واللين، وكذلك إذا انفتحا وسكن ماقبلهما، مثل أسود وأبيض، وهذا مثل قول الكسعى:

يارَبِّ وَفِّقْنِى لِنَحْتِ قَوْسِى ... فَإِنَّهَا مِنْ أَرَبِى لِنَفْسِى

* وَانْفَعْ بِقَوْسِى وَلَدِى وَعِرْسِى *

وقال البحترى :

* إِنَّ سَيْرَ الْخَلِيطِ لَمَّا اسْتَقَلَّا *

ثم قال فى هذه القصيدة :

[ذَاكَ فَضْلٌ أُوتِيتَهُ] كُنْتَ مِنْ بَيْنِ الْبَرَايَا بِهِ أَحَقَّ وَأَوْلَى

وقال ابن جنى : هذا عيب ، وقد جاء فى الشعر القديم قال الشاعر :

إِذَا كُنْتَ فِى حَاجَةٍ مُرْسِلاً ... فَأَرْسِلْ حَكِيماً وَلا تُوصِهِ

وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ عَلَيْكَ الْتَوَى ... فَشَاوِرْ لَبِيباً وَلا تَعْصِهِ

١ — المعنى — يقول : لوكنت أدرى دراية تيقن أن ما باشرته فى الحرب سبب إلى قربه ، وموجب للنظر إلى وجهه، لزاد سرورى بوفور حظى من القتل الذى كنت أحذره، واقتحامى على الهلاك الذى كنت أتوقعه .

٢ — الإعراب — كاشف : نصب على النداء المضاف . وقال أبو الفتح : يحتمل أن يكون حالا.
الغريب — العراقان : الكوفة والبصرة ، وقيل العراق الأول الكوفة والبصرة وما بينهما إلى حلوان ؛ ومن حلوان إلى الرىّ : العراق الثانى . والمحل : الجدب .

المعنى — يقول : فلا عدم العراق فتنة ،كانت سببا لقدومك إليها، فأنت كاشف الخوف عنها بهيبتك ، وبركة سياستك ؛ وصارف المحل عنها بكرمك ، وجود راحتك .

٣ — الغريب — النبوّ : التأخر عن النفاذ . والنصول : السيوف .

المعنى — يقول : أقمنا فى الوقعة التى قدمت على أثرها إذا نبت السيوف بأيدينا عند المجالدة ، وعليها كثرة جنن أعدائنا المتظاهرة ، نجرد فيهم من ذكراك ، ماهو أنفذ من السيوف الصارمة ، وأشدّ عليهم من النصول الماضية . والمعنى : إذا لم تنفذ سيوفنا على أسلحة أعدائنا ، ذكرناك فنفذت عليهم بهيبتك .

وَنَرْمِى نَوَاصِيهامِنِ اُسْمِكَ فى الْوَغَى بِأَنفَذَ مِنْ نُشَّابِنا وَمِنَ النَّبْلِ (١)
فَإِنْ تَكُ مِنْ بَعْدِ الْقِتالِ أَتَيْتَنا فَقَدْ هَزَمَ الْأَعْدَاءَ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلُ (٢)
ومازِلْتُ أَطْوِى الْقَلْبَ قَبْلَ اجْتِماعِنا عَلَى حاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالسُّبْلِ (٣)

---

١ — الإعراب — سكن الياء فى «نواصيها» للضرورة . ومثله :

* كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقْ *

والضمير فى «نواصيها» لخيل الأعداء ، وإن لم يجر لها ذكر.

الغريب — النبل : سهام العرب . وصاحبها : نابل ونبال . وسائر سهام العجم : النشاب .
قال الأعشى : وهو يذكر عجم الفرس يوم ذى قار :

لَمَّا أَمَالُوا إِلَى النُّشَّابِ أَيْدِيَهُمْ مِلْنا بِبِيضٍ تَظَلُّ الْهَامَ تَخْتَطِفُ

وقال امرؤ القيس :

* وَلَيْسَ بِذِى سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالِ *

المعنى — يقول : نرمى نواصى خيل الأعداء إذا سيناك بما هو أقتل لها من نشابنا ، والنشاب عربى ، مأخوذ من نشب فى الشىء : علق .

٢ — الإعراب — جعل الظرف نكرة فأعربه ، فكأنه قال أولا ، وقد قرأ الجعفى والجحدرى : «لله الأمر من قبل ومن بعد» . وقال الشاعر :

فَسَاغَ لِىَ الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً أَكَادُ أَغَصُّ بِالْمَاءِ الْحَمِيمِ

وأنشد أبو زيد لخالد بن سعد المحاربى وكان جاهليا :

حَبَوْتُ بِها بَنِى سَعْدِ بْنِ عَوْفٍ على مَا كَانَ قَبْلٌ مِنْ عِتابِ

المعنى — يقول للممدوح : إن كنت أتيتنا على عقيب وقعتنا ، ولم تشهد ما قصدت له من نصرتنا ، فلم يهزم الأعداء قبل ورودك إلا بذكرك ، ولولاك لما قدرنا عليهم ، ولما ظهرنا عليهم ، إلا بما أحاط بنا من سعدك ، وعلو جدك ، فأنت الغالب لهم فى المعنى .

٣ — الغريب — السنابك: مقادم الحوافر. واحدها: سنبك . والسبل : الطرق . الواحد : سبيل.

المعنى — يقول : ما زلت قبل اجتماعى بك ، أطوى القلب على نية فى قصدك ، وحاجة من النهوض إلى أرضك ، فصار ذلك والوفاء به بين سنابك الخيل، التى يستعمل ركضها ، ومناهج السبل التى يستأنف قطعها ، فهى حاجة لا تدرك إلا بقطع المسافة ، وما أحسن ما كنى به عن المسير إليه .

وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرْنا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ غَرَائِبَ يُؤْثِرْنَ الْجِيادَ عَلَى الْأَهْلِ (١)
وَخَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بِوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ أَبَتْ رَعْيَها إِلاَّ وَمِرْجَلُنا يَغْلِى (٢)
ولكِنْ رأَيْتَ الْفَضْلَ فى الْقَصْدِ شِرْكَةً فكانَ لكَ الْفَضْلانِ فى الْقَصْدِ والْفَضْلِ (٣)
وَلَيْسَ الَّذِى يَتَّبَّعُ الْوَبْلَ رائِداً كَمَنْ جاءَهُ فى دارِهِ رائِدُ الْوَبْلِ (٤)

---

١ — **الغريب** — الجياد : جمع جواد ، وهى الخيل الكرام . وغرائب : جمع غريبة ، وهى الغريبة من الناس بما حازت من الأخلاق التى لا توجد فى سواها .

المعنى — يقول : لولم تسر نحونا لبادرنا إليك مسرعين بأنفس تؤثر الجياد على الأهل ، ولا تأنس إلا بما يوفر حظها من الفضل . والمعنى : أنه يختار السفر على الإقامة ، والنصب على الدعة، تحصيلا للذكر والشرف .

٢ — **الغريب** — المرجل : القدر . يغلى : من الغليان بالطبخ .

المعنى — يقول : ولبادرنا نحوك بخيل تصيد قبل الرعى ، فلا ترعى الرياض قبل صيد الوحش ، وذلك أنها لا يلحقها الكلال ، فيمنعها من صيد الوحش بعد طىّ المراحل . والمعنى : كنا نقصدك بأنفس كرام ، وخيل كرام ، لا ينكر سبقها عتاق ، لا يستكره خلقها إذا عنت لها سوانح الوحش ، وأحاطت بها خمائل الروض ،أبت أن تطمئنّ راتعة ، وتستقرّ وادعة، حتى تدرك ما تحاول من الوحش . قال الواحدى : وهذا من قول امرئ القيس :

إِذَا مارَكِبْنا قالَ وِلْدانُ أَهْلِنا تَعالَوْا إِلى أَنْ يَأْتِىَ الصَّيْدُ نَحْطِبِ

٣ — **المعنى** — يقول : كان فى عزمنا أن نقصدك ، والقصد مقترن بفضل القاصد ، فلما اتفق ورودك كان الفضلان لك ، لأنك جئتنا ولم تحوجنا إلى مسير إليك ، فذلك فضل تنفرد به دون الناس ، وفضل كسبته بقصدك إلينا .

٤ — **الإعراب** — أراد يتتبع ، فأدغم التاء فى أختها لما أسكنها ، ومثله يطير .

الغريب — الوبل : المطر الكثير . والرائد : الذى ترسله القوم ، فيطلب لهم الكلأ .

المعنى — يقول : ليس من يقصد الخير كمن يأتيه بلا قصد ولا تعب ، فليس من يطلب المطر كمن يمطر فى داره .

وقال الواحدى : إنهم بسبب إتيانه إليهم صاروا كالممطور ببلدته ، لا يتعنى فى الرياد ، وطلب الموضع الممطور .

وقال الخطيب : أنت كالسحاب الذى جاءنا مطره ، ولم يحوجنا إلى السفر ، لنرعى ما أنبته فيما بعد من الأماكن البعيدة ، التى تقصد للمرعى .

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدَّعِي الشَّوْقَ قَلْبُهُ وَيَحْتَجُّ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ (١)

أَرَادَتْ كِلَابٌ أَنْ تَقُومَ بِدَوْلَةٍ لِمَنْ تَرَكَتْ رَعْيَ الشُّوَيْهَاتِ وَالإِبِلِ (٢)

أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الْوَحْشَ وَحْدَهَا

وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبَّ الْخَبِيثَ مِنَ الأَكْلِ (٣)

وَقَادَ لَهَا دِلَّيْرُ كُلَّ طِمِرَّةٍ تُنِيفُ بِخَدَّيْهَا سَحُوقٌ مِنَ النَّخْلِ (٤)

---

١ — المعنى — يقول : ولست ممن يدّعى الشوق ، ولا يصدّق ذلك بظاهر فعله ، ويحتجّ فى ترك الزيارة بما ترادف عليه من شغله . يريد : أنه لو تأخر عن قدومه الكوفة ، لقصده أبو الطيب ، ولم يحتج بشغل ، فالمدّعى الشوق إذا تعلل بالشغل كان كاذبا فى دعواه ، ولأن المشتاق الصادق لا يمنعه عن الزيارة مانع ، ولا يقطعه عنها قاطع . وما أحسن قول من قال :

بَعِيدٌ عَنِ الْكَسْلَانِ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْمُشْتَاقِ فَهْوَ قَرِيبُ

٢ — الغريب — الشويهات : تصغير شاة ، يرد إلى الواحد ، وجمعها (بالتاء والألف) ، كجفان وجفنات . والإبل والإبْل : واحد .

المعنى — يقول : أرادت كلاب ، هذه القبيلة ، وهى من قيس عيلان ، وهم الذين قصدوا الكوفة ، وقاتلهم أهلها قبل قدوم هذا الديلمى الممدوح . يريد : أنهم قبيلة ضعيفة يرعون الإبل والشاء ، تعرّضوا بجهلهم إلى طلب دولة ، ثم قال : ولمن تركوا رعى الإبل والغنم إذا أرادوا أن يكونوا ملوكا ؟ يريد : أن الملك لا يليق بهم ، وإنما يليق بهم الرعى .

٣ — الغريب — الضبّ : دابة . وجمعه : ضباب وأضبّ ، مثل كفّ وأكفّ . وفى المثل : أعقّ من ضبّ ، لأنه يأكل حسوله ، والأنثى : ضبة ، وسماه خبيثا ، لأنّ الفقهاء اختلفوا فى أكله ، فمنهم من قال : هو حلال ، لأنه أكل على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى الصحيح من حديث خالد بن الوليد ، وعبد الله بن عباس ، فى بيت ميمونة خالتهما ، ولم يأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنه لم يكن بأرض قومى ، فأجدنى أعافه . ومنهم من قال : إنه مكروه ، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأكله وعافه ، فالأولى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المعنى — يقول : أبى الله أن يظفرها من ذلك بما طلبته ، ويعينها على ما حاولته ، وأن يترك الوحش منفردا عن مجاورتها ، عادما لما هو عليه من مساكنتها ، وأن يؤمن الضبّ الخبيث من تصيدها له ، ومن تقوّمها به . يريد : أنهم أهل بادية هذا شأنهم ، فأبى الله لهم إلا هذا ، ويأبى لهم أن يكونوا ملوكا .

٤ — الغريب — الطمرة : الفرس العالية الكريمة . والسحوق : النخلة الطويلة ، يقال : نخلة =

وَكُلِّ جَوادٍ تَلْطِمُ الْأَرْضَ كَفُّهُ ... بِأَغْنَى عَنِ النَّعْلِ الْحَدِيدِ مِنَ النَّعْلِ (١)

فَوَلَّتْ تُرِيغُ الْغَيْثَ وَالْغَيْثَ خَلَّفَتْ ... وَتَطْلُبُ مَاقَدْ كَانَ فِى الْيَدِ بِالرِّجْلِ (٢)

= سحوق وجبارة ومجنونة وباسقة ، يريدون العلو ، وأنها ممتنعة لايصل إليها أحد إلا بالتعب . قال:

يارَبِّ أَرْسِلْ خارِفَ الْمَساكِينْ ... عَجاجَةً مُشْـــبَلَةَ الْعَثانِينْ

* تَحُتُّ تَمْرَ السُّحُقِ الْمَجانِينْ *

هذا يدعو الله أن يرسل ريحا على النخل ، لتسقط الرطب فيأكل .

المعنى — يقول : قاد لهم هذا الممدوح كلّ فرس كريمة عالية ، طويلة العنق ، كأنّ مايشرف برأسها من عنقها نخلة سحوق ، وأشار بالخدّين إلى الرأس ، لأنهما منـه غير منفصلين عنه . وهو من قول الآخر :

كَأَنَّ الْجِسْمَ لِلرَّائِينَ طَوْدٌ ... وَهادِيها كَأَنْ جِذْعٌ سَحُوقُ

١ — المعنى — وقاد لها كلّ حصان جواد قوىّ أسره ، شديد خلقه ، تلطم الأرض كفه لصلابتها وقوتها ، لما هى عن النعل الحديد أغنى من ذلك النعل عن نعل آخر ، ولما هى أثبت منه فى خلقه وجنسه ، واستعار للحافر الكفّ ، كما يستعار للإنسان الحافر من الفرس فى قول الشاعر :

فَما رَقَدَ الْوِلْدانُ حَــتّى رَأَيْتُهُ ... عَلَى الْبَكْرِ يَمْرِيهِ بِساقٍ وَحافِرِ

٢ — الغريب — الإراغة : الارتياد والمحاولة . وارتاغ : طلب وأراد . وماذا تريغ ، أى ماذا تطلب . وراغ إليه : مال .

المعنى — قال الواحدى : قال ابن جنى . يريد : لو ظفرت بالكوفة ، وما قصدت له ، لوصلت إلى تناول الغيث باليد عن قرب .

قال العروضى : هـذا تفسير من لم يخطر البيت بباله ، لأنه ظاهر ، وللمتدبر أن يقول : قد كانت كلاب فى أمن ونعمة ، ثم شبه ما كانوا فيه بالغيث ، فأرادوا طلب الملك ، وجاءوا محاربين فهزموا ، فلما تولوا هاربين قصدوا بأرجلهم ما كان فى أيديهم من مواطنهم ونعمهم ، فذلك قوله « وتطلب ما قد كان فى اليد بالرجل » .

وقال ابن فورجة: يعنى أنها كانت فى غيث من أقطاع السلطان وإنعامه ، فلما عصوا وحاربوا انهزموا ، وولوا هاربين، يطلبون مأمنا وحصنا ، وقد خلفوا أمنا كان حاصلا لهم . وقوله « تطلب بأرجلها ما كان فى أيديها » ، أى تطلب بهربها وعدوها على أرجلها ، ما كان حاصلا فى أيديها . والمعنى : أنها تطلب ما كان فى أيديها آمنة مطمئنة بالانتقال والرحلة ، خائفة متوقعة ، وأشار باليد والرجل إلى الحالتين .

تُحاذِرُ هَـزْلَ المالِ وَهْيَ ذَلِيلَةٌ ... وَأَشْهَدُ أَنَّ الذُّلَّ شَرٌّ مِنَ الْهَزْلِ (١)
وَأَهْدَتْ إِلَيْنا غَيْرَ قاصِدَةٍ بِهِ ... كَرِيمَ السَّجايا يَسْبِقُ القَوْلَ بِالْفِعْلِ (٢)
تَتَبَّعَ آثارَ الرَّزايا بِجُودِهِ ... تَتَبُّعَ آثارِ الأَسِنَّةِ بِالْفُتْلِ (٣)
شَفَى كُلَّ شاكٍ سَيْفُهُ وَنَوالُهُ ... مِنَ الدَّاءِ حَتَّى الثّاكِلاتِ مِنَ الثُّكْلِ (٤)

---

١ — الغريب — المال : السائمة من الإبل وغيرها . والهزال : الضعف والإضاعة ، يقال : هزل فلان إبله هزلا : إذ أضاعها حتى تهزل . والهزال : ضدّ السمن ، يقال : هزلت الدابة على مالم يسم فاعله هزالا ، وهزلته أنا هزالا فهو مهزول . وأهزل القوم : أصابت مواشيهم سنة فهزلت .

المعنى — يقول : حذرت الهزال على نعمهم ، وقدذلوا بالقتل والهزيمة ، وما لحقهم من الذلّ شرّ مما يحذرون على أموالهم من الهزال . والمعنى : أنها تحاذر على أموالها الضياع والهزال ، وتستسهل لأنفسها الصغار والإذلال ، وأشهد أن الذلّ أشدّ من الهزال ، وأن الصغار أوجع لقلوب الأحرار من الفقر .

٢ — الغريب — السجايا : الخلائق . واحدها : سجية .

المعنى — يقول : أهدت إلينا ، لأنها كانت سببا لقدومه ، وما أحسن ماقال « غير قاصدة » والمعنى : أهدت إلينا بنو كلاب ، بما أظهرته من العصيان ، وأعلنت به من خلاف السلطان ، غير عامدة إلى ما أهدته ، ولا قاصدة إلى ما أوجبته من قدوم الأمير ، دليركريم الخلائق ، مشكور المذاهب ، يسبق فى الإفضال فعله قوله : ويتقدّم فى الإحسان إنجاز وعده .

٣ — الغريب — الرزايا : الفجائع . وآثار الأسنة : الجراحات التى تحدثها الرّماح . والفتل : جمع فتيلة ، وهى التى يجعل فيها الطبيب المرهم ، ليوصله إلى الجرح .

المعنى — يريد : أنه تتبع آثار الفجائع ، فسلى عنها بجوده ، وتقصى بقايا المكاره ، فعزى عنها بفعله ، وتلافى ذلك كما تتلافى جراح الأسنة بالفتل التى تجبر ، وتدفع عواديها وألمها ، وفيه نظر إلى قول بشامة بن حزن .

بِيضٌ مَفارِقُنا ، تَغْلِي مَراجِلُنا ... نَأْسُو بِأَمْوالِنا آثارَ أَيْدِينا

٤ — الإعراب — الثاكلات : فى موضع نصب ، عطفا على كلّ تقديره شفى كلّ ، والثاكلات ، ويجوز أن يكون فى موضع جرّ ، والعطف أولى وأظهر .

الغريب — الثاكلات : جمع ثاكلة ، وهى التى ثكلت ولدها بموت أو قتل ، وهنّ المفجعات . والنوال : العطاء .

المعنى — يقول : أدرك أثآر الناس ، وشفاهم بسيفه ، وشفى الثاكلات من ثكلهنّ . والمعنى : أنه عمّ بالإحسان والفضل ، وأجار بكرمه من نوائب الدهر .

عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمْسَ صُورَةُ وَجْهِهِ ... وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقًا لَحَادَ إِلَى الظِّلِّ(١)

شُجاعٌ كَأَنَّ الْحَرْبَ عاشِقَةٌ لَهُ ... إِذَا زَارَها فَدَّتْهُ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ(٢)

وَرَيَّانُ لا تَصْدَى إِلَى الْخَمْرِ نَفْسُهُ ... وَعَطْشانُ لا تَرْوَى يَدَاهُ مِنَ الْبَذْلِ(٣)

فَتَمْلِيكُ دِلِّيرٍ وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ ... شَهِيدٌ بِوَاحْدَانِيَّةِ اللهِ وَالْعَدْلِ(٤)

وَمَا دَامَ دِلِّيرٌ يَهُزُّ حُسَامَهُ ... فَلَا نَابَ فِي الدُّنْيَا لِلَيْثٍ وَلَا شِبْلِ(٥)

---

١ — الغريب — تروق : تعجب وتحسن . وحاد : مال ورجع ،

المعنى — يقول : هوعفيف عن كلّ شيء ، وعن كلّ أنثى ، فلو نزلت الشمس لشوقها إليه لمال عنها إلى الظلّ ، وهـذا من المبالغة فى العفة ، وأنه أحسن من الشمس . لأنه جعل الشمس تشتاقه ، فلو نزلت مشتاقة إلى غرّته لمال إلى الظلّ غير مسعد لها .

٢ — المعنى — يقول : هو شجاع كان الحرب عاشقة له ، فهى عنـد زيارته لها ، وما يتسرّع اليه من الإلمام بها ، تفدّيه من الخيل والرجل بما يطلبه ، وتمـكن له من الصنع أفضل ما يرغبه ، وهذا من غريبه الذى لم يسبق إليه .

٣ — الغريب — تصدى : تعطش . والصدى : العطش . والبذل : العطاء .

المعنى — يقول : هو ريان الجوارح بما هو عليه من صيانته ، مبرقع عن المحارم ، بما يؤثره من توفير مروءته ، نفسه لاتعطش إلى الخمر ، ورأيه لا يعدل به الى الباطل واللهو ، لـكنه عطشان من الـكرم ، فيداه لاتروى منـه ، ورغبته له تتأكـد فيـه ، ورأيه لا ينصرف ، ويروى : نداه بالنون ، أى كرمه .

٤ — المعنى — يقول: تمليكه ، وتمـكين الله لأمره ، وتأييده على مايوجب له تعظيم قدره ، مع ماهو عليـه من إيثار الإحسان ، وما يعتقد من مواصلة التطوّل والإنعام ، شهيد بوحدانية الله وعدله ، وما جدّد لعباده من لطائفه وصنعه ، حيث ملك عليهم من هو عفيف محسن .

٥ — الغريب — الليث : الأسد . والشبل : ولد الأسد .

المعنى — قال الواحدى : قال ابن جنى : لاتعمل أنياب الأسد مايعمل سيفه فى كفه ، فـكأنها ليست موجودة ، وليس المعنى ماذكره ، وإنما المعنى: مادام قائم سيفه فى كفه، لم يتسلط أسد على فريسة ، لأنه يصده بسيفه أن يعدو على الناس . والمعنى: مادام يهزّ سيفه ، فالأسود ذليلة لاتخاف عاديتها ، وأنيابها كليلة لاتتوقع مضرّتها .

وَمَادَامَ دِلِيرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ ... فَلَا خَلْقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِي حِلِّ(١)
فَتًى لَا يُرَجِّى أَنْ تَتِمَّ طَهَارَةٌ ... لِمَنْ لَمْ يُطَهِّرْ رَاحَتَيْهِ مِنَ الْبُخْلِ(٢)
فَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ أَصْلًا أَتَى بِهِ ... فَإِنِّي رَأَيْتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الْأَصْلِ(٣)

وقال يمدح عضد الدولة

ويذكر وقعة وهسوذان بالطرم، وكان والده ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الري، فهزمه وأخذ بلده.

وهي من الكامل، والقافية من المتراكب

اِثْلِثْ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلَلُ ... نَبْكِي وَتُرْزِمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ(٤)

---

١ — المعنى — مادام يقلب كفه بالبذل، فلا يحل لأحد دعوى المكارم. والمعنى: مادام يقلب كفه بما يستعملها فيه من الكرم، ويمطره من سحائب النعم، فلا أحد فى حل من دعوى المكارم، ولا من الانتساب إلى ما انفرد به من الفضائل، لأنه المستولى على ذلك، والمنفرد فيه بجميل الذكر.

٢ — الغريب — الطهارة: التبرّى من الدنس.

المعنى — يقول: هو مستبصر فى إيثار الفضل، مجبول على الكرم والبذل، يكره البخل وينافره، ويبغضه ويخالفه، ولا يعدّ الدنس إلا فى الالتباس به، ولا الطهارة إلا فى المجانبة له.

٣ — المعنى — يريد: لاقطع الله أصلا أنجب لنا مثله، وحرس النسل الذى نشر علينا فضله، فإنى رأيت الفروع إنما تطيب بحسب طيب أصولها، وتكرم بمقدار كرم من إليه مصيرها.

٤ — الغريب — ثلثت الرجلين: صرت ثالثهما، والإرزام: حنين الإبل. ومنه الرزمة: صوت السحاب. والطلل: ما أشرف من بقايا الديار.

المعنى — كن أيها الطلل ثالثا فى البكاء على فقد الأحبة، فنحن نبكى، والإبل تحنّ معنا، تساعدنا بالبكاء على ما غيرته الأيام من بهجتك، وأذهبت من غضارتك وجدتك، ووصلته من بعد أحبائنا العامرين لك، الجامعين شمل السرور بك، فإنا نبكى فيك، ونوقنا ترزم، ونندب ساكنيك، ودموعنا تسجم. وفيه نظر إلى قول البحترى:

اطْلُبَا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي ... رَابِعُ الْعِيسِ وَالدُّجَى وَالْبِيدِ =

أَوْ لاَ فَلا عَتْبٌ عَلَى طَلَلٍ إِنَّ الطُّلُولَ لِمِثْلِها فُعُلُ(١)

لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُعْتَذِراً بِى غَيْرُ ما بِكَ أَيُّها الرَّجُلُ(٢)

أَبْكاكَ أَنَّكَ بَعْضُ مَنْ شَغَفُوا لَمْ أَبْكِ أَنِّى بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا(٣)

إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتَ وَاحْتَمَلُوا أَيَّامُهُمْ لِدِيارِهِمْ دُوَلُ(٤)

الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلَّمَا رَحَلُوا مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا(٥)

= وأخذ التهامى معنى قول أبى الطيب فى قوله :

بَكَيْتُ ، فَحَنَّتْ نَاقَتِي ، فَأَجابَها صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لاحَتْ دِيارُها

١ — المعنى — يقول : لاعتب عليك فى ترك البكاء ، فإن الطلول ليس من عادتها البكاء ، فهى فاعلة لمثل هذه الفعلة فى ترك المساعدة على البكاء . يعذره فى ترك البكاء .

٢ — المعنى — يقول : لو كنت تنطق لقلت صادقا غير مكذب ، ومعذورا غير مؤنب : إن الذى أشكوه وأظهره تقول عند الذى تخفيه وتضمره ، وأن دلائل ماتطويه من الأسف بادية ، وأن شواهده ، وإن صمت منادية .

٣ — الغريب — الشغف : إحراق الحزن للقلب .

المعنى — يقول : لقلت الذى بى أكثر من الذى بك ، لأنهم شغفوك حبا ، فأذهبوا قلبك ، وقتلونى بارتحالهم عنى ، والقتيل لايقدر على البكاء .

قال أبو الفتح : فإن قيل : فإذا قدر على أن يجيبه فهلا بكى معه ؟ . قلنا : إن كلفة البكاء أشد من كلفة الكلام ، وليس على أبى الطيب فى هذا دخل ، لأنه ما قال : لو قدر على الكلام لقدر على البكاء .

٤ — الإعراب — إن الذين يجوز أن يكون من كلام الطلل ، متصلا بالكلام المحكى عنه ، ولا يمتنع أن يكون من خطاب أبى الطيب له ، فيجوز ضمّ التاء وفتحها من أقمت .

الغريب — الدول : جمع دولة ، وهى مدّة مقام الأحبة فى الطلل .

المعنى — يقول للطلل : إن الذين رحلوا عنك ، و بعدوا بجماعتهم ، أيامهم للديار التى يحلونها ، والمنازل التى يتخيرونها ، دول سرور مستقبلة ، وأيام جذل مستأنفة ، والذى صرف عنك من ذلك يوحشك ، وما منعته منهم لامحالة يؤلمك .

٥ — المعنى — يقول : الحسن يرحل مع الذين هاجنا الحزن لرحيلهم ، و ينزل معهم بالمكان الذى ينزلونه ، فلا يفارقهم انقيادا لأمرهم ، ولا يتأخر عنهم كلفا بهم .

فى مُقْلَتَىْ رَشَإٍ تُدِيرُهُمَا بَدَوِيَّةٌ فُتِنَتْ بِهَا الْحِلَلُ (١)
تَشْكُو الْمَطَاعِمُ طُولَ هِجْرَتِهَا وَصُدُودَهَا وَمَنِ الَّذِى تَصِلُ (٢)
مَا أَسْأَرَتْ فى الْقَعْبِ مِنْ لَبَنٍ تَرَكَتْهُ وَهْوَ الْمِسْكُ وَالْعَسَلُ (٣)

---

١ — الإعراب — الظرف يتعلق بما قبله . يريد أن الحسن فى مقلتى رشا يرحل برحيله .

الغريب — الرشأ : ولد الظبية الصغير . والحلل : جمع حلة ، وهى القوم المجتمعون فى بيوت مجتمعة للنزول . والبدوية : الساكنة البدو . والبداوة (بالفتح والكسر) : الإقامة فى البادية ، وهى خلاف الحاضرة . وقال ثعلب : لا أعرف الفتح إلا عن أبى زيد وحده ، والنسبة إليه بداوى .

المعنى — يريد : أن الحسن يرحل فى مقلتين مستعارتين، من ظبى صغير تديرها امرأة ساكنة البدو ، وقد فتنت بهما أهل الحلل الذين حلوا معها . يريد: أن جميع الحسن الذى أرفع فى وصفه ، وأطنب فيما اجتلب من ذكره ، فى مقلتى ظبى تديرها ساحرة الطرف ، ناعمة ظاهرة الظرف ، تفتن من رآها .

٢ — الإعراب — روايتنا فى «صدودها» (بالنصب والجرّ) عن شيخى ، فالنصب عطف على «طول» ، والجرّ عطف على «هجرتها» .

المعنى — يقول : إن المطاعم، وهى الأطعمة، تشكو قلة رغبتها فيها ، وهو جيد فى النساء ، ودليل على الخفر . يريد : أنها قليلة الأكل ، ثم قال : إن هجرت الطعام ، فإن من عاداتها الهجر ، فإنها لاتواصل أحدا ، ومن الذى تواصله مع موضعها من الجلالة والرفعة والمنعة ؟

٣ — الإعراب — الجملة الابتدائية فى موضع الحال من «تركته» ، «وما أسأرت» بمعنى الذى ، وهو مبتدأ وخبره « تركته » ، كقولك : ماضربه زيد عمرو .

الغريب — السؤر : ما أبقاه الشارب لغيره ، والجمع : الأسآر ، وإذا شربت فأسئر ، أى أبق . والنعت منه ، سآر على غير قياس ، وقياسه مسئر ، ونظيره أجبره فهو جبار . قال الأخطل:

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالْكَأْسِ نَادَمَنِي لا بِالْحَصُورِ وَلا فِيهَا بِسَئَّارِ

يريد : لا يسئر كثيرا ، وأدخل الباء فى الخبر ، لأنه ذهب بلا مذهب ليس، لمضارعته له فى النفى . والقعب : قدح من خشب مقعر . وحافر مقعب ، مشبه به . والجمع : قعبة .

المعنى — يقول : الذى أبقته فى القدح من شرابها ، تركته مسكا وعسلا . يريد : عذوبة ريقها وطيب نكهتها ، وأن سؤرها كالمسك فى أرجه وفوحه ، والعسل فى حلاوته وطيبه . وفيه نظر إلى قول جميل :

فَلَوْ تَفَلَتْ فى الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ لَعَادَ أُجَاجُ الْبَحْرِ مِنْ رِيقِهَا عَذْبَا

قَالَتْ أَلاَّ تَصْحُو فَقُلْتُ لَهَا ... أَعْلَمْتِنِي أَنَّ الْهَوَى ثَمِلُ(١)

لَوْ أَنَّ فَنَّا خُسْرَ صَبَّحَكُمْ ... وَبَرَزْتِ وَحْدَكِ عَاقَهُ الْغَزَلُ(٢)

وَتَفَرَّقَتْ عَنْكُمْ كَتَائِبُهُ ... إِنَّ الْمِلَاحَ خَوَادِعٌ قُتُلُ(٣)

---

١ — الغريب — الثمل : السكران . والثمل : السكر .

المعنى — قال الواحدى : قالت لى عاذلتى على العشق ألا تصحو من بطالتك ؟ فقلت لها أخبرتنى فى فحوى كلامك ، حين أمرتنى بالصحو أن الهوى سكر ، لأن الصحو لايكون من غير السكر ، وهذا إشارة إلى أنه كان غافلا عن حال نفسه، لشدة هيمانه ، و إنما نبهته على أنه سكران من الهوى . انتهى كلامه . والمعنى : قلت لها : إن الهوى سكر يغلب على العقل ، والمبتلى به لايصغى إلى الملامة والعذل .

٢ — الغريب — فناخسر : من أسماء الديلم ، وهو اسم عضد الدولة . وصبحكم : أتاكم صباحا للغارة ، يقال : صبحهم وصبحهم مشدّدا ومخففا : إذا أتاهم صباحا للغارة . قال الشاعر :

وَنَحْنُ صَبَحْنَا آلَ نَجْرَانَ غَارَةً ... تَمِيمَ بْنَ مُرٍّ وَالرِّمَاحَ الدَّوَاعِسَا

تميم بن مر ، بدل من « غارة » . و « الرماح » : معطوفة عليه . والغزل : الكلف بأمور النساء .

المعنى — يقول : لو صبح أرضك هذا الممدوح ، مع عفته وجدّه فى الأمر ، واعتبرنا جيشك بجيوشه ، وبرزت له وحدك لعاقه ، غزل الحبّ عما استظهر به من الجموع للحرب .

قال أبو الفتح : ماأحسن ما كنى عن الهزيمة بقوله «عاقه الغزل» .

وقال ابن فورجة : لو كانت هذه إحدى السعالى لما هزمت أحدا ، فكيف عضد الدولة ، وما وجه الهزيمة عمن توصف بالحسن ، و يقال فيها : بدوية فتنت بها الحلل ، و إنما هذا وصف لعضد الدولة بالرغبة عن النساء ، والتوفر على الجدّ ، ثم لما بالغ فى وصف هذه ، وأراد الخروج إلى المدح ، أتى بالغاية فى ذكر حسنها ، حتى لو أن عضد الدّولة مع توفره وجدّه على تدبير الملك لو تعرّضت له هذه المرأة ، لقدحت فى قلبه غزلا ، عاقه عن الرجوع عنها ، ألا تراه يقول بعده : ما كنت فاعلة وضيفكم ، وكيف يضاف المنهزم ، و إنما غلط أبو الفتح لما سمع قوله ، وتفرّقت عنكم كتائبه ، و إنما تتفرّق حينئذ عنهم ، لتوفرها على الغزل واللهو ، ولذة الظفر بالحبيب :

٣ — الغريب — الكتائب : جمع كتيبة ، وهى جماعة من الخيل .

المعنى — يقول : لتفرّقت كتائبه عنكم ، و يئست عما تحاوله منكم . والملاح : خوادع العقول ، والكلف بهنّ من أسباب الذّهول .

ما كُنْتِ فاعِلَةً وَضَيْفُكُمْ مَلِكُ المُلوكِ وَشأْنُكِ البَخَلُ (١)
أَتُمَنِّعِينَ قِرًى فَتَفْتَضِحِي أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ (٢)
بَلْ لا يَحُلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ بُخْلٌ وَلا جَوْرٌ وَلا وَجَلُ (٣)
مَلِكٌ إِذا ما الرُّمْحُ أَدْرَكَهُ طَنَبٌ ذَكَرْناهُ فَيَعْتَدِلُ (٤)
إِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا عَمَّا يَسُوسُ بِهِ فَقَدْ غَفَلُوا (٥)
حَتَّى أَتَى الدُّنْيا ابْنُ بَجْدَتِها فَشَكا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالجَبَلُ (٦)

---

١ — المعنى — يقول : ما كنت فاعلة ، وضيفك ملك الملوك ، وسيد السادات ، وسبيل من حلّ به أن يظهر إجلاله و إعظامه ، وأن يلتزم مبرّته و إكرامه ، وشأنك الإعراض والبخل ، وخلقك التثاقل والكسل .

٢ — الغريب — القرى : ما يتكلف للضيف من الطعام وغيره .

المعنى — يقول: أكنت تمنعين من قراه ، فتفتضحى فى فعلك ، أم تسمحين بذلك، فتخرجى عن المعهود من أمرك .

٣ — الغريب — الجور: خلاف العدل، وأصله الميل عن الحق وعن الطريق . والوجل: الخوف .

المعنى — يقول : لايحلّ بحيث حلّ من منازله ، ولا يصير فيما يستقرّ به من مواضعه بخل ، ولا وجل يعترض فيما بسط الله له من الدعة والأمن .

٤ — الغريب — الطنب : اعوجاج فى الرمح .

المعنى — يقول : لاستقامته واعتداله فى الأمور إذا ذكرنا اسمه اعتدل الرمح المعوج .

٥ — المعنى — يقول : إنه ساس الملك ، وأحسن سياسته ، وعمرت الأرض به أحسن عمارة ، وأربى فى إحاطته على الملوك الذين كانوا قبله ، وزاد على سير الحكماء الأوّلين ، فإن لم يكن من قبله من الملوك عجز عما أبداه فى السياسة وأظهر ، فقد قصر فى أن أهمل ذلك وأغفله. والمعنى: غفلوا عن ذلك حيث لم يسيروا فى الرعية بسيرته الكريمة .

٦ — الغريب — ابن بجدتها : عالم بدخلتها ، وما يشكل من أمورها ، يقال : هو عالم ببجدة أمرك (بفتح الباء و بضمها ، و بضمّ الباء والجيم أيضا) ، أى بدخلة أمرك ، يقال عنده بجدة ذلك ، أى علمه ، و يقال للعالم بالشيء : هو ابن بجدته .

المعنى — يقول : حتى ملك الدنيا عضد الدولة ، وكان عالما بها ، و بضبط أمورها ، وسياسة أهلها ، فشكا إليه سهلها وجبلها، فدبر أمر الدنيا الرئيس الجليل ، البصير بمصالحها، لما شكا إليه السهل والجبل مالحقهما من الخلل .

شَكْوَى الْعَلِيلِ إِلَى الْكَفِيلِ لَهُ ... أَنْ لَا تَمُرَّ بِجِسْمِهِ الْعِلَلُ (١)

قَالَتْ : فَلَا كَذَبَتْ شَجَاعَتُهُ ... أَقْدِمْ فَنَفْسُكَ مَالَهَا أَجَلُ (٢)

فَهُوَ النِّهَايَةُ إِنْ جَرَى مَثَلٌ ... أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغًى مَنِ الْبَطَلُ (٣)

عُدَدُ الْوُفُودِ الْعَامِدِينَ لَهُ ... دُونَ السِّلَاحِ الشُّكْلُ وَالْعُقُلُ (٤)

فَلِشُكْلِهِمْ فِي خَيْلِهِ عَمَلٌ ... وَلِعُقْلِهِمْ فِي بُخْتِهِ شُغُلُ (٥)

---

١ — المعنى — يقول : كما يشكو العليل إلى الطبيب الذى يضمن له أن يشفيه من كل داء وعلة ، حتى لا تعاوده علة ، يعنى : أن الدنيا بما كان من الاضطراب والفساد فيها ، كأنها شاكية إلى عضد الدولة ، وهو يقصد تسكين الفتنة ، وحسن السياسة ، كأنه ضامن أن لا يعاود الدنيا ماتشتكيه . وهو من قول الأخيلية :

إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً ... تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا

٢ — الغريب — فلا كذبت : دعاء اعترض بين الفعل والفاعل .

المعنى — يقول : قالت شجاعته أقدم ، فما لنفسك أجل تخشاه كآجال الناس . وقوله : « لا كذبت » . قال أبو الفتح : هو دعاء له بالبقاء هذا كلامه . والمعنى : قالت شجاعته فيما مثلته لنفسه ، وانعقدت عليه حقيقة أمره من الجراءة أقدم ، فلا أكذبها الله فيما ضمنته له من الفوز ، وصدّقها فيما حسنته عنده من الإقدام ، أى أقدم ، فالسلامة مضمونة لك واشجع ، فالغلبة مقرونة بك ، فأجلك مؤخر لا تحذره ، والمكروه مصروف عنك فلا تتوقعه .

٣ — المعنى — يقول : هو النهاية عند ضرب المثل فى الشجاعة إذا ضرب المثل بأعلام الشجعان ، وهتف فى الحرب بأبطال الفرسان ، فهو الشجاع الذى لا يعدل أحد به ، والبطل الذى لا تخضع رقاب الأبطال إلا له .

٤ — الغريب — الوفود : جمع وافد ، وهم الذين يفدون على الملوك للعطاء . والشكل : جمع شكال ، وهو ما يجعل فى قوائم الفرس . والعقل : جمع عقال ، وهو ما يربط به يد البعير .

المعنى — يقول : الوفود الذين يفدون عليه ليس معهم سلاح ، لأنه لا مطمع فيه بالسلاح ، ولكن ترد عليه زواره ، ومعهم الشكل للخيل ، والعقل للإبل ، فيظفرون ببغيتهم . هذا كلام أبى الفتح ، ونقله الواحدى . والمعنى : أنهم قد غنوا عن تحمل السلاح فى البلاد ، لما شملها من الدعة ، وما عمها من السكون والأمنة . وأنهم لا يحملون معهم إلا الشكل والعقل ، متيقنين لما يختارون من هباته من الخيل والإبل ، فلا يحتاجون إلى غير ذلك .

٥ — المعنى — يقول : إن الوفود القادمين إليه قد صدق ظنونهم بما شملهم من الفضل ، وتتابع =

تُمْسِي عَلَى أَيْدِي مَوَاهِبِـــهِ . هِيَ أَوْ بَقِيَّتُها أَوِ الْبَـــدَلُ[١]

يُشْتَاقُ مِنْ يَدِهِ إِلَى سَـــبَلٍ شَوْقًا إِلَيْهِ يَنْبُتُ الْأَسَـــلُ[٢]

سَبَلٌ تَطُولُ الْمَــكْرُمَاتُ بِهِ وَالْمَجْدُ لا الْحَوْذَانُ وَالنَّفَلُ[٣]

= عندهم من الإحسان والبذل ، فالشكل التي جلبوها عمل فى خيله، والعقل التي حلوها تصرّف فى بخته . والبخت : الإبل العجمية ، وهى غير العربية ، وهى صبورة على البرد والمطر ، غير صابرة على الحرّ والعطش .

١ — المعنى — قال أبو الفتح : تلى مواهبه أمر خيله و إبله ، كما يقال : فلان على يدى عدل ، أى قد ملك أمره عليه، فصار أحقّ به منه ، وهى، يعنى الإبل والخيل، ومابقى منها بعد ماوهبه لقوم آخرين ، أو البدل عينا أوورقا . وقال الخطيب : خيله و إبله التى تأخذها الوفود ثلاثة أصناف ، فإما أن تـكون موفورة قدكان قبلها غيرها ، فهى تسلم إليهم ، و إما أن تـكون قد بقيت منها بقية ، فهم المحكمون فيها ، و إما أن تـكون استبدل غيرها ، فهم يأخذون البدل .

وقال المعرّى : يهب أوائل خيله و إبله ، لأوائل الوفود، و بقيتها لمن يفد بعد ، فإذا لم يبق شىء وهب فى الوقت بدلها من العين والورق .

وقال الواحدى: تملك مواهبه ماله من الخيل والنعم، فهى، أى الخيل، تمسى على أيدى مواهبه ، أى تلى أمرها ، وتتصرّف فيها أو بقيتها ، يعنى : ما فضـل منها من قوم آخرين ، أو بدلها من العين والورق . يريد : أن جميع ماله فى تصرّف مواهبه . والمعنى : أن تلك الخيل والبخت تمسى مقبوضة من قاصديه ، محوزة فى تملك مؤمّليه ، واصلة إليهم على أيدى مواهبه ، وما بـقى من حمل مواهبـه ، فإن سبق إلى بعضها المتقدّمون من عفاته ، والأوّلون من وفوده ، كان لمن تلاهم من قصاده ما بـقى من جملها ، أو ما يعتاضه من بذل بدلها .

٢ — الغريب — السـبل (بالتحريك) : المطر ، وهو بين السحاب والأرض حين يخرج من السحاب ، ولم يصل إلى الأرض . والأسل : الرماح .

المعنى — يقول : الناس مشـتاقون إلى عطاء يده ، والرماح تنبت شـوقا إلى أن يباشرها و يستعملها فى الحرب ، وفى البيت تقديم وتأخير . يريد : ينبت الأسل شوقا إلى الممدوح ، يريد : إلى مباشرتها بيده ؛ يعنى : يشتاق إلى سبل يده التى تنسكب بالنعم ، وتفيض بالآلاء والمنن ، وينبت الأسل ، رغبة فيا يتصل بذلك السبل من الحكم ، وما يتصرّف به فى الحرب والسلم ، وفيـه تنبيه على أنه جواد شجاع .

٣ — الإعراب — من روى سبل (بالجرّ) أبدله من الأوّل، ومن رفعه جعله خبرا بتداء محذوف. =

وَإِلَى حَصَى أَرْضٍ أَقَامَ بِهَا ... بِالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِهَا يَلَلُ[1]
إِنْ لَمْ تُخَالِطْهُ ضَوَاحِكُهُمْ ... فَلِمَنْ تُصَانُ وَتُذْخَرُ الْقُبَلُ[2]
فِى وَجْهِهِ مِنْ نُورِ خَالِقِهِ ... قُدَرٌ هِىَ الآيَاتُ وَالرُّسُلُ[3]
وَإِذَا الْقُلُوبُ أَبَتْ حُكُومَتَهُ ... رَضِيَتْ بِحُكْمِ سُيُوفِهِ الْقُلَلُ[4]

= الغريب — الحوذان : نبت . والنفل : نبت طيب الريح . قال القطامى :

ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِهَا الْحَادِى وَجَنَّبَهَا ... بَطْنَ الَّتِى بَطْنُهَا الْحَوْذَانُ وَالنَّفَلُ

المعنى — يقول : هو مطر ينبت به الكرم والمجد ، ويكثر عليه الشكر والحمد ، وليس ينبت به الحوذان والنفل ، ولا يرتعيه الشاء والإبل .

١ — الغريب — اليلل : قصر الأسنان العليا . ويقال : انعطافها إلى داخل الفم ؛ رجل أيلّ ، وامرأة يلاء ، ورجال يلّ ، ونساء يلّ . قال لبيد :

رَقَمِيَّاتٌ عَلَيْهَا نَاهِضٌ ... تُكْلِحُ الأَرْوَقَ مِنْهُمْ وَالأَيَلّ

والأروق : الذى تطول ثناياه العليا السفلى .

المعنى — قال أبو الفتح : فيهم يلل من كثرة ماقبل الناس حصى الأرض، التى أقام بها بين يديه ، كأنهم قدحدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى ، كانعطاف الأسنان على باطن الفم .

وقال الواحدى بعد نقل كلام أبى الفتح : أخطأ ابن جنى فى تفسير اليلل بالانعطاف ، وقد ذكر الجوهرى فى صحاحه مثل ماذكر أبو الفتح ، و «إلى» عطف على «إلى» الأوّل .

٢ — الغريب — الضاحك جمعها: ضواحك، وهى التى بين الأنياب والأضراس ، وهى أربع ضواحك.

المعنى — يقول : إن لم تخالط الأسنان حصى أرضه عند القبل ، فلمن تصان القبل . يريد : أنه يستحقّ التقبيل إعظاما له ، وإجلالا لقدره .

٣ — الغريب — قوله «هى الآيات والرسل» ، كقولهم : أبو يوسف أبو حنيفة ، وكقوله تعالى : «وأزواجه أمّهاتهم» .

المعنى — يقول : على وجهه من نور خالقه قدر تدلّ على الاعجاز ، كما تدلّ الآيات ، وفيه إشارة إلى بيته فى بدر بن عمار .

لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلٰهِ مُقَسَّمًا ... فِى النَّاسِ مَا بَعَثَ الْإِلٰهُ رَسُولا

والمعنى : أن الله ألقى على وجه هذا الممدوح من الإشراق والبهجة ، والإجلال والمحبة ، مافيه دليل بين على القدرة ، وتصديق لما أخبرت به الرسل عن الله تعالى من بالغ الحكمة .

٤ — الغريب — القلل : جمع قلة ، وهى الرءوس . =

وَإِذَا الْخَمِيسُ أَبَى السُّجُودَ لَهُ ... سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ الْقَنَا الْذُّبُلُ(١)

أَرَضِيتَ وَهْسُوذَانُ مَاحَكَمَتْ ... أَمْ تَسْتَزِيدُ ؟ لِأُمِّكَ الْهَبَلُ !(٢)

وَرَدَتْ بِلادَكَ غَيْرَ مُغْمَدَةٍ ... وَكَأَنَّهَا بَيْنَ الْقَنَا شُعَلُ(٣)

وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ ... وَالْخَيْلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبَلُ(٤)

= المعنى — يقول : إذا أبت قلوب الأعداء ماتحكم به ، رضيت رءوسهم أن تصيبهم سيوفه .

١ — الغريب — الذبل : اليابسة الدقاق .

المعنى — إذا عصاه جيش فلم يخفضوا له خفض أسنته لطعنهم بها . يعنى : إذا الجيش توقف أهله عن أن يسجدوا له سجود الإعصار ، و يعترفوا بطاعته اعتراف الأقدار ، حكمت له رماحه بما يريده و يرغبه ، وانقادت لأوامره فيما يقصده .

٢ — الغريب — وهسوذان : هو ابن محمد كان قد هزمه أبو عضد الدولة بالطرم ، وهو موضع فى عراق العجم . والهبل : الثكل ، تقول العرب : لأم فلان الهبل .

المعنى — يقول : أرضيت ياوهسوذان ما حكمت به سيوف ركن الدولة ، واسمه الحسن ابن بويه ، وفى « حكمت » ضمير يعود على السيوف ، أم تستزيد لأصحابك ، ولك من القتل والخزى والذل ، الثكل لأمك ، والصغار لمثالك .

٣ — الغريب — شعل : جمع شعلة ، وهى القبس من النار .

المعنى — يقول : وردت بلادك سيوفه مصلتة ، ومعملة غير ممسكة ، فكأنها بين الرماح شعل نار مضطرمة ، وسرج تضىء متقدة . وقد أحسن فى التشبيه .

٤ — الغريب — الخزر : ضيق العين . والقبل : إقبال إحدى العينين على الأخرى ، وذلك تفعله الخيل لعزة أنفسها . والأعيان : جمع عين . تقول : أعين وأعيان وعيون . قال يزيد بن عبد المدان :

وَلَكِنَّنِي أَغْدُو عَلَيَّ مُفَاضَةٌ ... دِلاصٌ كَأَعْيَانِ الْجَرَادِ الْمُنَظَّمِ

وقال الآخر :

وَقَدْ أَرُوعُ [فُؤَادَ] الْغَانِيَاتِ بِهِ ... حَتَّى يَمِلْنَ بِأَجْيَادٍ وَأَعْيَانِ *

المعنى — قال أبو الفتح : القوم ترك ، وخيلهم عزيزة الأنفس ، أى أتوك عليها .

قال ابن فورجة : كيف خص الترك بالذكر دون سائر أجناس العسكر ، سيما وأكثرهم ديلم ، والممدوح ديلمى ، وذهب إلى أن الغضبان يتخازر ، وقد سمع من ذكر خزر الغضبان مالا يحصى ، كقوله :

* خُزْرٌ عُيُونُهُمُ إِلَى أَعْدَائِهِمْ * =

* ورد هذا البيت فى طبعتى مصر وفى طبعة كلكته هكذا :

وقد أروع الغانيات به ... حتى تمكن بأجياد وأعيان

أفصلحناه باجتهادنا ، ولم نعثر عليه فى المراجع التى بأيدينا .

فَأَتَوْكَ لَيْسَ لِمَنْ أَتَوْا قِبَلٌ ... بِهِمِ وَلَيْسَ بِمَنْ نَأَوْا خَلَلُ(١)

لَمْ يَدْرِ مِنْ بِالرَّيِّ أَنَّهُمُ ... فَصَلُوا وَلاَ يَدْرِى إِذَا قَفَلُوا(٢)

فَأَتَيْتَ مُعْتَزِمًا وَلاَ أَسَدٌ ... وَمَضَيْتَ مُنْهَزِمًا وَلاَ وَعِلُ(٣)

تُعْطِى سِلاَحَهُمُ وَرَاحَهُمُ ... مَا لَمْ تَكُنْ لِتَنَالَهُ الْمُقَلُ(٤)

أَسْخَى الْمُلُوكِ بِنَقْلِ مَمْلَكَةٍ ... مَنْ كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يَنْتَقِلُ(٥)

وكقوله :

فَلأَنْظُرَنَّ إِلَى الْجِبَالِ وَأَهْلِهَا ... وَإِلَى مَنَابِرِهَا بِطَرْفٍ أَخْزَرِ

١ — الغريب — الخلل : الاختلال .

المعنى — يريد : أتاك قومه وليس لك بهم طاقة ، وليس بهم من القوم الذين بعدوا عنهم ، وانفصلوا من جملتهم اختلال . يريد كثرة عسكر أبى على الحسن أبى عضد الدولة . وذلك أن جماعة من عسكر أبى عضد الدولة انفصلوا عنه ، ومضوا إلى وهسوذان ، ولم يلحق عسكر ركن الدولة بهم اختلال ، وأراد لمن أتوه فحذف عائده ، ومن نأوا عنه ، فحذف عائده . والمعنى : أنه أراد أن عسكر ركن الدولة كبير لايختلّ بمن مضى عنه .

٢ — الغريب — الرىّ :مدينة معروفة مابين أرض فارس وخراسان ، وكانت قاعدة ركن الدولة ، والنسبة إليها رازى . والفصل : الخروج عن قاعدة الاستقرار إلى العدوّ . والقفول : الرجوع عن العدوّ والغزو .

المعنى — يقول : لكثرة جيوشه بالرىّ ، لم يشعروا بخروج هؤلاء ، ولا رجوعهم إليهم . يريد : أنهم لم يعلموا بالجيش الذى هزم وهسوذان ، لقلتهم فى الجيش ، ولا علموا أنهم قفلوا إليه.

٣ — الغريب — الوعل : التيس البرّى .

المعنى — يقول : أقبلت إلى الحرب كالأسد تقدم إقدامه ، ومضيت منهزما ، ولا وعل ينهزم انهزامك ، فحذف الخبرين للعلم بهما .

٤ — الغريب — راحهم : جمع راحة ، وهى راحة الكفّ . والمقل : جمع مقلة .

المعنى — يقول لوهسوذان : تعطى سلاحهم ، وأكفهم فى قتل جيشك ، و بلوغ المراد من تفريق جمعك ، مالم تكن العيون تطمح إلى رؤية مثله ، ولا النفوس تطمع بإدراك نيله .

٥ — المعنى — يقول أحقّ الملوك بترك مملكة ، ونقلها إلى من يغصبها منه ، من خاف أن تنتقل الرأس عنه ، وإنك خفت أن يقطع رأسك فنجوت ، لئلا ينتقل الرأس عنك.

قال أبو الفتح : لوقال بترك مملكة لكان أوجه ، إلا أنه اختار النقل لقوله آخرا ينتقل .

لَوْلاَ الْجَهَالَةُ مَادَلَفْتَ إِلَى ... قَوْمٍ غَرِقْتَ وَإِنَّمَا تَفَلُوا[١]

لاَ أَقْبَلُوا سِرًّا، وَلاَ ظَفِرُوا ... غَــدْرًا، وَلاَ نَصَرَتْهُمُ الغِيَلُ[٢]

لاَتَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْرِفُهُ ... إِلاَّ إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْحِيَلُ[٣]

لاَيَسْتَحِي أَحَــدٌ يُقَالُ لَهُ ... نَضَلُوكَ آلُ بُوَيْهٍ أَوفَضَلُوا[٤]

قَدَرُوا عَفَوْا وَعَدُوا وَفَوْا سُئِلُوا ... أَغْنَوا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلُوا عَدَلُوا[٥]

---

١ — الغريب — الدلوف : الزحف . والتفل: البصاق ، وقيل دلف : مشى مشيامتقاربا ، كمشى الشيخ الكبير . ودلف إليه : دنا منه .

المعنى — يقول : لولا جهالتك ماقصدت قوما تنهزم عنهم بأدنى حرب منهم ، فضرب له مثلا بالغرق والتفل . والمعنى : لكثرتهم لو بزقوا عليك لغرقوك ، ولو أشاروا نحوك لأهلكوك .

٢ — الغريب — الغيل : جمع غيلة ، وهو القتل على غفلة .

المعنى — يريد : أن جيشه لايأتون أحدا فى خفية ليظهروا غدرا ، وليغتالوا عدوّهم ، فإنهم لايحتاجون فى قهر عدوّهم إلى الغدر والاغتيال . والمعنى : لايقصدون الأعـداء سرّا ومخاتلة ، ولا يظفرون بهم غدرا ومخادعة .

٣ — المعنى — يخاطب وهسوذان : لاتلق أفرس منك على ظهور الخيل ، وأنفذ منك فى شدائد الحرب ، إلا إذا ضاقت الحيل بك ، وانقطعت طرق النجاة دونك . يعرّض بوهسوذان أنه تعرّض لحرب ركن الدولة وابنه ، وهو عاجز عن حربهما .

٤ — الغريب — استحى يستحى : بمعنى استحيا . ونضلوك : غلبوك . والتناضل : المسابقة فى الرمى . نضل الرجل : إذا ظهر عليه بكثرة الرمى .

الإعراب — نضلوك ، أتى بعلامة الجمع قبل الفاعل على لغة «أكلونى البراغيث» ، ويجوز أن يكون بدلا من الضمير ، كقراءة حمزة والكسائى: «إمايبلغان عندك الكبر أحدهما» . واستحى: أراد استحيا ، فحذف إحدى اليائين .

المعنى — يقول : ليس يستحى من كان مغلوبا بآل بويه ، لأنهم يغلبون كلّ أحد ، فلا يستحيى من قيل له نضلوك ، واستولوا عليك وغلبوك ، فيعترف بالتقصير عنهم ، ويجعل الإذعان وسيلة فى أن يأخذ بحظه منهم .

٥ — المعنى — يقول : هم يعفون عن قدرة ، لما قدروا عفوا ، ولما وعدوا وفوا بالذى وعدوه فيما بينهم ، ولما سئلوا أغنوا من سألهم ، ولما علوا أعلوا أولياءهم ، ولما ولوا الناس عدلوا فيما بينهم. والمعنى : يريد أن بنى بويه قدروا بعظم المملكة ، فعفوا وجدت قدرتهم ، ووعدوا من انقاد لهم =

فَوْقَ السَّماءِ وَفَوْقَ ما طَلَبُوا ... فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةً نَزَلُوا(١)
قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمَهُمْ ... فَإِذَا تَعَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلُوا(٢)
لا يَشْهَرُونَ عَلَى مُخَالِفِهِمْ ... سَيْفاً يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَذَلُ(٣)
فَأَبُو عَلِيٍّ مَنْ بِهِ قَهَرُوا ... وَأَبُو شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا(٤)

= بسعة الإفضال ، فوفوا وأنجزوا عدتهم ، وسئلوا التشريف بسلطانهم ، والمشاركة في أموالهم ، فأغنوا، وشرّفوا سائلهم، وعلت أحوالهم في الملك وجلالة الأمر، فأعلوا قدر المتصلين بهم، ورفعوا منازل المؤملين لهم، واتصلت بهم ولاية أمور الناس ، فشملوهم بالإحسان والمعدلة ، ودبروا أمورهم فعمهم ذلك التدبير بالمصلحة ، فمن خالفهم فهو ظالم ، ومن ناصبهم فهو شديد الاغترار بهم .

١ — الإعراب — الظرف يتعلق بمحذوف دلّ عليه الكلام ، أي علت منازلهم فوق السماء .

المعنى — يقول : هم قوم علوا فوق السماء ، وفوق مايطلبون من المعالى ، فإذا أرادوا غاية لايصل إليها سواهم ، نزلوا إليها من مراتبهم إذ كانت أشرف مايلتمسون ، أي هم وراء كلّ غاية .

٢ — الغريب — تعذّر تكلف العذر ، يقال : تعذر واعتذر ، وعذر وعذر ، ومثلها ارتدف وردف ، وخصم واختصم وخصم ، واهتدى وهدى وهدى .

المعنى — يقول : كرمهم غاب غضبهم ، وكفهم عن استعمال السيوف ، فالكاذب، لكرمهم وحلمهم، إذا اعتذر إليهم قبلوا عذره . يريد : أن سيوفهم حكمت عليها مكارمهم، لشمول عقولهم، وعموم فضلهم .

٣ — الغريب — شهر السيف : إذا جرّده من غمده .

المعنى — يقول : إذا انقاد المخالف لهم بالكلام لايعجلون إلى الحرب ، يصفهم بالحلم . يريد : أنهم لايقصدون المخالف بمساءة وضرّ ما دام العذل يؤثر فيه ، ولا يبعد عنه عفوهم : إذا استدعى عطفهم وفضلهم ، وهذا مأخوذ من قول بعض الملوك : إذا كفانى الكلام لم أرفع السوط ، وإذا كفانى السوط لم أشهر السيف .

٤ — الغريب — كمل . فيه ثلاث لغات : (فتح الميم وضمها ، وكسرها) ، والكسر أقلها ، ويقال : تكامل . وأبو على: هو الحسن بن بويه ، ركن الدولة، والد عضد الدولة . وأبو شجاع : هو فناخسر عضد الدولة .

المعنى — يقول أبو على : هو الذى قهر الملوك ، وسادهم، فهو الذى ظفرهم بالمملكة ، وتمّ لهم الكمال بابنه أبى شجاع ، فبأبى علىّ قهروا أعداءهم بقوّته ، وأذلوا من خالفهم برفعته ، واستظهروا على مطاولهم بجلالة قدره ، وبأبى شجاع كملت لهم مملكتهم ، واستبانت على من خالفهم قوّتهم، وبلغوا به إرادتهم .

حَلفَتْ لِذَا بَرَكَاتُ غُرَّةِ ذَا   فى المَهْدِ: أَنْ لا فاتَهُمْ أَمَلُ(١)

وخرج أبو شجاع يتصيد ومعه آلة الصيد ، وكان يسير قدام الجيش يَمنة ويَسرة ، فلا يرى صيدا إلا صاده ، حتى وصل إلى دَشْتِ الأَرْزَن ، وهو موضع حسن ، على عشرة فراسخ من شِيراز ، تَحُفُّ به الجبال ، وفيه غابٌ ومياه ومُروج ، فكانت الوحوش تصاد ، و إذا اعتصمت بالجبال أخذت الرجال عليها المضايق ، فإذا أثخنها النُّشَّابُ هَرَبت من رءوس الجبال إلى الدشْت ، فتسقط بين يديه ، فأقام بذلك المكان أيامًا على عين ماء حسنة ، ومعه أبو الطيب ، فوصف الحال ، وأنشده فى رجب سنة أربع وخمسين وثلاث مئة ، وفى هذه السنة قتل أبو الطيب ، فقال :

وهى من السريع ، والقافية من المتواتر

مَا أَجْـــدَرَ الأَيَّامَ وَاللَّيَالِى   بِأَنْ تَقُولَ مَالَهُ وَمَالِى؟(٢)

---

١ — الغريب — الغرّة : الطلعة ، والوجه ، والصورة . ومنه حديث الجنين : قضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرّة عبد أوأمة ، وروى نغمة . يريد : بركات نغمة أبى شجاع ، وهو الصوت .
المعنى — يقول : حلفت لركن الدولة بركات غرّة ابنه عضد الدولة ، وهو مستقرّ فى مهده فى النهاية من صغر سنه ، بما ظهر من شواهد البركة والنجابة ، ومخايل الإقبال والسعادة ، أنه لا يفوت الوالد وولده ، ومن لاذ بهما من أهل وأصحاب مايؤملون ، ولا يعجزهم مايحاولون . والمعنى : أن أباه لما ولد ابنه علم أن الآمال انحازت عليهم ، وحصلت لهم ، فكأنّ وجهه وهو فى المهد كفل لهم إدراك جميع الآمال ، وأن لا يعجزهم عن بلوغها حال .

٢ — الغريب — تقول : فلان جدير بكذا ، أى خليق . وأنت جدير بكذا . والجمع : جدراء وجديرون . وقوله « ومالى » ، وقد ذكر جمعين الأيام والليالى ، وكان حقه أن يقول : ومالنا ، إلا أنه ذهب بالجمعين إلى الدهر ، فكأنه قال : ما أجدر الدهر .
المعنى — يريد : أن الدهر خليق بأن يقول: مالِلمتنبى ومالى يتظلم الدهر منى ولا أتظلم منه ، لأنى أكلف الليالى والأيام ماليس فى وسعهما ، والناس يتظلمون من الدهر ، وهو يقول : الدهر حقيق بأن يتظلم منى ، لأنى أظلمه ، أكلفه ماليس فى وسعه .

لاَ أَنْ يَكُونَ هٰكَذَا مَقَالِى فَتًى بِنِيرَانِ الْحُرُوبِ صَالِى(١)

مِنْهَا شَرَابِى وَبِهَا اغْتِسَالِى لاَ تَخْطُرُ الْفَحْشَاءُ لِى بِبالِى(٢)

لَوْ جَذَبَ الزَّرَّادُ مِنْ أَذْيَالِى مُخَيَّرًا لِى صَنْعَتَىْ سِرْبَالِ(٣)

مَا سُمْتُهُ سَرْدَ سِوَى سِرْوَالِ وَكَيْفَ لاَ وَإِنَّمَا إِدْلاَلِى(٤)

---

١ — الإعراب — يريد : لا أن يكون هذا مقالى لها ، فحذف للعلم به ، ولو لا هذا التقدير لما صحّ الكلام ، كما تقول : ماأجدر زيدا بأن يقوم إليك ، لاأن تقوم، تريد إليه ، فتحذفه للعلم به.

الغريب — الصالى للحرب : الذى يقاسى شدّتها ، فشبهها بحرّ النار .

المعنى — أنه أخبر عن نفسه بأنه فتى يصلى بنار الحروب يقاسى شدّتها .

٢ — الغريب — الفحشاء : الإقدام على ماحرّمه الله . والبال : الخاطر ، والنفس ، والقلب ، والبال : الحال . تقول : مابالك وفلان رخىّ البال ، أى رخىّ النفس .

المعنى — يريد : أنى شجاع ، فماء الحرب شربى ، وبه اغتسالى، لشدّة مخالطتى لها ، وهذا من المبالغة، لانغماسه فيها، وأراد بالفحشاء هنا الزنا، ومنه قوله تعالى: «واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم»

٣ — الغريب — الجذب : الشد . والزرّاد: صانع الزرد ، وهى الدروع . والأذيال : أسافل الثياب . واحدها : ذيل ، وهو الذى يقع على الأرض. والسربال : القميص، وربما سمى به الدرع استعارة ، وجمعه : سرابيل .

المعنى — يقول : لوجذب الزراد فضول ثيابى حرصا على الاتصال ، ورغبة فى الموافقة ، مخيرا بين سربال ودرع ، ولهذا ثنى صنعتى سربال ، مشيرا إلى عمل السربالين، من القميص والدرع ، ويجوز من عمل الحديد والكتان والكرسف .

٤ — الإعراب — ما : نافية ، وهى جواب لو . وقوله «وكيف لا؟» ، أى كيف لا أكون كذلك، فحذف للعلم به .

الغريب — السرد : مداخلة حلق الدروع بعضها فى بعض . والسروال : عجمى معرب ، وهو واحد ، وكذلك السراويل ، وعند بعضهم جمع .

وقال سيبويه لاينصرف ، لأنه أشبه مالاينصرف ، وهو الجمع .

المعنى — يقول : لو خيرنى الزراد بين صنعتى سربال ودرع ، لما اخترت سوى سربال من حديد ، أحصن به عورتى ، ولا أبالى بعد ذلك بانحسار جسدى ، وهذا مأخوذ من فعل علىّ عليه الصلاة والسلام ، كان درعه صدرا بلا ظهر ، لأنه كان لايولى قط ، والإدلال الفخر والتيه ، يقال: فلان مدل بكذا .

بِفَارِسِ الْمَجْـــرُوحِ وَالشِّمالِ ... أَبِى شُـــجاعٍ قاتِلِ الْأَبْطالِ[١]
ساقِى كُئُوسِ الْمَوْتِ وَالْجِرْيالِ ... لَمَّا أَصارَ الْقُفْصَ أَمْسِ الْخالِى[٢]
وَقَتَّلَ الْـكُرْدَ عَنِ الْقِتالِ ... حَتَّى اتَّقَتْ بِالْفَرِّ وَالْإِجْفالِ[٣]
فَهالِكٌ وَطائِـــعٌ وَجالِى ... وَاقْتَنَصَ الْفُرْسانَ بِالْعَوالِى[٤]
وَالْعُتُقِ الْمُحْدَثَةِ الصِّـــقالِ ... سار لِصَيْدِ الْوَحْشِ فِى الْجِبالِ[٥]

---

١ — الغريب — المجروح والشمال : فرسان كانتا لعضد الدولة .

المعنى — وكيف لا أكون كذلك ، وأنا أخفر بفارس العرب والعجم ، سيد الأبطال ، وهازم الرجال ، والباء متعلقة بما قبلها ، وهو إدلالى .

٢ — الغريب — الجريال : صبغ أحمر يشبه به الخمر . والقفص : جيل من الأكراد ، أصحاب أخبية . والخالى : الذاهب .

المعنى — يريد : أنه يسقى الأولياء الخمر ، والأعداء الموت ، وأنه صير هذا الجيل كأمس الماضى لأخبرلهم ، لأنه أفناهم بالقتل .

٣ — الغريب — الإجفال : الاجتهاد فى الهرب بسرعة . والفرّ : الفرار .

الإعراب — عن بمعنى الباء . يريد بالقتال ، كما تقول : مرض زيد عن شرب كذا أو أكله ، أى بشربه أو أكله ، ويجوز أن تكون على بابها ، فيكون منعهم عن القتال بجيشه وقوّته ، حتى اتقوا بالفرار والإسراع فى الهرب من بين يديه .

وقال الواحدى : قتلهم : ذللهم . ومنه :

* .... فى أعْشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ *

وشراب مقتل : إذا سكنت سورته بالماء .

٤ — الغريب — الجالى : الهارب عنه بالجلاء ، وأصله الإخراج من الوطن كرها . والفرسان : جمع فارس . والعوالى : الرماح .

المعنى — أنه صيرهم بين هالك أهلكه التعرّض لحربه ، وطائع أنجاه التسليم لأمره ، وجال هارب فى الأرض على وجهه ، قدلجّ فى الفرار يطلب الخلاص لنفسه ، وعاد إلى الممدوح ، فقال لما فرغ من إهلاك القفص عاد إلى اقتناص الفرسان من أعدائه بعوالى رماحه ، ومواضى سيوفه .

٥ — الغريب — العتق : جمع عتيق ، وهى السيوف القديمة . المحدثة : الحديثة العهد بالصقال .

المعنى — يريد : أنه لما أفنى الأعداء برماحه وسيوفه ، سار يصيد الوحش المعتصمة بالجبال الشامخة ، حتى لا يسلم منه ذو منعة .

وَفِى رِقاقِ الْأَرْضِ وَالرِّمالِ   عَلَى دِماءِ الْإِنْسِ وَالْأَوْصالِ(١)
مُنْفَرِدَ الْمُهْرِ عَنِ الرِّعالِ   مِنْ عِظَمِ الْهِمَّةِ لا الْمَلالِ(٢)
وَشِــدَّةِ الضَّنِّ لا الِاسْتِبْدَالِ   ما يَتَحَرَّكْنَ سِوَى انْسِلالِ(٣)
فَهُنَّ يُضْرَبْنَ عَلَى التَّصْهالِ   كُلُّ عَلِيــلٍ فَوْقَها مُخْتالِ(٤)
يُمْسِكُ فاهُ خَشْــيَةَ السُّعالِ   مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوالِ(٥)

---

١ — الإعراب — عطف الظرف على الظرف الأوّل ، وهـذه الأبيات متعلقة بعضها ببعض . وقوله «سار » فعل ماض ، جواب الظرف فى قوله : لما أصار القفص .

الغريب — رقاق الأرض : اللينة الوطيئة . والأوصال : جمع وصل من أعضاء الإنسان .

المعنى — يقول : سار للصـيد يطأ الدماء ، لـكثرة القتلى الذين قتلهم ، وتطأ خيله ورجاله ماسفك من دماء الإنس فى وقائعه ، وما انفصل من أعضاء أعدائه فى ملاحمه .

٢ — الإعراب — منفرد ، نصبه على الحال ، من قوله «سار » .

الغريب — المهر : الفرس الصـغير السنّ . والرعال : القطعة من الخيل . واحدها : رعلة . والملال والملل : واحد .

المعنى — يقول : سار وحده منفردا عن جيشه ، يتقدّمهم من غير ملل لهم ، لعظم همته أن يدنو منه أحد ، وليتأمّل عسكره ، و يميزه و يتفقده ، ولو اختلط به لم يتبين له قدر عسكره .

٣ — الغريب — الضنّ والضنة والضنانة : لغات فى البخل ، ومنه قراءة نافع وعاصم وابن عامر وحمزة : «وما هو على الغيب بضنين» ، أى بخيل ، والقراءة الأخرى بالظاء . والانسلال : مصدر انسلّ ، بمعنى خرج من بين أصحابه فى خفية . ومنه قوله تعالى : «يتسللون منكم لواذا» .

المعنى — يقول : فعل ذلك بخلا بنفسه عن صحبتهم ، لا أنه يريد أن يستبدل بهم غيرهم ، و يصف جيشه بالوقار ، فلا أحد ينطق ، ولا فرس يصهل ، إجلالا له وتعظيما .

٤ — الغريب — التصهال : تفعال من الصهيل . والمختال : المعجب بنفسه ، والمتـكبر فى مشيه .

المعنى — يقول : الخيل تضرب على الصهيل تأديبا لها ، وفوقها كلّ رجل عليل فى سكوته ، وتصاغره هيبة لعضد الدولة ، وهو فى همته مختال .

٥ — المعنى — يقول : كلّ واحد منهم يمسك فاه أن يسعل هيبة له ، وقد طال مقامه من الغداة إلى الزوال ، كلّ هذا إجلال له ولحرمته ، و يقال مطلع (بكسر اللام وفتحها) ، و بالـكسر قرأ الـكسائى .

فَلَمْ يَئِلْ مَا طَارَ غَــيْرَ آلِى ... وَمَا عَــدَا فَانْغَلَّ فِى الْأَدْغَالِ (١)

وَمَا احْتَمَى بِالْمَاءِ وَالدِّحَالِ ... مِنَ الْحَرَامِ اللَّحْمِ وَالْحَلَالِ (٢)

إِنَّ النُّفُوسَ عَــدَدُ الآجَالِ ... سَقْيًا لِدَشْتِ الْأَرْزَنِ الطِّوَالِ (٣)

بَيْنَ الْمُرُوجِ الْفِيحِ وَالْأَغْيَالِ ... مُجَاوِرَ الْخِــنْزِيرِ وَالرِّئْبَالِ (٤)

دَانِى الْخَنَانِيصِ مِنَ الْأَشْبَالِ ... مُشْتَرِفَ الدُّبِّ عَلَى الْغَزَالِ (٥)

---

١ — الغريب — يئل : ينج ويرجع إلى موئل . والآلى : المقصر . والأدغال : الآجام ، وهى الشجر الملتف . الواحد : دغل . وانغلّ : دخل فى الشجر .

المعنى — يقول : لم ينج من الطير مالم يقصر فى طيرانه ، فكيف بما قصر ، ولم ينج من الوحش ماعدا ، فدخل الآجام ، واستتر بالأدغال .

٢ — الغريب — الدحال : جمع دحلة ، وهى هوية من الأرض يجتمع فيها ماء ، وتنبت القصب ، وتجمع (أيضا) على أدحل . وحرام اللحم : كالخنزير والسبع والنمر وغيرها .

المعنى — يقول : ولانجا من الوحش الذى احتمى بالدحال . يريد : لكثرة جيشه ، لايفوتهم من الطير والوحش شىء .

٣ — الإعراب — سقيا : مصدر ، وهو دعاء لها أن يسقيها الله سقيا .

الغريب — الدشت بالفارسية : الصحراء ، وهو الموضع الذى كان فيه الصيد . والطوال (بكسر الطاء) ، وهو جمع الطويل .

المعنى — يقول : النفوس معدّة للآجال حتى تأخذها ، ثم دعا لدشت الأرزن ، وهو موضع فى بلاد طبرستان فيه الأرزن ، وهو شجر يطول ويعظم .

٤ — الغريب — الفيح : جمع فيحاء ، وهى الواسعة . والأغيال : جمع غيل ، وهى الأجمة للأسد والخنزير وغيرهما . والريبال : الأسد ، ويجوز فى مجاور الحركات الثلاث ، فالرفع خبر ابتداء محذوف ، وبالجرّ نعت لدشت ، وبالنصب حال .

المعنى — يقول : هذا الدشت بين المروج ، والآجام ، مجاور السبع والخنزير . وفيه كلّ نوع من الصيد والحيوان ، فخنزيره مجاور أسده .

٥ — الغريب — الخنانيص : جمع خنوص ، وهو ولد الخنزير . والأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد . والدبّ : معروف . والاشتراف : الإطلال . يريد : أن أولاد الخنازير قريبة من جراء الأسد ، والدبّ مشرف على الغزال ، لأن الدبّ جبلى ، والغزال سهلى ، ويروى مشترف : بمعنى المشرف ، يقال أشرف واشترف . ومنه قول جرير : =

مُجْتَمِعَ الْأَضْدَادِ وَالْأَشْكَالِ(١) كَأَنَّ فَنَّا خُسْرَ ذَا الْإِفْضَالِ

خافَ عَلَيْها عَــوَزَ الْكَمالِ فَجاءها بِالْفِيـــلِ وَالْفِيَّالِ(٢)

فَقِيدَتْ الْأُيَّلُ فِى الْجِـــبالِ طَوْعَ وُهُوقِ الْخَيْلِ وَالرِّجالِ(٣)

تَسِيرُ سَـــيْرَ النَّعَمِ الْأَرْسالِ مُعْتَمَّةً بِيُبَّسِ الْأَجْـــذَالِ(٤)

= * مِنْ كُلِّ مُشْتَرِفٍ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى *

١ — المعنى — يريد : الأضداد والأشكال مجتمعة فى هذا المكان ، موجودة كالأرانب والثعالب والظباء ، فهى أشكال بعضها موافق لبعض ، وهى أضداد للسباع . والسباع أشكال . يريد : أن هـذا الموضع خال لانعزاله ، و بعده عن الإنس ، والأضداد والأشكال فيـه متقاربة ، والسباع والظباء والنوق متسالمة .

٢ — الغريب — فناخسر : اسم بالفارسية لعضد الدولة .

المعنى — يقول : كان الممدوح ذا الإحسان والفضل المقدم فى جلالة القدر خاف على أجناس هذه السباع والوحوش مع ما هى عليـه من الكثرة ، واتفاق الأضـداد والأشكال فيها بالجلة حال النقصان ، وأراد أن يحملها من التمام بأرفع مكان ، فجاء بالفيال وفيله ، وأردفها بعقاب خيوله، ليكمل أمرها باجتماع الحيوانات فيها ، فأتاها بما لم يكن فيها ، وهو الفيل . يريد : أنها قد جمعت الأضداد. قال :

زُرْ جانِبَ الْقَصْرِ نِعْمَ الْقَصْرُ وَالْوَادِى ماشِئْتَ مِنْ حاضِرٍ فِيهِ وَمِنْ بادِى

تَجْرِى قَرَاقِرُهُ وَالْعِيسُ وَاقِفَــةٌ وَالضَّبُّ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحادِى

٣ — الغريب — الأيل : جمع إيل ، وهو التيس الجبلى . والوهق : حبل يثنى على صناعة تؤخذ فيه الدابة ، والإنسان إذا رام من يقع فيه، عدم التخلص شدّ عليه، وهذا البيت الرواية فيه أيل بضم الهمزة ، وقيل هو جمع إيل ، والمعروف أيايل ، ووزن إيل فعل ، مثل القنب والقلنى ، وفعل لا يجمع على فعل إنما فعل جمع فاعل ، كصائم وصوّم ، وراكع وركع ، وساجد وسجد .

المعنى — يقول : صيدت الأيايل ، وقيدت بالحبال ، والوهوق ، حتى صارت طوعا لها تقاد بها. يريد : أن المسنة من تيوس الجبال فى الحبال مغلولة ، وفى وهوق الفرسان والرجالة معلومة مملوكة .

٤ — الغريب — النعم والأنعام : الإبل والغنم ، وقيل النعم : الإبل . والأنعام : المال الراعية . والنعم يذكر ولا يؤنث . يقولون : هذا نعم وارد ، ويجمع على نعمان ، مثل جمل وجملان .

وقال الجوهرى : الأنعام تذكر وتؤنث . قال الله تعالى : «تسقيكم مما فى بطونه» ، وفى موضع آخر «مما فى بطونها» ، وجمع الجمع : أناعيم . والاجذال : جمع جذل ، وهو أصل الشجرة إذا =

وُلِدْنَ تَحْتَ أَثْقَلِ الْأَحْمَالِ قَدْ مَنَعَتْهُنَّ مِنَ التَّفَالِي(١)
لاتَشْرَكُ الْأَجْسَامَ فِي الْهُزَالِ إِذَا تَلَفَّتْنَ إِلَى الْأَظْلَالِ(٢)
أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعَ الْأَمْثَالِ كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلْإِذْلَالِ
زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجُهَّالِ وَالعُضْوُ لَيْسَ نَافِعًا فِي الْحَالِ(٣)
لِسَائِرِ الْجِسْمِ مِنَ الْخَبَالِ
وَأَوْفَتِ الْفُدْرُ مِنَ الْأَوْعَالِ مُرْتَدِيَاتٍ بِقِسِيِّ الضَّالِ(٤)

= قطع أعلاها . و يبس جمع يابس ، شبه قرون الأيايل بأصل الشجر ، وجعلها معتمة بها ، والأرسال : القطع من الإبل .

المعنى — يريد : أنها كانت شديدة العدو، فانقادت طائعة تسير سير الإبل معتمة بقرونها التى كأنها أصول الشجر اليابس .

١ — المعنى — قال أبو الفتح : أثقل الأحمال: الجبال ، وقال ابن فورجة : القرون ، لأن الواحد منها إذا قطع حمله حمار أو رجل .

قال الواحدى : قول أبى الفتح أظهر ، لأنهنّ ولدن بلا قرون ، ومن البعيد أن يراد قرون أبويها. والتفالى : فلى الرأس . والمعنى يقول : ولدن تحت الجبال ، وقرونهنّ لطولها وتشعبها تمنعهنّ من فلى رءوسهنّ لعوجهنّ .

٢ — الغريب — الهزال : نقصان الجسم من اللحم . والإظلال : ظلّ القرون. والإذلال : الذلّ.
المعنى — يقول : إذا التفتن إلى ظلّ قرونهنّ أرينهنّ أقبح الصورة ، فكأنها خلقت لإذلالهنّ.
قال أبو الفتح : هى تذلّ ، لأن الإنسان يسبّ بذكر قرونهنّ ، وإنما يسبّ بهذه السبة الجهال . ونقله الواحدى .

٣ — الغريب — أراد بالعضو : القرن ، وليس هو من جملة الأعضاء ، لأن العضو ما شارك البدن فى الألم ، والقرن ليس كذلك ، فيجوز أن يكون سماه عضوا لمجاورته العضو . والخبال : الفساد .
المعنى — يقول : العضو إذا تفاحش أمره ، وخرج عن المعهود قدره ، فليس يمنع سائر الجسم من فساد يطرقه ، ولا يعصمه من اختلال يلحقه .

٤ — الغريب — الفدر من الوعول : المسنة الضخمة. واحدها : فادر وفدر وفدور. قال الراعى:

وَكَأَنَّمَا انْبَطَحَتْ عَلَى أَثْبَاجِهَا فُدْرٌ تَشَابَهُ قَدْ يُمِّمْنَ وُعُولَا

وتجمع أيضا على فوادر . قال الراجز :

* كَأَنَّ أَوْعَالًا عَشَتْ فَوَادِرَا *

نَوَاخِسَ الْأَطْرَافِ لِلأَكْفَالِ ... يَكَدْنَ يَنْفُذْنَ مِنَ الآطَالِ(١)
لَهَا لِحًى سُودٌ بِلاَ سِبَالِ ... تَصْلُحُ لِلإِضْحَاكِ لا الإِجْلاَلِ(٢)
كُلُّ أَثِيثٍ نَبْتُهَا مِتْفَالِ ... لَمْ تُغْذَ بِالْمِسْكِ وَلا الْغَوَالِى(٣)
تَرْضَى مِنَ الْأَدْهَانِ بِالأَبْوَالِ ... وَمِنْ ذَكِيِّ الْمِسْكِ بِالدِّمَالِ
لَوْ سُرِّحَتْ فِي عَارِضَىْ مُحْتَالِ ... لَعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ الْمَالِ(٤)
بَيْنَ قُضَاةِ السَّوْءِ وَالْأَطْفَالِ ... شَبِيهَةِ الإِدْبَارِ بِالإِقْبَالِ

= والضال : شجر السدر البرّى ، تعمل منه القسىّ ، وهى جمع قوس .

المعنى — يقول : وأشرفت الوعول العظيمة ترتدى بقرونها ، كأنها لانعطافها القسىّ التى تعمل من شجر الضالّ .

١ — الغريب — الأطراف : أطراف القرون . والأكفال : جمع كفل ، وهو العجز . والآطال : الخواصر . واحدها : أطل وإطل . وينفذن : يخرقن .

المعنى — يريد : أن أطراف قرونها تنخس أكفالها ، وتكاد من طولها تنفذ من خواصرها . يريد : أنها قد انعطفت على الأكفال ، وكادت تنفذ من الخصور .

٢ — الغريب — اللحى : جمع لحية . والسبال : ما أحاط بالشفة العليا من الشعر ، وأراد : أسبلة ، وإنما وضع الواحد موضع الجمع ، كقول الشماخ ، وهو بيت الكتاب :

أَتَتْنِي سُلَيْمٌ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا ... تَمَسَّحُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالَهَا

ويقال لحى ولحى (بكسر اللام وبضمها) .

المعنى — شعورها قد تدلت من أعناقها ، كأنها لحى لاتتصل بالسبال ، لأنها مختصة بالأعناق ، وهى لحى تصلح للضحك منها ، لا للتعظيم .

٣ — الغريب — الأثيث من الشعر : الكثير الملتفّ . والمتفال : المنتن . والغوالى : ضرب من الطيب . واحدها : غالية . والدمال : زبل الدوابّ ، وهو السرجين .

المعنى — يقول : لها لحى كثيرة الشعر ، منتنة الريح لم تطيب بمسك ولا بطيب ، بل بالبول والسرجين .

٤ — الإعراب — شبيهة: تروى (بالجرّ) على البدل، من قوله أثيث ، وتروى (بالنصب) على الحال .

الغريب — المحتال : صاحب الحيلة ، وهو الذى يحتال على أموال الناس . والسوء : الاسم من ساءه يسوء سوءا . والسوء : الفجور والمنكر ، وتقول : رجل سوء بالإضافة ، وإذا أدخلت عليه الألف واللام . قلت : رجل السوء . قال الفرزدق : =

لا تُؤْثِرُ الْوَجْهَ عَلَى الْقَذَالِ   فَاخْتَلَفَتْ فى وَابِلَى نِبَالِ

مِنْ أَسْفَلِ الطَّوْدِ وَمِنْ مُعالِ .

= وَكُنْتُ كَذِئْبِ السَّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا   بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ

ولا يقال : الرجل السوء ، ويقال : الحقّ اليقين ، وحقّ اليقين جميعا ، لأن اليقين هو الحقّ ، والسوء ليس بالرجل ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : « عليهم دائرة السوء » (بالضمّ) ، يعنى الشرّ والهزيمة ، وقرأ الباقون (بالفتح) ، وهو من المساءة . «والإدبار،والإقبال» : مصدرا أدبر وأقبل . والدبر : خلاف القبل . ودبر الأمر : آخره . ودبر كلّ شيء : آخره . قال الكميت :

أَعَهْدَكَ مِنْ أُولَى الشَّبِيبَةِ تَطْلُبُ   عَلَى دُبُرٍ هَيْهَاتَ شَأْوٌ مُغَرِّبُ

والقذال : مؤخر الرأس . والوابل : المطر . والنبال : جمع نبلة . والطود : الجبل . وقوله « من معال» . تقول : أتيت من معال (بضمّ الميم) . قال ذو الرمّة :

فَرَّجَ عَنْهُ حَلَقَ الأَغْلالِ   جَذْبُ الْبُرَى وَجِرْيَةُ الْجِبَالِ

* وَنَغَضَانُ الرَّحْلِ مِنْ مُعَالِ *

وأتيته من عل الدار (بكسر اللام) . قال امرؤ القيس :

* كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ *

وأتيته من علا . قال أبو النجم :

بَاتَتْ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا   نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الْفَلَا

وأتيته من عل (بضمّ اللام) . وأنشد يعقوب لعدى بن زيد :

فى كِنَاسٍ ظَاهِرٍ يَسْتُرُهُ   مِنْ عَلُ الشَّفَّانَ هُدَّابُ الْفَنَنْ

وأما قول أوس :

فَمَلَّكَ بِاللِّيطِ الَّذِى تَحْتَ قِشْرِهَا   كَغِرْقِئِ بَيْضٍ كَنَّهُ الْقَيْضُ مِنْ عَلُو

الواو زائدة لإطلاق القافية ، ولا يجوز مثله فى النثر ، وأتيته من عال . قال دكين بن رجاء :

* ظَمْأَى النَّسا مِنْ تَحْتُ رَيَّا مِنْ عالْ *

المعنى — هذه اللحى لو سرّحت وكانت فى وجه ذى حيلة ، لكانت له شبكة لصيد المال ، لأن ذا اللحية الطويلة يعظم ، ويظنّ به الخير ويؤتمن ، فإذا كان محتالا خان الأمانة ، وفاز بها بتسريح لحيته وكبرها ، والتسريح : تخليص بعض الشعر من بعض ، ويبن قضاة السوء والأطفال . يريد : أن القاضى يحوز مال اليتيم بطول لحيته وهيبته، فيعطى القضاء لذلك، وهو قاضى سوء ، =

قَدْ أَوْدَعَتْهَا عَتَـــلُ الرِّجَالِ فِى كُلِّ كَبْدٍ كَبِدَىْ نِصالِ(١)
فَهُنَّ يَهْوِينَ مِنَ الْقِلالِ مَقْلُوبَةَ الْأَظْلافِ وَالْإِرْقالِ(٢)
يُرْقِلْنَ فِى الْجَوِّ عَلَى الْمَحَالِ فِى طُرُقٍ سَرِيعَـــةِ الْإِيصالِ(٣)
يَنَمْنَ فِيهَا نِيمَةَ الْمِكْسَالِ عَلَى الْقِفِىِّ أَعْجَلَ الْعِجَالِ(٤)
لَا يَتَشَكَّيْنَ مِنَ الْكَلَالِ وَلَا يُحَاذِرْنَ مِنَ الضَّـــلَالِ(٥)

= و إذا استدبرت هذه اللحى رأيتها ، كما تستقبلها لعظمها وعرضها ، فهى تمّ الوجه والقذال ، ثم قال : فاختلفت . يريد : الأيايل قد رشقت بالنبل من أعلى الجبال ، ومن أسفلها ، فهى تجيء منها ، وتذهب كالمطر يأتيها من كلّ جانب .

١ — الغريب — العتل : القسى الفارسية . والرجال: جمع راجل ، ويروى (بضمّ الراء والتثقيل) وهو : جمع راجل (أيضا) كشاهد وشهاد . والنصال : جمع نصل ، وهى الحديدة المركبة فى السهم . وكبدها: وسطها. وكبداها : الناشزة وسط تلك الحديدة عن يمينها وشمالها . وكبد النصل: ماغلظ منه.

المعنى — يقول : قد أودعت قسىّ الرجالة فى كلّ كبد من الوعول كبدين . يريد : أنّ الرماة قد أثخنتها بالجراح .

٢ — الغريب — يهوين : يسقطن من أعالى الجبال . والقلال : جمع قلة ، وهى رأس الجبل . والإرقال : ضرب من العدو . والأظلاف : جمع ظلف ، وهى للوحوش كالحافر للدواب .

المعنى — يقول : سقطت هذه الوعول من رءوس الجبال ، منحدرة على ظهورها وأظلافها ، صارت مقلوبة إلى فوق وعدوها ، كأن على أظلافها ، فصار على ظهرها .

٣ — الغريب — يرقلن: يعدون. والجوّ :ما ارتفع من الهواء . والمحال جمع محالة، وهى فقار الظهر.

المعنى — يقول : هى تعدو فى الجوّ نازلة على ظهورها ، فى طرق تسرع إيصالها إلى الأرض ، لأنها كانت تهوى من رءوس الجبال إلى الأرض .

٤ — الغريب — النيمة : هيئة النوم . والمكسال : الكسل ، والرواية الصحيحة : الكسال : جمع كسل، وكسلان كعجال: جمع عجل وعجلان. والقفىّ جمع قفا ، كعصا وعصى. والعجال: جمع عجل.

المعنى — يقول . لما نزلت على قفيها جعلهنّ كالنائم المستلقى ، ينمن فى تلك الطريق ، كما ينام الكسلان ، ولكنها فى ذلك أسرع العجال ، لسرعة نزولهنّ .

٥ — الغريب — الكلال : الاعياء والتعب ، والضعف . والضلال : العمى عن القصد . فليست تضلّ ، لأنها لا تخطىء الحضيض .

المعنى — يقول : لا يشتكين نصبا ولا تعبا ، ولا يخفن ضلالا وتيها ، لأنهنّ إنما يصلن إلى الأرض من رءوس الجبال ، فما لهنّ مقصد سوى الأرض .

فَكَانَ عَنْهَا سَبَبَ التَّرْحَالِ تَشْوِيقُ إِكْثَارٍ إِلَى إِقْلَالِ(١)
فَوَحْشُ نَجْدٍ مِنْـــهُ فِي بَلْبَالِ يَخَفْنَ فِي سَلْمَى وَفِي قِيَالِ(٢)
نَوَافِرَ الضِّـــبَابِ وَالْأَوْرَالِ وَالخَاضِـــبَاتِ الرُّبْدِ وَالرِّئَالِ(٣)

١ — الإعراب — فى النظم تقديم وتأخير ، وخبر « كان » مقدّم على اسمها ، وتقدير الكلام : فكان تشويق إكثار إلى إقلال سبب الترحال عنها . والترحال : مصدر ارتحل ، ارتحالا وترحالا .

المعنى — يقول : شوقه من إكثاره الصيد إلى الإقلال منه سأمه لكثرته ، فكان ذلك سبب رحيله عنها ، لأنّ العادة فى الصيد كلما أمكن طاب المقام عليه ، وهذا أفرط فى الكثرة ، حتى سئم ، فلكثرة ماصاد من الوحوش ملّ الاصطياد .

٢ — الغريب — نجد : مابين مكة والعراق . والبلبال: الهمّ والحزن . وسلمى : أحدجبلى طيّء ، والآخر أجأ . وقيال: جبل فى أرض بنى عامر ، وروى ابن جنى فى «قتال» بالتاء ، كمصدر القتال ، فقال : هو جبل عال بقرب دومة الجندل .

المعنى — يريد : أن وحش نجد من الممدوح وخوفها منه ، فى همّ وحزن ، وكذا وحش أرض طيء ، فهنّ يخفن منه أن يقصد إليهنّ .

٣ — الإعراب — قال أبو الفتح : نوافر : حال من الوحش .

وقال الخطيب : الأجود رفع « نوافر » حتى يكون خبرا لقوله « فوحش نجد » ، والأولى قول أبى الفتح ، أى يخفن نوافر ضبابها وأورالها .

الغريب — الضباب : واحدها ضبّ ، وهى دويبة تكون فى بلاد العرب يأكلونها . والأورال : جمع ورل ، كورلان ، مثل الضبّ .

وقال الخطيب : يقال إن التمساح إذا باض على الأرض كان ورلا ، وهذا القول ليس بشيء ، لأن التمساح لا يكون إلا بأرض مصر بصعيدها ، والورل فى بلاد العرب ، فى نجد وغيره ، وقوله : «والخاضبات» : جمع خاضبة ، وهى النعامة . والربد : جمع ربداء ، وهى التى اربد لونها ، وقيل : الخاضبة : التى رعت الرّبيع فاحمرّت سوقها ، و يسمى الظليم : خاضبا . قال أبو دواد :

لَهَا سَاقَا ظَلِيمٍ خَا ضِبٍ فُوجِئَ بِالرُّعْبِ

ولا يقال إلا للظليم دون النعامة .

وقال الخطيب : رعت الربيع فخضب سوقها بزرقة . والرئال : جمع رأل ، وهو فرخ النعام .

المعنى — يقول : وحوش النواحى كلها نفرت خوفا منه ، لا يستقرّ لها قرار على بعد الشقة التى بين الوحش و بين الممدوح ، وهى فى إشفاق منه ، ووجل عظيم .

وَالظَّبْيِ وَالْخَنساءِ وَالذَّيَّالِ   يَسْمَعْنَ مِنْ أَخْبارِهِ الْأَزْوَالِ

☆ ما يَبْعَثُ الْخُرْسَ عَلَى السُّؤَالِ(١) ☆

فُحُولُها وَالْعُــــوذُ وَالْمَتَالِي   تَوَدُّ لَوْ يُتْحِفُها بِوَالِي(٢)

يَرْكَبُها بِالْخُطْمِ وَالرِّحَالِ   يُؤْمِنُها مِنْ هٰذِهِ الْأَهْوَالِ(٣)

وَيَخْمُسُ الْعُشْبَ وَلا تُبالِي   وَماءَ كُلِّ مُسْــــبِلٍ هَطَّالِ(٤)

يا أَقْدَرَ السُّـــفَّارِ وَالْقُفَّالِ   لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الْأُسْدَ بِالثَّعالِي(٥)

---

١ — الغريب — الظبي : معروف ، وهو الخشف من ولد الغزال . والخنساء : البقرة الوحشية . والذيال : الثورالوحشي الطويل الذنب . والأزوال: جمع زول ، وهوالحسن المعجب من كل شيء .

المعنى — يقول : إن الوحش بجمعها : ظباءها ، وبقر وحشها ، ونعامها ، وذيالها ، خائفة فزعة ، يسمعن من أخبار عضد الدولة المعجبة المستحسنة ، وسطواته المخوفة المتوقعة ، مايبعث الخرس على أن تسأل ، ويجب لها أن تروع وتحذر مايبعث الخرس على السؤال .

٢ — الإعراب — الفاء ، على رواية من روى « حولها (جمع حائل) » للجواب ، كما تقول : أكثرت من الجميل ، فالناس كلهم يشكرونك . فأتى بالفاء ، لأن فعل الجميل كان سبب الشكر .

الغريب — روى أبو الفتح : فحولها (جمع فحل) ، وهي ضد الحامل . والعوذ : التي تعوذ بها أولادها ؛ جمع : عائذ ، وهي الحديثات النتاج . والمتالي : التي تتلوها أولادها ؛ واحدها : متلية . تودّ : تتمنى . ومنه قوله تعالى : « تودّ لو أنّ بينها و بينه أمدا بعيدا » .

المعنى — يقول: سائرالوحوش تودّ ، أي تتمنى، لو بعث عليها واليا ، فيذللها ويملكها . يريد : أن وحش هذين الجبلين لبعدها عنه ، تودّ لو أنه بعث إليها من يملكها ، وتذلّ له إعظاما لهيبته .

٣ — الغريب — الخطم : جمع خطام ، وهوللإبل ، أي الزمام . والمخاطم : الأنوف ؛ الواحد : مخطم (بكسر الطاء) . وخطمت البعير : زممته . والرحال : جمع رحل ، للإبل كالسروج للخيل . والأهوال : جمع هول ، وهو الفزع .

المعنى — يقول : يبعث لها واليا يذلل الوحش ، حتى تنقاد في الأزمة والرحال ، فتصير آمنة من هول الطرد ، ومما يصيبها من خوف الصيد .

٤ — الغريب — المسبل : الماء الهاطل من الغمام . يريد : ماء المطر .

المعنى — يقول : ويخمس الوالي العشب منها، والماء من رعيها ومشربها، وترضى بذلك ولا تبالي.

٥ — الغريب — السفار : المسافرون، وهم السفر . وواحد السفر (في القياس) : سافر ، مثل =

أَوْ شِئْتَ غَرَّقْتَ الْعِدَا بِالآلِ وَلَوْ جَعلتَ مَوْضِعَ الإِلالِ(١)

لآلِئاً قَتَلْتَ بِاللآلِي

لَمْ يَبْقَ إِلاَّ طَرَدُ السَّعالِي فِي الظُّلَمِ الْغائِبَةِ الْهِلالِ(٢)

عَلَى ظُهُورِ الإِبِلِ الأُبَّالِ فَقَدْ بَلَغْتَ غايَةَ الآمالِ(٣)

فَلَمْ تَدَعْ فِيها سِوَى الْمُحالِ فِي لا مَكانٍ عِنْدَ لا مَنالِ(٤)

= صاحب وصحب ، إلا أنه لم ينطق بسافر ، وقوم سفر وأسفار . والقافل : واحد القفال ، وهو الراجع من سفره .

المعنى — يقول : يا أقدر الناس جميعا ذاهبا كنت أم راجعا ، والثعالى : الثعالب ، كقول الآخر :

لَهَا أَشارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمِّرُهُ مِنَ الثَّعالِي وَوَخْزٌ مِنْ أَرانِيها

فأبدل من الاسمين ياء . وقول الآخر :

قَدْ مَرَّ يَوْمَانِ وَهٰذَا الثَّالِي

والمعنى يقول : لو شئت غلبت الضعيف على القوىّ ، حتى تصيد الأسود بالثعالب .

١ — الغريب — الآل : السراب ، وهو ما يتخيل فى بطون الفلوات عند شدّة الحرّ . يريد : أنه مظفر لقوّة جدّه لايحتاج إلى آلة الحرب فى مقاتلة الأعداء .

٢ — الغريب — الطرد : الصيد . والسعالى : جمع سعلاة ، وهى الغول ، يقال : إنها تمثل فى الفلوات على صورة الجنّ . والظلم : جمع ظلمة ، وأراد « بغائبة الهلال » : الليالى التى لاقمر فيها .

المعنى — يقول : لم يبق لك إلا أن تصيد الغول فى الفلوات ، فلم يبق لك بعد ما أذللت ملوك البلاد ، وبلغت فيهم غايات المراد ، وأظهرت من الاقتدار على الملوك ، والوحوش النافرة ، والتملك لها فى تلك الجبال الشامخة ، غير طرد السعالى التى تمثل فى الفلوات ، فى حنادس الظلم ، التى لها فيها أشدّ الخطرات .

٣ — الغريب — الأبال : جمع آبل ، وهى التى اجتزأت بالرطب عن الماء ، يقال : أبلت الإبل : إذا اجتزأت بالرطب عن الماء .

المعنى — يقول : تصيد الثعالى بقوّتك وقدرتك ، على ظهور هذه الإبل ، وخصّ الإبل ، لأن الخيل لاتقدر على العمل فى المفاوز ، وجعلها قد اكتفت عن الماء بالرطب ، لئلا تحتاج إلى الماء .

٤ — المعنى — يقول : قد بلغك الله من مقاصدك غاية ما أملته ، وقرّب لك من ذلك أغبط ما حاولته ، فلم تدع من الأشياء إلا ما يستحيل البلوغ إليه ، ولا فاتك إلا ما لايشتمل مكان عليه ، فملكت كلّ شىء يوصف بالوجود والمكان .

يا عَضُــدَ الدَّوْلَةِ وَالمَعالى النَّسَبُ الحَــلْىُ وَأَنْتَ الحالى(١)
بِالأَبِ لاالشَّنْفِ وَلا الخَلْخالِ حَلْــياً تَحَلَّى مِنْكَ بِالجَمالِ(٢)
وَرُبَّ قُبْحٍ وَحُــلًى ثِقالِ أَحْسَنُ مِنْها الحُسْنُ فِى المِعْطالِ(٣)
فَخْرُ الفَتَى بِالنَّفْسِ وَالأَفْعالِ مِنْ قَبْلِهِ بِالعَمِّ وَالأَخْوالِ(٤)

١ — المعنى — يقول : نسبك حلى عليك يزينك ، وأنت الحائز لضروب الحمد ، فهو نسب لك تتحلى به ، وأنت حال منه لفخامتك ، وعلوّ منزلتك .

٢ — الغريب — الشنف : القرط الأعلى . وجمعه : شنوف ، مثل فلس وفلوس : والحلى ، بفتح الحاء وسكون اللام ، و بكسر الحاء واللام ، و به قرأ حمزة والـكسائى ، و بضم الحاء وكسر اللام ، و به قرأ الباقون ، وقرأ يعقوب باللغة التى فى هذا البيت .

المعنى — يقول : نسـبك حلى عليك يزينك ، وأنت الحالى بأبيك لا بالحلى الذى تتزين به المرأة ، وذلك الحلى هو نسبك ، وهو يتزين منك بالجمال ، فأبوك يزينك وأنت تزينـه ، فالحلى يتحلى منك بما تـكسوه من مناقبك ، وتؤثر فى جماله بمكارمك .

٣ — الغريب — المعطال : التى لا حلى عليها ، وكـذلك العاطل والعطل .

المعنى — يريد : أن الحلى لاينفع مع القبح ، فربّ قبيح يتحلى ، فيكون حسن المرأة التى لا حلى عليها أحسن منه . والمعنى : غيرك لا ينفعه النسب الشريف ، كالقبيح يحاول سـتره بالحلىّ الفاخرة ، فتفضحه المرأة الحسناء المعطال ، مع البذاذة الظاهرة .

قال ابن القطاع: صحف هذا البيت كلّ الرواة ، فرووه: قبح (بالقاف والباء) ، وهو ضدّ الحسن، ولا معنى للقبح فى هذا البيت ، لأنه لايجهل أحد أن الحسن خير من القبح ، وقال : أحسن منها ، فعاد الضمير على الحلى وحدها ، ولم يكن للقبح ذكر ، لأن الحلىّ مؤنثة ، والقبح مذكر ، ولا يجوز أن يغلب المؤنث على المذكر ، و إنما غرّهم ذكر الحسن، فظنوا أنه قبح، و إنما هو «فتخ» بالفاء والتاء والخاء المعجمة ، جمع فتخة ، يقال : فتخة وفتخ وفتخات وفتاخ وفتوخ ، وهى خواتيم بلا فصوص ، يلبسها نساء العرب فى أصابع أيديهنّ وأرجلهنّ .

٤ — الإعراب — الباء فى قوله « بالعم » متعلقة بفعل محذوف يدلّ عليه الكلام ، أى لا يفخر أحد بعمه وخاله ، و يترك نفسه وأفعاله ، ولا يجوز أن يتعلق بالهاء فى «قبله» ، و إن كانت ضمير المصدر ، لأنه لانسبة بينه و بين الفعل ، ولا يجوز تعليق حرف الجرّ به . و يجوز أن تـكون الباء مع ما بعدها فى موضع نصب على الحال من الهاء فى «قبله» ، وتـكون أيضا متعلقة بمحذوف ، أى من قبله كائنا بالعمّ ، كقولك : هند مررت بها من الصالحات ، والضمير فى «قبله» يرجع إلى الفخر.

المعنى — إنما يفخر الفتى بشرف نفسه وأفعاله قبل أن يفخر بعمه وخاله ، ففخر الفتى ==

قافيـــة الميم

وقال يمدح سيف الدولة أبا الحسن على بن عبد الله العدوى وهى أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلاث مِئة عند نزوله إنطاكية ومُنْصَرَفِهِ من ظفره بحصن بَرْزَوَيْهِ، وكان جالساً تحت شراع ديباج، فأنشده :

وهى من الطويل ، والقافية من المتدارك

وَفاؤُكُما كالرَّبْعِ أَشْجاهُ طاسِمُهْ ... بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفاهُ ساجِمُهْ (١)

= بنفسه أوكد من فخره بعمه وخاله ، وكمال الشرف أن ينصر آخره أوله ، ويزين حديثه متقدمه. وما أحسن ماقال البحترى :

فَمَا الْفَخْــرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا ... فَخَارُ الَّذِي يَبْغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ

١ — الإعراب — وفاؤكما : مبتدأ كالربع ، خبره . والمبتدأ والخبر يؤذنان بتمام الكلام ، ولا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شىء ، فلا يجوز أن يتعلق الباء بالوفاء ، ولكنها تتعلق بفعل يدل عليه الكلام ، وكأنه لما ذكر المصدر ، وقال «وفاؤكما» ، قال : ووفيتما بأن تسعدا .

الغريب — شجاه شجوا ، وأشجاه : أشده شجوا ، كقولك : أحزنه وآسفه . والشجو : الهم والحزن . شجاه يشجوه شجوا : إذا أحزنه . وشجى (بالكسر) يشجى شجا ، وأشجاه يشجيه إشجاء : إذا أغصه . قال الشاعر . وهو المسيب بن زيد مناة :

لاتُنْكِرُوا الْقَتْلَ وَقَدْ سُــبِينَا ... فى حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَــجِينَا

والطاسم : الدارس والطامس (أيضا) . والساجم : السائل . سجم الدمع سجوما وسجاما : سال وانسجم، وسجمت العين دمعها ، وعين سجوم ، وأرض مسجومة : ممطورة . وأسجمت السماء: صبت ، مثل أثجمت .

المعنى — يريد : أنه يخاطب اللذين عاهداه على أن يسعداه عند ربع الأحبة بالبكاء، فقال لهما : وفاؤكما لى بإسعادى على البكاء كهذا الربع . ثم بين وجه الشبه ، فقال : أشجى الربع دارسه، كلما تقادم عهده كان أحزن لزائره ، وأشد لحزنه، وأشفى الدمع للحزن سائله المنهل الجارى. يريد : ابكيا معى بدمع ساجم ، فإنه أشفى للغليل ، كما أن الربع أشجى للمحب إذا درس .

قال الواحدى : طلب وفاءها بالإسعاد ، وهو الإعانة على البكاء ، والموافقة فيه ، ولذلك قال : « والدمع أشفاه ساجمه» . والمعنى : ابكيا معى بدمع فى غاية السجوم ، فهو أشفى للوجد ، فإن =

. . . .

= الربع فى غاية الطسوم، وهو أشجى للصحب. وأراد « بالوفاء » هاهنا: البكاء. لأنهما عاهداه على الإسعاد . قال : وقال ابن جنى فى معنى هـذا البيت : كنت أبكى الربع وحده ، فصرت أبكى وفاءكما معه ، ولذلك قال: « وفاؤكما كالربع » ، أى كلما ازددت بالربع وبوفائكما وجدا زدت بكاء . قال : ويروى والدمع (بالجرّ) عطفا على « الربع » . يريد : وفاؤكما كالربع الدارس فى الأدواء إذا لم تحزنا عليه ، وكالدمع الساجم فى الشفاء إذا حزنتما عليه .

وقال ابن القطاع : وفاؤكما لى بالإسعاد عفا ودرس ، كالربع الذى أشجاه للعين دارسه ، فكنت أبكى الربع وحده ، فصرت أبكى معه وفاءكما ، وأشتفى بالدمع الذى هو راحة الإنسان . وأشفاه للنفس ساجمه . قال : ولما أنشد أبو الطيب هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضرا ، فقال لأبى الطيب: تقول أشجاه وهو شجاه ؟ فقال له: اسكت، ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لا فعل.

قال الخطيب : الشعراء وغيرهم يزعمون أن البكاء يجلو بعض الهمّ عن المكروب والمحزون ، قال الفرزدق :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى يَوْمَ جَوِّ سُــــوَيْقَةٍ بَكَيْتُ فَقَالَتْ لِى هُنَيْدَةُ ماليا ؟
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكاءَ لَرَاحَةٌ بِهِ يَشْتَفِى مَنْ ظَنَّ أَنْ لا تَلَاقِيا

قال : لامهما على البكاء ، وأنهما لم يسعداه . وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينيه ، وكلامه يدلّ على غير ذلك ، وإنما أراد أنه بكى ولم يبكيا معه ، فكان ذلك زائدا فى كلامه .

إعراب أبى الفتح ، قال : كلته وقت القراءة عليه ، فقلت له بأىّ شىء تعلق الباء ؟ فقال بالمصدر الذى هو وفاء ، فقلت: بم رفعت وفاؤكما ؟ فقال لى: بالابتداء ، فقلت له: أين خبره ؟ فقال: كالربع ، فقلت له : هل يصحّ أن تخبر عن اسم قبل تمامه ، وقد بقيت منه بقية ، وهى الباء ؟ فقال: لا أدرى، إلا أنه قد جاء له نظائر ، وأنشد الأعشى :

لَسْنا كَمَنْ حَلَّتْ إِيادٍ دَارَها بَكْرٌ بِوَقْتٍ حَبُّها أَنْ تُحْصَدَا

فأبدل إيادا من « من » أى كأياد التى حلت دارها ، فدارها ليست منصوبة « بحلت » هذه ، وان كان المعنى يقتضى ذلك ، لأنه لا يبدل الاسم إلا بعد تمامه ، وإنما نصبها بفعل مضمر دلّ عليه « حلت » الظاهر ، كأنه قال فيما بعد : حلت دارها . وكذلك العطف والتوكيد ، وجميع ما يؤذن بتمام الاسم ، ألا ترى أنهم لا يجيزون : مررت بالضارب أخيك زيدا ، على أن يبدل الأخ من الضارب ، وقد بقيت منـه بقية ، وهو زيد ، لأنه منصوب بالضارب ، « ولا يجيزون » مررت بالضارب وعمرو زيدا ، لأنك لا تعطف عليه ، وقد بقيت منه بقية ، ولا يجيزون مررت بالضارب نفسه زيدا ، لأنك لا تؤكد، وقد بقيت منه بقية ، وكذلك لا يجوز أن تكون الباء متعلقة بالوفاء . بل هى متعلقة بفعل محذوف ، وكذلك قوله تعالى : « إنه على رجعه =

وَما أَنا إِلاَّ عاشِقٌ كُلُّ عاشِقٍ أَعَقُّ خَلِيلَيْهِ الصَّفِيَّيْنِ لائِمُهْ (١)
وَقَدْ يَتَزَيَّا بِالْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ وَيَسْتَصْحِبُ الإِنْسانُ مَنْ لا يُلائِمُهْ (٢)

= لقادر يوم تبلى السرائر » فيكون: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر ، إلا أنه لا يجوز إعرابه على هذا ، لأن الظرف على هذا التقدير يكون متعلقا «بالرجع» ، وقد فصل بينهما «بقادر» ، وهو خبر «إن» ، وهو أجنبي من المصدر ، ولا يجوز الفصل بين الصلة والموصول بأجنبي ، ألا ترى أنهم لا يجيزون: أطعمت الذى ضرب رغيفا زيدا ، لأن الرغيف منصوب ، وهو أجنبي من الذى ضرب ، ولا يفصل بين الصلة و بعضها بالأجنبي .

١ — الإعراب — رواية أبي الفتح ، و بها قرأنا الديوان على شيخي ، برفع «كلّ» على أنه قد تمّ الكلام عند قوله: «وما أنا إلا عاشق» ثم ابتدأ ، فقال : كلّ عاشق ، أى كلّ عاشق حاله وأمره . وروى ابن فورجة والقاضي «كلا» بالنصب على أنه المفعول لعاشق . يريد : أنى أعشق كلّ عاشق .

وقال أبو الفتح : فى هذا البيت سؤال ، وهو لا يقال : أعق الرجلين زيد حتى يشتركا فى صفة العقوق ، ثم يزيد زيد على صاحبه ، فإذا حكم لهما أنهما صفيان ، ثم لامه أحدهما ، فقد زال عنه وصف الصفاء ، وحصل له وصف العقوق . قلنا له : جاز له أن يأتى بهذا اللفظ ، كقوله تعالى : «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرّا وأحسن مقيلا» . وقد علم أن أصحاب النار شرّ ، ولا خير فى مستقرّهم ، وأنهما لم يشتركا فى الخيرية ، فهذا نظيره . وقد قال حبان بن قرط اليربوعي ، وكان جاهليا :

خالِي بَنُو أَوْسٍ ، وَخالُ سَراتِهِمْ أَوْسٌ ، فَأَيُّهُما أَرَقُّ وَأَلأَمُ

يريد: فأيهما الرقيق اللئيم ، وليس يريد أن الرقة واللؤم اشتملا عليهما معا ، ثم زاد ، أحدهما على صاحبه ، وكذلك قوله تعالى : «وهو أهون عليه» . والمعنى: هين عليه ، لأنه تعالى لا يوصف بأن بعض الأشياء أهون عليه من بعض ، وكذلك أعقّ خليليه ، أى الذى يستحيل عاقا ، فالأعقّ هنا بمعنى العاق ، كقول الفرزدق .

* بَيْتاً دَعائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ *

٢ — الغريب — قال أبو الفتح : سألته عن قوله «يتزيا» هل تعرفه فى اللغة أو فى كتاب قديم ؟ قال لا . قلت : فكيف تقدم عليه ؟ قال: قد جرت به عادة الاستعمال؟ قلت : أترضى بشيء توردده العامّة ؟ قال: ماعندك فيه ؟ قلت : قياسه يتزوى ؟ قال : من أين لك ؟ قلت : لأنه من الزى ، وعينه واو ، وأصله زوى ، فانقلبت الواو ياء لسكونها ، وانكسار ماقبلها ، ولأنها أيضا ساكنة قبل الياء ، ودليل أن عينه واو أنهم لا يقولون : لفلان زىّ إذا كان له شيء واحد يستحسن حتى يجتمع له أشياء كثيرة حسنة ، فحينئذ يقال له : زىّ ، من زويت الأرض ، أى جمعت . وقال الآخر :

* زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ المَحاجِمُ *

فقال لى : إلى هذا ذهبت فأصغى نحوه . وقد ذكره صاحب العين ، فقال : تزيا فلان بزى حسن =

بَلِيتَ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِى التُّرْبِ خَاتَمُهْ(١)

=وزيبته تزية، بوزن تحية، فإن ثبت فليس بناقض لما قلت إنه يتزوى، فيجب أن يكون قلب الواو ياء تخفيفا، كقول الآخر:

* إِنْ دَيَّمُوا جَادَ وَإِنْ جَادُوا وَبَلْ *

وهو من دام يدوم، ولكن لما رأى الديمة والديم بياء، أنس بها، وأخلد إليها لخفتها، كما قالوا فى عيد أعياد، وفى تحقيره عييد، وهو من عاد يعود، وكان قياسه: عويد وأعواد، كما قيل فى تحقير ريح: رويح، وفى جمعها: أرواح، وحكى اللحيانى فى نوادره: ريح وأرياح، فهذا مما أجرى مجرى البدل اللازم لخفة الياء، وكذلك. يتزيا: إن كان صحيحا من كلامهم، فهو مما ألزم بدل الياء من الواو تخفيفا، ولأنه قد أبدلها فى زىّ قصدا من طريق الاشتقاق، والقياس يقتضى أن تكون عين «الزىّ» واوا فى الأصل، لأن باب طويت ورويت مما عينه واو، ولامه ياء، أكثر من باب حييت وعييت، مما عينه، ولامه ياآن، فلما اجتمع القياس والاشتقاق على قضية لزم قبولها، ورفض ماعداها وخالف وضعها.

الغريب — التزيى: تكلف الزىّ. ويلائمه: يوافقه.

المعنى — يقول: إن صاحبيه ليسا من أهل الهوى، وإن أقسما به وتكلفاه فقد يتكلف الإنسان الشىء، وليس هو من أهله، وقد يصاحب الإنسان من لم يوافقه فى أحواله، ويعرض أن صاحبيه لم يفيا له بما عاهداه عليه من الإسعاد بالبكاء، وأنهما لم يكونا من أرباب الهوى، ولا يعتقدانه.

١ — **الغريب** — الأطلال: جمع طلل، وهو ماشخص من آثار الديار. والشحيح: البخيل. والخاتم: ما يكون فى الأصبع، للرجال والنساء، من ذهب وفضة وغيرهما، وفيه لغات: خاتم وخاتم (بفتح التاء وكسرها) (وبالفتح) قرأ عاصم: «وخاتم النبيين» وخيتام وخاتام. والجمع: خواتيم.

المعنى — دعا على نفسه بأن يبلى بلى الأطلال الدارسة، ويتغير تغير الرسوم العافية إن لم يقف بديار أحبته متوجعا لها، ومعتنيا بها، وقوف شحيح ضاع خاتمه فى الترب، واعتمد الخاتم، لأنه صغير الجرم مهمّ الأمر، فلصغره يخفى موضعه، ولاهتمامه يحبّ تتبعه، واشترط ضياعه فى الترب ليكون تطلبه فيه، وهو موضع آثار الديار، ورسوم الأطلال.

وقال أبو الفتح: قد عيب عليه. وقال: ليس للفظ عجزه جزالة لفظ صدره، وليس فى وقوف الشحيح على طلب خاتمه مبالغة يضرب بها المثل. وقال: والعرب تبالغ فى وصف الشىء، وتجاوز الحدّ، وقد تقتصر أيضا، ويستعمل المقارنة، وهذا بعينه قد جاء فى الشعر الفصيح: قال الراجز:

* هُنَّ حَيَارَى كَمُضِلَّاتِ الْخِدَمْ(١) *

وهى جمع خدمة، وهى الخلخال.

=

(١) كذا فى الأصل، وفى الواحدى: (هن حيرى كمضلات الخدم). وهو من أرجوزة لجرير يمدح الحكم بن أيوب الثقفى، ورواه صاحب أراجيز العرب: (يبحثن بحثا كمضلات الخدم).

كَئِيباً تَوَقَّانِي الْعَوَاذِلُ فِي الْهَوَى   كَمَا يَتَوَقَّى رَيِّضَ الْخَيْلِ حَازِمُهْ(١)

= وقال العروضى : لاعيب عليه ، لأن الشحيح إذا طلب الخاتم احتاج إلى الانحناء ليقف بصره على الخاتم ، ولو كان بدل الخاتم شيئا عظيما كالخلخال والسوار لكان يطلبه من قيام ، فلا يحتاج إلى الانحناء ، ولو كان صغيرا كالدرة، لكان يطلبه قاعدا مكانه، يقول: إن لم أقف بها منحنيا، لوضع اليد على الكبد ، والانطواء عليها ، كوقوف الشحيح الطالب للخاتم ، ويشهد لصحته قول ابن هرمة يذم بخيلا :

نَكَّسَ لَمَّا أَتَيْتُ سَائِلَهُ   وَاعْتَلَّ ، تَنْكِيسَ نَاظِمِ الْخَرَزِ

فشبه هيئته بهيئة من ينظم الخرز فى الإطراق ، وينكس الرأس على أنا نقول : إن التزمنا بهذا السؤال الوارد ، قد يبلغ من قيمة الخاتم ، مايحق للشحيح أن يطول وقوفه على طلبه .

قال الواحدى : يقال فى جواب هذا السؤال : إن وقوف هذا الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول ، فقد يكون أطول من وقوف غيره ، فجاز ضرب المثل به ، كقول الشاعر :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدَّ مِنْ نَفَسِ الْعَا   شِقِ طُولاً قَطَعْتُهُ بِانْتِحَابِ

وقد علمنا أن ساعة من ساعات الليل تستغرق عدة أنفاس ، ولكنه لما كان نفس العاشق أطول من نفس غيره ، جاز ضرب المثل به ، وإن لم يبلغ النهاية فى الطول ، وكقول الآخر :

وَلَيْلٍ كَظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرَ طُولَهُ   دَمُ الزِّقِّ عَنَّا وَاصْطِفَاقُ الْمَزَاهِرِ

وذلك لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جعله الغاية فى الطول .

وقال ابن القطاع : وإنما قال : رب ليل طويل خارج عن المعتاد زائد الطول ، زاد على المراد ، كزيادة نفس هذا العاشق ، وطوله على نفس من ليس بعاشق ، وهذا نهاية فى المبالغة ، وروى ابن فورجة : شجيج ضاع فى الترب خاتمه ، والشجيج الذى شج رأسه . وضاع : بمعنى تفرق ، أى صارت له عروق فى الثرى وقد علق بها ، وليست هذه الرواية بشىء قال ابن وكيع : وهذا مأخوذ من قول أبى نواس :

كَأَنِّى مُرِيغٌ فِى الدِّيَارِ طَرِيدَةً   أَرَاهَا أَمَامِى مَرَّةً وَوَرَائِى

١ — الإعراب — نصب « كئيبا » على الحال ، من قوله أقف .

الغريب — الكئيب : الحزين . والريض : الصعب من الخيل ، وهو من الأضداد ، والريض : الذى لم تستحكم رياضته ، والذى يشد حزامه ، ويتوقى منه . والريض : الذى قد ذلل . والحازم الذى يسوسه ، ويشد حزامه .

المعنى — يقول : العواذل توقانى إذا وقفت فى الربع كئيبا محزونا ، يريد : أنه يتوقاه عاذله ، ويتخوفه لأنه ، كما يتوقى الذى يحزم الريض من الخيل صولته ، ويتخوف نفرته .

قِفِي تَغْرَمِ الْأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي ... بِثَانِيَةٍ وَالْمُتْلِفُ الشَّيْءَ غَارِمُهْ (١)

سَقَاكِ وَحَيَّانَا بِكِ اللهُ إِنَّمَا ... عَلَى الْعِيسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَمَائِمُهْ (٢)

وَمَا حَاجَةُ الْأَظْعَانِ حَوْلَكِ فِي الدُّجَى ... إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكِ عَادِمُهْ (٣)

---

١ — الإعراب — الأولى : فاعلة . و « مهجتى » فى موضع نصب بوقوع الغرامة عليها .

وقال ابن القطاع : من روى تغرمى بإثبات الياء كان الأصل تغرمين ، فحذف النون للجزم ، والخطاب للمحبوبة ، والمهجة هى المحبوبة ، فمهجتى فى موضع نصب بالنداء ، و «الأولى» مفعوله ؛ ويكون المعنى : قفى يامهجتى تغرمى الأولى التى حرمتنيها بنظرة ثانية إليك .

المعنى — قال أبو الفتح : قفى يامحبوبه تغرم اللحظة الأولى التى لحظتك مهجتى بلحظة ثانية ، لأن الأولى قد أتلفت مهجتى ، فوجب عليها الغرم ، فإن لحظ ثانية عاش ، فتكون الأولى قد غرمت المهجة بالثانية ، ثم ذكر الحجة الموجبة أن يطالب بالوقفة . فقال : والمتلف غارم ، وهى حكومة بحق .

وقال الخطيب : لما نظر إليها نظرة أتلفت مهجته ، وأراد أن ينظر إليها أخرى لترجع إليه نفسه ، جعل الأولى كأنها الغارمة فى الحقيقة ، لأنها سبب التلف . ومثله لقطرب :

أَشْتَاقُ بِالنَّظْرَةِ الْأُولَى قَرِينَتَهَا ... كَأَنَّنِي لَمْ أُقَدِّمْ قَبْلَهَا نَظَرَا

وأخذ هذا المعنى بعضهم ، فقال :

يا مُسْقِمًا جِسْمِي بِأَوَّلِ نَظْرَةٍ ... فى النَّظْرَةِ الْأُخْرَى إِلَيْكَ شِفَائِي

وقال ابن وكيع : هذا البيت لخالد الكاتب ، وأخذه أبو الطيب منه .

وقال الواحدى وغيره : ليس هو لخالد ، إنما هو مأخوذ من قول أبى الطيب .

٢ — الغريب — العيس : الإبل البيض . والنور من الزهر : ما كان أبيض ، والزهر : الأصفر . والكمام : أوعية الزهر . والنور قبل أن تنفتق .

المعنى — أنه دعا لها بالسقيا ، ثم دعا لنفسه أن تكون تحية له بعد سقياها ، وجعل النساء التى فى الخدور نورا لحسنهن ، وصفاء لونهن ، وطيب رائحتهن ، وجعل الخدور لهن بمنزلة الكمائم .

وقال الواحدى : لما جعلهن نورا بنى على هذا اللفظ السقيا والتحية ، فإن النور نضرته بالماء ، وجرت العادة بأن يحيى بعض الناس بعضا بالأنوار والرياحين ، فيناوله شيئا منها . ومعنى « حيانا بك الله » ، أى لقاناك ، وحيانا بك ؛ وقد كشف السرى الموصلى عن هذا المعنى بقوله :

حَيًّا بِهِ اللهُ عَاشِقِيهِ فَقَدْ ... أَصْبَحَ رَيْحَانَةً لِمَنْ عَشِقَا

٣ — الغريب — الأظعان : جمع ظعن ، وهم القوم المرتحلون . =

إذا ظَفِرَتْ مِنْكِ الْعُيُونُ بِنَظْرَةٍ أَثابَ بِها مُعْيِي الْمَطِيِّ وَرازِمُهْ[1]
حَبِيبٌ كَأَنَّ الْحُسْنَ كانَ يُحِبُّهُ فَآثَرَهُ أَوْ جارَ فِي الْحُسْنِ قاسِمُهْ[2]
تَحُولُ رِماحُ الْخَطِّ دُونَ سِبائِهِ وَيُسْبَى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرائِمُهْ[3]

= المعنى — يقول لمن يحبّ : لايحتاج السفر إلى ضوء القمر بالليل ، وأنت معهم ، فإن من وجدك لم يعدم القمر ، وأنك تقومين مقام البدر إذا غاب ؛ وهو منقول من قول البحترى :

أَضَرَّتْ بِضَوْءِ الْبَدْرِ وَالْبَدْرُ طالِعٌ وَقامَتْ مَقامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبا

ومن قول الآخر :

إِنَّ بَيْتًا أَنْتَ ساكِنُهُ غَيْرُ مُحْتاجٍ إِلَى السُّرُجِ

١ — الغريب — ظفرت : فازت . وأثاب : رجع ، يقال: ثاب إليه عقله وأثاب: رجع . والمطى: جمع مطية . والرازمة من النوق أوالرازم من الإبل: الذى قام من الإعياء وأقعده الهزال عن المشى.
المعنى — يقول : الإبل التى قد ضعفت وكات وعجزت عن المشى ، إذا نظرت إليك رجعت قوّتها وحركتها فكيف بنا نحن ؟ وقوله : « العيون » . يريد : كلّ عين . يقول : إذا ظهرت للناظرين صلحت حال المطايا ، وهى لاتعقل النظر إليك ، فكيف الظنّ بنا وحياتنا برؤيتك .
وقال ابن فورجة : إنما يريد أصحابه ، والإبل لافائدة لها فى النظر إلى هذه المحبوبة ، وإن فاقت حسنا وجمالا ، وإنما ركابها يسرّون بذلك . والقول هوالأوّل ، وهوقول أبى الفتح وجماعة ، لأن الإبل التى لاعقل لها يؤثر فيها النظر على مقتضى المبالغة والتعمق فى المعنى ، لاعلى الحقيقة ، وهذاعادةالشعراء فى المبالغة . وذكرالمطى على اللفظ ،كتذكيرالنخل والسحاب ، وماأشبهه من الجمع.
٢ — المعنى — يقول : هذا حبيب متفرّد بالحسن ، ليس لغيره فيه حظّ ، فكأنّ الحسن أحبه ، واستخلصه لنفسه دون غيره ؛ أو الذى قسم الحسن بين الناس جار عليهم ، فأعطاه الحسن كله ، وحرمه غيره .
٣ — الغريب — الخط : موضع باليمامة ، وتنسب إليه الرماح الخطية . والحىّ : الجماعة من الناس النازلين بالبادية . والكرائم : جمع كريمة .
المعنى — يقول:هذا حبيب عزيز لاتصل رماح الخط إليه ، بل تسبى له الكرام من الأحياء ، فتكون له خدما . والمعنى : أن هذه المحبوبة من قوم أعزّة ، لا يطمع عدوّ أن يغير فيهم ، ولا يعتصم كرائم غيرهم منهم ، وأنها تأمن السبى ، ويسبى لها كرائم الأحياء . وما أحسن ما ألمّ بهذا المعنى أبو الغنائم ابن المعلم الواسطى فى قوله :

نُثَلِّمُ دُونَ الْبِيضِ بِيضَ صَوارِمٍ وَنَحْطِمُ دُونَ السُّمْرِ سُمْرًا عَوالِيا

وَيُضْحِي غُبارُ الْخَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ ... وَآخِرُها نَشْرُ الْكِباءِ الْمُلازِمُهْ (١)

وَما اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِي فِراقاً رَأَيْتُهُ ... وَلا عَلَّمَتْنِي غَيْرَ ما الْقَلْبُ عالِمُهْ (٢)

فَلا يَتَّهِمْنِي الْكاشِحُونَ فَإِنَّنِي ... رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ لِي عَلاقِمُهْ (٣)

١ — الغريب — الكباء : العود الذى يتبخر به . ونشره : فوحه . قال امرؤ القيس :

وَباناً وَأُلْوِيّاً مِنَ الْهِنْدِ ذاكِياً ... وَرَنْداً وَلُبْنَى وَالْكِباءَ الْمُقَتَّرَا

المعنى — يقول : أدنى ستورها ممن أرادها غبار خيول قومها ، وأقربها منها دخان بخورها ، فقد وصفها بأشد المنعة ، وذكر أنها فى غاية النعمة .

وقال الواحدى : إن دخان العود الذى يتبخر به كثير عنده ، حتى صار كالحجاب بينه و بين من يطلبه . قال: ويروى : «وأوّلها نشر الكباء» . والمعنى: وأوّل ستر دونها مما يليها ، و يمكن أن يقلب هذا ، فيقال : أدنى ستر إليها من الستور دونها غبار الخيل ، وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعنى : أن غبار الخيل كثير حتى وصل إليها ، فصار أدنى ستر منها دونها ، وكذلك ارتفع دخان العود حتى يتباعد منها الدخان ، فصار آخر ستر دونها . قال : وهذا أشبه بطريقة المتنبي فى إيثار المبالغة .

٢ — المعنى — يريد : أنه قد عرف صروف الدهر ، وأنه لم يستغرب ما طرقه به الدهر من فراق حبيب ولا غيره لما عرف ، وابتلى به من حوادث الأيام وفجائعها ، وأنه إنما علم بما علم ، وطرق بما عهد . والمعنى : يريد أنه لا يستغرب فراقا ، ولا تريه عينه شيئا لم يره قلبه ، والمصراع الأوّل من قول طفيل :

وَما أَنا بِالْمُسْتَنْكِرِ الْبَيْنِ إِنَّنِي ... بِذِي لَطَفِ الْجِيرانِ قِدْماً مُفَجَّعُ

والمصراع الثانى من قول عدى بن الرقاع :

وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عالِماً ... عَنْ حَرْفِ واحِدَةٍ لِكَيْ أَزْدادَها

ومثله للأعور الشنى :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ ما أَحْتاجُ فِيما ... بَلَوْتُ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى السُّؤالِ

وقال محمد بن عبد الملك بن الزيات :

وَما اسْتَغْرَبْتُ بَيْنَا مِنْ حَبِيبٍ ... فَأُنْكِرَهُ بِعَيْنٍ أَوْ بِقَلْبِ

وقال ابن الرومى :

وَما أَحْدَثَ الْعَصْرانِ شَيْئاً نَكِرْتُهُ ... هُما الْواهِبانِ السّالِبانِ هُما هُما

٣ — الغريب — الكاشحون : جمع كاشح ، وهو الذى يضمر لك العداوة . والعلاقم : جمع علقمة ، وهى المرارة .

مُشِبُّ الَّذِى يَبْكِى الشَّبابَ مُشِيبُهُ ... فَكَيْفَ تَوَقِّيهِ وَبانِيهِ هادِمُــــه(١)

وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصِّبا وَعَقِيبُهُ ... وَغائِبُ لَوْنِ الْعارِضَيْنِ وَقادِمُــــه(٢)

= قال أبو الفتح: سألته وقت القراءة عليه ماوجه التهمة فى هذا الموضع ؟ قال أن يظنوا بى جزعا.
المعنى — يريد: لا يتهمنى الأعداء بالخوف من الردى، والجزع من الفراق، فإنى قد اعتدت ذوق المرارات فلا أستمرّها، فقد حلا لى أمرّها، ومن اعتاد ذوق العلاقم حلا له العلاقم. ورعيت الردى: يريد أسباب الردى. والمعنى: لا أجزع من الفراق وإن عظم أمره واشتدّت مرارته، لأنى اعتدت ذلك، كقول الآخر:

وَفارَقْتُ حَتَّى لا أُبالِى مِنَ النَّوَى ... وَإِنْ بانَ جِيرانٌ عَلَىَّ كِرَامُ

وقول المؤرج:

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى ما أُراعُ لَهُ ... وَبِالْمَصائِبِ فِى أَهْلِى وَجِيرانِى

وهذا من قول الخزيمى:

لَقَدْ وَقَرَتْنِى الْحادِثاتُ فَما أَرَى ... لِنازِلَةٍ مِنْ رَيْبِها أَتَوَجَّعُ

وقال أبو الفتح هو من قول أوس بن حجر:

لا تُجْزِعَنِّى بِالْفِراقِ فَإِنَّنِى ... لا تَسْتَهِلُّ مِنَ الْفِراقِ شُئُونِى

١ — الغريب — أشبّ يشبّ، فهو مشبّ. وتوقاه: حذره.
المعنى — الذى يجزع على فقد الشباب، إنما أشابه من أشبه، فالشيب حصل من عنده الشباب، فلا سبيل إلى التوقى منه، لأن أمره بيد غيره، فإنما يهدم مابناه، ويأخذ ما أعطاه.
قال ابن وكيع: هو مأخوذ من قول ابن الرومى:

تُضَعْضِعُهُ الْأَوْقاتُ وَهْىَ بَقاؤُهُ ... وَتَغْتالُهُ الْأَقْواتُ وَهْىَ لَهُ طُعْمُ

إِذَا ما رَأَيْتَ الشَّىْءَ يُبْلِيهِ عُمْرُهُ ... وَيُفْنِيهِ أَنْ يَبْقَى فَفِى دائِهِ عُقْمُ

الضمير فى «توقيه» للباكى، وفى «بانيه وهادمه» للشباب.
٢ — المعنى — يقول: قال الواحدى: تمام العيش هو الصبا أوّلا، ثم ما يتعقبه من بلوغ الأشدّ، حتى يكون يافعا مترعرعا، إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا بياض وسواد، وغائب لون العارضين هو البياض، والقادم هو السواد السابق إلى العارض، ويجوز أن يكون غائب لون العارضين، لون البشرة، حتى يغيب عنهما سواد الشعر وبياضه، والقادم هو لون الشعر من بياض وسواد، ويجوز أن يريد بالقادم: الشيب، من قدم يقدم: إذا ورد، وبالغائب: السواد الذى غاب بقدوم البياض، ويجوز أن يريد بالغائب: لون جلد العارض المستتر بالشعر، وبالقادم: سواد الشعر =

وَما خَضَبَ النَّاسُ الْبَياضَ لِأَنَّهُ قَبيحٌ وَلٰكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فاحِمُهْ(١)

وَأَحْسَنُ مِنْ ماءِ الشَّبيبَةِ كُلِّهِ حَيا بارِقٍ فى فازَةٍ أَنا شائِمُهْ(٢)

عَلَيْها رِياضٌ لَمْ تَحُكْها سَحابَةٌ وَأَغْصانُ دَوْحٍ لَمْ تَغَنَّ حَمائِمُهْ(٣)

= النابت ، وهذا هو الأولى لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الإنسان صبيا ، ثم مترعرعا يافعا ، ثم ينبت شعره ، فيكون شابا ، ولم يجعل الشيب من تكملة العيش ، لأن من شاب فقد مات . قال :

مَنْ شابَ قَدْ ماتَ وَهُوَ حَىٌّ يَمْشِى عَلَى الْأَرْضِ مَشْىَ هالِكْ

وبيت المتنبى من قول ابن الرومى :

سُلِبْتُ سَوادَ الْعارِضَيْنِ وَقَبْلَهُ بَياضَهُما الْمَحْمُودَ إِذْ أَنا أَمْرَدُ

١ — الغريب — الفاحم : الأسود الشديد السواد .

قال الواحدى : البياض فى الشعر حسن ، ولم يخضب البياض لأنه مستقبح ، ولكن السواد أحسن منه ، فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لون الشعر .

قال أبو الفتح : ذكر أن الشيب لم يخضب لأنه قبيح ، ولكن سواد الشعر أحسن ، والإنسان إذا شاب علم أنه كبير السن ، فزهد فيه ، فإذا خضب ظهر للغوانى أنه شاب ، فرغبن فيه . وجاء فى الحديث : « عليكم بالخضاب فإنه زينة لنسائكم ، وهيبة لعدوكم » وسئل بعض الصحابة : هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لم يكن به من الشيب ما يوجب الخضاب ، وقيل : إن عبد المطلب بن هاشم نزل ببعض الملوك ، فأمر الملك بخضابه ، فقال عبد المطلب :

فَلَوْ دامَ لِى هٰذَا الْمَشِيبُ رَضِيتُهُ وَكانَ بَدِيلاً مِنْ شَبابٍ قَدِ انْصَرَمْ ؟

قال ابن وكيع : هو من قول ابن الرومى :

إِنَّ خَيْراً مِنَ الشَّبابِ بِنَوْالْقَيَّاضِ الْمُشْتَرى أَوِ الْمُعْتاضِ

٢ — الغريب — ماء الشبيبة : نضارتها . والحيا مقصورا : المطر والخصب ، وهو الذى تحيا به الأرض . والبارق : السحاب ذو البرق اللامع . والشائم : الذى يرقب موضع الغيث . والفازة : القبة والخيمة ، وكان سيف الدولة فى خيمة من ديباج ، قد وصفها أبو الطيب فى هذه القصيدة ، وتشبب إلى المدح بأحسن تشبب . قال : إن أحسن من ماء الشبيبة الذى اجتمع الناس على الكلف بوقته ، والأسف لفقده ، جود يشبه الغيث بكثرته ، لملك يخلف السحاب بكرمه ، نرقبه من قبة ، وننتجعه فى فازة ، وأشار بذلك إلى كرم سيف الدولة ، وقد جمع له فى البيت بين ضروب من المدح ، ثم وصف القبة ، فقال : [عليها رياض . . . . البيت] .

٣ — الغريب — الرياض : جمع روضة ، وهى التى ينبتها الغيث ، وفيها الأزهار . والدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة ، من أى الأشجار كانت . والحمائم : جمع حمامة . =

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ ... مِنَ الدُّرِّ سِمْطٌ لَمْ يُثَقِّبْهُ نَاظِمُـــهُ (١)

تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحًا بِهَا ... يُحَارِبُ ضِدٌّ ضِـــدَّهُ وَيُسَالِمُهُ (٢)

إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كَأَنَّهُ ... تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدْأَى ضَرَاغِمُهُ (٣)

وَفِى صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِى التَّاجِ ذِلَّةٌ ... لِأَبْلَجَ لَا تِيجَانَ إِلَّا عَمَائِمُهُ (٤)

= المعنى — شبه أبوابها بقطع الرياض ، إلا أن زهراتها مما لم تحكه ، أى تنسجه ، وتصنعه يدى السحاب ، وأغصان شجرها مخالفة لأغصان سائر الأشجار ، لأنها لاتتغنى عليها حمامها ، لا تتجاوب طيورها ، فأومأ بهذا الاشتراط إلى أنها صورة ممثلة ، وصناعات مؤلفة ، وهــذا نوع بديع من أنواع الإيماء والإشارة .

(١) الغريب — الموجه من كلّ شيء : ذو الوجهين . والسمط : السلك ؛ وقيل أراد بالسمط : دوائر البيض على حاشية تلك الأثواب التى اتخذت منها الخيمة ، شبهها بالدرّ لبياضها ، إلا أنه من نظمه لم يثقبه ، لأنه ليس بدرّ حقيقيّ .

المعنى — يقول : كلّ ثوب يستقبل من هذه الفازة ، فوق حواشيه سموط لآلئ ، تجتمع غير مثقوبة ، وتتألف غيرمنظومة، يومئ بهذا الاشتراط إلى أنها لآلئ ممثلة لاحقيقية ،وهومن البديع .

(٢) المعنى — يريد : أنها خيمة فيها أصناف الوحوش ضدّ كلّ جنس يسالمه ، وهو مصالحه ، من عادة الحيوان أن يهارش بعضه بعضا ، و يفترس بعضـه بعضا ، وأراد بالمحاربة : أنها نقشت صورة المحاربة ؛ والمسالمة : أنها جماد لاروح فيها فتقاتل .

(٣) الغريب — المذاكى : المسنة من الخيل. دأيت الرجل أدأى له دأيا : إذاختلته ، مثل أدوت ، ودأوت له ،لغة فى دأيت . ودأى الذئب ليأخذ الغزال، وروى بالذال المعجمة ، من ذأى الإبل: إذا طردها وساقها . والضراغم : جمع ضرغام ، وهو الأسد .

المعنى — يقول : إذا ضربت الريح هذا الثوب تحرّك ، حتى كأنه يموج ، وكأنّ الخيل التى صورت عليه جائلة ، وكأنّ أسودا تختل الظباء لتصيدها ، وتطردها لتدركها .

(٤) الغريب — صورة الرومى : كان قد صور فى الخيمة صورة ملك الروم . والأبلج : هوالنقىّ ما بين الحاجبين ، وهو من صفة السادة . والتيجان للملوك الأعاجم . والعمائم للعرب ، وفى كلامهم القديم : العمائم تيجان العرب ، والسيوف أرديتها ، والخباء : جدرانها .

المعنى — يقول : صــورة ملك الروم على هــذا الثوب ساجد لسيف الدولة ، وقد خضع له ، وذلك على عادته ، و إن كان متوّجا فإن التيجان فى الحقيقة العمائم التى على رأس سيف الدولة ، من أرفع الرأى رأى من تــكون له الغلبة ، وتعرف منه القدرة . وروى الواحدى : لأبلخ ، بالخاء المعجمة ، وهو المتــكبر العظيم فى نفسه ، بلخ (بالــكسر) وتبلخ ، أى تــكبر ، فهو أبلخ : بين =

يُقَبِّلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِساطَهُ ... وَيَكْبُرُ عَنْها كُمُّهُ وَبَرَاجِمُه (١)
قِياماً لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيُّهُ ... وَمَنْ بَيْنَ أُذْنَىْ كُلِّ قَرْمٍ مَوَاسِمُه (٢)
قَبائِعُها تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيْبَةً ... وَأَنْفَذُ مِمَّا فِى الْجُفُونِ عَزَائِمُه (٣)
لَهُ عَسْكَرَا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى ... بِها عَسْكَراً لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجِمُه (٤)

= البلخ . قال ابن وكيع : هو عكس قول ابن الرومى :

رُءوسُ مَرَائِيسٌ قَدِيماً تَعَمَّمَتْ ... لَعَمْرُكَ بِالتِّيجانِ لا بِالْعَمَائِمِ

١ — الغريب — الكم : كم الثوب ، وهو الذى تخرج منه اليد والبراجم : الأصابع ، وهى رءوس السلاميات من ظاهر الكف ، وقيل : عروق ظاهر الكف ، وقيل : عظامها . والبراجم : بطن من تميم ، ومن أمثالهم : إن الشقى وافد البراجم ، وقيل : هى جمع برجة ، وهى النواشز من مفاصل الأصابع .

المعنى — يقول : الملوك يخدمونه ، ويقبلون بساطه بأفواههم عند ما يقعون له سجدا ، لأنهم لا يقدرون على تقبيل كمه ويده ، لارتفاعه وعلو مكانه ، لأنه أعظم شأنا من ذلك ، فهم يستغنون عن تقبيل كمه بتقبيل بساطه ، إعظاما لقدره ، واعترافا لفضله .

٢ — الإعراب — قياما : مصدر لم يذكر فعله ، وهو حال من الملوك .

الغريب — القرم : السيد . والمواسم : جمع ميسم ، وهو الذى يوسم به .

المعنى — يريد : أنهم قيام بين يديه أذلاء ، وكنى بالكى عن طعنه وضربه ، وبالداء عن غوائل الأعداء ، فهو يرد بالطعن والضرب من عصاه إلى طاعته ، كما يرد من به داء إلى الصحة بالكى ، وهذا مثل ضربه . يريد : أن كل ملك عظيم قد ذلله ، وبان عليه أثر قهره إياه .

٣ — الإعراب — القبائع : جمع قبيعة ، وهى قبيعة السيف ، وهى الحديدة التى فوق مقبض السيف ، وأراد : قبائع سيوف الملوك ، فحذف المضاف .

المعنى — كنى عن السيوف ، ولم يجر لها ذكر ، وهو كثير فى كلامهم ، والكتاب العزيز . يقول : قاموا عنده متكئين على قبائع سيوفهم ، هيبة له ، وتعظيما له . وعزائمه إذا عزم على الأمور كانت أمضى من السيوف . والجفون : أغمدة السيوف ؛ واحدها : جفن .

٤ — الإعراب — الضمير فى «بها» للخيل والطير ، فلما جعلها جماعة ، كنى عنها بلفظ الجمع ، ولم يكن عنها بالتثنية للعسكرين .

الغريب — الجماجم : جمع جمجمة ، وهى عظم الرأس .

المعنى — يقول : إن الطير تصحب عسكره اعتيادا لكثرة وقائعها لتأكل من لحوم القتلى ،

أَجِلَّتُها مِنْ كُلِّ طاغٍ ثِيابُهُ ... وَمَوْطِئُها مِنْ كُلِّ باغٍ مَلاغِمُهْ(١)
فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمّا تُغيرُهُ ... وَمَلَّ سَوادُ اللَّيْلِ مِمّا تُزاحِمُهْ(٢)

= فكأنها من عديد حشمه ، فإذا رمى عسكرا بخيله وطيره أهلكه . وهو من قول النابغة :

إذا مَاغزَوْا فى الْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ ... عَصائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصائِبِ

وقال ابن وكيع : لا أدرى كيف خص الجاجم بالبقاء دون سائر العظام ، ولا أعرف للخيل فى هذا معنى بل للطير ، لأنها لا تأكل عظام الموتى ، وذلك أن الخيل إذا جلت من عليها أهلكوا من وقف ، والطير تأكلهم ، فلا تدع إلا العظام للوحش ، وخص الجاجم من بين العظام ، لأنها أكبر عظم فى الإنسان . ويجوز أن يكون المعنى : إنهم كانوا يقتلون ويأسرون ، فكانوا يأخذون رءوس القتلى يجعلونها فى أعناق الأسارى ، فلهذا لم تبق إلا الجاجم .

١ — الغريب — الأجلة : جمع جل . والملاغم : ما حول الفم ؛ الواحد : ملغم . وملغمت المرأة : إذا تطيبت حول الفم ، وقيل لأعرابى : متى المسير ؟ فقال : تلغموا بيوم السبت ، أى اذكروه يوم السبت . يريد : حركوا ملاغمكم بذكر السبت ، كما تقول : تفوهوا .

المعنى — يريد : أن أجلة خيله ثياب من طغى عليه وخالفه ، وموطئها من كل من بغى عليه وجهه ، وهذا مبالغة ، ولاتتم هذه الصفة إلا بعد الإمعان فى قتلهم ، وبلوغ الغاية من الظهور عليهم.

٢ — الإعراب — أراد : تغير فيه ، فحذف الظرف ، وأوصل الفعل ، كقول الراجز :

قَدْ صُبِحَتْ بِصَبْحِها السَّلامُ ... بِكَبِدٍ يَتْبَعُها سَنامُ

* فِى ساعَةٍ يُحَبُّها الطعامُ *

يريد : يحب فيها . وكقولهم: أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاما ، أى أذوق فيهن ، والضمير فى «تزاحمه» مفعول به ، وليست فى معنى تزاحم فيه ، لأنه يتعدى بنفسه .

المعنى — يريد : أنه كان يغير عند الصبح ، وهو عادة العرب فى غاراتها ليغفلوا القوم ، وكانوا يقولون عند الغارة : واصباحاه ، فيقول : قد مل الصبح وسئم وضجر مما تغير فيه ، وكذا الليل من مزاحمتك له ، وهو أنك تبلغ كل موضع يبلغه الليل .

وقال الواحدى : تغير وتزاحمه ، يجوز أن يكون للخطاب ، ويجوز أن يكون للخيل ؛ وقيل فى معنى البيت : تغيره ، تحمله على الغيرة بما يزيد على بياضه بريق أسلحتك ، وتزاحم الليل ، فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك .

وقال ابن الإفليلى : تزاحم الليل بغبار خيلك ، فكأنه ليل آخر .

وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُـــدُورَهُ   وَمَلَّ حَـــدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلاطِمُهْ(١)

سَحابٌ مِنَ الْعِقْبانِ يَزْحَفُ تَحْتَها   سَحابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْها صَوارِمُهْ(٢)

---

١ — المعنى — قال الواحدى : ملت رماح الأعداء من دقك أعاليها ، وملت سيوفك من ملاطمتك إياها ، والملاطمة : المقاتلة بالترس والمجن . قال : ويجوز أن يريد رماح عسكره وسيوفهم على أن يرفع الصدور . يقول : رماحك من كثرة ماتدقّ صدورها أعداءك ، قد ملت وملت سيوفك من الشيء الذى تلاطمه ، لكثرة وقعها عليه .

وقال ابن وكيع : الملاطمة لاتكون إلا بين اثنين ، فلو قال : مع «تدقّ» تلطم ، لكان أحسن فى الصناعة . وأحسن من هذا قول القائل :

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنا طَعْنُ مُدْبِرٍ   وَتَنْدَقُّ مِنْها فى الصُّدُورِ صُدُورُها

٢ — الغريب — العقبان : جمع عقاب ، وهو طائر كبير معروف من الجوارح ، وأنث «السحاب» الثانى ، وذكر الأخير الأوّل ، وذلك أن كلّ جمع بينه و بين واحده الهاء ، يجوز تذكيره وتأنيثه ، فذكر الثانى ، وأنث الأوّل ، أخذا بالأمرين ، ولو قال : «تحته» لما تغير الوزن ، ويجوز أن يكون التأنيث لجمع العقبان . والصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع .

المعنى — أنه جعل الطير التى تطير فوق عسكره سحابا ، وجعل جيشه سحابا لما فيه من بريق الأسلحة ، وصبّ الدماء ، وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقى الأعلى إغرابا فى الصنعة . شبه العقبان بسحاب يظلّ الجيوش ، ويزحف تحتها سحاب . يريد : الجيش إذا استسقت العقبان بطلب الدم سقتها صوارمه ، لأنها تقتل الأعداء ، فتشرب العقبان دماء القتلى ، هذا قول أبى الفتح ، ونقله الواحدى حرفا حرفا ، انتهى كلامهما . وتعنت قوم على أبى الطيب ممن هو مقصر فى معرفة تدقيق المعانى بأمرين : أحدهما قال : إن السحاب لا يسقى ما فوقه ، والآخر أن الطير لا تستسقى وإنما تستطعم ، أما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذى أغرب به ، فإنه لم يجعل الجيش سحابا فى الحقيقة ، فيمتنع إسقاؤه لما فوقه ، و إنما أقامه مقام السحاب ، لأنه طبق الأرض لكثرته وتزاحمه وغطاها كما يغطى السحاب السماء ، وقد فعلت العرب ذلك فى أشعارها ، ولما جعله سحابا جعله يستسقى فيسقى ، مع أن الطير لاتصيب من القتلى ما تصيبه وهى فى الجوّ ، و إذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتلى ، فالسحاب الساقى عال عليها ، وأما استسقاء الطير فجار على عادة العرب فى أشعارها من استعمال هذه اللفظة ، تعظيما لقدر الماء ، كقول علقمة بن عبدة :

وَفى كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ   فَحَقٌّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

وكان ملك الشأم قد أسر أخاه شأسا ، فبعث إليه بهذه الأبيات يطلب منه أن يفكه . وأصل الذنوب : الدلو العظيمة إذا كان فيها الماء . وقد قال رؤبة :

=

سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حتَّى لَقِيتُهُ ... عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤْيَدَاتٍ قَوَائِمُهْ(١)

مَهالِكَ لَمْ تَصْحَبْ بِها الذِّئْبَ نَفْسُهُ ... وَلا حَمَلَتْ فِيها الغُرابَ قَوادِمُهْ(٢)

= يأيُّها المَائحُ دَلْوِى دُونَكَا ... إنِّى رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا

وهما لم يستسقيا ماء فى الحقيقة ، إنما أحدهما استطاق أسيرا ، والآخر طلب عطاء كثيرا ، وأما قوله فى صحبة الطير لجيشه ، فهو كثير فى أشعارهم . قال الأفوه الأودى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثارِنا ... رَأْىَ عَيْنٍ ثِقَةً أنْ سَتُمارُ

معناه : تعطى الميرة بما تجد من لحوم القتلى . قال النابغة :

إذَا ما غَزَوْا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ ... عَصائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصائِبِ

وقال أبو نواس :

يَتَأَيَّا الطَّيْرُ غُدْوَتَهُ ... ثِقَةً بالشِّبَعِ مِنْ جَزَرِهْ

وبيت أبى الطيب منقول من قول حبيب :

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبانُ أعْلامِهِ ضُحًى ... بِعِقْبانِ طَيْرٍ فى الدِّماءِ نَواهِلِ

أقامَتْ مَعَ الرَّاياتِ حَتَّى كَأَنَّها ... مِنَ الجَيْشِ إلاَّ أنَّها لَمْ تُقاتِلِ

١ — الغريب — المؤيدات : القويات ؛ يقال : أيدته : قويته . ومنه قوله تعالى : « ذا الأيد إنه أوّاب » . يريد : القوّة .

المعنى — يصف كثرة مالقى من صروف الدهر ، وتقلبه وشدّته ، حتى لقى سيف الدولة ، وجعل عزمه مركوبا له ، لأنه لايسافر إلا بعزمه ، ولما جعله مركوبا جعل له ظهرا وقوائم ، وجعلها مؤيدات قويات ، وهذا كله على سبيل الاستعارة .

٢ — الإعراب — نصب «مهالك» بفعل دلّ عليه الكلام ، تقديره : قطعت مهالك . وقد قال قوم : هى بدل من صروف ، ولا يجوز ذلك لأنها ليست من صروف الدهر فى شىء .

الغريب — القوادم : صدور ريش الجناح من الطائر ، أربع فى كلّ جناح .

المعنى — يقول : قطعت إلى لقاء سيف الدولة مهالك لو قطعها الذئب لما صحبته نفسه لشدّة الخوف ، لأنه يموت خوفا فيها ، والغراب لو سلكها لم تصحبه قوادمه . ولم يقدر على الطيران ، وخصّ الغراب والذئب لأنهما يألفان الأمكنة البعيدة عن الناس ، وإذا كانا عاجزين عن قطع هذه المهالك ، فغيرهما أعجز عن قطعها .

فَأَبْصَرْتُ بَدْراً لا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ... وَخاطَبْتُ بَحْرًا لا يَرَى الْعِبْرَ عائِمُهْ (١)

غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفاتِهِ ... بِلا وَاصِفٍ وَالشِّعْرُ تَهْذِى طَماطِمُه (٢)

وَكُنْتُ إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً بَعِيدَةً ... سَرَيْتُ وَكُنْتُ السِّرَّ وَاللَّيْلُ كاتِمُه (٣)

---

١ — الغريب — عبر النهر : شطه . والعائم : السابح .

المعنى — يقول : أبصرت بدرا إذا طلع البدر لم ير تحته مثله ، فاستعار الرؤية للبدر .

قال أبو الفتح : لو قال : لايرى البدر مثله ، على أن يكون مثله فاعلا لكان جيدا . والمعنى : يقول : أبصرت من سيف الدولة فى الحسن والصباحة والطلاقة بدرا لايرى بدر التمام مثله ، مع اطلاعه على الدنيا كلها ، وخاطبت منه بحرا لايرى السابح فيه ساحله . يريد : بدر كرم ، ومولى نعم ، يستعظم البدر أمره . ويصغر دونه ، ولا يعهد مثله . وفيه نظر إلى قول الشاعر :

وَإِنَّ مِنَّا أُناساً لَوْ أَعانَهُمُ ... دَهْرٌ رَأَيْتَ بُحُوراً مَالَهَا طَرَفُ

وقول البحترى :

وَمَنْ يَرَ جَدْوَى يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ ... يَرَ الْبَحْرَ لَمْ يَجْمَعْ جَنابَيْهِ ساحِلُ

إلا أنّ أبا الطيب زاد عليهما بالبدر ، وجزالة اللفظ .

٢ — الغريب — الطماطم: جمع طمطم ، وهو الذى لايفصح ؛ يقال : رجل طمطم (بالكسر) ، إذا كان فى لسانه عجمة لايفصح . وطمطمانى (بالضم) ، وطماطم . وقال عنترة :

تَأْوِى لَهُ قُلُصُ النَّعامِ كَما أَوَتْ ... حِزَقٌ يَمانِيَةٌ لِأَعْجَمَ طِمْطِمِ

وقال كثير :

وَمُقْرَبَةٌ دُهْمٌ وَكُمْتٌ كَأَنَّها ... طَماطِمُ يُوفُونَ الْوَفارَ عَنادِلُ

المعنى — يقول : لما رأيت صفاته ، وهى كثيرة جليلة ، غضبت لكثرتها بلا واصف من شعرائه الذين يمدحونه لقصورهم عن وصفها ، فلما رأيت الشعراء مقصرين عن وصفها فى المدح ، جئت إليه ليعلم مكانى فى المدح. وشبه ما كان مدح به الممدوح بالطماطم ، التى هى أصوات لاتفهم ، لأنهم لايحسنون أن يمدحوه ، ولا أن يأتوا بأوصافه على الاستقامة .

٣ — الغريب — يممت : قصدت .

المعنى — يقول : كنت إذا قصدت إلى الممدوح أرضا بعيدة ، سريت ليلا مشتملا بالظلام ، فكأنى سرّ والليل كاتمه . وهذا منقول من قول البحترى :

وَطَيَّيْتُكَ سِرًّا لَوْ تَكَلَّفَ طَيَّهُ ... دُجَى اللَّيْلِ عَنَّا لَمْ تَسَعْهُ ضَمائِرُهُ

ونقله الصاحب بن عباد من قول أبى الطيب :

=

لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ المَجْدُ مُعْلِمًا ... فَلا المَجْدُ مُخْفِيهِ وَلا الضَّرْبُ ثالِمُهْ(١)

عَلَى عاتِقِ المُلْكِ الأَغَرِّ نِجادُهُ ... وَفِى يَدِ جَبَّارِ السَّمٰوَاتِ قائِمُهْ(٢)

تُحارِبُهُ الأَعْداءُ وَهْىَ عَبِيدُهُ ... وَتَدَّخِرُ الأَمْوالَ وَهْىَ غَنائِمُهْ(٣)

= تَجَشَّمْتُهُ وَاللَّيْلُ وَحْفٌ جَناحُهُ ... كَأَنِّى سِرٌّ وَالظَّلامُ ضَمِيرُ

ونقله البحترى من قول قعنب :

سَرَيْنا بِهِ وَاللَّيْلُ داجٍ ظَلامُهُ ... فَكانَ لَنا قَلْبًا وَكُنَّا لَهُ سِرًّا

١ — الإعراب — معلما : حال من المجد ، أى أعلم به الناس وأظهره .

المعنى — يقول : إنّ الشرف ومعالى الأمور أظهره للناس ، وحمله على قتل الأعداء ، فلا يغمده المجد ، ولا يثلمه الضرب ، لأنه ليس هو سيفا فى الحقيقة ، إذ لو كان سيفا من حديد لثلمه الضرب ، وهذا من أحسن الكلام .

٢ — الغريب — من روى الملك (بفتح الميم) أراد الخليفة ، ومن رواه (بضم الميم) — وهو أكثر ، وروايتى عن شيخى — أراد المملكة . والأغرّ : الأبيض الكريم . ونجاد السيف : حمائله . والعاتق : موضع النجاد على كتف الرجل . والعاتق : يذكر ويؤنث . وقائم السيف : قبضته التى تكون فى يد الضارب به .

المعنى — يقول : هو سيف يتقلده الخليفة (على إحدى الروايتين) ، فهو زين للخليفة ناصر لدين الله . وعلى الرواية الأخرى ، هو سيف على عاتق المملكة ، نجاده يتزين به الملك ، فهو من الملك فى أرفع مواضعه ، ومن تأييد الله بالجدّ الذى يمضيه فيه فى أعلى مواقعه ، وإذا كان كذلك اكتنفه نصره ، وساعدته أقداره ، فحينئذ يبلغ مراده من أعدائه . وفيه نظر إلى قول حبيب :

لَقَدْ خابَ مَنْ أَهْدَى سُوَيْداءَ قَلْبِهِ ... لِحَدِّ سِنَانٍ فى يَدِ اللّٰهِ عامِلُهْ

وقد كرّره أبو الطيب فى سيف الدولة بقوله :

* فَأَنْتَ حُسَامُ المُلْكِ وَاللّٰهُ ضارِبُ *

٣ — الغريب — عبيده : جمع عبد . وأكثر الروايات : عباده . وعبيد ، مثل كلب وكليب ، وهو جمع عزيز ، وقد جاء فى جمعه : أعبد ، وعباد وعبدان (بالضمّ) ، مثل تمر وتمران ، وعبدان (بالكسر) مثل جحشان ، وعبدان ، بكسر أوّله وثانيه مشدّدا ، وعبداء (ممدودا ومقصورا) ، ومعبوداء (بالمدّ) ، وعبد . أنشد الأخفش :

أَنْسُبُ العَبْدَ إِلَى آبائِهِ ... أَسْوَدَ الجِلْدَةِ مِنْ قَوْمٍ عَبُدْ

فهو مثل سقف وسقف ، ورهن ورهن ، وهو جمع جيد ، وله نظائر . والغنائم ، واحدها : غنيمة ، =

وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ دُونَهُ ... وَيَسْتَعْظِمُونَ المَوْتَ وَالمَوْتُ خادِمُهْ(١)

وَإِنَّ الَّذِي سَمَّى عَلِيًّا لَمُنْصِفٌ ... وَإِنَّ الَّذِي سَمَّاهُ سَيْفًا لَظالِمُهْ(٢)

وما كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الهامَ حَدُّهُ ... وَتَقْطَعُ لَزْباتِ الزَّمانِ مَكارِمُهْ(٣)

= وهو المال الذي يؤخذ من الكفار إذا ظفر بهم . وروى : عتيده ، بالتاء المثناة فوقها . والعتيد: الشيء الحاضر المهيأ . والعتاد . العدة والأهبة والآلة ؛ يقال : أخذت للأمر عتاده ، أى آلته .

المعنى — يقول : الأعداء عبيد له ، لأنه يسبيهم ويسترقهم ، ويملك رقابهم ، يحاربونه، وهم عبيده ، وهو يتعجب من هذا ، ويدخرون الأموال وهى غنائم له ، لأنه يحويها بالإغارة عليهم ، فهى غير ممتنعة عليه .

١ — المعنى — يقول : هم يعدون الدهر كبير الأمر ، عظيم الشأن ، والدهر دونه ،لأنه مستعمل بحسب إرادته ، تقرب له فيه السعادة بغيته ، ويسهل عليه الإقبال فيه رغبته ، ويستعظمون الموت ، وهو أعظم حادث لأنه يطيعه فى أعدائه ، فهو يدس أعمارهم ، ويقلل عددهم .

٢ — الغريب — على : اسم سيف الدولة ، وهوفعيل ، أصله عليو ، من علوت ، فانقلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء فى الياء . والعلىّ : الشديد الرفيع .

المعنى — يقول : أنصفه الذى سماه عليا بمايستحقه من علوّ المنزلة والرفعة ، لأنه عالى القدر، وقد ظلمه الذى سماه سيفا ، لأن السيف جاد لايعقل ، ولا يفعل مايفعله هذا الممدوح ، لأن الجوامد لاتوصف بحسن ، ولا بقبيح ، ولا بمعقول ، وإنما هى شخوص مرتبطة ليس عندها نطق ، ولا عبرة ، وهذا يولى الإحسان ، ويبرّ الأهل والإخوان ، ويحمى بقوّته وهيبته البلدان ، ويخاف بأسه كلّ سلطان .

قال أبو الفتح : لواتفق له أن يقول: سماه عليا . لكان أشبه بآخر البيت ، وهذا جائز حسن، لأنّ المفعول حذفه كثير من الكلام .

٣ — الغريب — الأزبة : واحدة الأزبات ؛ وهى الشدّة ، يقال : لزبة ولزبات،أى شدّة وقحط .

قال أبو الفتح ،والواحدى نقله منه : والوجه أن يقال : لزبات (بفتح الزاى) . وإنما سكن الزاى ضرورة، وليس كاذكرا ، فقد قال الجوهرى فى صحاحه : أصابتهم لزبة ، أى شدّة وقحط ؛ والجمع: لزبات (بالتسكين) لأنه صفة .

المعنى — يقول : هو أفضل من السيف ، فقد ينبو حدّ السيف فلا يقطع ، ومكارم هذا الممدوح تذهب شدائد الزمان ، وتقطعها عن كلّ إنسان ، فلا يشبه فعله فعل السيف ، حتى يسمى باسمه ، فقد بان له على السيف فضل ظاهر ، وشرف بين فاخر ، وأنه يقصر عنه ، ويتواضع دونه .

وقال يمدحه وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية

وهى من الخفيف ، والقافية من المتواتر

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهَـذَا الْهُمَامُ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبا وَأَنْتَ الغَمَامُ(١)

نَحْنُ مَنْ ضايَقَ الزَّمانُ لَهُ فِيـكَ وَخانَتْهُ قُرْبَكَ الْأَيَّامُ(٢)

---

١ — الغريب — الإزماع: العزم على الرحيل . والهمام : الملك العظيم الهمة . والرّبا: جمع ربوة . وخصّ الربا دون غيرها ، لأن الروضة إذا كانت على يفاع من الأرض ، كانت أحسن .

المعنى — يقول : أين ، وهو سؤال عن مكان ، أى أىّ مكان عزمت عليه أيها الملك .

قال الواحدى : ونحن لا عيش لنا إلا بك ، فإذا فارقتنا لم نعش كنبات الربا ، لا يبقى إلا بالغمام ، لأنه لا شرب له إلا من مائه ، وغير نبات الربا يمكن أن يجرى إليه الماء ، وهو من قول الآخر :

نَحْنُ زَهْرُ الرُّبا وَجُودُكَ غَيْثٌ هَلْ بِغَيْرِ الغُيُوثِ يُونِقُ زَهْـرُ

هذا كلامه ، وهو كلام أبى الفتح نقلا . والمعنى : يقول : أين أزمعت أيها الملك عنا ، ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام ، لنبت الربا ، وهو من آنق النبت ، ولهذا ضرب الله به المثل فى قوله: «كمثل جنة بربوة أصابها وابل» ، وهو مع ذلك أقرب النبت موضعا من الغمام . وأشدّه افتقارا إليه ، لأنه لا يقيم فيه ، ويسرع الانسكاب عنه ، ولهذا شبه أبو الطيب حاله به .

قال ابن وكيع : أوّل هذه القصيدة سوء أدب ، لسؤاله ملكا جليلا بأين أزمعت ، والبيت مأخوذ من قول أبى فنن :

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَأَبا عَـلِيٍّ كَنَبْتِ الْأَرْضِ تُصْـلِحُهُ السَّماء

٢ — المعنى — قال أبو الفتح : اللام فى «له» زائدة ، وله نظائر ، كقوله تعالى : «ردف لكم» وقوله : «إن كنتم للرؤيا تعبرون» . وقول الشاعر :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَها فَكَأَنَّما تُمَثَّلُ لِى لَيْلَى بِكُلِّ سَـبِيلِ

يريد : أن أنسى . وقال ابن ميادة :

وَمَلَّـكْتَ مابَيْنَ العِراقِ وَيَثْرِبٍ مُلْكاً أَجارَ لِمُسْـلِمٍ وَمُعاهِدِ

يريد : أجار مسلما ومعاهدا . ومثله قوله تعالى : «ردف لكم» ، أى ردفكم . ونصب «قربك» على المفعول الثانى ، يقال : خان الزمان زيدا ملكه ، يتعدّى إلى مفعولين ، ولا يجوز نصبه على الظرف ، لأنه يصير ذمّا للممدوح ، وإقرارا بأن الزمان خانهم فى حال اقترابهم منه ؛ وقيل : أراد: نحن من ضايقه الزمان ، فحذف الراجع إلى الموصول .

=

فى سَبِيلِ الْعُلا قِتالُكَ وَالسِّلْــــمُ وَهٰذَا الْمُقامُ وَالْإِجْــــذَامُ(١)
لَيْتَ أَنَّا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْــــلُ وَأَنَّا إِذَا نَزَلْتَ الْخِــــيامُ(٢)
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُــــقامُ(٣)

= وقال ابن فورجة : الضمير فى «له» للزمان . معناه : نحن الذين ضايقهم الزمان فيك لنفسه ولأجله ليكون له دونهم ، كما تقول : هم الذين رضيهم زيد له ، أى لنفسه . وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جدًّا ، وكذا قال الخطيب .

المعنى — يقول : نحن الذين ضايقهم الزمان فيك ، فيبخل عليهم بك ، فيحرمهم لقاءك ، ويباعد بينهم وبينك ، وتخونهم الأيام فى القرب منك ، يشير إلى أن الزمان يعشقه ، ويغار على قربه ، فهو يريد أن ينفرد به دون الناس ، وهو مأخوذ من قول محمد بن وهيب :

وَحارَبَنِى فِيــــهِ رَيْبُ الزَّمانِ كَأَنَّ الزَّمانَ لَهُ عاشِــــقُ

١ — الغريب — السلم : ضدّ الحرب ، وهو الصلح . والإجذام : الإسراع فى السير . قال طرفة :

أَحَلْتُ عَلَيْها بِالْقَطِيعِ فَأَجْذَمَتْ وَقَــدْ خَبَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمُتَوَقِّدِ

والإجذام : الإقلاع عن الشىء بسرعة . قال الربيع بن زياد :

وَحَرَّقَ قَيْسٌ عَلَىَّ الْبِــــلا دَ حَتَّى إِذَا اضْــــطَرَمَتْ أَجْذَما

وقيس هذا : هو ابن زهير العبسى .

المعنى — يقول : كلّ فعالك فى سبيل المكارم العالية إن قاتلت أو سالمت ، فأنت فى طلاب العلياء ، وأنك لا تأنف من ذلك إلا ما شرف قدره ، وظهر فضله .

٢ — المعنى — قال الواحدى : ليت أنا معك ، نحمل عنك المشقة فى مسيرك ونزولك فى سفرك ، هذا معنى البيت ، ولكنه أساء حيث تمنى أن يكون بهيمة وجادا ، ولا يحسن بالشاعر أن يمدح غيره ، بما هو وضع منه ، ولا يحسن أن يقول : ليتنى امرأتك ، انتهى كلامه .

وقال أبو الفتح : طعن عليه قوم تعصبوا عليه ، فقالوا : الخيام يعلو من تحتها ، وقد جعله دونها ، فأجاب عنه نظما .

* لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيامَ إِلَى عَلاءِ *

وتلخيص المعنى : ليتنا نقيك الأذى ، ونتحمل عنك الردى . والمعنى : ليت أنى ومن يتصل بى ، نتحمل من موقرتك ، ما تتحمله الخيل عند رحيلك ، وننوب فى صيانتك عن الخيام عند إقامتك ، رغبة فى الشرف بقربك ، والقضاء لحقوق فضلك .

٣ — المعنى — يقول : كلّ يوم لك يحدث سفرا ، وهو دليل على علوّ همتك ، وفى كلّ يوم لك رحيل يقيم فيه المجد عندك ، لأنه يطلب المجد ، ولأن المجد معك حيثما كنت ، كقول الأزدى : =

وَإِذَا كانَتِ النُّفُوسُ كِباراً ... تَعِبَتْ فى مُرَادِها الْأَجْسامُ(١)

= المَجْدُ صاحِبُــكَ الَّذِى حالَفْتَهُ ... أَبَدًا فَرَوْضَــتُهُ الرَّبِيعَــةُ مَرْبَعُكْ
فَإِذَا رَحَلْتَ سَرَيْتَ تَحْتَ ظِلالِهِ ... وَإِذَا رَتَعْتَ فَــفِى ذُرَاهُ مُرْتَعُكْ

وكقول حبيب :

كُلَّمَا زُرْتُهُ وَجَــدْتُ لَدَيْهِ ... نَشَــباً ظَاعِناً وَمَجْداً مُقِيماً

١ — المعنى — يقول: إذا عظمت الهمة ، وكبرت النفس، تعب الجسم فى طلب المعالى من الأمور، ولا يرضى بالمنزلة الدنيئة ، فيطلب الرتبة الشريفة ، كقول العتابى :

وَإِنَّ عَلِيَّاتِ الأُمُورِ مَشُوبَةٌ ... بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فى بُطُونِ الأَساوِدِ

وبيت أبى الطيب من كلام أرسطاطاليس : إذا كانت الشهوة فوق القدرة ، كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة .

وقال ابن وكيع : لم يأخذ من الحكيم ، وإنما أخذ من أهل صناعته ، فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

فَقَالُوا أَلاَ تَلْهُو لِتُــدْرِكَ لَذَّةً ... فَقُلْتُ وَكَيْفَ اللهْوُ وَالْهَــمُّ حاجِزُ
وَنَفْسِي تُعَانِي أَنْ تُقِيمَ مُرُوءَتِي ... عَلَى غايَــتِي فى المَجْدِ وَالجَهْدُ عاجِزُ

ومن قول ابن أبى زرعة :

أَهْلُ مَجْــدٍ لاَ يَحْفِلُونَ إِذَانَا ... لُوا جَسِــيماً أَنْ تُنْهَكَ الْأَجْسَامُ

ومن قول الحصنى :

نَفْسِي مُــوَلَّهَةٌ بِالْمَجْدِ تَطْلُبُهُ ... وَمَطْلَبُ الْمَجْدِ مَقْرُونٌ بِهِ التَّلَفُ

ومن قول ابن جابر :

إِذَا مَا عَــلاَ المَرْءُ رَامَ الْعُــلَى ... وَيَقْنَعُ بِالدُّونِ مَنْ كَانَ دُونَا

ومن قول حبيب :

فَعَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلاَّ بِشِقِّ النَّفْسِ صارَ الـكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيماَ
طَلَبُ المَجْــدِ يُورِثُ النَّفْسَ خَبْلاً ... وَهُمُوماً تَقَضْــقِضُ الحَيْزُوما

وأخذ هذا المعنى بعضهم ، فقال :

فَيا مَنْ يَــكُدُّ النَّفْسَ فى طَلَبِ الْعُلَى ... إِذَا كَبِرَتْ نَفْسُ الْفَتَى طَالَ شُغْلُهُ

وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنا ... وَكَذَا تَقْلَقُ الْبُحُورُ الْعِظامُ(١)

وَلَنا عادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْـــرِ لَوَ أنَّا سِـــوَى نَوَاكَ نُسامُ(٢)

كُلُّ عَيْشٍ ما لَمْ تُطِبْهُ حِمامٌ ... كُلُّ شَمْسٍ مالَمْ تَكُنْها ظَلامُ(٣)

أَزِلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنا يا ... مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللُّهامُ(٤)

---

١ — الغريب — البدور : جمع بدر ، وإنما أراد : بدر السماء ، وهو واحد ، فكأنه جعل بدر كلّ شهر على حياله بدرا ، فجمع لذلك .

المعنى — يريد : أنك بدر وبحر ، فعادتك كعادتهما ، لأن البدر يطلع تارة ، ويغيب تارة ، والبحر يموج ويضطرب ويتحرّك ،وكذا أنت تقلق فى الأسفار كالبدور، تطلع علينا سائرة ،وتبدو لأعيننا راحلة ، والبحر يمدّ ويجزر ويضطرب ، فبين بهذا أنه من عظم شأنه لايستقرّ به موضع .

٢ — المعنى — يقول : لو كلفنا غير فراقك عنا ، لصبرنا صبرا جميلا ، كعادتنا منه ، إلا أنا لاطاقة لنا فى بعدك ، ولاطاقة لنا باحتمال نواك ، كقول حبيب :

الصَّبْرُ يَحْسُـــنُ فى الْمَوَاطِنِ كُلِّها ... إلاَّ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُـــــومُ

وكقوله أيضا :

جَلِيدٌ عَلَى خَطْبِ الْأُمُورِ إذَا الْتَوَتْ ... وَلَيْسَ عَلَى عَتْبِ الْأَخِلاَّءِ بِالْجَلْدِ

وكقول الآخر :

وَقالَ أُناسٌ لَوْ صَـــبَرْتَ وَإنَّنِي ... عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَا خَلاَ الْبَيْنَ صابِرُ

٣ — الإعراب — قامت « الهاء » مقام خبر « كان » ، والأجود لو قال : تكن إياها ، وهو كبيت الكتاب :

دَعِ الْخَمْرَ يَشْرَبْهـــا الْغُوَاةُ فَإِنَّنِي ... رَأَيْتُ أَخاهـــا مُغْنِياً بِمَكَانِها

فَإِلاَّ يَكُنْها أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ ... أَخُوها غَذَتْهُ أُمُّـــــهُ بِلِبانِها

المعنى — يريد : كل حياة لم تطبها بقربك ، فهى موت ، وكلّ شمس ظلمة إذا لم تكن أنت الشمس . والمعنى : من كانت هذه حاله ، فالصبر عنه مذموم .

٤ — الغريب — اللهام : العظيم الذى يلتهم كلّ شيء ، فيهلكه ويذهب به .

المعنى — يقول : أقم عندنا لتزول الوحشة عنا ، يامن به يأنس الجيش لقوتهم بمكانه فيهم ، وإن كثروا ، فانهم يأنسون به ثقة بشجاعته ، ويعتدّ به أكثر من اعتداده بجماعته .

وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَغَى سَاكِنَ الْقَلْـــبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ(١)
وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكَتَائِبَ حَتَّى تَتَلَاقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ(٢)
وَإِذَا حَلَّ سَاعَـــةً بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَـــرَامُ(٣)
وَالَّذِي يُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورٌ وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ(٤)

---

١ — الغريب — الوغى: الحرب وأصوات الحرب، يقال (بالعين والغين والحاء). والذمام: العهد.
المعنى — يقول: والذى يشهد الحرب غير مضطرب الجأش، كأن القتال عاهده أن لا يقتل، فهو يسكن إلى القتل سكونه إلى الذمام، فهو يحضرها ثابت النفس غير حافل بشدتها، وهو من قول حبيب:

مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُـــمْ أَرْحَامُ

ومن قول محمد بن نواس:

يَتَبَادَرُونَ إِلَى الْهِيَاجِ كَأَنَّمَا بَدَرُوا إِلَى صِـــلَةٍ مِنَ الْأَرْحَامِ

٢ — الغريب — الكتيبة: الجماعة من الخيل. والفهاق: جمع فهقة، وهى العظم الذى يكون على اللهاة، وهو مركب الرأس فى العنق.
قال الأصمعى: قال قرّة بن خالد: سئل عبد الله بن عتبى عن المتفهقين، فنفخ وجافى يديه عن جنبيه، ونفخ شدقيه.
قال أبو حاتم: أصله من الفهقة، وهو الذى عقد عنقه تيها وكبرا. والأقدام: جمع قدم.
المعنى — يقول: والذى يضرب الجيوش بسيفه. ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام.
وقيل: الفهقة: خرزة العنق المتصلة بالظهر؛ وسميت فهقة، لأنها تفهق موضعها، أى تملؤه.
٣ — المعنى — إذا نزل ساعة بمكان، صار ذلك المكان فى ذمته، فلا تنزل به الحوادث، ولا يصيبه الزمان بأذى من قحط وجدب. والمعنى: أن سيف الدولة إذا نزل ببلد أجاره على الدهر، وكف عنه صروفه، وحرم أذاه وأمن ببركته المكروه.
٤ — المعنى — يريد: أن السرور والطرب يقيمان بذلك المكان لا يفارقانه، فكأن السرور نبات ذلك البلد لكثرته فيه، وكأنّ المدام سحابه، لظهور فرح أهله به.
قال ابن وكيع: لو قال: والذى ينبت البلاد بهار، فجمع بين المشروب والمشموم، لكان أحسن. وهو من قول البحترى:

وَيَوْمٍ بِالْمَطِـــيرَةِ أَمْطَرَتْنَا سَمَاءٌ صَـــوْبَ وَابِلِهَا عُقَارُ

كُلَّمَا قِيـــلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا ... كَرَمًا ما اهْتَدَى إِلَيْهِ الْـكِرَامُ[١]

وَكِفَاحًا تَـكِعُّ عَنْهُ الْأَعَادِي ... وَارْتِيَاحًا يَحَارُ فِيـــهِ الْأَنَامُ[٢]

إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤَمَّـــلِ سَيْفُ الـدَّ ... وْلَةِ الْمَلْكِ فِي الْقُـــلُوبِ حُسَامُ[٣]

فَـكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِّي ... وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلَامُ[٤]

---

١ — المعنى — يريد : أنه يبلغ فى الـكرم مالا يرتقب الزيادة فيه ، و يفعل منه كل ما تنتهى إليه المعرفة ، فإذا قيل هـذا غاية الـكرم ، أبدع فيه ما لاعهد لأحد بمثله ، ولايبلغه كريم بجهـده ، ولا يهتدى إليه الـكرام . وهو من قول البحترى :

طَـــلُوبٌ لِأَقْصَى غَايَةٍ بَعْدَ غَايَةٍ ... إِذَا قِيــلَ يَوْمًا قَدْ تَنَاهَى تَزَايَدَا

٢ — الغريب — كعّ الرجل يكع (بكسر الكاف) ، وقد فتحها قوم ، وكعّ وكاع ، بمعنى واحد ، إذا عجز عن الشيء . والارتياح : الاهتزاز للـكرم .

المعنى — يقول : أرانا كفاحا تعجز عنه الأعادى ، و ينكصون على أعقابهم منه . وارتياحا، أى اهتزازا للـكرم ، تتحير منه العقول ، وتعجز الأنام عنه .

٣ — المعنى — يقول : إن فى القلوب من هيبته ما يكفيه عن السيف ، ومايشبه السيف فى نفاذه ، والشجاع يهابه ويخافه ، فلا يقيم عليه ، فإذا لايحتاج إلى دفعهم بالسيف إذ هيبته تقوم فى قلوبهم كالسيف . قال ابن وكيع : وهو مأخوذ من قول أبى دلف :

وَيَصُـــــولُ الْإِمَامُ فِى حَيْثُمَا صَا ... لَ وَفِى صَــوْلَةِ الْإِمَامِ الْحِمَامُ

٤ — المعنى — قال الواحدى: إن توقاه الشجاع، وحفظ منه نفسه ، فذاك منه كثير ، والبليغ إن أمكنه أن يسلم عليه ، فذلك غاية بلاغته .

وقال أبو الفتح : لأن هيبته توجب أن لاينطق أحد بين يديه . وقد ذهب قوم إلى أن مراده: أن الشجاع يكثر التوقى منه ، لأنه يشاهد من الهيبة مايحمله على ذلك ، والبليغ يسلم تسليما بعد تسليم ، فيكثر السلام ، لأنه لايقدر على غيره ، والأوّل أشبه .

وقال يمدحه

من الكامل ، والقافية من المتدارك

أَنا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ ... وَمِنَ ارْتِيَاحِكَ فى غَمامٍ دائِمِ (١)
وَمِنَ احْتِقارِكَ كُلَّ مَا تَحْبُو بهِ ... فِيما أُلاحِظُهُ بعَيْنَىْ حالِمِ (٢)
إِنَّ الخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا ... حَتَّى ابْتَلاكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ (٣)
وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تاجِهِ ... وَإِذَا تَخَتَّمَ كُنْتَ فَصَّ الخاتَمِ (٤)
وَإِذَا انْتَضاكَ عَلَى العِدَى فى مَعْرَكٍ ... هَلَكُوا وَضاقَتْ كَفُّهُ بِالْقائِمِ (٥)

١ — الغريب — الارتياح : انبساط الخلق بالمعروف .

المعنى — يقول لسيف الدولة : أنا منك بين فضائل باهرة ، ومكارم شاملة ، ومن ارتياحك فى سحاب لايقلع ، وعطاء لايقطع .

٢ — الغريب — الحالم : النائم . حلم (بالفتح) يحلم ، فهو حالم : إذا رأى فى منامه شيئا ، وحلم (بضم اللام) من الحلم . وحلم الأديم (بالكسر) .

المعنى — أنت عظيم القدر ، تحتقر الأشياء العظيمة ، فإذا رأيت كثرة مواهبك التى تحتقرها ، ظننت أنى فى نوم ، لأن العادة لم تجر بذلك فى اليقظة ، وما فى قوله فيما ألاحظه نكرة ، كأنه قال فى شىء ألاحظه بعينى حالم غير محقق ، ومتوهم غير مصدّق .

٣ — الإعراب — الهاء فى «سيفها» للدولة ، وإذا كان المخاطب عالما ، فالمضمر كالمظهر .

الغريب — الابتلاء : التجربة والاختبار . وعين الشىء : حقيقته . والصارم : القاطع .

المعنى — يقول : إن الخليفة لم يسمك سيف دولته ، إلا بعد أن جرّبك . فوجدك صارما حقيقة ، لاينبو حدّك ، ولاينفلّ عزمك ، ولا يطمع فيها عدوّك .

٤ — الغريب — تتوّج : لبس التاج والخاتم (بكسر التاء وفتحها) ، وقرأ عاصم : « وخاتم النبيين » (بالفتح) .

المعنى — يقول : الخليفة يتجمل بك ، كما يتجمل بالتاج والخاتم . والمعنى : أنك أرفع حلية تاجه ، لأنك درته ، وأجلّ مايشتمل عليه خاتمه إذا تختم ، لأنك فصه ؛ يشير إلى أنه أرفع مايترفع به الخليفة .

٥ — الغريب — الانتضاء : التجريد . والإشهار . والمعرك : الحرب . وقائم السيف : ما يكون فى يد الضارب .

أَبْدَى سَخاؤُكَ عَجْزَ كُلِّ مُشَمِّرٍ ... فى وَصْفِهِ وَأَضاقَ ذَرْعَ الْكَاتِمِ (١)

وقال يمدحه ويصف الجيش

سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة بميا فارقين

وهى من الطويل ، والقافية من المتدارك

إِذَا كانَ مَدْحٌ فالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ ... أَكُلُّ فَصِيحٍ قالَ شِعْرًا مُتَيَّمُ (٢)

لَحُبُّ ابْنِ عَبْدِ اللّٰهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ ... بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ (٣)

أَطَعْتُ الْغَوَانِى قَبْلَ مَطْمَحِ ناظِرِى ... إِلَى مَنْظَرٍ يَصْغُرْنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ (٤)

= المعنى — يقول : إذا جرّدك على عدوّ ، هلك العدوّ ، وعجز عن حالك ، لأنك أجلّ من أن تكون سيفه . والمعنى : إذا جرّدك على أعدائه فى معترك ، وعارضهم بك فى موقف ، أهلك بنفاذك جمعهم ، وأذلّ باقتدارك عزهم ، وضاقت كفه عن قائم سيف أنت حقيقته ، وقلّ هذا الأمر لقدرك ، وتواضع الجلالة أمرك .

١ — المعنى — يقول : من شمر لوصف جودك ، عجز عن كلّ وصفك ، كما قال :

وَكُلُّ مَنْ أَبْدَعَ فى وَصْفِهِ ... أَصْبَحَ مَنْسُوبًا إِلَى الْعِىِّ

ومن كتم وصف جودك ضاق ذرعه ، لأنه يريد أن يصف جودك ، ويعلم عجزه ، فيضيق ذرعه لأجل ذلك ، فمحاول وصفه لايبلغه ومحاول كتمه لايمكنه ، لما تبين له منه .

٢ — الغريب — النسيب ، نسب الرجل بالمرأة ينسب (بالكسر) ، إذا شبب بها . والتشبيب : هو الغزل ، وهو أوّل مايعمل الشاعر ، ثم يأتى بعده بالمدح .

المعنى — يقول : من عادة الشعراء تقديم النسيب فى أشعارهم ، فأنكر أبو الطيب هذه العادة ، وقال : أكلّ فصيح يقول الشعر هو متيم بالحبّ ، حتى يبدأ بالنسيب ، فليس الأمر على هذا ؛ فلا تتمّ هذه العادة ؛ يقول : ما كلّ فصيح عاشق ، ولا كلّ شاعر سلف متيم ، ولكن آخرهم فى ذلك يتلو أوّلهم ، حتى كان مايتواصفونه من الحبّ قد جعلوه فاتحة الشعر ، فإذا كان هذا فوالله .

٣ — الغريب — ابن عبد الله : هو على بن عبد الله بن حمدان ، سيف الدولة .

المعنى — يقول : حبه أولى من حبّ غيره ، فإنه إذا جرى الذكر الجميل كان هو أوّلا وآخرا ، فلا يذكر إلا هو ، وإذا كان بهذه الصفة كان أولى بالحبّ من النساء اللاتى يشبب بهنّ الشعراء .

٤ — الإعراب — سكن الياء من « الغوانى » ضرورة ، وأراد : يعظم عنهن ، فحذف للعلم .

تَعرَّضَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلدَّهرَ كُلَّهُ ... يُطَبِّقُ فى أَوْصالِهِ وَيُصَمِّمُ (١)

فَجازَلَهُ حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ ... وَبانَ لَهُ حَتَّى عَلَى البَدْرِ مَيْسَمُ (٢)

كَأَنَّ العِدَا فى أَرْضِهِمْ خُلَفاؤُهُ ... فَإِنْ شاءَ حازُوها وَإِنْ شاءَ سَلَّمُوا (٣)

= الغريب — طمح ببصره طماحا وطموحا : إذا أبعد البصر بنظره . والغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة .

المعنى — يقول : كنت متيما بالنساء وحبهن قبل أن أتعرض للأمور العالية ، فلما قصدتها تركتهن . وقوله « إلى منظر » ، يعنى : معالى الأمور . هـذا قول أبى الفتح ، ونقله الواحدى وقال : وروايته على هذا التفسير : وأعظم ، أى أنا أعظم عنه ، فحذف لتقدم ذكره الخ . قال : يعنى ابن جنى ، جعل نفسه تعظم عن المعالى . وأنكر ابن فورجة تفسيره وروايته . وقال : المعنى: كنت أرغب فى النساء قبل التقائى بسيف الدولة ، فلما نظرت إليه نظرت إلى منظر يصغر منظرهن عنه ، ويعظم هذا المنظر عن منظرهن ، لأنه ملك وسلطان ، وهن لهو وغزل . اهـ . وتلخيص المعنى أنه يقول : أطعت الغوانى فى التشبيب بهن قبل أن يطمح بصرى إلى مملكة هذا الممدوح ، التى يقل حسنهن عندها ، ويصغر شأنهن عند شأنها .

١ — الغريب — التطبيق : أن يصيب المفصل فى الضرب . والتصميم : النفاذ فى الأمر والضرب ، وسيف مطبق : وهو الذى إذا أصاب المفصل قطعه ، وكان ماضيا فى الضريبة .

المعنى — يقول : أتى الدهر عن عرض ، فذلله بالتطبيق والتصميم ، ولما جعله سيفا وصفه بالتطبيق والتصميم ، وجعله ماضيا فى عزمه وإرادته ، وأنه لا يعسر عليه ما أراده .

٢ — الغريب — الميسم : الحسن . قال الراجز :

لَوْ قُلْتُ ما فى قَوْمِها لَمْ تِيثَمِ ... يَفْضُلُها فى حَسَبٍ وَمَيْسَمِ

المعنى — يقول : حكمه جائز حتى على الشمس ، وظهر حسنه حتى على البدر ، أى ظهر أنه أحسن منه .

قال الواحدى : قال العروضى : إن جاز أخذ الميسم من الوسامة ، فأخذه من الوسم أولى ، ليكون المعنى موافقا للمصراع الأول . يريد : أن كل شىء موسوم بان أنه له ، وتحت قهره حتى البدر ، وأشار « بالميسم » إلى ما فى وجهه من السواد الذى هو كأثر المحو .

قال ابن الإقليلى : أراد البدر والشمس ، والعرب ، تفعل مثل ذلك ، تذكر واحدا ، وتريد ضده أو صاحبه .

٣ — الغريب — العدا : جمع عدو . والحليف : الصاحب ، وهو الذى يحالف القوم ليمنعوه من عدوه ، على رواية من روى بالحاء المهملة ، وليست بشىء ، والرواية الصحيحة بالخاء المعجمة =

وَلا كُتْبَ إلاَّ المَشْرَفِيَّةُ عِنْدَهُ ... وَلا رُسُلٌ إلاَّ الخَمِيسُ العَرَمْرَمُ(١)
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ... وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ فَمُ(٢)
وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ ... وَلَمْ يَخْلُ دِينارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمُ(٣)

وهو جمع خليفة ، تقول: خليفة وخلفاء وخلائف ، جاءوا به على الأصل ، مثل كريمة وكرائم . وقالوا: خلفاء ، مع أن فيه الهاء ، وفعيلة بالهاء لاتجمع على فعلاء ، لأنه لايقع إلا على مذكر ، فجمعوه على إسقاط الهاء ، فصار مثل ظريف وظرفاء .

المعنى — يشير بهذا إلى أن تصرّف أعاديه فى البلاد بأمره ، فإن أعرض عنهم استمتعوا بالبقاء فيها ، وإن عزلهم سلموا إليه بالخروج ، فجعل أعاديه من الروم وغيرهم خلفاءه فى بلادهم ، وعماله فى قواعدهم ، فهم عاجزون عن التعرّض لحربه .

١ — الغريب — المشرفية : السيوف ، تنسب إلى موضع تطبع فيه السيوف ، وهى المشارف . والخميس : الجيش العظيم . والعرمرم : الكثير .

المعنى — يقول: لايرسل إلى أحد رسولا إلا الجيش الكثير، ولا كتابا إلا السيف ، ولا يستدعى منهم حاجة برسول ولا كتاب ، لكن يبعث إليهم الجيش ؛ يعنى من اقتداره عليهم ، لا كتب يبعثها ، ولا رسل يوجهها نحوهم غير جيوشه ، فهم يتصرّفون على حكمه ، عاجزون عن المخالفة لأمره . وفيه نظر إلى قول حبيب :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فى حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ

٢ — المعنى — يقول مخبرا عن عظيم ملكه ، وما ظهر من عموم فضله : لم يخل من نصره أحد ، له يد يبطش بها ، لوقوف جميع الناس عند أمره ، ووقوعهم تحت طاعته ، ولم يخل من شكره أحد له فم ينطق به ، لما شملهم من إحسانه ، وأحاط بهم من إنعامه ، فبين بهذا أن طاعة الجميع له طاعة وداد ومحبة ، لا طاعة استكراه وغلبة .

٣ — الغريب — الدينار : أصله دنار (بالتشديد) ، فأبدل من أحد حرفى تضعيفه ياء ، لئلا يلتبس بالمصادر التى تجىء على فعال ، كقوله تعالى: « وكذّبوا بآياتنا كذّابا » ، إلا أن يكون بالهاء ، فيخرج عن أصله، كالدنابة والصنارة . والمنبر : أصله من نبرت الشيء : رفعته . ونبرة المغنى رفع صوته عن خفض .

المعنى — يقول : عمت مملكته الدنيا فلم يخل منبر إلا واسمه مذكور فيه ، لأن البلاد تحت ولايته ، يخطب على منابرها بلزوم طاعته ، ولم يخل دينار ولا درهم من اسمه ، لأن دنانيرها ودراهمها مضروبة باسمه ، مسكوكة بذكره ، وهذا إشارة إلى عظم مملكته ، وأن الآفاق تحت ولايته مطيعة لأمره ونهيه .

ضَرُوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحُسَامَيْنِ ضَيِّقٌ ... بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمُ (١)
تُبَارِى نُجُومَ الْقَذْفِ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ ... نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَدْهَمُ (٢)
يَطَأْنَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلْنَهُ ... وَمِنْ قِصَدِ الْمُرَّانِ مَالَا يُقَوَّمُ (٣)
فَهُنَّ مَعَ السِّيدَانِ فِى الْبَرِّ عُسَّلٌ ... وَهُنَّ مَعَ النِّينَانِ فِى الْمَاءِ عُوَّمُ (٤)

---

١ — المعنى — قال أبو الفتح : إذا ستر الغبار نور الشمس ، فأظلم ما بين الشجاعين ، فبصره ثابت لم يمنعه الظلام صحة النظر . قال : ويجوز أن يكون كلّ واحد منهما قد وقع فى أمر عظيم ، ومن شأن الناس أن يقولوا : أظلمت الدنيا بينى و بين فلان ، إذا كله بكلمة يشقّ عليه ، و إن لم يكن ثم ظلام . انتهى كلامه . والمعنى : أنه شديد الضرب ، رابط الجأش ، إذا التقى الشجاعان وضاق مابينهما ، بتجالد الأبطال ، وتقارب مابين الأقران ، وأنه بصير إذا أظلم مابين الشجاعين ، بتمثل الموت لهما وتيقن المنية عندهما ، فهنالك يثبت نظره لقوّة نفسه ، ولايشخص بصره، لتمكن بأسه ، وهذا مبالغة فى الشجاعة .

٢ — الغريب — نجوم القذف : هى التى تقذف بها الشياطين . قال الله تعالى : « ويقذفون من كلّ جانب دحورا » .

قال أبو الفتح ، ونقله الواحدى : خيله تبارى تلك النجوم التى تنقضّ فى السرعة ، وجعلها نجوما لأنها تتلألأ فى الظلام ببريق الحديد ، وأنها تستغرق الأرض بسيرها ، فهى تسير فى الأرض كما تسير الكواكب فى السماء . انتهى كلامهما . والورد : الفرس الأحمر . والأدهم : معروف . والمعنى : أن خيله سريعة السير ، كسرعة النجوم ، وفيهنّ الورد والأدهم .

٣ — الغريب — القصد : قطع الرماح إذا انكسرت ، الواحدة قصدة . والمرّان : الرماح ، سميت بذلك لمرانتها ، أى للينها .

المعنى — يقول : خيله يطأن من الأبطال الأعداء من لاحملنه ، وما تكسر من الرماح التى لاتقوّم بعد كسرها . والمعنى أن خيله يطأن من الأبطال المقتولين فى وقائعه من لاجعلها الله أن تحمله ، بأن يصير فى رجاله ، و يئول إلى آماله . و يطأن فى تلك الوقائع من قطع الرماح ماتقوّس، فلا يمكن تقويمه ، وتكسر فلا يحاول تعديله ، وهو من قول الحصين بن الحام المرّى :

يَطَأْنَ مِنَ الْقَتْلَى وَمِنْ قِصَدِ الْقَنَا ... خَبَاراً فَمَا يَجْرِينَ إِلَّا تَجَشُّمَا

٤ — الغريب — السيدان : جمع سيد ، وهو الذئب ، وهو مما جاء على فعل وفعلان . نحو قنو وقنوان . والعسل : جمع عاسل ، من عسلان الذئب ، وهو الإسراع . والنينان : جمع نون ، وهوالحوت ، ونون ونينان كحوت وحيتان . وعوّم : جمع عائم ، وهوالسابح ، كصائم وصوّم . =

وَهُنَّ مَعَ الغِزْلَانِ فِى الْوَادِ كُمَّنٌ ... وَهُنَّ مَعَ العِقْبَانِ فِى النِّيقِ حُوَّمُ(١)

إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيجَ فَإِنَّهُ ... بِهِنَّ وَفِى لَبَّاتِهِنَّ يُحَطِّمُ(٢)

بِغُرَّتِهِ فِى الحَرْبِ وَالسِّلْمِ وَالْحِجَا ... وَبَذْلِ اللُّهَا وَالْحَمْدِ وَالْمَجْدِ مُعْلِمُ(٣)

= المعنى — يريد : أن خيله عمت البرّ والبحر ، فهى تعدو مع الذئاب فى البرّ ، وتعوم مع الحيتان فى الماء . فهى تارة تقطع البرّ ، وتارة تعوم فى البحر . والمعنى لكثرة غزواته ، واتصال غاراته ، تقطع خيله الفلوات نحو أعاديه عسلا مع الذئاب ، التى مستقرّها الفلوات ، وتعبر الأنهار نحوهم عائمة مع الحيتان، التى موضعها الماء .

١ — الإعراب — الواد : حذف الياء، واستغنى بالكسرة عنها ، كقراءة القراء، سوى الكسائى : «وادالنمل» بغير ياء فى الوقف ، وكقراءة ابن عامر والكوفيين : «ينادى المناد» بغير ياء فى الحالين .

الغريب — كمن : جمع كامن ، تقول : كمن كمونا : إذا اختفى ، ومنه الكمين فى الحرب . والعقبان : جمع عقاب ، وهو طائر كبير من الجوارح . والنيق : أعلى الجبل ، والحوّم : جمع حائم ، من حومان الطير ، وهو دورانها .

المعنى — يقول : خيله كمن مع الغزلان فى الأودية التى فيها كناسها، أوتقتحم على الأعداء رءوس الجبال، مع العقبان التى فيها وكورها وهذا إشارة إلى أن سيف الدولة لقوّة عزائمه، ونفاذه فى مقاصده ، قد استوى عند خيله وفرسان جيشه البرّ والبحر . والسهل والوعر، فلا يبعد عنه مطلب ، ولا يمتنع عليه موضع .

٢ — الغريب — الوشيج: عروق القنا، ثم صار اسما له . ولباتهنّ : جمع لبة ، وهى مافوق النحر.

الإعراب — الضمير فى «فإنه» للوشيج ، على رواية من فتح الطاء ، ومن كسرها فالضمير لسيف الدولة ، أى يكسر الرماح بخيله طاعنة ، وفى صدور خيل عدوّه مطعونة .

المعنى — يقول : إذا جلب الناس القنا على سبيل الجمع لها ، وحملوها على طريق التزين بها ، فإن سيف الدولة فى نحور الخيل يكسرها ، و بوقائعه يفتها و يحطمها .

٣ — الإعراب — الباء متعلقة باسم الفاعل الذى هو القافية .

الغريب — السلم: ضدّ الحرب ، ويذكر و يؤنث . والحجا : العقل . واللها : العطايا. الواحدة: لهاة . والمعلم : هو الذى يعلم نفسه بعلامة عند الحرب .

المعنى — يقول : إذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء ، موصوف بها ، يحارب إذا رأى الخير فى الحرب ، و يسالم إذا رأى السلم خيرا من الحرب ، و يعرف بوجهه أنه عاقل ، جواد محمود ماجد ، فهو معلم بجمال نفسه ، ووفور عقله ، وجلالة مجده ، و إجماع الناس على حده ، وأن هذه الجلالة شيمته فى سلمه وحربه ، ومفرد بها من بين أبناء دهره .

يُقِرُّ لَهُ بِالفَضْلِ مَنْ لاَيَوَدُّهُ ... وَيَقْضِى لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لاَيُنَجِّمُ (١)

أَجَارَ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ ... تُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْهُمُ (٢)

ضَلاَلاً لِهَذِى الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ ... وَهَدْيًا لِهَذَا السَّيْلِ مَاذَا يُؤَمِّمُ (٣)

أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَبْلُ الَّذِى رَامَ ثَنْيَنَا ... فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُثَلَّمُ (٤)

وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ ... تَلَقَّاهُ أَعْلَى مِنْهُ كَعْبًا وَأَكْرَمُ (٥)

---

١ — الغريب — يودّه : يحبه ، ويقال رجل منجم ونجام .

المعنى — يقول : من لايودّه يقرّ بفضله ، ولا يدفعه لبيانه ، ومن لاينجم يقضى له بالسعد ، ولا ينكره لاتصاله ، فلظهوره ووضوحه لاينكر فضله ، ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لايعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة . وهو مأخوذ من قول الآخر :

* وَالْفَضْلُ ما شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ *

٢ — الغريب — عاد وجرهم : قبيلتان كانوا فى أوّل الزمان وانقرضوا .

المعنى — يقول : هذا الممدوح أجار على الأيام بكفه حوادثها ، وانصافه منها بإنقاذه من مكارهها ، حتى حسبت هاتين القبيلتين ، ستطالبانه بالردّ لهما على طول العهد ماانصرم عليهما من تقادم الدهر ، وأن سعادته إذا قربت ما كان يبعد ، وسهلت ما كان يعسر ، فما تمكن له من ذلك يوجب عليه أن يطلب بما لايمكن فعله ، ويسأل مايمتنع مثله .

٣ — المعنى — إنما قال للريح ضلالا ، لأنها آذتهم فى طريقهم ، ولما حكاه السيل بالجود دعا له . قال ابن فورجة : أراد الدعاء على الريح لضررها ، والدعاء للمطر لنفعه ، وهذا مطابقة من حيث المعنى .

٤ — الإعراب — فيخبره ، نصبه لأنه جواب الاستفهام بالفاء .

الغريب — الوبل : أشدّ المطر .

المعنى — يقول : هلا سأل المطر الذى قصد أن يصرفنا عن وجهنا بسكبه ، واعترضنا فى طريقنا بسيله ، كاشفا عن أمر سيف الدّولة ، ومستفهما عن حاله ، فيخبره الحديد الذى ثلمته فى وقائعه ، وكسرته بالجلادة كتائبه ، فيعلمه بأنه لاتردّ عزائمه ، ولا تواجه بالاعتراض مطالبه ، وهو ممن لايثنى بالحديد ، فكيف بالمطر ، كقوله :

* فَأَهْوَنُ مَا تَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ *

٥ — الغريب — بصوبه بما يصوب به ، وهو الماء . وفلان أعلى كعبا من فلان : أرفع من صاحبه قدرا ، وأصله فى المصارعين ، لأن كعب الغالب أعلى من كعب المغلوب ، ثم استعمل فى كون =

فَبَاشَرَ وَجْهًا طَالَمَا بَاشَرَ الْقَنَا ... وَبَلَّ ثِيَابًا طَالَمَا بَلَّهَا الدَّمُ (١)

تَلَاكَ وَبَعْضُ الْغَيْثِ يَتْبَعُ بَعْضَهُ ... مِنَ الشَّامِ يَتْلُو الْحَاذِقَ الْمُتَعَلِّمُ (٢)

فَزَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الْخَيْلُ قَبْرَهَا ... وَجَشَّمَهُ الشَّوْقُ الَّذِي تَتَجَشَّمُ (٣)

وَلَمَّا عَرَضْتَ الْجَيْشَ كَانَ بَهَاؤُهُ ... عَلَى الْفَارِسِ الْمُرْخَى الذُّؤَابَةِ مِنْهُمُ (٤)

حَوَالَيْهِ بَحْرٌ لِلتَّجَافِيفِ مَائِجٌ ... يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ مِنَ الْخَيْلِ أَيْهَمُ (٥)

= الإنسان أرفع قدرا من صاحبه ، وإن لم يكن ثم صراع .

المعنى — يقول : لما تلقاك السحاب بالمطر ، استقبله من هو أبين منه شرفا ، وأظهر كرما . يريد : لما اعترضك فى طريقك سكبه ، تلقاه منك من يعلوه برفعته ، ويزرى عليه بكرم راحته .

١ — المعنى — فباشر وجها طالما باشر القنا ، فلم تصبه مباشرتها ، وبلّ ثيابا طالما بلها الدماء ، ولم يَهِنه بللها ، فكيف يهاب وقع المطر من لا يهاب وقع الرماح ، ويتألم من الماء من لا يتألم من الدماء؟.

٢ — الغريب — تلاك : تبعك . والشام : إقليم معروف من غزة إلى الفرات ، طوله عشرون يوما.

المعنى — يقول : أنت غيث حاذق بالصبّ والسكب فى الجود ، فتبعك السحاب ليتعلم منك ، والغيث بعضه يتبع بعضا ، وأنت حاذق فى الجود ، وهو متعلم ، فلهذا تبعك ليتعلم .

٣ — الغريب — جشمه : كلفه . جشمت الأمر (بالكسر) جشما . وتجشمته : تكلفته على مشقة . وجشمته تجشيما وأجشمته : إذا كلفته إياه . ومنه :

* فَمَهْمَا تُجَشِّمْنِى فَإِنِّىَ جَاشِمُ *

المعنى — يقول : زار معك الغيث قبر والدتك ، وكلفه الشوق ما كلفك من السير نحوها ، فكأنه يشتاقها كما تشتاقها أنت ، فأسعدك قاضيا لحقك ، وتبعك معظما لقدرك ، وعلم أن أمّك تلزم السحائب زيارتها ، ويحقّ عليها كرامتها .

٤ — الإعراب — من نصب « الذؤابة » جعله كالضارب الرجل ، فأعمل اسم الفاعل ، ومن جرّها جعله كالحسن الوجه .

الغريب — الذؤابة : الضفيرة من شعر الرأس ، هذا هو الأصل ، وسمى ما سدل من العمامة بذلك ، وهذا ما أراد أبو الطيب .

المعنى — يقول : لما عرضت الجيش وتصفحته كان بهاؤه على عظم شأنه ، وتكاثر شجعانه على الفارس المعتم بين جماعة المتجففين ، المرخى ذؤابة عمامته من بين سائر المعتذرين ، وهو زىّ أمير العرب فى الحرب ، وأشار بذلك إلى سيف الدّولة .

٥ — الغريب — التجافيف : من كلام العرب الفصيح . الواحد: تجفاف ، وهو ضرب من السلاح يلبسه الرجال والخيل. والطود : الجبل . والأيهم: الذى لا يهتدى به ، يقال: برّ أيهم ، وفلاة يهماء =

تَسَاوَتْ بِهِ الأَقْتَارُ حَتَّى كَأَنَّهُ   يُجَمِّعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظِمُ (١)
وَكُلُّ فَتًى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ   مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بِالْأَسِنَّةِ مُعْجَمُ (٢)
يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْمُفَاضَةِ ضَيْغَمٌ   وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمُ (٣)

= المعنى — أنه جعل كثرة التجافيف حوله بحرا مائجا ، وجعل خيله التى تسير بهذه التجافيف طودا . والمعنى : أن حوله من بريق الأسلحة ، ولمعان التجافيف مايشبه البحر بكثرته ، ويحكيه ببريق حلته ، ويشير بذلك إلى موكب من خيله .

١ — الغريب — الأقتار : جمع قتر ، وهوالناحية من الأرض، وهى مثل الأقطار ، وهى النواحى، قتر وقطر . والأشتات : المتفرّقة .

المعنى — يقول : قال أبو الفتح : يحيط خيله بالجبال ، وهى كالجبل ، فكأنّ جيشه يؤلف بينها لسعته وكثافته ، كقول النابغة :

تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِى جَيْشِهِ   وَتَبْدُو صِغَاراً إِذَا لَمْ تَغِبْ

وقال الواحدى : عمّ الأرض بخيله ، ونظم بعمومه متفرّق الجبال ، ونواحى الأرض .

وقال ابن الإفليلى : الأقتار : الغبار ، يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرته ، ويحطمها بعظمه ، فيستوى الرهج فى السهل والرعن ، وفى الصلب والرخو ، ويشتمل العجاج على الجبال ، حتى تصير كأنها فى ذلك العجاج منتظمة ، وبما غشيها من الجيش متصلة ، كقول النابغة:

جَيْشٌ يَظَلُّ بِهِ الْفَضاءُ مُعَطَّلاً   يَدَعُ الْإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَارِ

٢ — الإعراب — وكل فتى : عطفه على قوله «حواليه بحر» ، أى وحواليه كلّ فتى، فهو ابتداء.

الغريب — الأسنة : جمع سنان ، وهى أطراف الرماح .

المعنى — يريد : وحوله كلّ فتى قد خدّد به الحرب ، ووسمه الطعن والضرب ، ففى جبينه للسيوف آثار مستطيلة تشبه السطر ، وللأسنة فيه نكت مجتمعة تشبه العجم ، وأشار باعتماد الجراح لوجههم إلى شجاعتهم و بأسهم و إقدامهم ، وجعل ضرب السيف كالسطر لطوله ، وطعن الرماح إعجاما لذلك السطر ، وهو النقط . وهو من قول الطائى :

كَتَبْتَ أَوْجُهَهُمْ مَشْقًا وَنَمْنَمَةً   ضَرْبًا وَطَعْنًا يَقُدُّ الْهَامَ وَالصَّلِفَا
كِتَابَةً لَا تَنِى مَقْرُوءَةً أَبَدًا   وَمَا خَطَطْتَ بِهَا لَامًا وَلَا أَلِفَا

٣ — الإعراب — يريد : ويفتح عينيه ، وهو من باب علفتها تبنا وماء باردا ، أى سقيتها ماء باردا ، ويريد : يمدّ يديه منه ، فحذف للعلم به .

الغريب — المفاضة : الدرع الواسعة . والضيغم: الأسد والتريكة : البيضة ، تشبيها بالتريكة ، وهى بيضة النعامة إذا انفلقت وخرج الفرخ فتركت . والأرقم :ضرب من الحيات .وجمعه : أراقم ، =

كَأَجْناسِها راياتُها وَشِـــعارُها   وَما لَبِسَتْهُ وَالسِّـــلاحُ المُسَمَّمُ(١)
وَأَدَّبَها طُولُ القِتالِ فَطَرْفُهُ   يُشِيرُ إِلَيْها مِنْ بَعِيدٍ فَتَفْهَمُ(٢)
تُجاوِبُهُ فِعْلاً وَما تَعْرِفُ الوَحَى   وَيُسْمِعُها لَحْظًا وَما يَتَـكَلَّمُ(٣)
تَجانَفُ عَنْ ذاتِ اليَمِينِ كَأَنَّها   تَرِقُّ لِمَيَّا فارِقِينَ وَتَرْحَمُ(٤)

= وسمى بذلك لنقش على ظهره .

المعنى — يقول : هؤلاء الفتيان الذين حوله كلهم أسد فى شدّته ، وأرقم فى بسالته ، يمدّ فى درعه يدى أسد: قوّة وشدّة ، ويفتح من تحت تريكته عينى أرقم: إقداما وشجاعة. يشير إلى أنهم شجعان لا يقدرهم أحد .

١ — الغريب — رايات : جمع راية ، وهى العلم الذى يكون مع الجيش ، لكلّ قوم علم يعرفون به . والمسمم : الذى سقى السمّ . وشعارها : الكلام الذى يتكلم به وقت الحرب ، وهو كلام اصطلحوا عليه ، وأراد ههنا بالشعار : لبسها .

المعنى — يريد : كأجناس الخيل جميع ما معها من الرايات والسلاح على اختلاف أجناسها من السود والشهب ، وسائر الألوان ، كأجناسها فى الفضل والكرم ، أجناس راياتها المؤيدة ، وشعارها المنصورة ، وما لبسته من سلاحها الشاك ، وحملته من حديدها الصقيل المحسن .

٢ — الإعراب — الضمير فى «أدبها ، و إليها ، وتفهم» للخيل ، والضمير فى «طرفه» للقتال . وقيل لفارسها و إن لم يجر له ذكر ، لأن الخيل لما ذكرت لابدّ لها من راكب .

المعنى — قال الواحدى : خيله مؤدّبة بطول قوده إياها إلى القتال ، حتى أنها تفهم الإشارة إليها من بعيد .

وقال ابن الإفليلى : أدّب هـذه الخيل طول ممارستها القتال ، والتقلب فى شـدائد الحرب ، ففارسها يشير إليها من بعيد فتفهم ، ويومئ إليها بما يريد فتفعل .

٣ — الغريب — الوحى : الصوت الخفىّ .

المعنى — يقول : الخيل من أدبها ، وكثرة مالاقت من الحروب ، تجيبه بفعل من غير أن تسمع الصوت ، ويسمعها بالإشارة بطرفه من غير أن يتكلم . وفيه نظر إلى قول الآخر :

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذا الرِّكابُ مُناخَةٌ   بِرِحالِها لِوَداعِ أَهْلِ المَوْسِمِ
إِذْ نَحْنُ تُخْبِرُنا الحَواجِبُ بَيْنَنا   ما فى النُّفُوسِ وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمِ

٤ — الغريب — التجانف : الميل . ومنـه قوله تعالى : « فمن خاف من موص جنفا » ، أى ميلا . وميا فارقين : بلدة من أعمال ديار بكر ، ولها رستاق كبير ، وهى صغيرة .

المعنى — يقول للممدوح : تميل خيلك عن ميافارقين ، لأن فيها قبر والدته ، فكأنها ترحم =

وَلَوْ زَحَمَتْهَا بِالْمَنَاكِبِ زَحْمَةً   دَرَتْ أَيُّ سُورَيْنَا الضَّعِيفُ الْمُهَدَّمُ(١)

عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ   مِنَ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يُطْعَمُ(٢)

= البلدة لأجل بركة والدتك ، ولو مالت عليها لداستها بحوافرها ، فهي كأنها ترقّ لها راحمة ، فلا تميل عليها ، فكأنها تعدل عنها مشفقة ، وتتجانب عنها مترحمة ، وذلك لبركة من فيها . يريد : أمّ سيف الدولة .

١ — الإعراب — الضمير في «زحمتها» للبلدة ، وكذلك في « درت» ، أي درت البلدة ، ورفع «أيّ» بالابتداء ، وما بعده الخبر ، وهو استفهام ، ومفعول « درت » محذوف ، تقديره : علمت ضعفها ، لأن أيا لا يعمل فيها ما قبلها ، كقوله تعالى : « لنعلم أيّ الحزبين أحصى » ، فرفع أيّ بأحصى ، لأنه فعل ماض على قول بعضهم ، والصحيح أن أيا في الآية ، بمعنى الذي ، وأحصى : اسم ، وقد حذف صدر الصلة ، والتقدير : هو أحصى ، وأيّ إذا كانت بمعنى الذي وتمت صلتها أعربت ، و إذا حذف صدر الصلة عادت إلى أصلها من البناء ، وهي منصوبة الموضع بنعلم ، «وأيّ» في البيت : مبتدأ ، و «الضعيف» : خبره ، و «المهدم» : خبر ثان ، والجملة في موضع نصب بدرت ، فهي معلقة عن العمل ، « وأيّ » في البيت استفهام ، وروى الواحدي وغيره سوريها ، فالضمير للبلدة ، ورواية أبي الفتح سورينا . يريد : سور البناء ، وسور الخيل ، استعار للخيل سورا ، لأنه ذكرها مع البلدة ، وجعها في المزاحمة ، ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوّة الخيل سورا .

الغريب — المناكب : جمع منكب . والزحام لا يكون إلا بالمناكب ، وهي الأكتاف ودرت : علمت ، تقول : دريته ودريت به دريا ، ودرية ودرية ودراية ، أي علمت به . قال العجاج :

* لَا هُمَّ لَا أَدْرِي وَأَنْتَ الدَّارِي *

المعنى — يقول : لو زحمتها خيلك بمناكبها ، أي لو جرت بينهما مزاحمة ، لعلمت البلدة أنها ضعيفة ، وأنها لا تقدر على مزاحمة الخيل ، لأن الخيل أقوى منها ، فلو قصدتها لهدمت سورها ، فكانت تعلم أن سورها ضعيف لا يقوى على دفع الخيل . والمعنى : لو زاحمتها الخيل بمناكبها ، وصادمتها بمواكبها ، لأيقنت أن سورها مع شدّة قوته ، وشهرة منعته كان يعجز عن زحام هذه الخيل .

قال أبو الفتح : من أعجب ما جرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرا ، ووقع السور ليلا .

٢ — الإعراب — حرف الجرّ يتعلق بما قبله ، وهو قوله : وكلّ فتى ، وما ذكر اعتراض بينهما .

الغريب — الطاوي : الخميص الجوف ، وهو الضامر . رجل طيان ، وامرأة طيا . وهو الضامر .

المعنى — يقول : هم خماص على خيل مضمرة ، أي كلّ فتى على طاو مضمر ، ليس له غذاء ولا مشرب إلا من لحمه ودمه ، فهو يزداد كلّ يوم ضمورا .

قال أبو الفتح ، ونقله الواحدي : كأنه يتغذى لحم نفسه ، ويشرب دمه ، فقد زاد هزاله ، إذ ليس له مطعم ولا مشرب إلا من جسمه ، ووجه آخر ، وهو أن يكون مطعمه ومشربه من لحوم =

لَها فى الْوَغَى زِىُّ الْفَوَارِسِ فَوْقَها ... فَكُلُّ حِصانٍ دَارِعٌ مُتَلَثِّمُ (١)

وَما ذاكَ بُخْلاً بِالنُّفُوسِ عَلَى الْقَنا ... وَلٰكِنَّ صَدْمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ (٢)

أَتَحْسَبُ بِيضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَها ... وَأَنَّكَ مِنْها ؟ ساءَ ما تَتَوَهَّمُ ! (٣)

أعدائه ، فهو مقتحم عليهم ، وموغل فى طلبهم ، ليدرك مأكله ومشربه ، وهذا الوجه أبلغ وأمدح والقول الأوّل يحسن . قال ابن وكيع : والبيت مأخوذ من قول أبى الشيص :

أَكَلَ الْوَجِيفُ لُحُومَهَا وَلُحُومَهُمْ ... فَأَتَوْكَ أَنْقَاضاً عَلَى أَنْقَاضِ

١ — الغريب — الحصان : الذكر من الخيل . والدارع : ماعليه تجفاف . ومتلثم : على وجهه مخطمة من حديد .

المعنى — يقول : لهذه الخيل فى الحرب زىّ فوارسها ، لأنها قد ألبست التجافيف صونا لها ، فكلّ فرس منها ذو درع ، وذو لثام ، بما أرسل على وجهه ، فهذه الخيل بالدروع مشتملة ، وفى الجواشن ملتثمة ، واعتذر بعد هذا للفوارس باحترازهم ، فقال :

٢ — المعنى — اعتذر للفوارس عند تحصنهم ، فقال : لم يفعلوا ذلك بخلا بنفوسهم ، لأنهم شجعان لايخافون الموت ، ولايبالون بالقتل ، إلا أنهم قابلوا شرّ الأعداء بمثله ، وهو فعل الحازم اللبيب ، ومن شهد الحرب غير مستعدّ بغير سلاح ، فهو أخرق ، وروى أن كثيرا لما أنشد عبد الملك بن مروان :

عَلَى ابْنِ أَبِى الْعاصِى دِلَاصٌ حَصِينَةٌ ... أَجادَ الْمُسَدِّى سَرْدَها وَأَذَالَهَا

فقال له عبد الملك : هلا مدحتنى كما مدح الأعشى صاحبه فقال :

وَإِذَا تَكُونُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... شَهْباءُ يَخْشَى الرَّائِدُونَ نِهالَهَا

كُنْتَ الْمُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ ... بِالسَّيْفِ تَقْتُلُ مُعْلِمًا أَبْطالَهَا

فقال له كثير : إنه وصف صاحبه بالخرق ، وأنا وصفتك بالحزم . وقوله « الشرّ بالشرّ » الأوّل شرّ الأعداء ، والثانى ماعارضوهم بمثله ، فسماه شرا للمقابلة ، كقوله تعالى: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها» ، فالأوّل جناية ، والثانى قصاص .

٣ — الإعراب — يجوز فى مستقبل حسب ، فتح السين وكسرها ، وهما لغتان فصيحتان ، (وبالفتح) قرأ عاصم وحمزة وعبد الله بن عامر . وبيض الهند : السيوف الهندية .

المعنى — يقول : أتحسب سيوف الهند مع جلالتها ورفعتها ، ونفاذها وهيبتها ، أنك منها ، لمشاركتك لها فى الاسمية واللقب؟ ساء ماظننته ، وخاب سعيها فيما توهمته ! والسيوف بعض آلاتك ، تصرفها ولاتصرفك ، وتستعملها ولا تستعملك ، وأنك وإن سميت سيفا ، فإنك أشرف من سيوف الهند ، وأجلّ منها شأنا ، وأعظم أصلا .

إذا نحنُ سَمَّيْناكَ خِلْنا سُيُوفَنا ... مِنَ التِّيهِ فى أَغْمادِها تَتَبَسَّمُ (١)
وَلَمْ نَرَ مَلْكاً قَطُّ يُدْعَى بدُونِهِ ... فَيَرْضَى ، وَلٰكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمَ
أَخَذْتَ عَلَى الأَعْداءِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ ... مِنَ العَيْشِ تُعْطِى مَنْ تَشاءُ وَتَحْرِمُ (٢)
فَلاَ مَوْتَ إلاَّ مِنْ سِنانِكَ يُتَّقَى ... وَلا رِزْقَ إلاَّ مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ (٣)

---

١ — المعنى — يقول : إذا نحن سميناك سيفا ، فحذفه للعلم به ، خلنا سيوفنا تتكبر وتعجب تيها ، بمشاركتك لها فى الاسمية ، فهى تتبسم تيها وفخرا ، وهذا البيت من نوادر أبياته ، وقد عابه من لا يعرف معانى الشعر ، وقال : قد وضع الشىء فى غير موضعه حيث قال : تتبسم من التيه ، ولا يكون من التيه إلا العبوس ، وأن يشمخ الإنسان بنفسه ، وهو فعل التائه المتكبر ، وإنما يكون التبسم من المرح والفرح . وليس كما قالوا ، والتبسم قد يكون من المعجب بنفسه ، التائه على أقرانه ، استكثارا لما عنده ، واستقلالا لما عند غيره ، فليس ينكر أن يكون التبسم من الإعجاب ، فكأنّ السيوف تبسمت إعجابا بنفسها ، لمشاركة الممدوح لها فى التسمية ، فخرت بذلك السلاح والرماح . وهو من قول أبى نواس :

تَتِيهُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ المُنِيرُ ... إذَا قُلْنَا كَأَنَّهُمَا الأَمِيرُ

٢ — الغريب — الثنية : الجبل الصغير ، وقيل هى الطريق فى رأس الجبل .

الإعراب — استعمل الظرف استعمال الأسماء فأعرب به .

المعنى — يقول : لم نر ملكا يدعى بدون اسمه وقدره ، ويرضى بذلك ، ومحله فوق أن يسمى سيفا ، ولكن الناس يجهلون قدره ، وهو يحلم عنهم ، ويقصرون عن حقيقة وصفه فيكرم ، ثم قال : أخذت على أعدائك كل طريق عيشهم فيها ، فليس يعيشون ، لأنك فرّقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل ، وأنت تعطى من تشاء وتحرم ، لأنك ملك ، يشير بذلك إلى قوّة ملكه ، وتمكن أمره . فأنت تعطى من أطاعك ورجاك ، وتحرم من خالفك وعصاك ، عالما بما تفعله ، قادرا على ما تقصده ، فأنت مؤيد من الله .

٣ — المعنى — يقول : لسنا نعلم قتيلا بحديد إلا من سلاحك فى وقعك ، ولسنا نعلم عطاء يقصد من غير هباتك ومكارمك ، فالموت من رماحك ، والرزق من عطائك ، وهو من قول أبى العتاهية :

فَما آفَةُ الآجالِ غَيْرُكَ فى الوَغَى ... وَما آفَةُ الأَمْوالِ غَيْرُ حِبائِكا

وقال يعاتب سيف الدولة

وأنشدها فى محفل من العرب ، وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه، وأحضر من لاخير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له فى مجلسه بما لايحب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة ، فقال يعاتبه :

وهى من البسيط ، والقافية من المتدارك

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ   وَمَنْ بِجِسْمِى وَحالى عِنْدَهُ سَقَمُ(١)

---

١ — الإعراب — قال أبو الفتح : قلباه بكسر الهاء وضمها ، وهو غير جائز عند الكوفيين ، ولايجوز إلا فى الضرورة .

والوجه قال أبوالفتح : الكسر لالتقاء الساكنين : الألف والهاء . ومن ضمها شبهها بعصاه ورحاه ،والكوفيون ينشدون لبعض الأعراب :

وَقَدْ رَابَنِى قَوْلُهَا يَاهَنَا   هُ وَيْحَكَ أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرِّ !

وأنشدوا أيضا :

* يا رَبُّ يا رَبَّاهُ إِيَّاكَ أَسَلْ *

والبصريون يقولون : ياهناه . الهاء : بدل من الواو فى هنوك وهنوات ،وهى بدل من لام الكلمة، ولذلك جاز ضمها .

وقال أبو زيد فى صحاباه : إنه شبهها بحرف الإعراب فضمها ، هذا قول الواحدى، اختصره من كلام أبى الفتح .

وقال أبو الفتح : كان ينشده بكسر الهاء وضمها ، وهذا لايعرفه أصحابنا ، ولايجيزون إثبات الهاء فى الوصل ساكنة ولا متحركة ، لأنها إنما تلحق فى الوقف لبيان الألف قبلها، فإذا صرت إلى الوصل أسقطت عنها باللفظ بما بعدها ، تقول فى الوقف : واز يداه ، فإذا وصلت قلت : واز يدا وعمراه ، فإنك تحذفها فى الوصل ، وتثبتها فى الوقف ، فإن قال قائل : هلا أجريت الهاء فى الوصل على حدّ الوقف كما أنشد سيبويه قول رؤبة :

* ضَخْمٌ يُحِبُّ الْخُلُقَ الأَضْخَمَّا *

بتشديد الميم، لأنهم إذا وقفوا على اسم شدّدوا آخره إذا كان ماقبله متحركا ، ألاترى أن من يقول: خالد فى الوقف بتشديد الدال ، إذا وصل ردّه إلى التخفيف ، إلا أنه قد يجريه فى الوصل على حدّ مجراه فى الوقف، فلذلك جاز للمتنبى أن يلحق الهاء فى الوصل، كما كان يثبتها فى الوقف ، قيل فى هذا=

. . . .

= أمران : أحدهما مكروه ، والآخر خطأ فاحش ، أما المكروه فإثباتها فى الوصل على حدّ إثباتها فى الوقف، ضرورة مستقبحة للمحدث ، وسبيل مثلها أن لا يقاس عليه إلا على استكراه ، وأما الخطأ فإن الذى ذهب إلى هذا واحتجّ به قد عدل عن صوب التشبيه ، وذلك أنه لا يخلو من أن تجرى الكلمة على حدّ الوقف ، أو على حدّ الوصل ، فان كان على حدّ الوصل وهو الوجه ، لأنه ليس واقفا ، فسبيله أن يحذف الهاء وصلا ، لما ذكرناه من استغنائه عنها فى الوصل ، بما يتبع الألف ، و إن كان على حدّ الوقف فقد خالف ذلك باثباتها متحركة بالضم ، أو الكسر فالهاء فى الوقف بلا خلاف ساكنة ، فالذى رام إثباتها متحركة ، لا على حدّ الوصل أجراها فيحذفها ، ولا على حدّ الوقف أجراها فيسكنها ، ولا نعلم منزلة بين الوصل والوقف يرجع إليها ، وتجرى الكلمة عليها ، فلهذا كان إثبات هذه الهاء متحركة خطأ عندنا ، وأما ما رواه الكوفيون فشاذ عندنا ، وأما ما ذكره فى نوادره أبو زيد : من أنهم شبهوا الهاء بحرف الإعراب ، فلا وجه له . ولو كانت الهاء فى قلباه مشبهة بحرف الإعراب لما جار فتحها ولا ضمها ، ولوجب جرّها باضافة «حرّ» إليها ، و «مرحباه» الذى أنشده أبو زيد ليس مضافا إليه ، فيجوز أن يشبه بحرف الإعراب ، انتهى كلامه . و إنما أراد أبو الطيب على لغة قومه ، وكان الأصل قلبى ، فأبدل من الياء ألفا طلبا للخفة ، والعرب تفعل ذلك فى النداء ، واستجلب هاء السكت ، وأثبتها فى الوصل كما تثبت فى الوقف ، والعرب تفعل ذلك ، كقراءة ابن ذكوان «فبهداهم اقتده» هى بكسر الهاء ، و إثبات الياء وصلا ، وكقراءة هشام بكسر الهاء ، وقد استوفينا علة ذلك فى كتابنا الموسوم : (بالروضة المزهرة : فى شرح التذكرة) وحرّك الهاء أبو الطيب لسكونها وسكون الألف قبلها ، وللعرب فى ذلك أمران : منهم من حرّك بالضمّ تشبيها بهاء الضمير ، وأنشدوا :

* يَامَرْحَبَاهُ بِحِمَارٍ أَعْفَرَا *

ومنهم من يحرّك بالكسر ، على ما يوجد كثيرا فى الكلام عند التقاء الساكنين . وأنشدوا:

يَارَبُّ يَارَبَّاهُ إِيَّاكَ أَسَلْ عَفْرَاء يَارَبَّاهُ مِنْ قَبْلِ الْأَجَلْ

الغريب — الشبم : البارد . والشبم : البرد ، وقد شبم (بالكسر) فهو شبم . والشبم: الذى يجد البرد مع الجوع . قال حميد بن ثور :

بِعَيْنَيْ قَطَامِيٍّ نَمَا فَوْقَ مَرْقَبٍ غَدَا شَبِماً يَنْقَضُّ فَوْقَ الْهَجَارِسِ

المعنى — يقول : واحرّ قلبى واحتراقه ، واستحكام همه بمن قلبه عنى بارد لا اعتناء له بى ، ولا إقبال له علىّ ، ومن بجسمى وحالى من إعراضه سقم يوجب ألمهما ، وشكاة تؤذن باختلالهما ؛ والعرب تكنى بحرارة القلب عن الاعتناء ، و ببرده عن الإعراض والترك .

وتلخيص المعنى : قلبى حارّ من حبه ، وقلبه بارد من حبى ، وأنا عنده مختلّ الحال ، معتلّ الجسم .

مَالِي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي ... وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الأُمَمُ (١)

إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُــــرَّتِهِ ... فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ الحُبِّ نَقْتَسِمُ (٢)

قَدْ زُرْتُهُ وسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ ... وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ (٣)

فَــكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ ... وَكَانَ أَحْسَنَ مَافِى الْأَحْسَنِ الشِّيَمُ (٤)

فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ ... فِي طَيِّــــهِ أَسَفٌ فِي طَيِّهِ نِعَمُ (٥)

---

١ — الغريب — أكتم : مبالغة فى الكتمان . وبرى جسدى : أنحله وأضناه .

المعنى — يقول : لأىّ شىء أخفى حبه ؟ وغيرى يظهر أنه يحبه ، وهو بخلاف مايضمر ، وأنا مضمر من حبه ، مايزيد مضمره على ظاهره ، ومكتومه على شاهده ، والأمم تشركنى فى ادّعاء ذلك ، بقلوب غير خالصة، ونيات غير صادقة ، فينحل جسمى بقدمى فى صدق ودّه ، وتأخرى فيما يخصنى من فضله .

٢ — الغريب — الغرّة : الطلعة . والوجه الحسن : الأغرّ .

المعنى — يقول : إن حصلت الشركة فى حبه فحظى وافر .

وقال أبو الفتح : يحتمل وجهين أحدهما: إن كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حبّ لغرّته، فليت أنا نقتسم برّه : كما نقتسم حبه، والآخر: إن كان يجمعنى وغيرى أن أكون أنا وهو محبين له، فليت حظى منه ، مثل حظى من المحبة له، كقولك : أنا وفلان تجمعنا الكتابة والقراءة ، كلانا من أهلها . وتلخيص المعنى: إن كان يجمعنا حبه والكلف بمودّته ، فليت أنا نقتسم المنازل عنده بقدر مانحن عليه من محبتنا الخالصة ، وما نعتقده من مودّتنا الصادقة ، فلا يبخس المخلص حقه ، ولا يبذل للمتصنع برّه .

٣ — المعنى — يقول : قد خدمته فى حالتى السلم والحرب ، والسيوف دم ، أى مخضبة بالدم . يريد : أنه قد شهده فى شدائد الحرب ، وقد جرّبه فى الضيق والسعة ، وامتحنه فى الأمن والخوف، فأعجبه كيف تقلب ، وأحمده على أىّ حال تصرّف .

٤ — الإعراب — فيه تقديم وتأخير ، والتقدير : وكان الشيم أحسن مافى الأحسن .

الغريب — الشيم : جمع شيمة ، وهى الخليقة ، تقول : شيمة زيد الكرم ، أى خليقته وخلقه .

المعنى — يقول : لما بلوته فى حالتيــه كان أحسن الخلق ، وكانت أخلاقه أحسن ما فيــه ، فكان فى جميع أحواله أحسن خلق الله شاهدا ، وأكرمهم ظاهرا ، وكان أحسن من ذلك شيمه المختبرة ، وأخلاقه المستحسنة .

٥ — الإعراب — الضمير فى « طيه » الأوّل عائد على الظفر ، وفى الثانى عائد على الأسف .

الغريب — يممته : قصدته . والأسف : الحزن . والظفر: الفتح والظهور على العدوّ . والنعم : =

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الخَوْفِ واصْطَنَعَتْ لَكَ المَهَابَةُ مَالاَ تَصْنَعُ البُهَمُ (١)
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزَمُهَا أَنْ لاَ يُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلاَ عَلَمُ (٢)
أَكُلَّمَا رُمْتَ جَيْشًا فَانْثَنَى هَرَبًا تَصَرَّفَتْ بِكَ فِى آثَارِهِ الهِمَمُ (٣)
عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ فِى كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا (٤)

= جمع نعمة ، تقول : نعمة ونعم وأنعم ونعمات .

المعنى — يريد : أنه اتبع بعض ملوك الروم ففاته ، يقول : فوت العدوّ الذى قصدته ، ففرّ عنك لاستحكام جزعه ، ظفر ظاهر ، واستعلاء بين ، و إن كان ذلك الظفر فى طيه منك أسف على ما حرمته من إدراكه ، وفى طىّ ذلك الأسف نعم بها صرف الله عنك مؤنة الحرب ، وشدّة معاناة اللقاء ، وحفظ عسكرك من جراح أو قتل ، ففى هذا نعم من الله كثيرة .

١ — الغريب — المهابة : شدّة الفزع . والبهم : الأبطال . الواحدة : بهمة ، وهم الذين تناهت شجاعتهم ، و يقال للجيش : بهمة . ومنه قولهم : فلان فارس بهمة .

المعنى — يقول : قد ناب عنك خوف العدوّ لك، فذعره وهزمه،وصنعت لك فيه مهابتك ، و بلغت لك مخافتك مالا تصنعه الشجعان .

٢ — الإعراب — نصب « يواريهم » بأن ، ومثله قراءة عاصم وابن كثير ونافع وابن عامر : « وحسبوا أن لا تكون فتنة » بنصب الفعل ، وقد بيناه فى كتابنا الموسوم (بالروضة المزهرة) ، يواريهم : يسترهم و يكنهم . والعلم : الجبل الطويل الوعر المسالك . ومنه قول الخنساء :

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فى رَأْسِهِ نارُ

المعنى — يقول : قد ألزمت نفسك ما لم يكن يلزمها ، وكلفتها ما لا يحقّ عليها، من أن عدوّك لايواريهم أرض تشتمل عليهم ، ولا يسترهم عنك جبل يحول بينك و بينهم ، وهذا غاية التكلف .

٣ — المعنى — يريد : أنه متى ماهزم جيشا حملته همته العالية ، على اقتفاء آثارهم ، وهذا استفهام إنكار . يريد : كلما فرّ جيش من جيوش الروم ، وولى عنك هاربا ، تصرّفت بك همتك فى أثره ، فلم يرضك انهزامهم دون أن ينالهم القتل ، و يستحكم فيهم السيف .

٤ — الغريب — المعترك : ملتقى الحرب .

المعنى — يقول : عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك فى حرب ، ولا عار عليك إذا انهزموا ، فتحصنوا بالهرب ولم تظفر بهم . والمعنى : لاعار عليك أن يغلبهم خوفك ، فينهزموا دون قتال ، و يفرّوا دون لقاء ، إشفاقا منك.

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ ... تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الهِنْدِ وَاللِّمَمُ (١)
يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلاَّ فِي مُعَامَلَتِي ... فِيكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ وَالحَكَمُ! (٢)
أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً ... أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ (٣)

---

١ — الغريب — تصافحت : تلاقت بالصفاح ، وهى السيوف . واللمم : جمع لمة ، وهى الشعر إذا ألمّ بالمنكب .

المعنى — يقول : ليس يحلو لك ظفر تناله ، وأمل فى عدوّك تبلغه ، إلا أن يكون ذلك بعد مصادمة وقتال، ومجالدة ونزال ، و بعد مصافحة سيوفك رءوسهم ، وتباشر سلاحك خيولهم ، فهذا هو الظفر الحلو عندك .

٢ — الغريب — الخصام : المخاصمة . والخصم يقع على الواحد والجماعة . قال الله تعالى : «وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب» .

المعنى — يقول لسيف الدولة : يا أعدل الناس فى أحكامه ، وأكرمهم فى أفعاله، إلا فى معاملتى، فإنه يخرجنى عن عدله ، ويضيق علىّ ماقد بسط من فضله ، فيك خصامى وتعبى ، وأنت خصمى وحكمى ، فأنا أخاصمك إلى نفسك ، وأستدعى عليك حكمك .

قال أبو الفتح : هذه شكوى مفرطة ، لأنه قال فى موضع آخر .

وَمَا يُوجِعُ الحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ ... كَمَا يُوجِعُ الحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ

و إذا كان عدلا فى الناس كلهم إلا فى معاملته ، فقد وصفه بأقبح الجور ، وقد وصفه بثلاثة أوصاف مختلفة، بقوله «فيك الخصام» ، أى أنت الذى نختصم فيه ، وأنت الخصم ، وهو غير مختصم فيه، وأنت الحكم ، وليس الحكم أحد الخصمين ، ولا بالشىء الذى يقع فيه الخصام والمعنى: أنت الحكم ، لأنك ملك لا أخاصمك إلى غيرك ، والخصام وقع فيك .

٣ — الإعراب — قال أبو الفتح : سألته عن الهاء على أىّ شىء تعود ؟ فقال على النظرات ، وقد أجاز مثله أبو الحسن الأخفش فى قوله تعالى: «فإنها لا تعمى الأبصار» ، فقال: الهاء راجعة إلى الأبصار ، وغيره من النحويين يقول: إنها إضمار على شريطة التفسير، كأنه فسر الهاء بالنظرات .

الغريب — الورم : الانتفاخ فى العضو ، من ألم يصيبه .

المعنى — يريد : أن نظراتك صادقة إذا نظرت إلى شىء عرفته على ماهو عليه ، فلا تغلط فيما تراه . ولا تحسب الورم شحما ، وهذا مثل . يريد : لا تظنّ المتشاعر شاعرا ، كما يحسب السقم صحة ، والورم سمنا .

وقال الخطيب «نظرات» فى موضع نصب على التمييز ، أى من نظرات ، كقول الراجز :

* كَمْ دُونَ لَيْلَى فَلَوَاتٍ بِيدِ *

أى من فلوات .

وما انْتِفاعُ أخِي الدُّنْيا بناظِرِهِ ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْوارُ وَالظُّلَمُ (١)

أنا الَّذِي نَظَرَ الأعْمَى إلَى أدَبِي ... وَأسْمَعَتْ كَلِماتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ (٢)

أنامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوارِدِها ... وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاها وَيَخْتَصِمُ (٣)

---

١ — المعنى — يقول : وما ينتفع أخو الدنيا بنظره ، ولا يعود عليه فائدة بصره ، إذا استوت عنده الصحة والسقم ، والأنوار والظلم . والمعنى : يجب أن تميز بيني و بين غيري ممن لم يبلغ درجتي ، كما تميز بين النور والظلمة . وهو منقول من قول الحكيم أرسطاطاليس :

اعتدال الأمزجة ، وتساوى أركان الإنسان ، تفرق بين الأشياء وأضدادها .

٢ — المعنى — يريد : أن شعره سار فى آفاق البلاد ، واشتهر حتى تحقق عند الأعمى والأصم ، فكأنّ الأعمى رآه لتحققه عنده ، وكأنّ الأصمّ سمعه ، أى أنا الذى شاع أدبى ، واستبان موضعى ، فثبت ذلك فى العقول ، وتمكن فى القلوب ، ورآه من لا يبصره ، وأسمعت كلاتى من لا يسمع ، وكان المعرّى إذا أنشد هذا البيت قال : أنا الأعمى .

٣ — الإعراب — ملء جفونى : هو موضع المصدر ، أى أنام نوما ملء جفونى ، كقولك : قعد القرفصاء ، أى القعدة التى هى كذلك ، والضمير فى « شواردها » للكلمات .

قال أبو الفتح : يحتمل أن يراد بالكلمات جمع كلمة ، التى هى اللفظة الواحدة ، وهذا أشدّ فى المبالغة من غيره ، ويجوز أن يعنى بالكلمات القصائد ، وهم يسمون القصيدة كلمة .

الغريب — الشوارد : النوافر ، من قولهم : شرد البعير : إذا نفر ، ويقال : فعلت ذلك من جرّاك ، أى من أجلك ، ومن جلالك ، ومن إجلالك ، ومن جرّائك ، مشدّدا ، ومن جلك هذه اللغات كلها فى هذا الحرف . قال الشاعر :

رَسْمُ دَارٍ وَقَفْتُ فى طَلَلِهْ ... كِدْتُ أقْضِى الحَياةَ مِنْ جَلَلِهْ

وقال المجنون :

* أُعَفِّرُ مِنْ جَرّاكِ خَدِّى عَلَى الثَّرَى *

وقال الراعى :

وَنَحْنُ قَتَلْنا مِنْ جَلالِكَ وَائِلاً ... وَنَحْنُ بَكَيْنا بِالسُّيُوفِ عَلَى عَمْرِو

وقال كثير :

حَنِينِي إلَى أسْماءَ وَالخَرْقُ بَيْنَنا ... وَإكْرامِيَ القَوْمَ العِدَا مِنْ جَلالِها

ووحد الضمير فى يختصم على لفظ الخلق لا معناه ، كقوله تعالى : « ومنهم من يستمع إليك » على اللفظ ، « ومنهم من يستمعون » على المعنى .

المعنى — يقول : أنام ساكن القلب ، متمكن النوم ، لا أعجب بشوارد ما أبدع ، ولا أحفل =

وَجاهِلٍ مَدَّهُ فى جَهْلِهِ ضَحِكِى ... حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ (١)

إِذا نَظَرْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بارِزَةً ... فَلا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمُ (٢)

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِى مِنْ هَمِّ صاحِبِها ... أَدْرَكْتُها بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ (٣)

رِجْلاهُ فى الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ ما تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ (٤)

= بنوادر ما أنظم ، ويسهر الخلق فى تحفظ ذلك وتعلمه ، ويختصمون فى تعرّفه وتفهمه ، فأستقلّ منه مايستكثرون ، وأغفل عما يغتنمون .

١ — الغريب — أصل الفرس : دقّ العنق ، ومنه سمى الأسد فرّاسا .

المعنى — يقول : ربّ جاهل خدعه تركى له فى جهله ، وضحكى منه ، حتى افترسته بعد زمان فأهلكته ، فأنا أغضى عن الجاهل حتى أهلكه ، فربّ جاهل اغترّ بمجاملتى ، ومسامحتى إياه ، وضحكى على جهله ، حتى سطوت به ففرسته ، وغضبت عليه فأهلكته .

٢ — الغريب — النيوب : جمع ناب . والليث : الأسد .

المعنى — يقول : إذا كشر الأسد عن نابه ، فليس ذلك تبسما ، وإنما هو قصد الافتراس ، وهذا مثل ضربه ، يعنى أنه وإن أبدى بشره للجاهل ، فليس هو رضا عنه ، فإن الليث إذا كشر لا تظنه متبسما ، وإن ذلك أقرب لبطشه ، وأدلّ على ما يعذر من فعله ، فكذلك ضحكى للجاهل قاده إلى صرعته ، وأداه إلى هلكته ، ومعنى البيت من قول الشاعر :

لَمَّا رَآنِى قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ

وأخذه حبيب ، فقال :

قَدْ قَلَّصَتْ شَفَتاهُ مِنْ حَفِيظَتِهِ ... فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِما

٣ — المعنى — يقول : ربّ إنسان طلب نفسى ، كما طلبت نفسه ، أدركتها على جواد ظهره حرم ، لأمن راكبه ، لأنه لا يقدر عليه ، فكأنه فى حرم . يقول : أدركت منه ما أراد أن يدرك منى من قتلى ، فقتلته وظفرت به . ووصف جواده [البيت بعده] .

٤ — المعنى — يقول : هو صحيح الجرى . يصف استواء وقع قوائمه ، وصحة جريه ، فكأن رجليه رجل واحدة ، لأنه يرفعهما معا ، ويضعهما معا . وكذلك اليدان . وهذا الجرى يسمى النقال والمناقلة ، وفعله ما تريد الكف بالسوط ، والرجل بالاستحثاث ، فهو بجريه يغنيك عنهما.

وقال ابن الإفليلى : وفعله فى السرعة ما تريد القدم التى بها يستعجل ، وفى المؤاناة والموافقة ما تريد الكف التى بها يستوقف .

وَمُرْهَفٍ سِرتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ (١)
فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... وَالضَّرْبُ وَالطَّعْنُ والقِرطَاسُ وَالْقَلَمُ (٢)
صَحِبْتُ فِى الفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا ... حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّى القُورُ وَالأَكَمُ (٣)

١ — الغريب — المرهف : السيف الرقيق الشفرتين . والجحفلان : الجيشان العظيمان ، وروى ابن جنى وغيره بين الموجتين ، أراد : موجتى الجيشين ، لأنهما يموج بعضهم فى بعض .

المعنى — يقول : ربّ سيف رقيق الحدّين سرت به بين الجيشين العظيمين ، حتى قاتلت به والموت غالب ، تلتطم أمواجه ، ويضطرب بحره . واستعار الموج لكتائب الحرب .

٢ — الغريب — البيداء : الفلاة البعيدة عن الماء . والقرطاس : الكتاب فيه الكتابة . وجمعه : قراطيس ، يقال : قرطاس (بضم القاف) وقرطس ، قال أبو زيد فى نوادره : قال مخش العقيلى :

كَأَنَّ بِحَيْثُ اسْتَوْدَعَ الدَّارَ أَهْلُهَا ... مَخَطَّ زَبُورٍ مِنْ دَوَاةٍ وَقِرْطِسِ

المعنى — يصف شجاعته وجلادته، وأن هذه الأشياء لاتنكره ، وهى تعرفه ، لأنه من أهلها. يقول: الليل يعرفنى، لكثرة سراى فيه ، وطول ادّراعى له ؛ والخيل تعرفنى لتقدّمى فى فروسيتها ؛ والبيداء تعرفنى بمداومتى لقطعها ، واستسهالى لصعبها ؛ والحرب والضرب يشهدان بحذقى بهما وتقدّمى فيهما ؛ والقراطيس تشهدلى لإحاطتى بما فيها ؛ والقلم عالم بإبداعى فيما يقيده . وقد سبقه أبو عبادة بهذا ، فقال :

اطْلُبَا ثَالِثًا سِوَاىَ فَإِنِّى ... رَابِعُ الْعِيسِ وَالدُّجَى وَالْبِيدِ

وقد أخذه أبو الفضل الهمذانى بقوله :

إِنْ شِئْتَ تَعْرِفُ فِى الآدَابِ مَنْزِلَتِى ... وَأَنَّنِى قَدْ عَدَانِى الْفَضْلُ وَالنِّعَمُ
فَالطِّرْفُ وَالْقَوْسُ وَالأَوْهَاقُ تَشْهَدُ لِى ... وَالسَّيْفُ وَالنَّرْدُ وَالشِّطْرَنْجُ وَالْقَلَمُ

٣ — الغريب — من روى «القور» بالراء وضمّ القاف ، فهو جمع قارة ، وهى الأكمة ، وقيل هى حرة ، وهى اللابة . وجمعها : لوب ، كأكمة وأكم : قال منظور بن مرثد الأسدى :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِأَعْلَى ذِى الْقُورِ ... قَدْ دَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورْ

ومن روى بفتح القاف وبالزاى ، فهو القوز ، وهو الكثيب الصغير . وجمعه : أقواز وقيزان . وأنشد أبو عبيدة معمر لذى الرّمة :

إِلَى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَقْوَازَ مُشْرِفٍ ... شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ (١)

مَا كَانَ أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ ... لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ! (٢)

إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ... فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ (٣)

وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ ... إِنَّ المَعَارِفَ فِي أَهْلِ النُّهَى ذِمَمُ (٤)

= المعنى — يقول : قد سافرت وحدى ، فلو كانت الجبال تتعجب من أحد ، لتعجبت منى ، لكثرة ماتلقانى وحدى ، فصحبت الوحش فى الفلوات، منفردا بقطعها ، مستأنسا بصحبة حيوانها ، حتى تعجب منى سهلها وجبلها ، وقوزها وأكمها .

١ — المعنى — يريد : يا من يعز علينا مفارقته بما أسلف إلينا من فضله ، واستوفرناه من الحظ بقربه ، وجداننا كل شىء طائل بعدكم عدم لانسر به ، ومحتقر لا نبتهج له. يريد : لايخلفكم أحد.

٢ — الغريب — ما أخلقه بكذا وأقمنه وأجدره : أولاه . والأمم: القصد ، وهو أمر بين أمرين ، لا قريب ولا بعيد .

المعنى — يقول : ما أخلقنا ببركم ، وتكرمتكم ، و إيثاركم، لوأن أمركم فى الاعتقاد لنا على نحو أمرنا فى الاعتقاد لكم ، وما نحن عليه من الثقة بكم .

٣ — المعنى — يقول : إن كان ما فعله الحاسد لنا ، واختلقه الواشى بيننا ، مرضيا لكم ، مستحسنا عندكم ، فما يتشكى الجرح إذا أرضاكم مع شدة وجعه ، ولا يكره مع استحكام ألمه ، حرصا على موافقتكم ، و إسراعا إلى إرادتكم . قال الواحدى : هذا من قول منصور الفقيه :

سُرِرْتُ بِهَجْرِكِ لَمَّا عَلِمْتُ ... أَنَّ لِقَلْبِكِ فِيهِ سُرُورَا

وَلَوْلَا سُرُورُكِ مَا سَرَّنِي ... وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورَا

لِأَنِّي أَرَى كُلَّ مَا سَاءَنِي ... إِذَا كَانَ يُرْضِيكِ سَهْلًا يَسِيرَا

٤ — الغريب — النهى : العقول . والمعارف : جمع معرفة . والذمم : العهود ، واحدها : ذمة .

المعنى — يقول : بيننا معرفة لو رعيتم تلك المعرفة ! و إنما ذكر لأن المعرفة مصدر ، فيجوز تذكيره على نية المصدر . يقول : إن لم يجمعنا الحب فقد جمعتنا المعرفة ، وأهل العقل يراعون حق المعرفة ، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها ، فبيننا وسائل المعرفة ، ولنا إليكم شوافع المحالفة إن أحسنتم المراعاة ، والمعارف عند أمثالكم من ذوى العقول الراجحة، والأحلام الوافرة، ذمم لايضيع حفظها .

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فَيُعْجِزُكُمْ   وَيَكْرَهُ اللهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ!(١)

مَا أَبْعَدَ العَيْبَ وَالنُّقْصَانَ عَنْ شَرَفِى!   أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ(٢)

لَيْتَ الغَمَامَ الَّذِى عِنْدِى صَوَاعِقُهُ   يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ!(٣)

---

١ — المعنى — يقول : أنتم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم وجوده . وهذا تعنيف لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين عليه ، يطلبون لنا عيبا تغضون به عنا ، وتصغون إلى الطاعن منهم علينا ، فيما ينقل إليكم ، ولا يمكنكم ذلك ، ويكره الله ما تأتون من ذلك ، ويسخطه ويكرهه الكرم الذى يلزمكم الإنصاف والعدل ، ويوجب عليكم المحافظة والعقل .

٢ — الإعراب — ذان : إشارة إلى العيب والنقصان .

الغريب — الثريا : معروفة ، هى أنجم مجتمعة . والهرم : الكبر والعجز .

المعنى — أنا بعيد عن العيب والنقيصة ، كبعد الثريا من الشيب والكبر ، فكما لا يلحقها الشيب والهرم ، فأنا كذلك لا يلحقنى العيب والنقصان ، فما أبعد العيب والنقصان عن شرفى ورفعته ، وعرضى وسلامته !

٣ — الغريب — الغمام : السحاب . والصواعق : جمع صاعقة ، وهى قطعة من نار تسقط بإثر الرعد الشديد ، ويقال : صاعقة وصاقعة . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم مع سكون .

المعنى — يشير إلى الممدوح معنفا له على إصغائه إلى الطاعنين عليه ، أى ليت هذا الملك الذى يشبه الغمام بجوده ، ويخلفه بعقله الذى عندى صواعقه . يريد : ما يلحقه من الأذى ممن حوله ، يزيل تلك الصواعق إلى الحاسدين، فيشاركوننى فى بؤسه ، كما يشاركوننى فى فضله . والمعنى: ليته أزال الشرّ الذى عندى إلى من عنده النفع . وهو مأخوذ من قول حبيب :

فَلَوْ شَاءَ هَذَا الدَّهْرُ أَقْصَرَ شَرَّهُ   كَمَا قَصُرَتْ عَنَّا لُهَاهُ وَنَائِلُهْ

ومثله لابن الرومى :

أَعِنْدِىَ تَنْقَضُّ الصَّوَاعِقُ مِنْكُمَا   وَعِنْدَ ذَوِى الْكُفْرِ الْحَيَا وَالثَّرَى الْجَعْدُ

وللبحترى :

سَيْلُهُ يَقْصِدُ العِدَى وَتُجَاهِى   خُلَّبُ إِيمَاضٍ بَرْقِهِ وَجُمُودُهْ

وأخذه السرّى الموصلى ، فقال :

وَأَنَا الْفِدَاءُ لِمَنْ مَخِيلَةُ بَرْقِهِ   حَظِّى ، وَحَظُّ سِوَاىَ مِنْ أَنْوَائِهِ

وألفاظ السرىّ وسبكه أحسن من الجماعة .

أَرَى النَّوَى تَقْتَضِينِي كُلَّ مَرْحَلَةٍ ... لَاتَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَخَّادَةُ الرُّسُمُ (١)

لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيْرًا عَنْ مَيَامِنِنَا ... لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ (٢)

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا ... أَنْ لَاتُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ (٣)

---

١ — الغريب — النوى : البعد . والوخد والرسم : ضربان من السير . والوخادة من الإبل : التى تسير بالوخد . واحدتها : واخدة . والرسم : التى تسير بالرسيم . واحدتها : رسوم ، وراسم .

المعنى — قال أبو الفتح : النوى هنا : النية أو المنزلة ما بين المرحلتين . يريد : تقتضى مراحل شدادا لاترتفع .

وقال الواحدى : يكافنى البعد عنكم قطع كلّ مرحلة لاتقوم بقطعها الإبل المسرعة . والمعنى : أرى النوى التى أريدها ، والرحلة التى أعتقدها تقتضينى تجشم كلّ مرحلة وافية ، لاتستبدّ بها الإبل لبعد منالها ، ولا تطيقها لشدّة أهوالها .

٢ — الإعراب — ليحدثنّ ، اللام : لام جواب القسم ، وترك جواب الشرط ، فإنهما إذا اجتمعا كان الجواب للقسم ، وترك جواب الشرط . ومثله قوله تعالى : «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ» . وفى الكتاب العزيز مثل هذا كثير .

الغريب — ضمير : جبل على يمين طالب مصر من الشام ، وهو قريب من دمشق .

المعنى — يقول : إن قصدت مصر ليحدثنّ لمن ودّعتهم ندم على مفارقتى لهم ، وأسف على رحيلى عنهم ، يشير بذلك إلى سيف الدولة أنه يندم على فراقه ، فكان كما قال .

٣ — المعنى — يقول : إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك بارتباطك ، حتى لاتحتاج إلى مفارقتهم ، فهم المختارون للارتحال ، يشير بهذا إلى إقامة عذره فى فراقهم ، أى أنتم تختارون الفراق إذ ألجأتمونى إليه .

قال الخطيب : إن الرجل إذا فارق أناسا وقد ظنوا أنه غير مفارق لهم أسفوا له ، فكأنهم راحلون.

وقال ابن القطاع : رحلت عن المكان : انتقلت ، ورحلت غيرى : نقلته وسفرته . ومعناه : إذا ترحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك ، فالراحلون عنك هم . والمعنى : أنه يخاطب نفسه ، ويشير إلى سيف الدولة ، حتى لايذمّه فى رحلته ، قائما فى ذلك عن نفسه بحجته ، أى إذا رحل الراحل عن قوم وهم قادرون على إزاحة علته ، بإسعاف رغبته ، وأغفلوه حتى ترحل عنهم ، وانقطع بالزوال منهم ، فهم الذين رحلوه وأزعجوه وأخرجوه . وهو منقول من كلام الحكيم : من لم يردك لنفسه فهو النائى عنك ، وإن تباعدت أنت عنه . وقال ابن وكيع : هو مأخوذ من قول حبيب :

وَمَا الْقَفْرُ بِالْبِيدِ الْقَوَاءِ بَلِ الَّتِى ... نَبَتْ بِى وَفِيهَا سَاكِنُوهَا هِىَ الْقَفْرُ

شَرُّ البِلاَدِ بِلاَدٌ لاصَــدِيقَ بها   وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَايَصِمِ (١)

وَشَرُّ مَاقَنَصَــتْهُ راحَتِي قَنَصٌ   شُهْبُ البُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخَم

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّــعْرَ زِعْنِفَةٌ   تَجُوزُ عِنْــدَكَ لاعُرْبٌ وَلاَ عَجَم (٢)

---

١ — الغريب — يصم . يعيب . والوصم : العيب . وجمعه : وصوم . والوصم : الصدع فى العود من غير بينونة . والرخم : جمع رخمة ، وهو طائر أبقع يشبه النسر فى الخلقة ، يقال له الأنوق . قال الأعشى :

يَارَخَمَــا قاظَ عَلَى مَطْــلُوبِ   يُعْجِلُ كَفَّ الْخَارِئِ الْمُطِيبِ

المعنى — يقول : شرّ البلاد بلاد لايوجد فيها من يؤنس بودّه ، ويسكن إلى كريم فعله ، وشرّ ماكسبه الإنسان ما عابه وأذله . يريد : أن هبات سيف الدّولة وإن كثرت مع جلالتها وسعتها ، لاتعادل تقصيره فى حقه ، وإيثاره لحساده ، وشرّ ماقنصه الصائد وظفر به ، قنص يشركه فيه البزاة الشهب مع رفعتها ، والرخم مع سقاطتها ودناءتها وضعتها ، يشير بذلك إلى أنّ ماوهبه من برّه ، وأظهر عليه من إحسانه وفضله ، شاركه فيه من حساده أهل الغباوة ، ونازعه فيه أهل العجز والجهالة . والمعنى : إذا تساويت أنا ومن لا قدر له فى أخذ عطائك ، فأىّ فضل لى عليه ، وماكان من الفائدة كذا ، فلا أفرح به .

٢ — الغريب — زعنفة بكسر الزاى . وجمعه : زعانف ، وهم اللئام السقاط من الناس ، وهو مأخوذ من زعنفة الأديم ، وهو ماسقط من زوائده .

المعنى — يقول لسيف الدولة : بأىّ لفظ تقول الشعر أراذل الناس ، لا عرب ولا عجم ؟ يريد : ليست لهم فصاحة العرب ، ولا تسليم العجم ، فليسوا شيئا .

وقال الواحدى : يقول هؤلاء الخساس اللئام من الشعراء ، بأىّ لفظ يقولون الشعر ، وليست لهم فصاحة العرب ولا تسليم العجم ، والفصاحة للعرب ، فليسوا شيئا . وصحف بعضهم ، فقال : يخور من خوار الثور ، وهو صحيح فى المعنى ، وإن كان تصحيفا من حيث الرواية ، وهو كما يروى أن رجلا قرأ على حماد الراوية شعر عنترة :

* إِذْ تَبْتَقِيكَ بِذِى غُرُوبٍ وَاضِحٍ *

فقال : إذ تستقيك ، فأبدل من الباء نونا ، فضحك حماد ، وقال : أحسنت لا أرويه بعد اليوم إلا كما قرأت .

هٰـــذا عِتابُكَ إلاّ أنّهُ مِقَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدُّرَّ إلاّ أنّهُ كَلِمُ (١)

---

١ — الغريب — المقة : المحبة والودّ . والكلم : لايكون أقلّ من ثلاث كلمات ، والكلام قد يقع على الكلمة الواحدة ، لأنك لو قلت لرجل من ضربك ؟ فقال زيد لكان متكلما ، فالكلام يقع على القليل والكثير ، فالكلام ما أفاد و إن بكلمة . والكلم : جمع كلمة، كنبقة ونبق ، وثفنة وثفن، ولذلك قال سيبويه : هــذا باب علم ما الكلم من العربيــة ، ولم يقل الكلام ، لأنه أراد أن يفسر ثلاثة أشياء : الاسم ، والفعل ، والحرف ، فجاء بما لا يكون إلا جمعا ، وترك ما يمكن أن يقع على الواحد والجماعة . وقال الله تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب » . وقال كثير :

* وَإِنِّى لَذُو كَلِمٍ عَلَى كَلِمِ العِدَى *

وقرأ حمزة والكسائى : يريدون أن يبدّلوا كلم الله ، وتميم تقول فى كلمة كلمة (بفتح الكاف وسكون اللام) ، مثل كبد وكبد وكبد ، وورق وورق وورق .

المعنى — يقول : هذا الذى أتاك من الشعر عتاب منى إليك ، وهو محبة ، لأن العتاب يجرى بين المحبين ، وهو درّ حسن نظمه ولفظه ، إلا أنه كلمات . والمعنى : هــذا عتابك ، وهو وإن أمضك وأزعجك، محبة خالصة ، ومودّة صادقة ، فباطنه غير ظاهره ، كما أنه قد ضمن الدرّ لحسنه ، وإن كان كلما معهودا فى ظاهر لفظه .

ولما أنشد هذه القصيدة وانصرف ، كان فى المجلس رجل يعاديه ، فكتب إلى أبى العشائر على لسان سيف الدولة كتابا إلى انطاكية ، يشرح له فيــه ذكر القصيدة ، وأغراه به ، فوجه أبو العشائر عشرة من غلمانه ، فوقفوا قريبا من باب سيف الدّولة فى الليل ، وأنفذوا إليه رسولا على لسان سيف الدولة، فلما قرب منهم، ضرب رجل منهم بيده إلى عنان فرسه ، فسلّ أبو الطيب السيف ، فوثب عليه الرجل ، وتقدّمت فرســه به ، فعبر قنطرة كانت بين يديه ، وأصاب أحدهم فرسه بسهم فانتزعه ، واستقلت الفرس به ، وتباعد بهم ليقطعهم من مدد إن كان لهم ، ورجع إليهم بعد أن فنى نشابهم ، فضرب أحدهم بالسيف ، فقطع الوتر و بعض القوس ، وأسرع السيف فى ذراعه، فوقفوا على صاحبهم المجروح ، وسار وتركهم ، فلما يئسوا منه قال أحدهم : نحن غلمان أبى العشائر ، فحينئذ قال :

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِى إِلَى مَنْ أُحِبُّهُ وَلِلنَّبْلِ حَوْلِى مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ —

وقد تقدّم شرحها فى حرف الفاء .

وقال وقد عوفى سيف الدولة

وهى من البسيط ، والقافية من المتدارك

الْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ (١)

صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ (٢)

وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا كَأَنَّمَا فَقْدُهُ فِى جِسْمِهَا سَقَمُ (٣)

وَلاَحَ بَرْقُكَ لِى مِنْ عَارِضَىْ مَلِكٍ مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلاَّ حَيْثُ يَبْتَسِمُ (٤)

---

١ — الإعراب — زال : خبر، وليس هو دعاء ، فليس كقولك : غفر الله لك فى عرض كلامك، ألا تراه خاطبه بعد زوال ما كان بجده ، وصدر البيت خبر ، فكذلك عجزه .

المعنى — يقول : المجد عوفى بعافيتك ، والكرم صحّ بصحتك ، وزال الألم إلى أعدائك، الذين تأخر عنهم غزوك ، وأغمد دونهم سيفك . وهو من قول حبيب :

سَلِمْتَ فَإِنْ كَانَتْ لَكَ الدَّعْوَةُ اسْمَهَا وَكَانَ الَّذِى يَحْظَى بِإِنْجَاحِهَا الْمَجْدُ

٢ — الغريب — الغارات : جمع غارة . والديم: جمع ديمة ، وهى المطر الدائم مع سكون . وابتهجت : فرحت واستبشرت .

المعنى — يقول : صحت الغارات بتمام صحتك ، وانتظمت الجيوش بانتظام قوتك ، وابتهجت بذلك المكارم، وأشرق حسنها، وانهلت الديم واتصل نفعها ، وكانت الأمطار منقطعة ، فلما عوفى صادف اتصالها عافيته .

٣ — المعنى — يريد : أن الشمس مرضت لمرضه حزنا عليه ، فعظم الأمر فى علته ، كعادة الشعراء ، ويريد : أن الشمس فقدت نورها أيام مرضه ، فكان فقد ذلك كاسفا لها ، فقال : راجع الشمس بصحتك ، وعاودها بزوال علتك نور كان فقده كالسقم فى جسمها ، أو النقصان المضرّ بحسنها.

٤ — الغريب — العارض : ما يلى الناب من داخل الفم ، ويقال : هو الناب .

المعنى — يقول لسيف الدّولة : لاح لى ببشرك ، وبدا لى بتبسمك برق لامع ، ونور ساطع لا يسقط الغيث إلا فى أثره ، ولا يوجد إلا فى موضعه ، يشير إلى العطاء الذى يتلو بشره ، ويريد : أنه إذا تبسم أعطى ماله ، فيصير ذلك المكان كأنّ الغيث قد نزل به ، لأنه أخصب بجوده .

يُسْمَي الْحُسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ ... وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ (١)
تَفَرَّدَ الْعُرْبُ فِى الدُّنْيَا بِمَحْتِدِهِ ... وَشَارَكَ الْعُرْبَ فِى إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ (٢)
وَأَخْلَصَ اللّٰهُ لِلإِسْلَامِ نُصْرَتَهُ ... وَإِنْ تَقَلَّبَ فِى آلَائِهِ الأُمَمُ (٣)
وَمَا أَخُصُّكَ فِى بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ ... إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا (٤)

---

١ — الغريب — تقول: سميته وأسميته وسميته. والمخدوم: الذى يخدمه غيره. والخدم: جمع خادم.

المعنى — يقول: هو يسمى بالسيف، والسيف لا يشبهه، ويوصف به وهو لا يعدله، وكيف يشتبه المخدوم والخادم، ويعدل الملك عن هو بأمره وطاعته قائم.

٢ — الغريب — المحتد: الأصل، من قولهم: حتد بالمكان: أقام به.

المعنى — يقول: هو عربى الأصل، فالعرب تختص بالفخر به إذ هو منهم، وحصلت الشركة للعجم مع العرب فى إحسانه وعطائه. وهو من قول البحترى:

غَدَا قَسْمُهُ عَدْلاً فَفِيكُمْ نَوَالُهُ ... وَفِى سِرِّ نَبْهَانَ بْنِ عَمْرٍو مَآثِرُهْ

٣ — الغريب — الآلاء: النعم. الواحدة: إلى. ومنه قول الزمخشرى فى قوله تعالى: « وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة ». قال: نعمة ربها.

المعنى — يقول: إن كانت الأمم مشتركة فى إنعامه، وأن نصرته خالصة لدين الإسلام لا ينصر غيره من الأديان، أى جعل الله نصرته خالصة للإسلام، وإن كان قد شمل الأمم بالفضل والإحسان.

٤ — المعنى — يقول: ما أخصك فى التهنئة بعافيتك منفردا، بل سلامة الناس موصولة بسلامتك، وكفاية الله لهم متمكنة بكفايتك، وقال: سلموا على معنى كلّ لا على لفظها. وقد جاء فى الكتاب العزيز على لفظ « كلّ ». وعلى معناها، فأما على لفظها فقوله تعالى « وكلهم آتيه »، وأما على معناها، فقوله تعالى: « وكلّ آتوه داخرين ». وقرأ حفص وحمزة وعلىّ: « أتوه » مقصورا. والمعنى من قول أبى العتاهية:

لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَهُمْ ... مَاتَ إِذَا مَا أَلِمْتَ أَكْثَرُهُمْ

وأنفذ رجل إلى سيف الدولة أبياتا يذكر أنه رآها فى النوم يشكو الفقر فيها

فقال أبو الطيب

وهى من الخفيف والقافية من المتواتر

قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فِى الْأَحْلَامِ وَأَنَلْنَاكَ بَدْرَةً فِى الْمَنَامِ (١)

وَانْتَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلَا شَىْ ءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قَدْرَ الْكَلَامِ (٢)

كُنْتَ فِيمَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ الْعَيْـ ـنِ فَهَلْ كُنْتَ نَائِمَ الْأَقْلَامِ (٣)

أَيُّهَا الْمُشْتَكِى إِذَا رَقَدَ الْإِعْـ ـدَامَ لَا رَقْدَةٌ مَعَ الْإِعْـدَامِ (٤)

افْتَحِ الْجَفْنَ وَاتْرُكِ الْقَوْلَ فِى النَّوْ مِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الْإِمَامِ (٥)

---

١ — المعنى — : يقول قد سمعنا مارأيت فى النوم ، وأعطيناك بدرة ، وهى عشرة آلاف درهم ، وأجزلنا لك الصلة فى المنام .

٢ — الغريب — النوال : العطاء . والانتباه من النوم : هو اليقظة .

المعنى — يقول : كان سؤالك فى النوم مثل العطاء الذى أعطيناك ، فانتبهت بلا شىء ، وكذلك نحن كان نوالنا على نحو مدحك ، وجودنا على سبيل قولك ، يشير إلى تسفيه رأيه ، وتخطئة فعله ، إذ لم يجعل مدحه لسيف الدّولة غرضا يقصده ، وأمرا واجبا يعتمده .

٣ — المعنى — يزرى عليه بما فعل ، فقال : كنت فى الذى رأيته نائما فهل كنت وقت الكتابة نائما أيضا ، اللفظ كان رديئا والخط رديئا .

٤ — الغريب — لا بمعنى ليس ، كبيت الكتاب :

* فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ *

المعنى — يقول : أيها المشتكى الفقر فى نومه ، والمتوجع للإقلال فى حلمه ، والإقلال يطرد النوم ، والإعدام يبطل الحلم ، كيف قدرت على النوم مع العدم .

٥ — المعنى — افتح عينيك ، وصحح قولك ، ولا تخدع بالأحلام نفسك ، وميز مايخاطب به سيف الإمام ، يريد الخليفة ، ولا تخاطبه بما يخاطب به سائر الناس .

الَّذِى لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ ، وَلا مِنْــــهُ بَدِيلٌ ، وَلا لِما رَامَ حامِى(١)
كُلُّ آخائِهِ كِرَامُ بَنِى الدُّنْـــيا وَلٰـكِنَّهُ كَرِيمُ الْـكِرَامِ(٢)

وقال يمدحه

وهى من الطويل ، والقافية من المتدارك

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِى الْعَزَائِمُ   وَتَأْتِى عَلَى قَدْرِ الْـكِرَامِ الْمَـكَارِمُ(٣)

١ — الإعراب — يجوز أن يكون «الذى» فى موضع جرّ على البدل من سيف الإمام ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع على خبر الابتداء ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب على المدح .

المعنى — يريد : الذى لايغنى عنه أحد ، ولا يكون منه بدل ، لجلالة قدره ، ولا يحمى عليه فمايطلبه أحد ، فلايغنى عنه أحد لعموم فضله ، ولا يكون منه بدل لجلالة قدره ، ولا يحتمى عليه ماطلبه لسعة مقدرته ، ولايمتنع دونه ، لنفوذ أمره فيه .

٢ — الغريب — الآخاء : جمع أخ ، كالآباء : جمع أب .

المعنى — يقول : كلّ كرام بنى الدنيا آخاؤه ، لأنهم يوافقونه فى رأيه ، ويشابهونه فى فعله ، لـكنه المبرّز فيهم ، والمقدم عليهم ، لأنه كريم كريمهم ، والمحتوى على جميع فعالهم : فهو أكرمهم ، وأفضلهم ، وأشرفهم .

٣ — الغريب — العزائم : جمع عزيمة ، وهى مايعزم الإنسان عليه .

المعنى — يقول : عزيمة الرجل على مقداره ، وكذلك مكارمه ، فمن كان كبير الهمة ، قوىّ العزم عظم الأمر الذى يعزم عليه ، وكذلك المكارم إنما تـكون على قدر أهلها ، فمن كان أكرم كان مايأتيه من المكارم أعظم . والمعنى : أن الرّجال قوالب الأحوال إذا صغروا صغرت ، وإذا كبروا كبرت ، فعلى قدر أهل العزم من الملوك ، وما يكونون عليه من نفاذ الأمر ، وتظاهر العلوّ والرّفعة تـكون عزائمهم ، وعلى قدر الـكرام فى منازلهم ، واستبانة فضائلهم ، تـكون مكارمهم فى جلالتها ، وأفعالهم فى قوّتها وفخامتها ، وهذا كقول عبد الله بن طاهر :

إِنَّ الْفُتُوحَ عَلَى قَدْرِ الْمُــــلُوكِ وَهِمَّـــاتِ الْوُلَاةِ وَأَقْدَامِ الْمَقَــــادِيرِ

وكان سبب هذه القصيدة : أن سيف الدولة سار نحو ثغر الحدث ، وكان أهلها قد سلموها بالأمان إلى الدمستق ، فنزل بها سيف الدولة فى جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة ، فبدأ فى يومه ، فخطّ الأساس ، وحفر أوّله بيده ابتغاء ما عند الله تعالى ، فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقاس =

وَتَعْظُمُ فى عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغارُها   وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظائِمُ (١)
يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ   وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجُيُوشُ الْخَضارِمِ (٢)
وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ ماعِنْدَ نَفْسِهِ   وَذٰلِكَ مالا تَدَّعِيـــهِ الضَّراغِمِ (٣)
يُفَدِّى أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْرًا سِلاحَهُ   نُسُورُ المَلا أَحْـــداثُها وَالْقَشاعِمِ (٤)

= دمستق النصرانية ، فى خمسين ألف فارس وراجل من جموع الروم ، والأرمن والبلغر والصقالب ، ووقعت الوقعة يوم الاثنين ، سلخ جمادى الآخرة ، وأن سيف الدولة حمل بنفسه فى نحو من خمسمائة من غلمانه ، فقصـد موكبه ، فهزمه وأظفره الله به ، وقتل ثلاثة آلاف من مقاتلته ، وأسر خلقا كثيرا ، فقتل بعضهم ، واستبقى البعض وأسر تودس الأعور بطريق سمندو ، وهو صهر الدمستق على ابنته ، وأسر ابن الدمستق ، وأقام على الحدث إلى أن بناها ، ووضع بيـده آخر شرافة منها يوم الثلاثاء ثالث عشرة ليلة خلت من رجب ، وفى هذا اليوم أنشد أبو الطيب هذه القصيدة لسيف الدولة بالحدث .

١ — المعنى — يقول : صغار الأمور عظيمة فى عين الصغير القدر ، وعظامها صغيرة فى عين العظيم القدر ، يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة ، وما فعل فى الوقعة التى ذكرنا من نفاذ عزمه ، وجلالة قدره ، والهاء فى «صغارها» للعزائم أو المكارم. قال أبو الفتح : ويحتمل أن يرجع إلى الجميع.

٢ — الغريب — الخضارم : جمع خضرم ، وهو العظيم الكبير من كل شىء ، ومن روى البحور الخضارم فهو غلط ، والصحيح : الجيوش .

المعنى — يكلف جيشه مافى همته من الغزوات والغارات ، ولا يتحمل ذلك الجيوش الكثيرة، لأن مافى همته ليس فى طاقة البشر تحمله . والمعنى : يكلف جيشــه استيفاء ماتبلغه همته ، وتنعقد عليه نيته ، والجيوش العظيمة تعجز عن ذلك ولاتدركه ، وتقصر عنه ولاتلحقه .

٣ — الغريب — الضراغم : جمع ضرغام ، وهو الأسد .

المعنى — يريد سيف الدولة أن يكون الناس مثله فى الشجاعة ، وذلك شىء لايدعيه الأسد، والأسـد لاتدعى أنها مثله فى الشجاعة . والمعنى : يطلب أصحابه وأتباعه بما عنـده من البأس والنجدة ، والاقدام والشدة ، وذلك مالاتطيقه الأسود العادية ، ولاتدعيه الضراغم الباسلة .

٤ — الغريب — القشاعم : النسور الطويلات العمر . ومنـه : سميت المنية أم قشعم ، لطول عمرها . والملا : وجه الأرض . والأحداث : الشابة . واحدها : حدث ، وهو الشاب .

الإعراب — « نسور » : بدل من «أتم الطير» ، وقيل : هو عطف بيان ، « وأحداثها والقشاعم » : عطف بيان . =

وما ضَرَّها خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخالِبٍ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيافُهُ وَالقَوائِمُ (١)
هَلِ الحَدَثُ الحَمْراءُ تَعْرِفُ لَوْنَها ... وَتَعْلَمُ أَيُّ السّاقِيَيْنِ الغَمائِمُ (٢)

= المعنى — يقول : يفدى أطول الطير عمرا سلاح سيف الدولة ، و بين هـذا الصنف فقال : أحداثها وقشاعمها ، أى أصاغرها وأكابرها ، و إنما يفديه لوجود الجثث فى وقائعه ، والاستبشار بكثرة ملاحمه .

١ — الغريب — المخالب: جمع مخلب ، وهوالظفرلسباع الطير . والقوائم : جمع قائم ، وهوقائم السيف .
المعنى — يقول : ماضرّ الأحداث من النسور ؟ يعنى الفراخ . والقشاعم : وهى المسنة التى ضعفت عن طلب الرزق ، وخصّ هذين النوعين لعجزهما عن طلب القوت يقول : ليس يضرّهما أن لا يكون لهما مخالب قوية مفترسة بعدأن خلقت أسياف سيف الدولة ، فإنها تقوم بكفاية قوّتها.
قال الواحدى : و يجوز أن يكون المعنى : وماضرّها لو خلقت بغير مخالب ، كما تقول : ماضرّ النهار ظلمته مع حضورك ، وليس النهار بمظلم ، لكنك تريد ماضرّه لو خلق مظلما . والمعنى : مايضرّها أن تخلق بغير مخالب تستعملها فيما تأكله ، وتصرفها فيما تنشبه ، لأن سيوفه تبلغها فى ذلك ماترغبه ، وتفعل لها ماتريده وتطلبه ، وقد ذكر الطير فى مواضع ، فأحسن وجاء بما لم يسبق إليه بقوله :

وَيُطْمِعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمِ ... حَتَّى تَكادَ عَلَى أَحْيائِهِمْ تَقَعُ

ومن مستحسن قوله فى وصف الجيش :

وَذِى لَجَبٍ لاذُو الجَناحِ أَمامَهُ ... بِناجٍ وَلاَ الوَحْشُ المُثارُ بِسالِمِ
تَمُرُّ عليه الشَّمْسُ وَهْىَ ضَعِيفَةٌ ... تُطالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رُوسِ القَشاعِمِ

وقد ذكر الطير جماعة ذكرناهم قبل هذا . وقد أخذ معنى أبى الطيب أبو نصر بن نباتة بقوله :

وَيَوْماكَ يَوْمٌ لِلعُفاةِ مُذَلَّلٌ ... وَيَوْمٌ إِلَى الأَعْداءِ مِنْكَ عَصَبْصَبُ
إِذَا حَوَّمَتْ فَوْقَ الرِّماحِ نُسُورُهُ ... أَطارَ إِلَيْها الضَّرْبُ ما تَتَرَقَّبُ

وله أيضا :

وَإِنَّكَ لاَ تَنْفَكُّ تَحْتَ عَجاجَةٍ ... تُقَطِّعُ فِيها المَشْرَفِيَّةُ بِالطُّلَى
إِذَا يَئِسَتْ عِقْبانُها مِنْ خَصِيلَةٍ ... رَفَعْتَ إِلَيْها الدّارِعِينَ عَلَى القَنَا

الخصيلة : كلّ عصبة فيها لحم غليظ . والطلى: الأعناق .

٢ — الإعراب — أىّ ابتداء ، «والغمائم» الخبر ، «وتعلم» مكفوفة عن العمل . =

سَـقَتْها الْغَمامُ الْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْها سَقَتْها الْجَماجِـمُ(١)
بَناها فَأَعْلَى وَالْقَنا تَقْرَعُ الْقَنا وَمَوْجُ الْمَنايا حَـوْلَها مُتَلاطِمُ(٢)
وَكانَ بِها مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى عَلَيْها تَمائِمُ(٣)

الغريب — الحدث : هى القلعة التى بناها ، وهى فى بلاد الروم، وعليها كانت الوقعة ، وسماها حمراء ، لأنه بناها بحجارة حمر ، وقيل سماها حمراء لكثرة ما أجرى عندها من الدماء .

المعنى — يقول : هل تعرف القلعة لونها لأنه غير لونها ، إما بالحجارة ، وإما بالدماء ، وهل تعلم أىّ الساقيين سقاها الغمائم ، أم الجماجم ، وترك ذكر الجماجم اكتفاء بذكر الغمائم ، وهى السحائب . واحدها غمامة ، وكقول الهذلى :

دَعانِى إِلَيْهـا الْقَلْبُ إِنِّى لِأَمْرِهِ مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِى أَرُشْدٌ طِلابُها

أراد أرشد أم غىّ ، فحذف اكتفاء برشد . وقد بين أبو الطيب المعنى فى البيت الثانى بقوله :

١ — الغريب — الغر : ذوات البرق . والجماجم : جمع جمجمة .

المعنى — يقول : سقاها الغمام قبل نزول سيف الدولة بها ، وجادها قبل حلوله فيها ، فلما حلها أوقع فيها بالروم الذين حاولوا منعه من بنيانها ، فقتلهم جيوشه وفلقت هامهم سيوفه . فسفك فيها من دمائهم ماماثل المطر الذى جاد بها . والسحاب فى كثرته ، وقاومه فى جملته .

٢ — المعنى — يقول : بنى سيف الدولة القلعة ، وأذلّ الروم بالإيقاع بهم ، وقهرهم بالاستيلاء عليهم ، بعد أن تقارع القنا فى حربهم ، وتلاطم موج الموت فى منازلتهم .

٣ — الغريب — الجثث . جمع جثة ، وهى الجسد . والتمائم : العوذ . واحدها : تميمة .

المعنى — جعل الاضطراب بالفتنة فيهاجنونا لها ، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها ، فلاتزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم ، وعلق القتلى على حيطانها ، سكنت الفتنة ، وسلم أهلها ، فجعل جثث القتلى كالتمائم عليها ، حيث أذهبت مابها من الجنون ، وهو إسكان الفتنة ، فكأن الفتنة كانت جنونا ، فسكن سيف الدولة تلك المخافة ، وأذهبت تلك المهابة ، وترك حولها من جثث الروم ماقام لها مقام التمائم ، وآمنها من جميع المحاذر ، وقد لاذ بقول حبيب :

تَكادُ عَطاياهُ يُجَنُّ جُنُونُها إِذا لَمْ يُعَوِّذْهـا بِنَغْمَةِ طالِبِ

قال أبو الطيب ماردّ علىّ أحد شيئا ، فقبلته إلا سيف الدولة ، فإنى أنشدته ، ومن جيف القتلى ، فقال لى : مه ، قل من جثث القتلى ، فقبلت وقلت كما قال لى :

طَرِيدَةُ دَهْـــرٍ ساقَها فَرَدَدْتَها   عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِّيِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ(١)
تُفِيتُ اللَّيالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ   وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ(٢)
إِذَا كَانَ ما تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضارِعًا   مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ(٣)

---

١ — الغريب — الطريدة : المطرودة . وفعيل : بمعنى مفعول ، كثير فى الكلام ، نحو : قتيل وأسير . والخطى: الرّماح ، وأصل الرغم أن يلتصق الأنف بالتراب .

المعنى — جملها : طريدة الدهر بأن سلط عليها الروم حتى أخربوها ، فأعاد بناءها سيف الدولة ، وردّها على أهل الإسلام برغم الدهر ، حين خالفه فيما قصـد ، فهو يخاطب سيف الدولة بقوله : كانت هذه المدينة طريدة دهر، أخرجها الدهر عن مدن الاسلام ، وأرعجها من بينهم لعدم العمران ، فرددتها على الاسـلام بتعميرك لها ، واغتصبتها من الروم بدفعهم عنها ، وغالبت الدهر الذى ساعدهم عليها فغلبته ، وقارعته دونها فأرغمته .

٢ — الغريب — تفيت : تفعل من الفوت . والغوارم : جمع غارمة .

المعنى — قال الواحدى : الليالى إذا أخذت شـيئا ذهبت به ، فإن أخـذت منك غرمت ، لأنك تلزمها الغرامة . قال : ويجوز أن يكون تفيت مخاطبة على رواية من روى أخذته (بالتاء) . يقول : إذا سلبت الليالى شيئا أفته عليها ، فلم تقدر على اسـترداده منك ، وهى إذا أخذت منك شيئا غرمت ؛ يعنى : أنت أقوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك . وهذا من قول الآخر :

فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوِتْرِهِمْ   وَلاَ فاتَنَا مِنْ سائِرِ النَّاسِ وَاتِرُ

وكقول الطرماح :

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لا تُدْرَكْ أَخِيذَتُنا   أَوْ نَطَّلِبْ نَتَعَدَّى الْحَقَّ فى الطَّلَبِ

وقال الخطيب وابن القطاع : كلاهما اشتركا فى اللفظ والمعنى ، قالا : من رواه بالنون أفسد المعنى .

قال ابن القطاع : قال لى شيخى محمد بن البراء التميمى : قال لى صالح بن رشـد : قرأت على المتنبى أخذنه بالنون ، فقال صحفت يا أبا علىّ . قلت وكيف قلت ؟ فقال قلت أخذته بالتاء ، لأنى لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ، ونقضت قولى فى آخر البيت ، وذلك أن «تفيت» يتعدّى إلى مفعولين ، فإذا جعلت « الليالى » فاعله ، ونصبت « كلّ شيء » لم يكن مفعول ثان ، ففسـد الإعراب ، و إذا قلت بالتاء جعلت «الليالى» مفعولا أوّلا ، «وكلّ شيء» ثانيا ، وأما فساد المعنى ، فلو جعلت الليالى الفاعلة ، لجعلتها تفيت كلّ شيء ولا تغرمه ، ثم نقضته بقولى ، وهنّ لما يأخذن منك غوارم ، و إنما المعنى تفيت ياسيف الدّولة الليالى كلّ شيء أخذته منها ، فلا تغرمه لها ، وهنّ غوارم لك ما يأخذن ، فصحّ المعنى .

٣ — الغريب — الفعل المضارع : ما كان فيه إحدى الزوائد الأربع : الألف للمتكلم ، والنون =

وَكَيْفَ تُرَجِّي الرُّومُ وَالرُّوسُ هَدْمَهَا ... وَذَا الطَّعْنُ آساسٌ لَهَا وَدَعائِمُ (١)

وَقَدْ حاكَمُوها وَالمَنايا حَوَاكِمٌ ... فَما ماتَ مَظْلُومٌ وَلا عاشَ ظالِمُ (٢)

للجماعة ، والياء للغائب ، والتاء للمخاطب ، والمرأة الغائبة ، والنحويون يسمون المستقبل المضارع ، وهو يصلح للحال والاستقبال ، حتى تدخل عليه سوف أو السين فيصير للمستقبل خاصة ، وأراد أبو الطيب هنا الاستقبال ليصح له المعنى ، لأن الفعل الحاضر لا يجوز أن ينوى ، و يتوقع ولا يؤمر به. والجوازم : حروف الجزم ، وهي : لم ، ولما ، ومهما ، وحروف الشرط ، فهذه الحروف إذا دخلت على الفعل الصحيح سكنته ، و إذا دخلت على المعتل حذفت حرف العلة منه ، والبيت بناه على التورية.

المعنى — يقول : إذا نويت أمرا تفعله ، فكان ذلك فعلا مستقبلا غير ماض ، مضى ذلك الفعل الذى نويته قبل أن يجزم ذلك الفعل . يريد : ما أسعده الله به ، وأظهره له من سعده فى قصده ، فإذا كان ماينويه فعلا مستقبلا ، ولفظ المستقبل يقع على الدائم الذى لم ينقطع ، وعلى المتأخر الذى لم يقع صار ذلك الفعل ماضيا بوقوعه منه ، ومتصرفا بتمكنه منه قبل أن تلحقه الجوازم ، فتثبته فيما لم يجب ، وتدخل عليه فتخلصه فيما لم يقع . قال ابن وكيع : هو مأخوذ من قول حبيب :

خَرْقاء يَلْعَبُ بِالعُقُولِ حَبابُها ... كَتَلاعُبِ الأَفْعالِ بِالأَسْماءِ

١ — الغريب — الروس : فرقة تنضم إلى الروم . والأساس : مايبنى عليه ، يقال : أس الحائط وأساسه . وجمع الأس : آساس ، وقد قالوا : أسس (بالفتح) فى أساس ، وفى جمع أساس : أسس (بالضم) ، كقذال وقذل ، وفى جمع أس : أساس ، كعس وعساس ، وفى جمع الأسس : أساس ، كسبب وأسباب ، وأسست البناء تأسيسا . والدعائم : جمع دعامة ، وهى عماد البيت ، وكل شيء يستند إليه و يتقوى به ، فهو دعامة . ومنه سمى السند : الدعامة .

المعنى — يقول : كيف يرجون هدمها ، وهى مؤسسة بطعنك ، مدعومة بشجاعتك وجيشك ، فالطعن لها كالأساس ، والجيش لها كالدعائم ، فكيف يرومون هدمها ، وقد أسستها بالطعن الذى أعملته فيهم ، وأدعمتها بالقتل الذى سلطته عليهم ، فكيف يرومون هدمها ، وهذه صورة بنيتها ، وكيف يحاولون إخلاءها ، وهذه حقيقة منعتها .

٢ — المعنى — يقول : حاكموها ، يعنى القلعة ، وكانوا ظالمين لها وكانت مظلومة ، فلما حكمت السيوف قتلت الظالم ، وأبقت المظلوم ، فأهلكت الروم ، وجدد بناء القلعة والروم خصمين ، والحرب حاكمة ، فحكمت الحرب للقلعة بالسلامة ، وللروم بالهلاك ، فما عاشوا مع ماحاولوه من الظلم لها ، ولا مات ذكر القلعة مع ما أرادوه من الخراب لها ، بل نصر الله فيها سيف الدولة ، فهزم جيوشهم ، وأظهره عليهم ، ففرق جموعهم .

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ ... سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ (١)

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ ... ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ (٢)

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ ... وَفِى أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ (٣)

---

١ — المعنى — يقول : انهم اجترموا على نفوسهم، وخيولهم ولبسوا الحديد ، وألبسوا خيولهم التجافيف، حتى صارت لاتبين قوائمها ، فصارت كأنها لاقوائم لها ، والقوائم هنا : قوائم الخيل ، وفى أوّل القصيدة :

* وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ *

فالقوائم : قوائم السيوف ، فلهذا لم يكن فى هذه القصيدة إيطاء ، ولوكانتا بمعنى لجاز ، لأن الأوّل معرفة ، وهذه نكرة ، والسرى : سير الليل ، والجياد : الخيل .

٢ — الغريب — البيض : السيوف .

المعنى — جعل الروم يبرقون ، لكثرة ماعليهم من الحديد ، والبريق : اللمعان ، ولم يفرّق بين سيوفهم و بينهم ، لأن على رءوسهم البيض والمغافر ، وثيابهم الدروع ، فهم كالسيوف ، وقد فسره بقوله «من مثلها» ، أى مثل السيوف . يريد : من الحديد ، وأشار بهذا الوصف ، أعنى كثرة سلاح هذا الجيش إلى قوّته ، و بما ذكره من هذه الهيئة إلى شدّته ، وسمعت بعضهم وكان شيخا يقرأ عليه هذا الديوان . يقول : أخطأ أبو الطيب كيف ذكر العمائم ، والعمائم للعرب وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ فضحكت من قوله ، وقلت له : الضمير فى «مثلها» إلى أين يعود ، أليس إلى البيض ، وهى السيوف ، فلم يدر ماقلت .

٣ — الغريب — الخميس : الجيش العظيم ، له الميمنة والميسرة . والقلب والجناحان . والزحف : التقدّم . والجوزاء : أنجم معروفة . والزمازم : جمع زمزمة ، وهى صوت لايفهم لتداخله .

المعنى — يقول : هذا الجيش لكثرته قد عمّ الشرق والغرب ، و بلغ صوتهم الجوزاء ، وخصها بالذكر من سائر البروج ، لأنها على صورة الإنسان ، هذا قول الواحدى .

وقال أبو الفتح : لوكان لها أذن سمعت بها . والمعنى : أن هذا الجيش لعظم أمره ، وكثرة أهله قد ملأ ما بين الشرق والغرب ، وفى أذن الجوزاء من أصوات أهله زمازم لاتفسر ، وأخلاط لاتبين ، وأشار بهذا إلى أن الأصوات تبلغ السماء بكثرتها ، وتقطع أبعد المسافات بشدّتها ، ولم أسمع فى وصف جيش مثل هذا . ومثل قول الطائى :

مَلَأَ الْمَلَا عُصَبًا فَكَادَ بِأَنْ يُرَى ... لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَّامُ

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَّاثَ إِلاَّ التَّرَاجِمُ (١)
فَلِلَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الْغِشَّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ صَارِمٌ أَوْضُبَارِمُ (٢)
تَقَطَّعَ مَالاَيَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالْقَنَا وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لاَيُصَادِمُ (٣)

---

١ — الغريب — اللسن : اللغة ، واللسان (أيضا) . وقد قرأ أبو السمال العدوى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسن قومه » ، أى بلغتهم ، وكذلك القراءة المشهورة بلغتهم . والحداث : جمع حادث ، وهو بمعنى متحدّث ، قال سويد بن أبى كاهل :

يُسْمِعُ الْحُدَّاثَ قَوْلاً حَسَناً لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَطِعْ

والتراجم : جمع ترجمان ، وقد نطقت به العرب ، فقالو : ترجان . والجمع : التراجم ، مثل زعفران وزعافر ، وصحصحان وصحاصح . وترجمان (بفتح التاء وضمها) إتباعا لضمّ الجيم . قال الراجز :

فَهُنَّ يَلْغَطْنَ بِهِ إِلْغَاطا كَالتُّرْجُمَانِ لَقِيَ الْأَنْبَاطا

المعنى — يقول : تجمع فى هذا الجيش جميع أهل اللغات من الأمم المختلفة ، والطوائف المفترقة ، فما يتفاهم الحداث منهم إلا بتراجم تتكلف لهم ، وتفاسير تستعمل بينهم ، وكلّ هذا يشير إلى عظم الجيش ، وما قد جمع فيه من المقاتلة .

٢ — الغريب — يريد بالغشّ : الضعفاء من الرجال . والصارم : السلاح القاطع . والضبارم : الأسد الشديد الغليظ .

المعنى — يتعجب من ذلك الوقت الذى قامت الحرب فيه بين سيف الدّولة والروم . يقول : ما كان مغشوشا هلك وتلاشى كأنه ذاب بنار الحرب . وذكر النار ، لأن تأنيثها غير حقيقى ، أو أراد لهبها ، فلم يبق إلا سيف قاطع ، أو رجل شديد الخلق شجاع . والمعنى : أن هذه الحرب أذهبت تمويه الفرسان ، وذوّبت نارها غشهم ، وبينت أمرهم ، فلم يبق من السيوف إلا القاطع ، ولا من الرجال إلا الضبارم .

٣ — المعنى — يقول : تكسر من السيوف مالم يكن ماضيا يقطع الدروع والرماح ، وذهب الجبناء الذين لايقاتلون . يريد : تكسر السيف الذى لايقطع الدرع والرماح لأنه كلّ وعجز ، على رواية من روى « تقطع » ، وهى رواية الخطيب ، وفرّ من الفرسان من لايقدر على المصادمة ، ومن روى فقطع (بالفاء) أراد الوقت ، يعنى أن الوقت كان صعبا لم يبق فيه إلا الخاصّ من الرجال والأسلحة . قال ابن القطاع : تقطع كلّ سيف لايقطع الدرع والرمح ، أى كلّ سيف كهام لايقطع ، وقوله =

وَقَفْتَ وَمَا فِى الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ   كَأَنَّكَ فِى جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ (١)

= «تقطع»، أى تفرّق وتمزّق، كقوله تعالى: «فتقطعوا أمرهم بينهم»، أى تفرّقوا وتمزّقوا، فلم يبق إلا ماض صارم، أو أسد ضبارم.

١ — المعنى — قال الواحدى: سمعت الشيخ أبا معمر الفضل بن إسمعيل القاضى يقول: سمعت أبا الحسن على بن عبد العزيز يقول: لما أنشد المتنبى هذا البيت والذى بعده، أنكر عليه سيف الدّولة تطبيق عجزى البيتين على صدريهما، وقال له: ينبغى أن تطبق عجز الأوّل على الثانى، وعجز الثانى على الأوّل، ثم قال له: وأنت فى هذا مثل امرئ القيس فى قوله:

كَأَنِّىَ لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً لِلَذَّةٍ   وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِىَّ وَلَمْ أَقُلْ   لِخَيْلِىَ كُرِّى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

قال: ووجه الكلام فى البيتين على ما قاله أهل العلم بالشعر أن يكون عجز الأوّل على الثانى، والثانى على الأوّل، ليستقيم الكلام، فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكرّ، وسبء الخمر مع تبطن الكاعب. فقال له أبو الطيب: أدام الله عزّ مولانا، إن صحّ أن الذى استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر، فقد أخطأ امرؤ القيس، وأخطأت أنا، ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك، لأن البزاز يعرف جملته، والحائك يعرف جملته وتفصيله، لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية؛ وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد، وقرن السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء؛ وأنا لما ذكرت الموت فى أوّل البيت، أتبعته بذكر الردى ليجانسه، ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا، وعينه من أن تكون باكية، قلت: ووجهك وضاح لأجمع بين الأضداد فى المعنى، فأعجب سيف الدّولة، ووصله بخمسمائة دينار.

وقال أبو الفتح، ونقله الواحدى: وليس الملك والشجاعة فى شىء من صناعة الشعر، ولا يمكن أن يكون فى ملاءمة العجز الصدر مثل هذين البيتين، لأن قوله «كأنك فى جفن الردى» هو معنى قوله «وقفت»، فلا معدل لهذا العجز عن هذا الصدر، لأن النائم إذا طبق جفنه أحاط بما تحته، فكأنّ الموت قد أظله من كلّ مكان، كما يحدق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاتها. فهذا هو حقيقة الموت، وقوله «تمرّ بك الأبطال» هو النهاية فى التطابق للمكان الذى تكلم فيه الأبطال، فتكلح وتعبس، وقوله «ووجهك وضاح» لاحتقار الأمر العظيم. انتهى كلامهما.

يقول: وقفت غير متهيب، وأقدمت غير متوقع الموت، وهو لا شكّ فيه عند من وقف موقفك، وتقدم تقدّمك، كأنك من الردى فى أنكر مواضعه، وهو معرض عنك فيما تتكلفه من شدائد، وأشار بجفن الردى إلى عظيم مااقتحم، وجعله نائما لسلامته من الهلاك، لأنه لم يبصره، وغفل عنه بالنوم، فسلم ولم يهلك.

تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً ... وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ(١)

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى ... إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالغَيْبِ عَالِمُ(٢)

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى القَلْبِ ضَمَّةً ... تَمُوتُ الخَوَافِي تَحْتَهَا وَالقَوَادِمُ(٣)

---

١ — الغريب — كلمى : جرحى ، وهو جمع كليم . وهزيمة : مهزومة ، وهو من باب فعيل بمعنى مفعول . والوضاح : الواضح .

المعنى — يقول : تمرّ بك الجرحى من الأبطال منهزمين ، وكلمى مستسلمين ، وذلك لا يثنى عزمك ، ولا يضعف نفسك ، بل كنت حينئذ وضاحا غير متخوّف ، و بساما غير متضجر ، واثقا من الله بنصره ، متيقنا بما وصلك به من جميل صنعه ، وهو من قول مسلم بن الوليد :

يَفْتَرُّ عِنْدَ اقْتِرَابِ الحَرْبِ مُبْتَسِمًا ... إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الفَارِسِ البَطَلِ

٢ — الغريب — النهى : جمع نهية ، وهى العقل .

المعنى — قال الواحدى : يقول مافيك من الفطانة يتجاوز حدّ العقل ، لأنه يدرك العقل ماتدركه أنت ، وما فيك من الشجاعة قد تجاوز الحدّ إلى ماتقوله الناس فيك ، من أنك عالم بالغيب ، لأنك كدت أن تعرف ماتصير إليه من الظفر ، فلا تحذر الموت ، لعلمك أن العاقبة لك .

وقال أبو الفتح : فى آخره بعض التنافر لأوّله ، لأن الشجاعة لاتذكر مع علم الغيب ، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشدّ تباينا ، لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور ، ولو كان موضع الشجاعة الفطانة ، لكان أليق بعلم الغيب ، إلا أنه كان فى ذكر الحرب ، وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها . ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب ، لأنه كان قد عرف مايصير إليه ، فشجع ولم يحذر الموت . انتهى كلامه . والمعنى : أنك أظهرت من إقدامك وعزمك ، وسماحتك بمهجتك ، ماصدّق قول قوم فيك إنك تعلم الغيب . يريد : غيب مآل أمرك فى الظفر ، فلم تحفل بشدّة الحرب ، وتيقنت ماختم الله لك به من التأييد ، فأمنت مخاوف القتل ، فحينئذ كنت وضاحا بساما عند شدّة الحرب .

٣ — الغريب — الجناحان : جانبا العسكر ، من جناحى الطائر . والخوافى : أربع ريشات ، تتلو أربعا قبلها من جناحى الطائر . والقوادم : أربع ريشات فى أوّل جناحى الطائر ، وعليها معوّله فى طيرانه ، وأراد بالجناحين : الميمنة والميسرة ، وهما جانبا العسكر ، ولما سماها جناحين جعل رجالهما خوافى وقوادم ، والجناح : يشتمل على القوادم والخوافى .

المعنى — يقول : لففت جناحى العسكر على القلب ، فأهلكت الجميع ، بقتلك أوّلهم وآخرهم . يريد : أنك ضممت جناحى جيش الروم ضمة منكرة ، وشددت فى الجيش شدّة صادقة ، قتلت بها منهم من كانت منزلته فى إنهاض الجيش ، منزلة الخوافى والقوادم من الجناحين ، والأوائل والأواخر من هذين العضدين ، واستعار الجناحين ، وجعل الخوافى والقوادم فرسان الجيش . ولقد أحسن فى هذا غاية الإحسان . وقال قوم : فى الجناح عشرون ريشة : أربع قوادم ، وأربع مناكب ، وأربع خواف ، وأربع أباهر ، وأربع كلى .

بِضَرْبٍ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ ... وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمُ (١)

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا ... وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ (٢)

وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا ... مَفَاتِيحُهُ الْبِيضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ (٣)

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الْأُحَيْدِبِ نَثْرَةً ... كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ (٤)

---

١ — الغريب — الهامات : جمع هامة ، وهي الرءوس. واللبات: النحور . واحدها : لبة ، وطابق بين غائب وقادم .

المعنى — قال أبو الفتح: إذا ضربت عدوّا فحصل سيفك فى رأسه، لم تعتد ذلك نصرا ولاظفرا، وإذا فلق رأسه وصار إلى اللبة يكون نصرا ، ولا يرضيك مادونه .

وقال ابن فورجة : إنما عنى سرعة النصر ، وأنه لم يلبث إلا قدر وصول السيف المضروب به من الهامة إلى اللبة ، كما تقول : نازلت العدوّ والنصر غائب ، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر. والمعنى : كسرت الجناحين والقوادم والخوافى ، بضرب فلق رءوس الروم ، و بلغ لباتهم ، وتمكنت سيوفك فيهم ، وجيشهم مهزوم ، وجمعهم مغلوب ، والنصر الغائب قد قدم ، والظهور قد انتظم والتأم . وأشار بذلك إلى أن هزيمة الروم لم تكن إلا مجالدة وغلبة ، وظفر سيف الدولة لم يكن إلا بعد مقاومة .

٢ — الغريب — الردينيات : الرماح المنسوبة إلى ردينة ، امرأة باليمامة ، هى وزوجها يعملان الرماح . والشتم : السبّ . والاسم : الشتيمة ، شتم فهو شاتم .

المعنى — تركت الرماح فى القتال وازدريتها، لأنها سلاح الجبناء ، وسلاح الشجعان السيف، لمقاربة مابين الفريقين فى القتال ، ولما اخترت السيف على الرمح عيرالرمح ، لأنه يطعن من بعيد ، والسيف من قريب ، فكأنه يشتمه بالضعف وقلة الغناء . والمعنى: أنك طرحت الرماح ، واستقللت فعلها ، وعدلت إلى السيوف ، عالما بفضلها ، واعتمدتها لخبرتك بأمرها، فكأنها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها ، وإهانتها تسخطا لفعلها .

٣ — الغريب — البيض . السيوف . والخفاف : المرهفة . والصوارم : القواطع .

المعنى — يقول : من ارتقب النصر الجليل وحاوله ، وطلب الفتح البين ، فإنما مفاتيح ذلك السيوف الصارمة ، الخفاف الماضية .

٤ — الغريب — الأحيدب : جبل . والنثر : التفريق .

المعنى — يقول : فرقتهم على هذا الجبل مقتولين ، ونثرتهم نثر الدراهم على العروس ، فتفرّقت مصارعهم على هذا الجبل ، كما تتفرّق مواقع الدراهم إذا نثرت . وهذا من محاسن أبى الطيب ، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة تحكم فى الروم قتلا وأسرا ، ونثر جيشهم فوق هذا الجبل نثرا .

تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذُّرَا ... وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ (١)

تَظُنُّ فِرَاخُ الْفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا ... بِأُمَّاتِهَا وَهْيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ (٢)

إِذَا زَلِقَتْ مَشَّيْتَهَا بِبُطُونِهَا ... كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ (٣)

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ ... قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ (٤)

---

١ — الغريب — وكر الطائر : موضع مبيته . والجمع : وكور ، والذرا : رءوس الجبال .

المعنى — يريد : أنه يتبعهم فى رءوس الجبال حيث تكون وكور الطير ، فيقتلهم هناك ، فتكثر للطير المطاعم عند بيوتها ، أى إذا أخذوا عليك دربا صعدت إليهم رءوس الجبال ، فتقتلهم هنالك ، فتكثر المطاعم حول الوكور . هذا كلام أبى الفتح ، ونقله الواحدى . وقال غيره : تدوس بك الخيل فى آثار الروم وكور الطير فى رءوس الجبال ، وقنن الأوعار ، وقد كثرت الجثث من القتلى حول الوكور ، بكثرة من قتلته هنالك فرسانك ، ومن أهلكه من الروم جيشك وغلمانك . وأشار بذلك إلى كثرة الجثث حول وكور الطير ، مع انتزاح مواضعها ، وامتناع أماكنها ، إلى ما كان الروم عليه من شدة الهرب ، وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب ، وأنهم قتلوهم فى رءوس الجبال ، وأدركوهم فى أبعد غايات الأوعار .

٢ — الغريب — الفتخ : إناث العقبان : واحدتها : فتخاء ، وسميت بذلك لطول جناحها ولينه فى الطيران . والفتخ : لين المفاصل . والأمّات : جمع أمّ فيما لا يعقل ، وقد جاء فيه أمّهات ، حملا على من يعقل . والعتاق : كرام الخيل . والصلادم : جمع صلدم ، وهى الفرس الشديدة ، والصلبة القوية .

المعنى — يقول : ظنت فراخ العقبان لما صعدت خيلك إليها أنها أمّاتها ، لأن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمرا .

وقال ابن الإفليلى : تظنّ فراخ العقبان ، لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى أنك زرتها بأمّاتها ، فأمددتها بمطاعمها وأقواتها ، وإنما فعل ذلك صلادم خيلك ، وكثرة كتائب جيشك .

٣ — الغريب — الصعيد : وجه الأرض . والأراقم : الحيات .

المعنى — يقول : إذا زلقت الخيل فى صعودها الجبال ، جعلتها تمشى على بطونها فى الصعيد ، يصف صعوبة ترقيها إلى الجبال ، أى إذا زلقت لصعوبة ما تحاوله ، مشيتها على بطونها مكرهة ، وأنهضتها على تلك الحال مسرعة ، كما تمشى الأراقم فى الصعيد على بطونها ، وتسير فيه متمكنة فى مسيرها .

٤ — الغريب — الدمستق : صاحب جيش الروم ، وقد مرّ تفسيره فى مواضع . وجمعه : دماسقة على زيادة التاء .

المعنى — يقول : أكلّ يوم يقدم عليك ، ثم يفرّ ، فيلوم قفاه وجهه على إقدامه ، فيقول : لم أقدمت حتى عرضتنى للضرب بهزيمتك ؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته ، وقفاه من الضرب لائم وجهه ، وأصحابه غير مستشكرين لفعله .

أَيُنْكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ ... وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ الْبَهَائِمُ (١)

وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وَابْنِ صِهْرِهِ ... وَبِالصِّهْرِ حَمْلَاتُ الأَمِيرِ الْغَوَاشِمُ (٢)

مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ الظُّبَا ... بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ (٣)

وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرَفِيَّةِ فِيهِمُ ... عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ (٤)

---

١ — الغريب — الليث : الأسد . والجمع : الليوث . يذوقه : يجرّبه ويختبره . وذاق : أى جرب .
المعنى — يقول : لو كان حازما لكفاه مايعرفه ويسمعه من أخبارك ، ويشاهده من شجاعتك ، أى أنه يسمع خبرك ، ويأتيك مقاتلا ثم ينهزم ، ولو انهزم من غير قتال لكان أحزم .

٢ — الإعراب — جمع فعلة : فعلات (بفتح العين) فى الصحيح ، وإنما أسكن الميم من حملات ضرورة .
الغريب — الصهر : أهل بيت المرأة ، عن الخليل . ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعا . يقال : صاهرت إليهم : إذا تزوّجت فيهم . وأصهرت بهم : إذا اتصلت بهم وتحرّمت بجوار أو نسب أو تزوّج ، عن ابن الأعرابى . وأنشد لزهير :

قَوْدُ الْجِيَادِ وَإِصْهَارُ الْمُلُوكِ وَصَبْــرٌ فى مَوَاطِنَ لَوْ كَانُوا بِهَا سَئِمُوا

والغواشم : الغواصب .
المعنى — يقول : حملاتك عليهم التى تغشمهم ، وتدقهم وتكسرهم ، قد فجعتهم بأقاربه ، فهلا اعتبر بهم حتى لا يقدم ، يريد : أن حملات سيف الدولة فجعت الدمستق بابنه وأصهاره ، وهو لا يرتدع بحملاته الغواشم للأقران ، الغواصب لأنفس الفرسان ، فما للدمستق لا يكفه عن التعرّض له ما أسلف سيف الدولة من الإيقاع .

٣ — الغريب — الظبا : جمع ظبة ، وهى حدّ السيف . والمعاصم : جمع معصم ، وهو الزند .
المعنى — يريد : أنه يشكر أصحابه ، لأن السيوف اشتغلت بهم عنه ، فشكرهم كأنهم وقوه السيوف برءوسهم وأيديهم ، حتى انهزم وفات السيوف .

٤ — الغريب — المشرفية : السيوف ، نسبت إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو إلى الريف ، يقال : سيف مشرفى ، ولا يقال مشارفى ، لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن ، فلا يقال : مهالبى ولا جعافرى ولا مغافرى .

المعنى — يقول : السيوف لا يفهم أصواتها أحد ، لأن أصواتها أعاجم غير مفهومة ، والدمستق يفهم صوتها فى أصحابه ، لأنه يستدلّ بذلك على قتلهم ، فهو فهم من طريق الاعتياد ، لا من طريق السماع ، يعنى إذا سمع صليلها علم أنهم مقتولون .

يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لاعَنْ جَهَالَةٍ وَلَكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ (١)
وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ (٢)
تَشَرَّفُ عَدْنَانٌ بِهِ لارَبِيعَةٌ وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لا الْعَوَاصِمُ (٣)
لَكَ الْحَمْدُ فِى الدُّرِّ الَّذِى لِىَ لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّىَ نَاظِمُ (٤)

---

١ — المعنى — يقول : هو مسرور بما أخذته من أصحابه ، وأمتعته حيث كانت الفداء له ، إذ نجا هو ، واشتغل العسكر بأخذ هذه الأشياء ، وليس يفرح جهلا بحالته ، و إنما يفرح بسلامته حيث نجا منك سالما بروحه ، وأمن من غنيمته ، ففاتك بنفسه ، وطلبته فلم تنله بحتفه ، فهو و إن نجا برأسه غانم و إن كان مغنوما ، فالمسلوب إذا نجا منك بسلبه فهو غانم سالم. وهذا مثل قول بسطام بن قيس فى المثل : السلامة إحدى الغنيمتين .

٢ — الإعراب — رفع «هازم» خبر لكن . والتوحيد : الخبر الأوّل ، كقولك : حلو حامض ، ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف ، أى أنت هازم .

المعنى — يقول : لست فى هزمك الدمستق ملكا مثله ، ولكنك الإسلام هزم الشرك ، وليس بينهما قياس فى الفضل . يريد : أنك سيف الإسلام ، ومقيم أود الإيمان ، وملك الروم الذى واجهك عماد أهل الكفر ، وعليه مدار الأمر ، فهزيمتك له هزيمة التوحيد للشرك ، وظهورك عليه ظهور أهل الحقّ على أهل الإفك .

٣ — الإعراب — الضمير فى « به » لمليك ، وهو لغة فى ملك ، ولو كان بدل الهاء كاف ، كان أجود حتى يكون مخاطبا .

الغريب — مضر وربيعة : ابنا نزار بن معدّ بن عدنان . وربيعة : رهط سيف الدّولة . والعواصم : قلاع وحصون من أعمال حلب ، وقيل : هى من الفرات إلى حمص .

المعنى — يقول : تفتخر بهذا الملك العرب كلها ، لا يخصّ ربيعة قومه ، وتفتخر به الدّنيا كلها ، لا الشام وحدها ، فكلّ الناس يفتخرون به و إن بعد نسبهم عن نسبه ، والبلاد تفخر به و إن بعد أكثرها عن بلده .

٤ — المعنى — يريد بالدّر شعره . يريد: أن المعانى لك ، واللفظ لى ، فأنت تعطيه ، وأنا ناظمه ، لأنى أصف مكارمك فيه ، وأقيد فضائلك به . وهو من قول ابن الرومى :

وَدُونَكَ مِنْ أَقَاوِيلِى مَدِيحًا غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِىَ النِّظَامُ

وَإِنِّى لَتَعْدُو بِى عَطَايَاكَ فِى الْوَغَى ... فَلاَ أَنَا مَذْمُومٌ وَلاَ أَنْتَ نَادِمُ (١)
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ ... إِذَا وَقَعَتْ فِى مِسْمَعَيْهِ الغَمَاغِمُ (٢)
أَلاَ أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِى لَسْتَ مُغْمَدًا ... وَلاَ فِيكَ مُرْتَابٌ وَلاَ مِنْكَ عَاصِمُ (٣)
هَنِيئًا لِضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلاَ ... وَرَاجِيكَ وَالإِسْلاَمِ أَنَّكَ سَالِمُ (٤)
وَلِمْ لاَ يَقِى الرَّحْمَنُ حَدَّيْكَ مَاوَقَى ... وَتَفْلِيقُهُ هَامَ العِدَابِكَ دَائِمُ (٥)

---

١ — الغريب — تعدو، أى تجرى وتسرع . والوغى : الحرب .
المعنى — يريد : أنى أركب خيلك التى تهبنى ، فهى تعدو بى فى الحرب ، فلست مذموما فى أخذها، لأنى شاكر أياديك، وناشر ذكرك ، ولست نادما على ما أعطيتنى، لقيامى بحق ما أوليتنى.
٢ — الإعراب — «على» متعلق بما قبله ، من قوله «نادم» ، أى لست نادما على كل طيار.
الغريب — الغماغم : جمع غمغمة ، وهى الصوت المختلف ، وهى أصوات الأبطال فى الحرب .
المعنى — يقول : لست نادما على كل فرس طيار ، ويجوز أن يكون على متعلقا بمحذوف، كأنه قال : أقصد الوغى على كل طيار يطير برجله ، أى يجرى فى سرعة الطير إذا سمع صوت الأبطال فى الحرب . وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

وَلَيْلٍ كَكُحْلِ الْعَيْنِ خُضْتُ ظَلاَمَهُ ... بِأَزْرَقَ لَمَّاعٍ وَأَخْضَرَ صَارِمِ
وَطَيَّارَةٍ بِالرِّجْلِ خَوْفًا كَأَنَّمَا ... تُصَافِحُ رُضَّاضَ الْحَصَى بِالْجَمَاجِمِ

٣ — المعنى — يقول : أنت السيف الذى لا ينبو له حد ، ولا يتضمنه غمد ، ولا فيه لمبصره ريبة ، ولا تعتصم منه جنة ، لأن مقاصده موصولة بالنصر ، ومساعيه مكنوفة بجميل الصنع .
٤ — المعنى — تهنأ هذه الأشياء بسلامتك ، لأنك قوامها، فضرب الهام أنت أحذق الناس به ، والمجد أنت أكسب الناس له ، والعلا أنت جامع شملها، وراجى مكارمك التى لا تعطل بفضلها، والإسلام لأنك أعززت دعوته ، وأبلجت على الإشراك حجته، بأنك سالم ، أى منسأ عمرك، متبوع أمرك .
٥ — المعنى — لم : استفهام إنكار ، أى لم لا يحفظك مادمت تفلق هام العدا ؟ فالله لاشك يحفظك ، لأنك سيفه ، بك يصول على أعدائه .

وقال يمدحه

وقد ورد عليه رسول الروم يطلب الهدنة فى سنة أربع وأربعين وثلاث مئة

وهى من الطويل ، والقافية من المتواتر

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ ٱلْمُلُوكِ هُمَامُ ۝ وَسَحَّ لَهُ رُسْلَ ٱلْمُلُوكِ غَمَامُ (١)
وَدَانَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ۝ وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ (٢)
إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيًا ۝ كَفَاهَا لِمَامٌ لَوْ كَفَاهُ لِمَامُ (٣)
فَتًى يَتْبَعُ الأَزْمَانُ فِى النَّاسِ خَطْوَهُ ۝ لِكُلِّ زَمَانٍ فِى يَدَيْهِ زِمَامُ (٤)
تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أَمْنًا وَغِبْطَةً ۝ وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسْلِ لَيْسَ تَنَامُ (٥)

---

١ — **الغريب** — أراع : أفزع . والهمام : الملك العظيم الهمة . والغمام : السحاب . وسحّ : أمطر .
الإعراب — كذا فى موضع نصب ، صفة مصدر محذوف ، أى روعا كذا ، مثل هذا .
المعنى — يقول : هل راع ملك جميع الملوك ، وكذا ، أى كما أرى من روعك إياهم ، وهل تقاطرت الرسل على ملك كما تقاطرت عليك ، وجعل توالى الرسل إليه كسحّ الغمام ، وهذا تعجب . يريد : هل راع ملك قبل هذا كلّ الملوك ، حتى خضعوا له ، واستجاروا به ، وتتابعت رسلهم عليه ، حتى كأنّ غماما أمطرهم بحضرته .

٢ — **الغريب** — دانت : أطاعت .
المعنى — يقول : دانت الدّنيا لأمره ، و بلغ أبعد غاياتها بعفوه ، والأيام قائمة فيما يبتغيه ، مجتهدة فيما يحاوله وينويه ، لا يسعى فى تحصيل مراد ، والأيام تسعى فى تحصيل ما يريده .

٣ — **الغريب** — اللمام : الزيارة القليلة . ومنه قول جرير :

بِنَفْسِيَ مَنْ تَجَنُّبُهُ عَزِيزٌ ۝ عَلَىَّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ

المعنى — يقول : إذا غزاهم كفاهم أدنى نزول منه لو اكتفى هو بذلك . لكنه لا يكتفى حتى يبلغ أقاصى بلادهم .

٤ — **المعنى** — يقول : الزمان يتبعه ، من أحسن إليه من الناس أحسن إليه الزمان ، ومن أساء إليه أساء إليه الزمان ، فالزمان فى الناس يتبع خطوه ، ولا يخالف أمره وحكمه ، حتى كأنّ لكلّ زمان فى يديه زماما يملكه به ، وخطاما يذلله ؛ يشير إلى قوّة سعده ، و إقبال جدّه .

٥ — **الإعراب** — ليس هنا تحتمل أمرين : أحدهما أن يكون استعملها استعمال ما ، كقول العرب : ليس الطيب إلا المسك ، فيما حكاه سيبويه . والثانى أن يكون فى ليس ضمير ، وحذف تاء

حِذَارًا لِمُعْرَوْرِى الجِيَادِ فُجَاءَةً ... إلَى الطَّعْنِ قُبْلاً مَالَهُنَّ لِجَامُ(١)

تُعَطَّفُ فِيهِ وَالأَعِنَّةُ شَعْرُهَا ... وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامُ(٢)

وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ(٣)

إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتَوْا لَهُ ... كَأَنَّهُمُ فِيمَا وَهَبْتَ مَلَامُ(٤)

وَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الذِّمَامَ طَوَاعَةً ... فَعَوْذُ الأَعَادِي بِالْكَرِيمِ ذِمَامُ(٥)

= التأنيث ضرورة ، والأجود أن تكون بمعنى ما ، فتخلو من الضمير ، لأنه إذا جعلها فعلا ماضيا، فالواجب أن يقول : ليست تنام .

المعنى — أن الرسل تنام عندك آمنة تتفيأ ظلك ، مستبشرة بمشاهدة فضلك ، وأجفان الملوك الذين بعثوهم إليك ساهرة، لما تتوقعه من خيبة رسلهم . والمعنى : الرسل تنام آمنة لما تحسن إليهم ، وهم آمنون بمقامهم عندك ، والذين بعثوهم يخافونك ، لأنهم ليسوا على أمان منك ، فلا تنام أجفانهم خوفا منك . وقد بينه بقوله [البيت بعده] .

١ — الغريب — القبل : المقابلة والمواجهة ، وهى مخففة من القبل .

وقال أبو الفتح : هو جمع أقبل وقبلاء ، وهو الذى أقبلت إحدى عينيه على الأخرى ، تشاوسا وعزة نفس .

المعنى — يقول : هم لاينامون حذارا لمن يركب الخيل عريا إلى الحرب ، يعنى لايقف حتى تسرج أو تلجم إذا فجأه أمر ، أى يحذرون ملكا شديدا بأسه ، قويا جيشه ، تتسابق فرسانه إلى الحرب عند مفاجأتها لهم على أعراء الخيل ، فيستقبلون بها الطعان غير ملجمة ، ويجالون عليها الأقران غير مسرجة .

٢ — الإعراب — الضميران فى الظرفين ، للطعن المذكور فى البيت الذى قبله .

الغريب — الأعنة : جمع عنان ، وهو للخيل السيور التى فى اللجام . والسياط : جمع سوط ، وهو ما يضرب به الراكب .

المعنى — يريد : أن خيله مؤدّبة، إذا قيدت بشعرها انقادت، كما تنقاد بالعنان ، وإذا زجرت قام الكلام لها مقام السوط ، فهى لا تحتاج إلى اللجم . وأراد أن يقول : والأعنة معارفها ، فما صح له الوزن ، ولو صح لكان حسنا ، وإنما اكتفى بشعرها ، ومراده المعارف .

٣ — المعنى — يقول : ما تنفع الخيل الكرام ولا السلاح ، وإن عزمها ليس بنافع إذا لم يكن فوقها كرام فى الحرب . يريد : ليس تنفع الخيل ولا صمّ الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام .

٤ — المعنى — يقول : إنك تردّهم عما يطلبون من الهدنة ، ردّك لوم اللائمين لك فى العطاء ، أى كما أنك لا تصغى إلى ملامة لائم فى سخائك ، فكذلك لاتقبل الهدنة ، وهذا هو المدح الموجه .

٥ — الغريب — الذمام : جمع ذمّة ، وهى العهد . وطعت للشىء طوعا وطواعة وطواعية . =

وَإِنَّ نُفُوسًا أَمَّمَتْــكَ مَنِيعَةٌ ... وَإِنَّ دِمَاءً أَمَّلَتْكَ حَــرَامُ (١)
إِذَا خَافَ مَلْكٌ مِنْ مَلِيكٍ أَجَرْتَهُ ... وَسَيْفَكَ خَافُوا والجِوارَ تُسَامُ (٢)
لَهُمْ عَنْكَ بِالبِيضِ الخِفَافِ تَفَرُّقٌ ... وَحَوْلَكَ بِالـكُتْبِ اللِّطَافِ زِحَامُ (٣)
تَغُرُّ حَلَاوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا ... فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهُوَ حِمَامُ (٤)
وَشَرُّ الحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ ... يَذِلُّ الَّذِى يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ (٥)
فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ... وَلٰـكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُـــمْ وَغَرَامُ (٦)

= المعنى — يقول : إن كنت لا تعطى الروم عهدا وصلحا بالطوع ، فلياذهم بك يوجب لهم الذمام ، لأن من لاذ بالـكريم وجبت له الذمّة ، أى فقد حصل لهم ماطلبوا و إن لم تعطهم ، وعوذ الأعادى بالملك الـكريم جوار يأمنون به ، وقد اسـتعاذوا بك فتقبلتهم ، ورجوا كريم عائدتك فأسعفتهم وأجرتهم ، وقد أكد هذا بما بعده ، فقال : [البيت بعده] .

١ — الغريب — أممتك : قصدتك . والحرام : الذى لايستباح .

المعنى — يقول : إن نفوسا قصـدتك مستجيرة بك ، واعتمدتك راجية لك ، ممنوعة مما تحذره ، آمنة لما تـكرهه ، و إن دماء اسـتسلمت إليك واقتصرت بآمالها عليك لواجب حفظها ، حرام سفـكها .

٢ — الغريب — الملك والمليك : واحد .

المعنى — يقول : إذا خاف ملك من ملك ، أجرت الخائف بفضلك ، وزجرت المخيف بعزك ، والروم خافوا سيفك فخضعوا لك ، والجوار يطلبون ليعتصموا بك ، و إذا كنت تجير من غيرك ، فأنت بأن تجير من نفسك أولى .

٣ — المعنى — هم يهربون من سيوفك الماضية المرهفة ، و يزدحمون عليك بالـكتب ، يطلبون الهدنة بالتطلف والتضرّع . وقال قوم : بل بالـكتب اللطيفة نفسها . والمعنى : أنه يشير إلى عجزهم عن مقاومته فى الحرب ، وازدحامهم عليه فى السلم .

٤ — الغريب — الحمام : الموت .

المعنى — يقول : حبّ الحياة يغرّ القلب ، حتى يختار عيشا فيـه ذلّ ، أو يختار الهرب من خوف القتل ، وذلك هو القتل فى الحقيقة ، بل هو شرّ منه . والمعنى : أن اختيار العز يز للذلّ هو الذلّ .

٥ — الغريب — الزؤام : الموت العاجل . والمضام : المغلوب .

المعنى — يقول : شرّ الموتتين العاجلتين ، يشير إلى ميتة الذلّ ، وميتة الحتف المحتومة ، عيشة يذلّ مختبرها ، و يضام مؤثرها . يريد : أن عيشة الذلّ شرّ الموتتين ، وأضعف الحالتين .

٦ — الغريب — الغرام : الشرّ الدائم اللازم . ومنه : الغريم لملازمته . =

وَمَنٌّ لِفُرْسانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمُ   بِتَبْلِيغِهِمْ مالا يَكادُ يرام(١)
كَتَائِبُ جاءوا خاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا   وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خاضِعِينَ لَخَامُوا(٢)
وَعَزَّتْ قَدِيمًا فى ذَرَاكَ خُيُولُهُمْ   وَعَزُّوا وَعامَتْ فى نَدَاكَ وَعامُوا(٣)
عَلَى وَجْهِكَ الَمَيْمُونِ فى كُلِّ غارَةٍ   صَلَاةٌ تَوَالَى مِنْهُمُ وَسَلَامُ(٤)
وَكُلُّ أُناسٍ يَتْبَعُونَ إِمامَهُمْ   وَأَنْتَ لِأَهْلِ المَكْرُماتِ إِمامُ(٥)

= المعنى — يقول : لو كان الذى طلبوه مصالحة لما احتاجوا إلى التشفع بفرسان الثغور ، لأن الصلح أن ترغب فيه أنت أيضا ، ولكن طلبوا منك أن تؤخر الحرب عنهم أياما ، فكان ذلك ذلالهم . يريد : أن فرسان طرسوس بعثوهم إليه ، ليشفعوا لهم فى المهادنة فشفعهم، فيقول : لو كان صلحا لما تشفعوا إليك بفرسان طرسوس الذين شفعتهم فيهم ، وجعلت لهم المنة عليهم ، ولكنه منهم خضوع وذلة ، وعجز وهلكة ،

١ — المعنى — بلغتهم ما كانوا لا يظنون أنه يقع، فأخرت عنهم الحرب بشفاعة الفرسان، فكانت لهم عليهم منة ، إذ بلغوهم مالا يكاد أن يطلب ، ولا يبلغونه بأنفسهم .

٢ — الغريب — الكتائب : جمع كتيبة من الخيل . والخضوع : الذلة . والخائم : الناكص على عقبيه . وخام عنه يخيم خيومة ، أى جبن .

المعنى — يقول : هذه كتائب قد جاءوا إليك ، وأقدموا على مقاربتك ، وقصدوك مستسلمين ، فشجعوا على مشاهدتك ، ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا عنك ناكصين على أعقابهم ، ولتباعدوا عنك هاربين .

٣ — الغريب — الذرى: الظل، تقول : هو فى ذراه ، أى فى ظله وكنفه . وعام: سبح فى الماء .
المعنى — يقول : إنهم تعوّدوا إحسانك قديما ، إذ كانوا فى ناحيتك وكنفك وحمايتك تحسن إليهم ، حتى غرقوا فى برّك و إحسانك .

٤ — الغريب — الميمون : ذو اليمن والبركة . والغارة : الحرب . والصلاة : الرحمة . والسلام : البركة ، تقول : صلى صلاة وتصلية . قال :

تَرَكْتُ القِدَاحَ وَعَزْفَ القِيانِ   وَأَدْمَنْتُ تَصْلِيَةً وَابْتِهالاَ

المعنى — يقول : هم لمحبتك يصلون عليك ويسلمون ، وإن كنت تغير عليهم ، تعجبا لحسن وجهك الميمون على الإسلام وأهله ، المبارك على الإسلام والإيمان وحزبه .

٥ — المعنى — يريد : أن الكرام كلهم يقتدون بأفعاله ، فكلّ أناس لهم إمام يؤمّونه ، وأنت إمام أهل المكرمات وسيدهم ، وقدوتهم ومعتمدهم .

وَرُبَّ جَوابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثْتَهُ ... وَعُـنْوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ(١)
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ... وَمَا فُضَّ بِالبَيْدَاءِ عَنْـهُ خِتَامُ(٢)
حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ ... جَوَادٌ ، وَرُمْحٌ ذَابِلٌ ، وَحُسَامُ(٣)
أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَتْعَبْتَهَا فَالْهُ سَاعَةً ... لِيُغْمَدَ نَصْـلٌ أَوْ يُحَلَّ حِزَامُ(٤)
وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهُدْنَةٍ ... فَإِنَّ الَّذِي يَعْمُرْنَ عِنْـدَكَ عَامُ(٥)

---

١ — الغريب — عنوان الكتاب : مايعرف به ، وهو بضم العين فى اللغة الفصيحة. قال أبودؤاد :

لِمَنْ طَلَلٌ كَعُنْوَانِ الـكِتَابِ ... بِبَطْنِ الْوَجِّ أَوْ قَرْنِ الذُّهَابِ

ويقال : عنوان وعنيان ، وعلوان وعلوان . وجمعه : عناوين وعلاوين . وعنونت الكتاب وعننته وعنيته ، أبدلوا من إحدى النونات ياء ، والقتام : الغبار .

المعنى — يقول : رب جيش أقمته مقام جواب كتب إليك ، فصارت غبرته تدل عليه ، كما يدل عنوان الكتاب على الكاتب والمكتوب إليه .

٢ — الغريب — البيداء : الأرض القفرة البعيدة . والفض : الكسر ، والختام : طابع الكتاب.

المعنى — يقول: تضيق الأرض الواسعة بذلك الجيش ، قبل أن تنشر كتائبه ، وتغص بجمعه قبل أن تغير مواليه ، ويملأ الفضا ، وهو مجتمع لم يفض ختامه ، ولا انتشر بالغارة على الأعداء نظامه ، واستعار الفض والختم ، وهما للكتاب والجواب ، لما جعل الجيش كتابا وجوابا ، وقد أبدع فى هذا غاية الإبداع .

٣ — الغريب — الجواد : الفرس الكريم . والذابل: الرمح اليابس المستقيم. والحسام: السيف القاطع.

المعنى — أنه وصل الاستعارة ، فقال : حروف هجاء الناس فى ذلك الجواب الذى هو الجيش، جواد ينهض فارسه ، ورمح يقدم حامله ، وحسام يصول به صاحبه ، فهو مؤلف من هذه الأشياء، كما يؤلف الجواب من حروف الهجاء .

٤ — الغريب — يقول : ياذا الحرب. لهى الرجل عن الشيء يلهى : إذا أعرض. ولها يلهو : إذا أخذ فى اللهو .

المعنى — يقول: اترك الحرب ساعة، فقد أتعبت الخيل والرجال، حتى يغمد سيف ، أو يحل عن جواد حزامه ، فقد أتعبت الجيش ، أى حتى تغمد النصول التى سلتها فرسانك ، وتحل الحزم التى قد شدتها أتباعك وأعوانك .

٥ — الإعراب — الوجه أن يقال : يعمرن فيه ، إلا أنه شبه الظرف بالمفعول اتساعا ، كما تقول : قمت الليلة ، أى فيها .

الغريب — عمر الرجل يعمر : إذا طال عمره .

المعنى — يقول : إن أعمار الرماح عند غيرك دعة تطول ، واتساع هدنة ، وغاية أعمارها عندك عام لاتتجاوزه، لأن الانكسار يسرع إليها بمداومتك الطعن ، وأمد مهادنتك للروم عام=

وَمَازِلْتَ تُفْنِي السُّمْرَ وَهْيَ كَثِيرَةٌ ... وَتُفْنِي بِهِنَّ الْجَيْشَ وَهْوَ لُهَامُ (١)

مَتَى عَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ ... وفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامُ (٢)

وَرَبَّوا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا ... وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتٌ وَشَبَّ غُلَامُ (٣)

جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا ... إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى جَرَيْتَ وَقَامُوا (٤)

فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْ أَنَرْتَ إِنَارَةٌ ... وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مَا تَمَمْتَ تَمَامُ (٥)

= ثم تعود إلى حربهم على عادتك ، وتكسر الرماح فيهم على سجيتك ، ومانترك عادتك .

١ — الغريب — السمر : الرماح . واللهام : الكبير ، وهوالذى يلتهم كلّ شيء .

المعنى — يقول له : مازلت تفنى الرماح بكثرة استعمالها ، وتفنى بها جيش الأعداء ، فمازلت تفنى الرماح فى وقائعك مع كثرتها ، وتفنى بفنائها الجيش الكثير ، وتذهب بإذهابها الجموع العظام.

٢ — الغريب — الجالون : الذين أخرجوا من ديارهم . ومنه قوله تعالى : « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء » .

المعنى — يقول : إذا عاد الذين فارقوا ديارهم هربا منك إلى أوطانهم عدت إليهم ، وظفرت بهم فقتلتهم . والمعنى : إذا عاد الروم الذين تركوا ديارهم خوفا منك ، بالهدنة التى أجبتهم إليها، عاودت أنت تلك الأرض بالغزو ، فألفيت فيها جماعات تعمل سيوفك فى رقابهم ، وتصرفها فى رءوسهم.

٣ — الإعراب — ربوا : معطوف على «عاودت أرضهم » ، وحتى تكون للعاقبة ، كقوله تعالى : «ليكون لهم عدوّا وحزنا » ، أى تكون العاقبة إصابتك لهم .

الغريب — الكاعب : التى قد بدا ثديها للنهود . وشبّ الغلام : كبر ونشأ .

المعنى — لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم ، ربوا أولادهم لسبيهم ، فصارت البنت كاعبا، والابن شابا يصلحان للسبي ، فأشار إلى أن مسالمة سيف الدولة ضرب من التدبير عليهم ، لأنهم يعاودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم ، وأمكن لسبيهم .

٤ — الغريب — القصوى : البعيدة ، يقال : القصوى والقصيا .

المعنى — يقول : جاروك، حتى إذا انتهى بهم الجرى تخلفوا عنك ، وجريت وحدك فسبقتهم . أراد : جاراك الملوك فيما نهجته من مكارمك ، واقتدت بك فيما عرضت إليه من مقاصدك ، فلما أوفيت على الغاية البعيدة ، والمنزلة العالية ، جريت وحدك غير ثان لعنانك ، وتقدمت مقبلا على شأنك ، ووقفوا عاجزين عن بلوغ شأوك ، معترفين بالتقصير عن إدراك سعيك .

٥ — المعنى — قال الواحدى : يريد أنه أنور من الشمس ، فإنارتها تذهب باطلة عند إنارته ، وهو أتمّ من البدر ، فتمامه كلا تمام . والمعنى : ليس لشمس منهم إنارة مع ما يبدو من نورك ، ولا لبدر منهم تمام مع ماأتمه الله لك من فضلك . يريد : أن الملوك صغير كلّ كبير منهم عند قدرك ، وناقص كلّ من كان يتمّ منهم بالإضافة إلى فضلك .

تمّ الجزء الثالث من ديوان المتنبي ، ويليه الجزء الرابع

فهرس قوافى الجزء الثالث من ديوان المتنبي

مطلع القصيـــدة

		الصفحة
رويدك أيها الملك الجليـل	تأى وعـــده مما تنيـل	٣
لعد المشرفيـة والعـــوالى	وتقتلنا المنـون بلا قتال	٨
إلام طماعيـــة العاذل	ولا رأى فى الحب للعاقل	٢١
أعلى الممالك مايبنى على الأسل	والطعن عند محبيهن كالقبل	٣٤
بنا منك فوق الرمل مابك فى الرمل	وهذا الذى يضنى كذاك الذى يبلى	٤٣
لا الحلم جاد به ولا بمثاله	لولا ادكار وداعـه وزياله	٥٣
يؤمم ذا السـيف آماله	ولا يفعل السـيف أفعاله	٦٥
أينفع فى الخيمة العـــذل	وتشمل من دهرها يشمل	٦٦
أجاب دمعى وماالداعى سوى طلل	دعا فلباه قبل الركب والإبل	٧٤
عش ابق اسم سد قد جد مر انه ر ف اسر نل		
	غظ ارم صب احم اغز اسب رع زع دل اثن نل	٨٩
شديد البعد من شرب الشمول	ترنج الهنـد أو طلع النخيل	٩٠
أتيت بمنطق العرب الأصيل	وكان بقـدر ماعاينت قيلى	٩١
لقيت العفاة بآمالها	وزرت العـداة بآجالها	٩٢
وصفت لنا ولم نره سلاحا	كأنك واصف وقت النزال	٩٣
ليالى بعد الظاعنين شكول	طوال وليل العاشقين طويل	٩٥
إن كنت عن خير الأنام سائلا	فخـيرهم أكثرهم فضائلا	١١١
دروع لملك الروم هذى الرسائل	يرد بها عـن نفسه ويشاغل	١١٢
إن يكن صبر ذى الرزية فضلا	فـكن الأفضل الأعز الأجلا	١٢٣
ذى المعالى فليعلون من تعـالى	هكذا هكذا وإلا فلا لا	١٣٤
مالنا كلنا جو يارســـول	أنا أهـوى وقلبك المتبول	١٤٨
لا تحسن الوفرة حتى ترى	منشورة الضفرين يوم القتال	١٥٩
محبى قيامى مالذلكم النصل	بريا من الجرحى سليما من القتل	١٦٠
أحيا وأيسر ماقاسيت ماقتلا	والبين جار على ضعفى وماعدلا	١٦٢
قد شغل الناس كثرة الأمل	وأنت بالمـكرمات فى شغل	١٧٢
قفا تريا ودق فهاتا المخايل	ولا تخشيا خلفا لما أنا قائل	١٧٤
أحبيت برك إذ أردت رحيلا	فوجدت أكثر ماوجدت قليلا	١٧٨

مطلع القصيدة

		الصفحة
عزيز أسى من داؤه الحدق النجل	عياء به مات المحبون من قبل	١٨٠
صلة الهجر لى وهجر الوصال	نكسانى فى السقم نكس الهلال	١٩١
ومـنزل ليس لنا بمـنزل	ولا لغـير الغاديات الهطل	٢٠٢
أبعـد نأى المليحة البخل	فى البعد مالا تكلف الإبل	٢٠٩
بقائى شاء ليس هم ارتحالا	وحسن الصبر زموا لا الجمالا	٢٢١
فى الخد إن عزم الخليط رحيلا	مطر تزيد به الخدود محولا	٢٣٢
أرى حللا مطواة حسانا	عدانى أن أراك بها اعتلالى	٢٤٥
عذلت منادمة الأمير عواذلى	فى شربها وكفت جواب السائل	٢٤٦
بدرقتى لو كان من سؤاله	يوما توفر حظه مـن ماله	٢٤٧
قد أبت بالحاجـة مقضية	وعفت فى الجلسة تطويلها	٢٤٩
لك يامنازل فى القلوب منازل	أقفرت أنت وهن منك أو اهل	٢٤٩
أمانـكم من قبل موتـكم الجهل	وجركم من خفة بكم النمل	٢٦٢
يا أكرم الناس فى الفعال	وأفصـح الناس فى المقال	٢٦٢
أتانى كلام الجاهل ابن كيغلغ	يجوب حزونا بيننا وسهولا	٢٦٣
لا تحسبوا ربعكم ولا طلله	أول حى من فراقـكم قتله	٢٦٤
أتحلف لا تـكلفنى مسـيرا	إلى بلد أحاول فيـه مالا	٢٧٥
لا خيل عندك تهديها ولامال	فليسعد النطق إن لم تسعد الحال	٢٧٦
كدعواك كل يدعى صحة العقل	ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل	٢٨٩
اثلث فإنا أيها الطلل	نبـكى وترزم تحتنا الإبل	٢٩٩
ما أجـدر الأيام والليالى	بأن تقـول ماله ومالى	٣١١
وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه	بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه	٣٢٥
أين أزمعت أيهـذا الهمام	نحن نبت الربا وأنت الغمام	٣٤٣
أنا منك بين فضائل ومكارم	ومن ارتياحك فى غمام دائم	٣٤٩
إذا كان مدح فالنسيب المقدم	أكل فصيح قال شعرا متيم	٣٥٠
واحر قلباه ممن قلبه شبم	ومن بجسمى وحالى عنده سقم	٣٦٢
المجد عوفى إذ عوفيت والـكرم	وزال عنك إلى أعدائك الألم	٣٧٥
قد سمعنا ماقلت فى الأحـلام	وأنلناك بدرة فى المنام	٣٧٧
على قدر أهل العزم تأتى العزائم	وتأتى على قدر الـكرام المـكارم	٣٧٨
أراع كذا كل الملوك همام	وسح له رسل الملوك غمام	٣٨٥